



رَسَائِلُكَ

لِلشَّيْخِ الْحَسَنِ

رِسَالَةُ التَّزْيِيهِ لِلسَّيِّدِ مُحَمَّدٍ الْأَمِينِ

وَالرِّسَائِلُ الْمُؤَيَّدَةُ وَالْمُعَارِضَةُ لَهَا

تَأَلَّفَتْ: بِمَجْمُوعَةٍ مِنْ رُفَّاهِ

الشيخ الأفاضل



جَمْعُهَا وَحَقَّقَهَا وَعَلَّقَ عَلَيْهَا: الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ الْحَسَنِيُّ



سازمان اسناد و کتابخانه ملی جمهوری اسلامی ایران

کتابخانه

اسلامیه

امام

حسین

۶

۵

۳۴



هذا الكتاب

لكل أمة من الأمم، بل لكل جماعة من الناس - على اختلاف أديانهم ومذاهبهم ومعتقداتهم - شعائر وطقوس يؤمنون بها ويؤدونها على أنها فرض لا يمكن التساهل به. والأمم والجماعات: السالفة منها، والتي نعاصرها الآن، وحتى التي تأتي بعدنا، كلها سواء من حيث المعتقدات إلا أن الاختلاف في طبيعتها وكيفيةها يكون تابعاً لعنصري المكان والزمان والمستوى الثقافي للأفراد، فالشعائر التي يؤدّيها المثقف تختلف عن تلك التي يؤدّيها الأمي وإن كانت متحدة من حيث المنشأ والمعتقد.

والشعائر الحسينية التي يقيمها أتباع أهل البيت عليه السلام ومحبّوهم، قديمة قدم واقعة الطف الخالدة، ومتأصلة في النفوس أصالة المبادئ التي ثار من أجلها الإمام الحسين عليه السلام. ومثلما مرت هذه الشعائر بفترات مدّ وجزر؛ تبعاً للظروف التي عمّت المجتمع الإسلامي آنذاك، أو نزولاً عند رأي الحكام وميولهم لهذه الشعائر وعدمها، فإنها مرّت بفترات مشحونة برفض بعض هذه الشعائر أو قبولها من قبل المؤسسات الدينية صاحبة القرار والفتوى. ذلك أن الشعائر الحسينية تعرضت لمحاولات - لا يبعد أن يكون من ورائها أيادي معادية للإسلام - لصرفها عن مسيرها الصحيح، وتفريغ الثورة الحسينية المباركة من محتواها الفكري والعقائدي الذي استرخص الإمام الحسين عليه السلام دمه ودم أهل بيته وأصحابه الأبطال من أجل أهدافها السامية التي عبّر عنها بقوله: ((اللهم إنك تعلم إنه لم يكن الذي كان منا تنافساً في سلطان، ولا التماساً لفضول الحطام، ولكن لنردّ المعالم من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك، ويأمن المظلومون من عبادك، ويُعمل بفرائضك وسننك وأحكامك)).

من هنا جاء هذا الكتاب ليستعرض أحد أهم الرسائل في الشعائر الحسينية - والرسائل المؤيدة والمعارضة لها -، والتي أثارت ردود فعل عنيفة، وجدلاً واسعاً بين الأوساط الشعبية والمحافل الثقافية والدينية على حد سواء.

وكان الهدف من هذا العمل المضمّن هو حفظ هذه الرسائل في مجموعة واحدة، والإطلاع على آراء العلماء المعارضين لبعض الشعائر الحسينية والمؤيدين لها وأدلّتهم وحججهم على آرائهم ...

مراكز التوزيع

● إيران : قم - مؤسسة الراشد للمطبوعات - هاتف : 00989125514426

● العراق : بغداد - شارع المتنبي - دار الكتاب العربي - هاتف : 07901419375

بغداد - شارع المتنبي - دار السجاد عليه السلام - هاتف : 07901814736

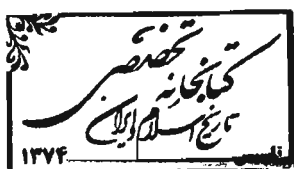
النجف الاشرف - شارع الرسول صلى الله عليه وآله مكتبة دار الهلال - هاتف : 332913 - 371727

كربلاء - شارع قبلة الامام الحسين عليه السلام - مكتبة ابن فهد الحلي - هاتف : 07801558942

البصرة - العشار - مكتبة الامام الهادي عليه السلام - هاتف : 07801647123

● لبنان : المؤسسة العاملة لإحياء التراث - هاتف : 03747658



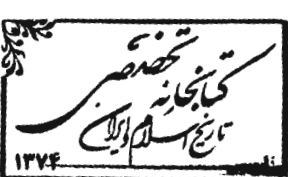


رِسَالَتُكَ
الشَّعَرُ السِّينِيَّةُ

رِسَالَةُ التَّنْزِيهِ لِلسَّيِّدِ مُحَمَّدٍ الْآمِنِ
وَالرِّسَائِلُ الْمُؤَيَّدَةُ وَالْمُعَارِضَةُ لَهَا

رَسَائِلُكَ لِلشَّعْرِ الْحُسَيْنِيِّ

رِسَالَةُ التَّزْيِينِ لِلسَّيِّدِ مُحَمَّدِ بْنِ الْآمِينَ
وَالرِّسَائِلُ الْمُؤَيَّدَةُ وَالْمُعَارِضَةُ لَهَا



تَأَلَّفَتْ
بمَجْمُوعَةٍ مِنْ أَعْلَمَاءِ

جَمَعَهَا وَحَقَّقَهَا وَعَلَّقَ عَلَيْهَا
السَّيِّدُ مُحَمَّدُ الْحُسَيْنِيُّ

الْجُزْءُ الْأَوَّلُ

مؤسسة الرافد للمطبوعات
بغداد

الحسون، الشيخ محمد 1959 ALhsson Muhammad
رسائل الشعائر الحسينية، رسالة التنزيه للسيد محسن الأمين والرسائل
المؤيدة والمعارضة لها / تأليف مجموعة من العلماء ؛ جمعها وحققها
وعلق عليها: الشيخ محمد الحسون.
مؤسسة الراشد للمطبوعات، ٤٣٢ هـ / ٢٠١٠ م

arrafed_pub@yahoo.com

ISBN «الدورة»: 978-600-5688-61-0

ISBN «المجلد الاول»: 978-600-5688-62-7

الكتاب عربي، ٣ مجلدات.

١. الحسين بن علي عليه السلام، الإمام الثالث، ٤ - ١٠ هـ - المآتم والعزاء.
٢. الشعائر والمراسم الدينية.

١٣٩٠ ر ٤٧٦ ح / ٣ / ٢٦٠ BP ٧٤ / ٢٩٧

٢١٥٢٩٩٢

المكتبة الوطنية الإيرانية

□ رسائل الشعائر الحسينية

□ الشيخ محمد الحسون

□ مؤسسة الراشد للمطبوعات

□ الطبعة الأولى - ١٥٠٠ دورة

□ ١٤٣٢ هـ / ٢٠١١ م

□ ISBN «الدورة»: 978-600-5688-61-0

□ ISBN «المجلد الاول»: 978-600-5688-62-7

جميع الحقوق مسجلة ومحفوظة للناسر

دليل الكتاب

* (١) وقفة مع رسالة التنزيه وآثارها في المجتمع، للشيخ محمد الحسون.

* (٢) جريدة الأوقات العراقية، العدد ١٦٦١، الصادر في الأوّل من محرّم سنة ١٣٤٥ هـ.

* (٣) صولة الحقّ على جولة الباطل، للسيد محمد مهدي الموسوي القزويني البصري (ت ١٣٥٨ هـ).

* (٤) المواكب الحسينيّة، للشيخ عبد الله المامقاني (ت ١٣٥١ هـ).

* (٥) نظرة دامعة حول مظاهرات عاشوراء، للشيخ مرتضى آل ياسين (ت ١٣٩٨ هـ).

* (٦) كلمة حول التذكار الحسيني، للشيخ محمد جواد الحّجّامي (ت ١٣٧٦ هـ).

* (٧) نصرة المظلوم، للشيخ حسن ابن الشيخ عبد المهدي المظفر (ت ١٣٨٨ هـ).

* (٨) الآيات البيّنات في قمع البدع والضلالات «المواكب الحسينيّة»، للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (ت ١٣٧٣ هـ).

* (٩) قطعة من كتاب الفردوس الأعلى، للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (ت ١٣٧٣ هـ).

- (١٠) سيماء الصلحاء، للشيخ عبد الحسين صادق العاملي (ت ١٣٦١هـ).
- (١١) التنزيه لأعمال الشبيه، للسيد محسن الأمين العاملي (ت ١٣٧١هـ).
- (١٢) رنة الأسى «نظرة في رسالة التنزيه لأعمال الشبيه» للشيخ عبد الله السبيتي العاملي (ت ١٣٩٧هـ)،
- (١٣) كلمات جامعة حول المظاهر العزائية، للشيخ محمد علي الغروي الأردوبادي النجفي (ت ١٣٨١هـ).
- (١٤) الشعار الحسيني، للشيخ محمد حسين المظفر (ت ١٣٨١هـ).
- (١٥) النقد التنزيه لرسالة التنزيه، للشيخ عبد الحسين قاسم الحلّي (ت ١٣٧٥هـ).
- (١٦) كشف التمويه عن رسالة التنزيه، للشيخ محمد الكنجي (ت حدود ١٣٦٠هـ).
- (١٧) إقالة العائر في إقامة الشعائر، للسيد علي نقي الالكهنوي (ت ١٤٠٨هـ).
- (١٨) قطعة من كتاب إرشاد الأمة للتمسك بالأئمة، للشيخ عبد المهدي المظفر (ت ١٣٦٣هـ).
- (١٩) رسالة في الشعائر الحسينية، للسيد محمد هادي البجستاني الحائري (ت ١٣٦٨هـ)،
- (٢٠) ثورة التنزيه، لمحمد القاسم الحسيني النجفي.

(١)

وقفه مع رسالة التنزيه
وآثارها في المجتمع

تأليف
الشيخ محمد الحسن

تمهيد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير الأنام، نبينا
ومقتدانا أبي القاسم محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين الذين
أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً

وبعد،

لكل أمة من الأمم، بل لكل جماعة من الناس - على اختلاف أديانهم
ومذاهبهم ومعتقداتهم - شعائر وطقوس يؤمنون بها ويؤدونها على أنها فرض لا
يمكن التساهل به.

والأمم والجماعات: السالفة منها، والتي نعاصرها الآن، وحتى التي تأتي
بعدنا، كلها سواء من حيث المعتقدات، إلا أن الاختلاف في طبيعتها وكيفيتها يكون
تابعاً لعنصري المكان والزمان والمستوى الثقافي للأفراد، فالشعائر التي يؤدّيها
المتقف تختلف عن تلك التي يؤدّيها الأمي وإن كانت متحدة من حيث المنشأ

والمعتقد.

والشعائر الحسينية التي يقيمها أتباع أهل البيت عليه السلام ومحبّوهم، قديمة قدم واقعة الطفّ الخالدة، ومتأصلة في النفوس أصالة المبادئ التي ثار من أجلها الإمام الحسين عليه السلام.

وقد مرّت هذه الشعائر بفترات مدّ وجزرٍ؛ تبعاً للظروف السياسيّة التي عمّت المجتمع الإسلامي آنذاك، ونزولاً عند رأي الحكّام المتسلّطين على رقاب المسلمين وميولهم لهذه الشعائر وعدمها.

فلعلّ أوّل هذه الشعائر، وهو البكاء على الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه، جرى بعد واقعة الطفّ مباشرة وفي بيت يزيد بن معاوية، كما حدّثنا التأريخ بذلك.

قال الطبري في تأريخه: «فخرجن - أي النساء السبايا - حتّى دخلن دار يزيد، فلم يبق من آل معاوية امرأة إلاّ استقبلتهنّ تبكي وتنوح على الحسين، فأقاموا عليه المناحة ثلاثاً»^(١).

وتتابعت مجالس الحزن والبكاء في الكوفة والمدينة المنورة وغيرهما، وأقام التوّابون عند قبر الحسين عليه السلام مأتماً عظيماً يصفه ابن الأثير في تأريخه قائلاً: «فما رُئي أكثر باكٍ من ذلك اليوم، وأقاموا عنده يوماً وليلة يبكون ويتضرّعون ويترحمون عليه وعلى أصحابه»^(٢).

وأقيمت هذه المجالس في العهد الأموي سرّاً؛ خوفاً من أعداء أهل البيت.

(١) تأريخ الطبري ٥: ٤٦٢.

(٢) الكامل في التأريخ ٤: ١٧٨.

وقفة مع رسالة التنزيه وآثارها في المجتمع ١١

وفي العهد العباسي أقيمت علناً أحياناً وسراً أحياناً أخرى، ففي أيام المأمون أقيمت علناً، وفي أيام المتوكل أقيمت سراً، حتى تفاقم الوضع في أيامه ومنع من إقامة هذه الشعائر، وتطرف كثيراً في عداوته للإمام الحسين عليه السلام إذ أمر بهدم قبره الشريف، يقول ابن الأثير في تاريخه في حوادث سنة ٢٣٦هـ:

«وفي هذه السنة أمر المتوكل بهدم قبر الحسين بن علي عليه السلام، وهدم ما حوله من المنازل والدور، وأن يُبذر ويُسقى موضع قبره»^(١).

وانتشرت هذه الشعائر أيام الأخشيديين وكافور، واتسع نطاقها أيام الفاطميين^(٢).

وفي أيام البويهيين اتخذ معز الدولة البويعي اليوم العاشر من محرّم يوم حزن وعزاء بصفة رسمية^(٣).

وانتعشت هذه المجالس في أيام الدولة الصفوية، واتّسعت مساحتها، ودخلتها أمور كثيرة مُستحدثة.

وعندما سيطر العثمانيون على العالم الإسلامي - ومنه العراق - منعوا من إقامة هذه الشعائر بشتى الأساليب والطرق، فأقيمت سراً.

وبعد رحيل الأتراك عن العراق أصبحت المجالس تُقام علناً وبشكل واسع النطاق.

وعند حصول العراق على استقلاله الوطني انتعشت هذه المجالس كثيراً،

(١) الكامل في التاريخ ٧: ٥٥.

(٢) الخطط المقرزية ٢: ٢٩٠.

(٣) الشيعة في الميزان: ١٦٣.

١٢.....رسائل الشعائر الحسينية / ج ١

وأصبح لها دوي واسع، لا في المحرم فحسب، بل وفي أربعينّة الإمام الحسين عليه السلام وذكرى وفاة الرسول الأعظم ﷺ، والأئمّة الأطهار عليهم السلام.

وفي العقود الثلاثة الأخيرة من زماننا هذا، وبعد سيطرة حزب البعث على العراق، منعت الحكومة العراقيّة من إقامة أكثر هذه الشعائر، وعاقبت المتمسّكين بها أشدّ عقاب، فأعدمت بعضهم وسجنت البعض الآخر.

أمّا في الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة فقد مرّت هذه الشعائر بأدوار مختلفة مُنعت في بعضها وأقيمت في أخرى. ففي زمن الشاه رضا بهلوي مُنعت هذه الشعائر أشدّ المنع، وجرت عقوبات مجحفة بحقّ المقيمين لها.

وفي أيّامنا هذه نُشاهد - بحمد الله تعالى ومنّه - رواجاً وانتشاراً واسعاً لهذه الشعائر بشكل لم يسبق له مثيل، وهذا من ثمار الجمهوريّة الإسلاميّة المباركة التي أسّسها الإمام الراحل رضوان الله تعالى عليه.

إلا أنّ هذا لا يعني بقاء جميع تلك الشعائر سالمة من بعض الجوانب السليبيّة، ومحافظةً على أصالتها والأهداف التي أُقيمت من أجلها. فمن المؤسف جدّاً أن نرى محاولات مُعرضة ومُبرمجة - لا يبعد أن يكون وراءها أيادي معادية للإسلام - لصراف هذه الشعائر عن مسيرها الصحيح، وتفرّغ الثورة الحسينيّة المباركة من محتواها الفكري والعقائدي، الذي يتحدّى الظالمين ويسخر من الطغاة.

والغريب في الأمر أنّ بعض محبّي أهل البيت عليهم السلام أدخلوا في هذه الشعائر ما يشينها ويبعدها عن روح الإسلام المحمّدي الأصيل، وهم يتصوّرون - في أعمالهم هذه - بأنّهم يخدمون الإمام الحسين عليه السلام الذي استرخص دمه ودم أهل

وقفة مع رسالة التنزيه وأثارها في المجتمع ١٣

بيته وأصحابه من أجل أهداف سامية، عبّر عنها بقوله:

«إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر»^(١).

وبقوله ﷺ: «اللهم إناك تعلم إنه لم يكن الذي كان منا تنافساً في سلطان ولا التماساً لفضول الحطام، ولكن لردّ المعالم من دينك، ونُظهر الإصلاح في بلادك، ويأمن المظلومون من عبادك، ويُعمل بفرائضك وسننك وأحكامك»^(٢).

إذا فتورة الحسين ﷺ جمعت بين الفكر والعاطفة، واحتوت العقل والسيف، وضمت الشعار إلى الحكمة، والعبرة إلى العبرة، والدمعة الساكبة إلى التأمل والفكرة.

فما أوجنا في هذه الأيام - التي نشاهد فيها الغزو الثقافي الغربي قد دخل إلى عقر ديارنا الإسلامية - إلى التركيز على العبرة والخطاب الفكري العقائدي، إلى جانب العبرة والخطاب التعبوي الذي يعرض الجانب المأساوي لواقعة الطفّ. والساحة الإسلامية الآن بحاجة ماسة إلى تلاحم واتحاد واقعي بين مدارس الفكر ومدارس العاطفة، يقف فيه المثقف إلى جانب الخطيب المناقبي، ويساند المفكر الفقيه الذي قضى كلّ عمره في دراسة العلوم الإسلامية واستنباط الأحكام الشرعيّة.

وما رسالة «التنزيه» إلا واحدة من تلك الصيحات المخلصة التي تعالت

(١) بحار الأنوار ٤٤: ٣٢٩.

(٢) تحف العقول: ٢٣٩.

١٤.....رسائل الشعائر الحسينية / ج ١

مطالبةً بتنزيه الشعائر الحسينية ممّا لحقها من شوائب أخرجتها عن مسيرها الصحيح، أطلقها أحد علماء أتباع مدرسة أهل البيت عليه السلام قبل ثمان وثمانين سنة تقريباً، هو السيّد محسن الأمين العاملي (ت ١٣٨١هـ).

وقد كان لي قبل ثمان سنوات تقريباً وقفة مع هذه الرسالة، إذ قمتُ بعرضها، وقراءة ما ورد فيها، ومناقشة آراء مؤلفها، وإيضاح الأمور المبهمة والوقائع التاريخية وتراجم الرجال التي تحتاج إلى تبين، كلّ ذلك في رسالة مستقلة باسم «قراءة في رسالة التنزيه» طُبعت سنة ١٤٢٣هـ في مكتبة سعيد بن جبير في مدينة قم المقدّسة.

ولم أكن آنذاك بصدد الترويج لهذه الرسالة أو تبنيها أو ردّها كاملةً، بل الذي كان يهمني في ذلك الوقت هو رؤية صاحبها العلامة الأمين والأفكار التي طرحها فيها، التي تؤيد بعضها وتحفظ على البعض الآخر، مع كامل احترامنا وتقديرنا لكل الآراء التي طرحت حولها قدحاً ومدحاً أو رفضاً وقبولاً.

وأثناء بحثي في تلك الرسالة تعرّفت على أسماء الرسائل التي ألّفت حولها - تأييداً وردّاً - وسعيت آنذاك للحصول عليها كاملة للوقوف على آراء أصحابها، لكنّي لم أوفق لذلك، فأخرجتُ رسالتي - قراءة في رسالة التنزيه - كعمل أولي حسب المعلومات التي توفّرت لديّ في ذلك الوقت.

لكنّي لم أترك البحث، وسعيتُ للحصول على كلّ الرسائل المتعلقة بـ«رسالة التنزيه»، والتي كانت لها مشاركة فعالة في تلك الثورة الإصلاحية والمعركة الثقافية، علماً بأنّ أكثر هذه الرسائل عثرتُ عليها في مكتبات العراق بعد سقوط النظام البعثي الجائر في العراق.

وتبيّن لي أثناء البحث أنّ هناك رسالة أخرى، ورجلاً آخر، تزامن نداؤه

وقفة مع رسالة التنزيه وآثارها في المجتمع ١٥

لتنزيه الشعائر الحسينية مع نداء السيد الأمين، هو السيد محمد مهدي الموسوي القزويني الكاظمي البصري (ت ١٣٥٨هـ)، الذي أصدر رسالته «صولة الحق على جولة الباطل» سنة ١٣٤٥هـ، وكان يسكن البصرة في ذلك الوقت.

وكان نصيبه ونصيب رسالته هو الرد أيضاً من بعض الأعلام.

فجمعت الرسائل، والرسائل التي أيدتهما وعارضتهما، وقمتُ بتحقيقهما، والتعليق عليهما وتبليط الضوء على هذه المعركة الثقافية الإصلاحية، ابتداءً من نشوئها في جريدتي «الأوقات العراقية» و«العهد الجديد اللبنانية»، ومروراً برسائلي السيد البصري «الصولة» والسيد الأمين «التنزيه»، وانتهاءً بالرسائل التي أيدتها وعارضتها، وبيّنت الطبقات الاجتماعية المختلفة التي ساهمت في هذه الحركة الإصلاحية من مراجع دين، وعلماء، وأدباء وشعراء، وعامة الناس.

وهدفني من عملي هذا هو حفظ هذه الرسائل في مجموعة واحدة، والاطلاع على آراء العلماء المعارضين لبعض الشعائر الحسينية والمؤيدين لها وأدلتهم وحججهم على آرائهم، فإن قضية الشعائر الحسينية تتجدد كل سنة، بل تعيش مع المؤمنين في كل ساعات حياتهم، وليست هي مسألة قديمة أكل الدهر عليها وشرب، ولا حاجة لإثارتها من جديد، كما يقول البعض.

أسأل الباري عز وجل أن يجعلنا من خدام الإمام الحسين عليه السلام، وأن يرزقنا زيارته في الدنيا وشفاعته في الآخرة، إنه سميع مجيب.

محمد الحسون

الأول من شهر رمضان ١٤٣١هـ

البريد الإلكتروني: muhammad@aqaed.com

الصفحة على الإنترنت: www.aqaed.com/Muhammad



بداية المطاف

نستطيع أن نقسّم المراحل التي مرّت بها هذه الحركة الإصلاحية إلى خمس مراحل، هي:

المرحلة الأولى

كان للصحافة في هذه المرحلة الدور الأساسي في هذه الحركة الإصلاحية، فقد نشرت صحيفتان مقاليتين لعلمين من أعلام الطائفة الحقّة يطالبان بإصلاح الشعائر الحسينيّة، وهما: صحيفة الأوقات العراقية الصادرة في البصرة وصحيفة العهد الجديد الصادرة في بيروت.

صحيفة الأوقات العراقية:

بعد عودة السيّد محمّد مهدي الموسوي القزويني البصري (ت ١٣٥٨هـ) من الكويت واستقراره في البصرة سنة ١٣٤٣هـ، نادى بإصلاح بعض الشعائر الحسينيّة، وصادف أن زاره أحد مسؤولي أو محرّري هذه الجريدة، وتباحث معه

عن بعض هذه الشعائر، فأبدى السيّد رأيه فيها وضرورة تهذيبها من الأمور الغريبة التي دخلت فيها.

فقام هذا الشخص بنشر بعض هذه المحاور في تلك الجريدة، في عددها ١٦٦١ تحت عنوان «يوم عاشوراء» دون علم ورضى السيّد، إذ يقول في رسالته «صولة الحقّ على جولة الباطل» مشيراً إلى ذلك:

«حتّى لقد جرت بيني وبين بعض من جاءني محادثة في هذه وغيرها من الديانات وغير الديانات، وبعد أيام نشرها على صفحات الأوقات العراقية، وقد تعرّض لأكثر ما جرت فيه المفاوضة باختصار، وكان من جملة ما تعرّض إليه هذه المسألة «التشبيهاً والمواكب العاشورية»، ولو كنتُ عالماً بأنّه سيتعرّض لها في الجريدة لحظرت عليه ذلك؛ إذ لا دخل لغير العلماء فيها. ولما كان بيانه لها باختصار، فأجمل فيها بعض التي لصاحب الغرض حملها على حسب غرضه، قامت قيامة بعض الجهلة...»^(١).

وخلاصة كلام السيّد مهدي البصري في هذه الصحيفة هو: تحريمه للتشبيهاً والتمثيلات التي يقوم بها الناس في عاشوراء، إذ يمثلون ما جرى في واقعة الطف الأليمة، لأنّ ذلك - حسب رأيه - «مجلبة لسخرية الملل الخارجة وداعياً من دواعي الاستهزاء».

وكذلك تحريمه لضرب الرؤوس بالسيوف والقامات والظهور بسلاسل الحديد؛ لأنّه «فعل همجي وحشي لم يرد دليل شرعي على تجويزه».

(١) صولة الحقّ على جولة الباطل (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ١: ١٨٠.

وقفة مع رسالة التنزيه وآثارها في المجتمع ١٩

أمّا لطم الصدور، فما حرّمه عموماً، بل نادى أن يكون ذلك في المساجد والحسينيات، لا في الشوارع والأماكن العامة.

وحاولت كثيراً الوقوف على هذا العدد من الجريدة، كي أنشره في هذه المجموعة، إلّا أنني لم أوفق لذلك، فقامت بإيراد بعض عباراتها التي ذكرها الشيخ محمد جواد الحجّامي (ت ١٣٧٦هـ) في رسالته «كلمة حول التذكّار الحسيني» (المطبوعة ضمن هذه المجموعة).

وقفة مع صحيفة الأوقات العراقية:

عرفنا أنّ الشرارة الأولى لهذه الحركة كانت من هذه الجريدة، فلنسلط الضوء - ولو قليلاً - عليها: من أصدرها، ومتى، ومن حرّر فيها؟

يقول السيّد عبد الرزاق الحسني (ت ١٩٩٧م) في كتابه «تاريخ الصحافة العراقية»: تحت عنوان: الجرائد التي صدرت بعد الاحتلال البريطاني للبصرة وكانت سياسيّة:

«الأوقات البصريّة: لما احتلّ الجيش البريطاني البصرة في ٢٢ تشرين الثاني ١٩١٤م وضع يده على ثلاث مطابع للأهالي فيها، مضافاً إلى مطبعة الولاية التي صادرها وأخذ يطبع فيها نشرة يوميّة باللغتين العربية والإنجليزية عن سير القتال في الشرق والغرب. وقد تطوّرت هذه النشرة إلى جريدة يومية سياسيّة أدبية مصوّرة، يحرّر فيها «جون فليبي» وغيره من مرّوجي السياسة البريطانيّة.

ولما شعرت الحكومة المحتلّة بضرورة وجود جريدة ثابتة تعبّر عن سياستها وتهبّي الرأي العامّ في البلاد إلى الأحداث المقبلة، أوعزت إلى «سليمان

بك الزهير» - أحد سراة البصرة - أن ينشئ جريدة باسمه لهذا الغرض، فصدرت جريدة «الأوقات البصرية» في أول عام ١٩١٥م بأربع لغات وهي: العربية، والانجليزية، والفارسية، والتركية، ولبثت تصدر بانتظام خمس سنوات كاملات، حيث حل محلها جريدة «أوقات ما بين النهرين» باللغة الإنجليزية في أواسط عام ١٩٢١م أول مايس، إذ لم تبق ضرورة لبقاء الجريدة الأولى.

وكانت الجريدة الجديدة يومية سياسية استبدلت اسمها باسم «الأوقات العراقية»، ونقلت إدارتها من البصرة إلى بغداد لتحل محل جريدة «الأوقات البغدادية» التي عطلتها الحكومة^(١).

ويقول عن «الأوقات العراقية» منير بكر التكريتي في كتابه «الصحافة العراقية» بعد نقله لكلام السيد الحسني المتقدّم: «وكانت خير أداة للإعلان عن سياستهم، وقد لعب المستر جون فليبي - السياسي الإنجليزي المعروف - دوراً هاماً في تحريرها»^(٢).

ويقول أيضاً في هذا الكتاب: «حرّر فيها السياسي المعروف المستر جون فليبي، ولها سياسة معروفة، فهي خادمة لأغراض السلطات البريطانية ومروّجة لسياسة الحلفاء، وقد استمرت في الصدور إلى احتلال بغداد في الحادي عشر من آذار عام ١٩١٧م وانتقال حكومة الاحتلال إليها، إذا ذاك أعطيت بطريقة الالتزام إلى أحد وجوه البصرة السيد سليمان الزهير، وقد استقدم لها محرراً من مصر هو

(١) تاريخ الصحافة العراقية: ٧٤ - ٧٥.

(٢) الصحافة العراقية: ٦٨.

وقفه مع رسالة التنزيه وآثارها في المجتمع ٢١

«عطا عوام» زميل «توفيق حبيب» المعروف بالصحافي العجوز.

فالمتصفح لأعدادها يجد أنباء العالم والبلاغات الحربيّة تحتلّ معظمها، فهي أشبه ما تكون بنشرة حربيّة لخدمة مصالح الإنجليز والترويج لسياساتهم وحلفائهم. أمّا المقالات الثقافية فتكاد تكون قليلة جداً بالقياس إلى الموضوعات الأخرى، وحتىّ هذه الموضوعات القليلة لا تخلو بين ثناياها من مدح الإنجليز وذمّ العثمانيين^(١).

ويقول رجب بركات في كتابه «من صحافة الخليج العربي»: «خلال فترة الإصدار الأوّل استخدمت حكومة الاحتلال لتحرير الجريدة من غير العراقيين كلّاً من: محمّد شوقي، وعبد الحميد مرعي. وأمّا العراقيون الذين حرّروا في «الأوقات البصريّة» فكان منهم: الأستاذ شاكر نعمة، والمرحوم الأديب الشاعر هادي الدفتر. ومن كتّابها أيضاً المرحوم سليمان فيضي المحامي، وعبد الوهاب الطباطبائي»^(٢).

صحيفة العهد الجديد البيروتية:

في الوقت الذي نشرت صحيفة «الأوقات العراقية» كلاماً للسيد البصري (ت ١٣٥٨هـ)، يدعو فيه إلى إصلاح بعض الشعائر الحسينيّة، في نفس الوقت نشرت صحيفة «العهد الجديد» - التي كانت تصدر في بيروت - كلاماً للسيد محسن الأمين (ت ١٣٧١هـ)، يدعو فيه أيضاً لإصلاح بعض الشعائر الحسينيّة،

(١) الصحافة العراقية: ١١٣.

(٢) من صحافة الخليج العربي: ٧٦ - ٧٧.

وكان ذلك سنة ١٣٤٥ هـ.

وقد أشار إلى هذه الصحيفة الشيخ عبد الحسين صادق العاملي (ت ١٣٦١ هـ) في رسالته «سيماء الصلحاء» قائلاً:

«ومن فجائع الدهور، وفظائع الأمور، وقاصمات الظهور، وموغرات الصدور ما نقلته بعض جرائد بيروت في هذا العام، عمّن نحترم أشخاصهم من المعاصرين الوطنيين، من تحبيذ ترك المواكب الحسينية والاجتماعات العزائية بصورها المجسمة في النبطية وغيرها من القرى العامليّة»^(١).

وفي الطبعة الثانية لهذه الرسالة «سيماء الصلحاء» يوجد تعليق في الهامش على قول الشيخ عبد الحسين صادق: «ما نقلته بعض جرائد بيروت» هو:

«يريد بها جريدة العهد الجديد، الذي كان مراسلها قد زار سماحة السيّد محسن الأمين - حسب نقل الأستاذ إبراهيم فران عن المؤرخ السيّد حسن الأمين نجل سماحة السيّد محسن الأمين - وسأله عن رأيه في اللطم على الصدور والضرب على الرؤوس، فأجابه بالتحريم، ممّا أثار حفيظة المرحوم سماحة الشيخ عبد الحسين صادق، فأصدر هذه الرسالة الموسومة بـ«سيماء الصلحاء» سنة ١٣٤٥ هـ - ١٩٢٧ م - مطبعة العرفان صيدا، رداً على التصريح المشار إليه. «عن حلقة دراسية حول عاشوراء - ١٩٧٤ رقم ٢٢٥ ص ٢٧»^(٢).

والظاهر من خلال مطالعة رسالتي «سيماء الصلحاء» و«التنزيه» أنّ هذه

(١) سيماء الصلحاء (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٢: ٨٩.

(٢) المصدر السابق: ٤٨.

وقفة مع رسالة التنزيه وآثارها في المجتمع ٢٣

الصحيفة نقلت عن السيّد الأمين دعوته لإصلاح بعض الشعائر الحسينيّة،
وتحريمه ضرب الرؤوس بالسيوف والقامات، وكذلك نقل الأحاديث المكذوبة
على المنابر، وخروج المواكب في الأزقة والطرق، وغيرها من المراسم العزائية،
التي أكد - بعد ذلك - على تحريمها في رسالته «التنزيه».

المرحلة الثانية

بعد أن قامت جريدة «الأوقات العراقية» بنشر آراء السيّد مهدي البصري وتحريمه لبعض الشعائر الحسينية، وذلك دون رضاه، بل دون علمه بأنّ الجريدة سوف تنشر كلامه هذا، كما أوضحناه سابقاً، لذلك حصلت ردود أفعال كثيرة وعارضه مجموعة من العلماء، وكتب المؤمنون رسائل لمراجع الدين في النجف الأشرف يستفتونهم عن صحّة هذه الآراء، وعمل البعض على إثارة الفتنة، وادّعوا أنّ السيّد البصري حرّم كلّ أنواع التعزية والشعائر الحسينية.

لذلك اضطرّ هذا السيّد لتأليف رسالة مستقلة سمّاها «صولة الحقّ على جولة الباطل» بيّن فيها حقيقة آرائه، وأنّه لم يحرم كلّ الشعائر، وأنّ الجريدة لم تنشر كلّ ما جرى بينه وبين أحد مسؤوليها أو محرّريها إذ يقول فيها:

«وبعد أيام نشرها في صفحات الأوقات العراقية، وقد تعرّض لأكثر ما جرت فيه المفاوضة باختصار، وكان من جملة ما تعرّض إليه هذه المسألة «التشبيهاً والمواكب العاشورية»، ولو كنتُ عالمًا بأنّه سيتعرّض لها في الجريدة لحظرت عليه ذلك؛ إذا لا دخل لغير العلماء فيها.

ولمّا كان بيانه باختصار، فأجمل فيها بعض الشيء لصاحب الغرض حملها

وقفة مع رسالة التنزيه وآثارها في المجتمع ٢٥

على حسب غرضه، قامت قيامة بعض الجهلة بالشناعة من محافلها، ينادون بأننا قد حرّمنا التعزية بتاتاً، وبعضهم ينادي بأن مجالس التعزية والمآتم ستُسدّ في العام المقبل، وصاروا يتقوّلون علينا بالبهتان، وقد حصل لهم من ساعدهم على هذا من الذين هم من غير صنفهم، وصار لهم زفير وشهيق ووو.

ولكنّي لا تضرّني زعقاتهم، ولا يقلقني اصطخابهم بتشنيعهم عليّ بالبهتان البين».

إلى أن قال: «ولقد طلب إليّ بعض المؤمنين كتابة شيء مختصر جليّ في الباب، يتحقّق به فصل الخطاب، ويخزي بحججه الدامغة المفتري المرتاب، فأجبتّه إلى ما طلب؛ تنزيهاً للدين عن السخافات، وقمعاً لمن جعل شعاره المفتريات، وقد سمّيته: صولة الحقّ على جولة الباطل»^(١).

وخلاصة كلام السيّد في رسالته هذه أنّه حرّم عدّة أمور:

(١) حرّم التشبيهات التي يجري فيها تشبيه عقائل النبوّة «بالنسوة غير المحجّبات اللاتي لا شرف لهنّ ولا حيثيّة تحوطهنّ، فيُجعلنّ على الجمال في المحامل وغيرها، ويُشهرن بين الفسقة وغيرهم من الملل الخارجة، وقد ضُربت الطبول والطوس، وصدحت الأبواق أمامهنّ وخلفهنّ، والخلق حولهنّ من كلّ صنف وشاكلة، ما بين وقوف وجلوس، يتفرّجون عليهنّ: بعض بالاستهزاء، وبعض بالشماتة، وآخر راثٍ لهذه الهيئة وهنّ يُسار بهنّ في الطرق والأزقة على هذه الهيئة الشنيعة البشعة، والناس يشيرون إليهنّ بأيديهم، ويسمّونهنّ بأسمائهنّ»^(٢).

(٢) الضرب بالسيوف والقامات على الرؤوس، إذ قال معلّلاً ذلك: «لما

(١) صولة الحقّ على جولة الباطل (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ١: ١٨٤.

(٢) صولة الحقّ على جولة الباطل (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ١: ١٨٤ - ١٨٥.

شاهدناه وشاهده غيرنا من موت جماعة منهم في كل سنة، لكثرة نزف الدم.
ولو قطعنا النظر عن هذه الجهة، فهو فعل همجي وحشي، مثل الضرب
بسلسلة من الحديد، ولم يرد دليل شرعي على تجويزها، وما من سيرة يستند إليها
فيها، بل هي بنظر أرباب العقول والمعرفة فعال وحشية»^(١).

(٣) خروج مواكب اللطم في الأزقة والشوارع، معللاً ذلك بقوله: «لما بلغني
من ترتب بعض المحرّمات على خروجهم، من فتنه وفساد ومضاربة ومقاتلة
عندما يلتقي أهل محلّتين، بحيث يحصل من جرّاء ذلك جرح وقتل، إلى غير ذلك،
فكأنما بعضهم يلطم على آل الرسول، وبعضهم يلطم على يزيد وشيعته، ويحارب
بعضهم بعضاً»^(٢).

أمّا ما يتعلّق بآراء السيّد محسن الأمين التي نشرتها جريدة «العهد الجديد»
البيروتية فقد تصدّى لها الشيخ عبد الحسين صادق العاملي (ت ١٣٦١هـ)، برسالته
«سيماء الصلحاء» التي طبعت طبعتها الأولى في مطبعة العرفان في صيدا
سنة ١٣٤٥هـ، إذ تناول آراء السيّد الأمين بالرّدّ العنيف، ووصف مؤيّدیه بأوصاف
جارحة، أشرنا إليها في الرسالة عند حديثنا عنها.

وخلاصة آراء الشيخ عبد الحسين أنّه أيّد كافّة الشعائر التي عارضها السيّد
الأمين، والتي منها: ضرب الرؤوس بالسيوف والظهور بسلاسل الحديد، وخروج
المواكب في الأزقة والطرق، وتمثيل واقعة الطف وما جرى يوم العاشر على
عائلة الحسين عليه السلام، وغيرها، وسوف يأتي الكلام عنها مفصلاً.

(١) صولة الحقّ على جولة الباطل (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ١: ١٩١.

(٢) المصدر السابق ١: ١٨٩ - ١٩٠.

المرحلة الثالثة

هذه المرحلة تتعلّق بردود الفعل على آراء السيّد محمّد مهدي الموسوي القزويني (ت ١٣٥٨هـ) التي نُشرت في جريدة «الأوقات العراقية» وفي رسالته «الصولة»، حين قام جماعة من المؤمنين - خصوصاً الساكنين في البصرة - بإرسال رسائل عديدة إلى مراجع الدين في النجف الأشرف يستفتونهم عن الحكم الشرعي لهذه الشعائر الحسينيّة.

فكتب المراجع والعلماء آراءهم عنها، وأكثرهم عارض آراء السيّد مهدي آنذاك، وآلف بعض العلماء رسائل يبيّنوا بشكل صريح معارضتهم لآراء هذا السيّد، منهم:

(١) الشيخ عبد الله المامقاني (ت ١٣٥١هـ)، ورسالته «المواكب الحسينيّة»، وهي عبارة عن جواب ورد إليه في الرابع عشر من شهر صفر سنة ١٣٤٥هـ، فأجاب عليه الشيخ بهذه الرسالة التي بيّن فيها رجحان الشعائر الحسينيّة ومعارضته لمكريها دون ذكر أسمائهم، علماً بأنّ هذا هو السؤال الثاني الذي ورد عليه عن هذه الشعائر، والسؤال الأوّل كان بتاريخ منتصف شهر محرّم الحرام من هذه السنة.

(٢) الشيخ مرتضى آل ياسين (ت ١٣٩٨هـ) ورسالته «نظرة دامعة حول

٢٨.....رسائل الشعائر الحسينية / ج ١

مظاهرات عاشوراء»، وهي رسالة أدبية رائعة، تدلّ على المستوى الأدبي الرفيع للمؤلف، الذي يتوجّع ويتأسف لهذه الأمة التي وصلت إلى هذا الحدّ من الانحطاط الفكري الذي دعاها تشكّك بالشعائر الحسينية، إذا أورد فيها بعض إشكالات المستشكلين وأجاب عليها جواباً علمياً، طبعت سنة ١٣٤٥هـ.

(٣) الشيخ محمد جواد الحّجّامي (ت ١٣٧٦هـ) ورسالته «كلمة حول التذكّار الحسيني»، يرّد فيها على ما ورد في جريدة «الأوقات العراقية» ويذكر عبارات وفتاوى بعض الأعلام في رجحان هذه الشعائر منهم: السيّد محمد الفيروزآبادي (ت ١٣٤٥هـ)، والشيخ مرتضى كاشف الغطاء (ت ١٣٤٩هـ)، والشيخ عبد الله المامقاني (ت ١٣٥١هـ)، والشيخ مرتضى كاشف الغطاء (ت ١٣٦١هـ)، والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (ت ١٣٧٣هـ).

ويذكر أيضاً جواباً لاستفتاء وجهه البعض للعلامة البلاغي الشيخ محمد جواد (ت ١٣٥٢هـ)، طبعت سنة ١٣٤٥هـ.

(٤) الشيخ حسن المظفر (ت ١٣٨٨هـ) ورسالته «نصرة المظلوم»، يرّد فيها على جريدة «الأوقات العراقية» و«الصولة» أيضاً، ويذكر بعض الشعائر الحسينية بشكل مفصّل، وينقل فتوى الميرزا النائيني (ت ١٣٥٥هـ)، وكذلك ما كتبه العلامة البلاغي (ت ١٣٥٢هـ)، عن مشاهداته لمواكب القامات في سامراء، طبعت أول ربيع سنة ١٣٤٥هـ.

(٥) الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (ت ١٣٧٣هـ) ورسالته «المواكب الحسينية» وهي في الواقع ثلاث رسائل، أي ثلاثة أجوبة على ثلاثة أسئلة وردت عليه حول الشعائر الحسينية الرسالة الأولى بدون تاريخ، والثانية في السابع عشر من شهر صفر سنة ١٣٤٥هـ والثالثة أيضاً في هذه السنة. ومن خلال هذه التواريخ

وقفه مع رسالة التنزيه وآثارها في المجتمع ٢٩

يتّضح أنّها ردّ على آراء السيّد محمّد مهدي الموسوي صاحب «الصولة».

وقد ذكر المؤلّف في رسائله هذه الشعائر الحسينيّة بشكل مفصّل: اللطم واللدم، خروج المواكب في الطرقات، ضرب الرؤوس والظهور بالسيوف والسلاسل، وضرب الطبول ونفخ الأبواق وقرع الطوس، والشبيه ومواكب التمثيل.

المرحلة الرابعة

تقتصر هذه المرحلة على رسالة «التنزيه لأعمال الشبيه» التي ألفها السيّد محسن الأمين (ت ١٣٧١هـ) دفاعاً عن آرائه ورداً على رسالة «سيماء الصلحاء» الذي كتبها الشيخ عبد الحسين صادق العاملي (ت ١٣٦١هـ)، التي انتقد فيها كلاً من السيّد الأمين والسيّد القزويني البصري.

وقد ذكر السيّد تسعة إشكالات على الشعائر الحسينية، وهي:

(١) الكذب بذكر الأمور المكذوبة المعلوم كذبها وعدم وجودها في خبر ولا نقلها في كتاب.

(٢) التلحين بالغناء الذي قام الإجماع على تحريمه.

(٣) إيذاء النفس وإدخال الضرر عليها.

(٤) استعمال آلات اللهو كالطبل والزممر والصنوج النحاسية.

(٥) تشبيه الرجال بالنساء في وقت التمثيل.

(٦) إركاب النساء الهودج مكشّفات الوجوه وتشبيههنّ ببنات رسول

الله ﷺ.

(٧) صياح النساء بمسمع من الرجال الأجانب.

وقفة مع رسالة التنزيه وآثارها في المجتمع ٣١

(٨) الصياح والزعيق بالأصوات المنكرة القبيحة.

(٩) كل ما يوجب الهتك والشنعة ممّا لا يدخل تحت الحصر.

انتهى المؤلّف منها في الثامن عشر من شهر محرّم الحرام سنة ١٣٤٦هـ،
وطبعت طبعتها الأولى في مطبعة العرفان في صيدا سنة ١٣٤٧هـ.

ورأيت طبعة أخرى لهذه الرسالة كتب عليها: أنّها الطبعة الثانية، نشر دار
الهداية للطباعة والنشر، إلّا أنّ هذه الطبعة لم يذكر فيها تاريخ طباعتها ولا مكانه،
ولا الجهة التي قامت بطبعتها.

والذي يظهر من «التمهيد» الذي كتب في بداية هذه الطبعة، أنّ الذين
طبعوها هم من المؤيدين لأفكار السيّد الأمين. علماً بأنّ في هذه الطبعة سقطت
كلمات بل أسطر وصفحات، لا يمكن إلقاء اللوم فيها على المطبعة؛ إذ لا يمكن
لأيّ مطبعة مهما كانت رديئة أن تسقط من الكتاب كلمات وسطور بل عدة
صفحات، وثبت هنا تلك السقطات حتّى يطلّع القارئ عليها، ويعرف التلاعب
الذي حصل فيها، وهل يمكن أن تكون من المطبعة؟! وهي:

أولاً: «ثبت عن النبيّ ﷺ وأئمة أهل البيت  رجحانها وأنّها من السنن،
واعترف بذلك جميع العقلاء من جميع أهل الملل، كما بيّناه في كتابنا (إقناع اللائم
على إقامة المآثم) الذي لم يصنّف مثله في هذا الموضوع»^(١).

ثانياً: «بما لم يسبقنا إليه أحد إلى اليوم، وذكرنا فيه ما في إقامة العزاء من
الفوائد والمنافع بأوفى بيان، وأقمنا الأدلّة والبراهين الكافية من العقل والنقل بما
لا مزيد عليه»^(٢).

(١) التنزيه لأعمال الشنيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٢: ١٦٨.

(٢) المصدر السابق ٢: ١٧٦.

٣٢.....رسائل الشعائر الحسينية / ج ١

ثالثاً: «حتّى في أيام ارتفاع الخوف والتقية، كأوائل دولة بني العباس وعصر المأمون وغير ذلك»^(١).

رابعاً: «كالصديق الأكبر والفاروق الأعظم وذي النورين وأبي السبطين، لا كيزيد»^(٢).

خامساً: «كالسيد صالح الحلّي خطيب الذاكرين ومفخرة القارئین وأمثاله»^(٣).

سادساً: «ما الذي يدعوّه إلى هذه اللسبات واللسعات؟! وأيم الله لو لم يوجّه لسباته ولسعاته إلينا لما تعرّضنا له ﴿فَقُلْ لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بِرِيٍّ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ولكن من أغضب فلم يغضب فهو حمار.

ومثّاه قاله: «إنّ المودّن الخصوصي للنبي ﷺ كان بلالاً الحبشي لأجل نداوة صوته وطلاوة لفظه، مع عدم قدرته على إخراج السين إلّا شيئاً».

وما ندرى أين وجد هذه العلّة، ومن أيّ كتاب نقلها»^(٤)؟!

سابعاً: «بل لم نر أحداً من العلماء الذين يعوّل على مثلهم لطم صدره لطمأ مؤذياً إلى الإحمرار، بل كلّهم يلطمون لطمأ خفيفاً لا يؤدّي إلى ذلك، طبق ما كان يفتي به الإمام الحجّة السيّد ميرزا محمّد حسن الشيرازي قدّس سرّه كما ستعرف.

وإنّما كان علماء النجف يخرجون يوم عاشوراء باللطم الخفيف إلى الحضرة الشريفة الحيدريّة، وعلماء كربلاء شاهدناهم مراراً يخرجون ليلة عاشوراء باللطم

(١) التنزيه لأعمال الشبيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٢: ١٧٧.

(٢) المصدر السابق ٢: ١٧٩.

(٣) المصدر السابق ٢: ١٩٢.

(٤) المصدر السابق ٢: ٢٠٩.

وقفه مع رسالة التنزيه وآثارها في المجتمع ٣٣
الخفيف جداً.

ومن ذلك يظهر أنه لم يعلم أن أحداً من علمائنا السالفين كان يجوز أزيد من ذلك.

قال: «أولم يقم عندهم دليل على حرمتها، وإلا لما أمسكوا النكير، وهو النهي عن المنكر الواجب على كل مقتدر عليه ومؤثر نهي فيه، وكثير من أولئك العلماء الأعلام مقلد عام تنقاد لفتواه العوام».

ونقول: هناك احتمال ثالث لم يذكره وهو الصواب، وهو أنهم يعلمون بعدم التأثير. وكون كثير منهم مقلداً عاماً لا ينفع في أولئك العوام؛ إذ ليس فيهم مقلد على أن دعوى إمساكهم النكير فاسدة من أصلها، فهذا حجة الإسلام السيد أبو الحسن الأصفهاني أنكر ونهى وأذاع المناشير، فلم يؤثر نهييه كما ستعرف، وهو مقلد عام، وأمثاله في ذلك كثيرون.

قال: «مثل أستاذنا «كذا» العلامة الشيرازي الذي بمجرد أن حرّم على الفرس شرب الدخان عمّ الامتناع جميع مملكة إيران».

ولسنا نعلم من أين جاءته هذه الأستاذية؟!

والذي نعلمه أن هذا الإمام العظيم كان يفتي بتحريم اللطم الموجب لإحمرار الصدر، فضلاً عن جرح الرؤوس بالمدى والسيوف، ورأينا فتواه بذلك بخطه وخاتمه ونحن في النجف الأشرف، وكان المستفتي له الثقة المعروف عند جميع العاملين المرحوم الحاج باقر الصحاف، الذي كان مقيماً في حجرة صاحب مفتاح الكرامة قدّس سرّه.

قال: «فسكوته كغيره من الأساطين المقلّدين يعدّ منهم إجماع سكوته كاشف (كذا) عن رضى المعصوم».

ومما ذكرناه عرفت عدم سكوته، ولا سكوت غيره.

وفعل العوام له في أعصار العلماء لا يدلّ على رضاهم به، فكم رأيناهم ينكرون الغناء بالشعر في إقامة العزاء ولا يقدرّون على منعه.

وكان الشيخ ميرزا حسين خليل - وهو من أجلاء العلماء المقلّدين - يقوم من مجالس العزاء حينما يُقرأ فيها الشعر بالألحان؛ لعدم قدرته على الإنكار بغير ذلك، وقع ذلك منه مراراً ونحن في النجف الأشرف.

وكان شيخنا الشيخ آقا رضا الهمداني - وهو من أجلّ العلماء المقلّدين وأوثقهم في النفوس علماً وعملاً - يتأفّف كثيراً من قراءة بعض الذاكرين الذين يجعلون أمام المنبر بعض تلاميذهم يردّدون معهم الأصوات، ولا يمكنه ولا غيره المنع^(١).

ثامناً: «الذي حدثت هذه البدعة في عصره وفي بلده، واجتهد في منعها بواسطة الحكومة العثمانية فلم يستطع؛ لأنّ القائمين عليها إيرانيون، وزيد فيها في هذا الزمان الطبل والزمير.

والسيد نجيب فضل الله الذي كان ينهى - على ما أخبرنا به بعض ثقات بني عمّه - عن اللطم الموجب لإحمرار الصدر؛ طبقاً لفتوى الإمام الشيرازي المقدّم ذكرها^(٢).

تاسعاً: «وبذلك يظهر جلياً أنّ العلماء لم يمسكوا النكير، وبعضهم بذل قصارى جهده فلم يفلح، وأنّ نكيرهم لا يؤثر في مقابل تيار العامة»^(٣).

(١) التنزيه لأعمال الشبيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٢: ٢٣٥.

(٢) المصدر السابق ٢: ٢٣٨.

(٣) المصدر السابق ٢: ٢٣٨.

وقفه مع رسالة التنزيه وآثارها في المجتمع ٣٥

عاشراً: «خلا بصرياً وعاملياً خالفاً الأئمة وعلماء الأمة، فنسأل الله الهداية لنا ولهم إلى سواء السبيل والحق المبين»^(١).

حادي عشر: «قال في المطلب الثالث من المقام الأول من المقصد الثاني من الفن الثاني في مسائل أصول الفقه، بعد أن بين البدعة وما في حكمها ما لفظه:

«وأما بعض الأعمال الخاصة بالراجعة إلى الشرع ولا دليل عليها بالخصوص، فلا تخلو بين أن تدخل في عموم، ويقصد بالإتيان بها الموافقة من جهته لا من جهة الخصوصية، كقول: «أشهد أن علياً ولي الله» لا بقصد الخصوصية ولا بقصد النصوصية؛ لأنهما معاً تشريع، بل بقصد الرجحان الذاتي أو الرجحان العارضي، لما ورد من استحباب ذكر اسم علي عليه السلام متى ذكر اسم النبي ﷺ» إلى أن قال:

«وكما يصنع في مقام تعزية الحسين عليه السلام من دقّ طبل إعلام، أو ضرب نحاس، وتشايه صور، ولطم على الخدود والصدور؛ ليكثر البكاء والعويل وإن كان في تشبيه الحسين أو رأسه أو الزهراء، أو علي بن الحسين أو باقي النساء في محافل الرجال، وتشبيه بعض المؤمنين بيزيد أو الشمر، ودقّ الطبول وبعض آلات اللهو وإن لم يكن الغرض ذلك، وكذا مطلق التشبيه شبهة والترك أولى». انتهى.

وأما نسبة ذلك إلى الميرزا القمي في «جامع الشتات» فنسبة باطلة أيضاً، فإنّ الذي في الكتاب المذكور في باب المتفرقات مخصوص بالتشبه بصورة الإمام عليه السلام وأعداء أهل البيت، ولبس الرجال لباس نساء أهل البيت أو غيرهنّ، وليس فيه ذكر جرح الرؤوس ودقّ الطبول وضرب الطوس ونفخ البوقات، وهذا نصّ السؤال الذي أجاب عنه بلفظه الفارسي:

(١) المصدر السابق ٢: ٢٣٩.

سؤال: «آیا جائز است در ایام عاشورا تشبیه بصورت امام یا اعدای أهل البيت علیهم السلام بجهت گریانیدن مردم؟ آیا جائز است که مردان در لباس زنان أهل البيت علیهم السلام یا غیر ایشان متشبه شوند بهمان قصد یا نه؟»

وأجاب بما حاصل. ترجمته: «إنَّ العلماء ذكروا حرمة تزین الرجل بالأشیاء المختصة بالنساء، سواء كان من المحرّمات الأصلية على الرجال كالذهب والحریر أم لا كالخلخال، والأول إجماعي، والثاني لا خلاف فيه، وتدلّ عليه أخبار كثيرة، وهي الأخبار الدالة على منع لباس الشهرة، وفي بعض الصحاح من تلك الأخبار: «إنَّ الله يبغض شهرة اللباس»، ويؤيده عموم الشهرة خیرها وشرها في النار، وتدلّ عليه الأخبار الدالة على حرمة تشبّه الرجال بالنساء وبالعكس، كما نقل عن العلل وغيره».

ثمّ قال: «إنّه ليس في نظره طريق إلى منع التشبّه بالمعصوم ولا بأعدائه لغرض البكاء والإبكاء» وأطال في الاستدلال على ذلك ثمّ قال:

«وأما مسألة تشبیه بزنان پس جواب از آن نیز از آنچه گفتیم ظاهر میشود که ممنوعست که مراد از تشبیه این باشد که بجهت آنکه این شخص متشبه بزنان از حیثیه آنکه تشبیه بزنانست نمیکند بلکه میخواهد که مثلاً زینب خواتون را مصور کنند بلباسی که صریح در زنان نیست غالباً و اگر باشد هم مضر نیست مثل چادر شب بسر کردن و مکالماتی که ایشان میفرمودند بکند بجهت ابکا و این را تشبیه بزنان نمی گویند چون ظاهر آن تشبیه بآنچه مختصّ بجنس زنانست بدون غرضی دیگر و در اینجا لباس زنان پوشیدن نه از برای نمود خود است در صورت زن و فرق بسیار است میانه ملاحظه تشبیه بشخص معین از زنان از راه خصوصیات أفعال آنزن و تشبیه بجنس زنان از راه تشبیه باین جنس».

وقفة مع رسالة التنزيه وآثارها في المجتمع ٣٧

وحاصله منع أن ذلك من تشبّه الرجال بالنساء الممنوع.

هذا حال النسبة إلى «كشف الغطاء» و«جامع الشتات» وليست تحضرنا باقي الكتب المشار إليها لنعلم صحّة النسبة إليها، والذي نظّنه أنها من قبيل النسبة إلى الكتابين.

أما نسبة ذلك إلى جميع علمائنا المعاصرين فنسبة باطلة، فإن حجة الإسلام السيّد أبا الحسن الأصفهاني الذي يقلّده الكثيرون قائل بالمنع، صرح به في رسالته الفارسية، وأذاع منشوراً مطولاً على الناس يمنع فيه من ذلك، لكنّه لم يتمكّن من المنع في مقابل تيّار العامّة.

وكذلك أكثر علماء النجف الأشرف والكاظمية وغيرها قائلون بالمنع، بل كلّهم قائلون بالمنع في مثل الطبل ودقّ الطوس ونفخ البوق ممّن يعتدّ بقوله.

ومن يجترئ على نسبة ذلك إلى جميع علمائنا المعاصرين؟! وجلّ العلماء في العراق وإيران وسائر بلدان الشيعة لم ينقل عنهم تجويز شيء من ذلك، ولو كان لملائق الخافقين لموافقته لرغبة العامة، وجملة منهم مصرّحون بالمنع، كجملة من علماء جبل عامل الذين ذكرناهم، ومن جوّز الجرح من علماء النجف الأشرف ممّن يعتدّ بقوله قيّده بعدم خوف الضرر، وليس في كلامه تعميم للطبل والزمر ودقّ الطوس.

نعم، أرخى رجل عنان القلم في التجويز لكلّ ما يشتمل عليه التشبيه بلا قيد ولا شرط، فأين تقع النسبة إلى جميع علمائنا المعاصرين المنتشرين في الأقطار - وهم يعدّون بعشرات الألوف - بقول واحد أو اثنين من علماء النجف الأشرف الذين يعبأ بأقوالهم، اقتصر فيه على بعض هذه الأمور مع التقييد بعدم خوف الضرر وخوف الضرر حاصل غالباً أو دائماً.

وكيف كان فالمتبع هو الدليل لا قال فلان وفلان، وقد عرفت أنه يقتضي
تحريم الطبل والزمرد وجميع آلات اللهو وجرح الرؤوس، وكل ما يوجب الهتك
والشنعة من محتويات التمثيل، وما يشتمل على محرّم سوى هذا ثبت في الشرع
تحريمه، وما عدا ذلك لا مانع منه بل هو في نفسه راجح مستحسن.

أمّا ما يقال من إباحة جرح الرؤوس وضرب الطبول ودق الطاسات والنفخ
في البوق (الدمام) وتشبّه الرجال بالنساء، وغير ذلك ممّا يحصل في عمل الشبيه ؛
بحجّة أنّ فيها إقامة لشعائر الحزن الثابت رجحانها.

ففيه: إنّ إقامة شعائر الحزن إنّما تكون راجحة إذا لم تشتمل على محرّم
آخر، وهذه المذكورات كلّها أو جلّها ممّا ثبت تحريمها في نفسها، فكيف تباح لأنّ
فيها إقامة لشعائر الحزن؟! أفهل يحلّ شرب الخمر والغناء والكذب والسرقة إذا
كان فيها إقامة لشعائر الحزن؟!

نعم، إنّ التمثيل المسمّى بالشبيه ممّا نقول بحسنه ورجحانه، وبأنّه من أعظم
أسباب إقامة شعائر الحزن، لكن بشرط أن لا يشتمل على محرّم آخر، ولا شيء
ينافي الآداب ويوجب الشنعة من الأشياء المارّة ذكرها أو غيرها، ف ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ
اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ ولا يطاع الله من حيث يعصى.

مع أنّ بعض ذلك لو فرض عدم قيام دليل على حرّمته، كتشبه الرجال
بالنساء إذا كان مؤقتاً أو نحو ذلك، أفليس من الورع التجنّب عليه، وما الذي
يوجب الالتزام به؟!

وهل انحصرت إقامة شعائر الحزن فيه؟!

أليس في ما هو مسلّم الإباحة خال من كلّ عيب وشبهة غنيّ وكفاية؟!
أمّا ما ختم به هذا الرجل كلامه من التعريض بنا وبالعالم البصري بسبّي

وقفة مع رسالة التنزيه وآثارها في المجتمع ٣٩
القول، ونسبنا إلى مخالفة الأئمة وعلماء الأمة، فنسأل الله له فيه المغفرة والهداية
إلى سواء السبيل والحق المبين.

إننا والحمد لله لم نخالف الأئمة عليهم السلام، وهم قدوتنا إن شاء الله تعالى في جميع
أقوالنا وأفعالنا، ولم نعدّ الخطة التي رسمها لنا أجدادنا وسادتنا وأئمتنا، والتي
رواها لنا عنهم ثقات طائفتنا. وليس فيها أن أحداً منهم ولا من أتباعهم شقّ رأسه
بموسى أو مدية أو سيف، أو دقّ طبلأً أو نفخ في بوق أو استعمل شيئاً من آلات
اللهو في وقت من الأوقات في إقامة الغزاء.

ولم نحد عن أحكامهم وأحكام جدّهم عليه السلام التي حرّمت الإضرار بالنفس،
وحرّمت الطبل والبوق وجميع آلات اللهو، وجعلت قبول الأعمال مشروطاً
بالتقوى.

فنحن متّبعون خطّتهم وطريقتهم، لا نحيد عنها قيد أنملة، وهم الذين قالوا
لشيعتهم: «كونوا زيناً لنا ولا تكونوا شيئاً علينا»، فمن شأنهم وعابهم بنسبة شقّ
الرؤوس بالمدى إلى دينهم ومذهبهم، مع أنه لم يقع منهم ولا من أحد من فضلاء
شيعتهم، ولم يدلّ عليه دليل أحقّ بنسبة مخالفتهم إليه.

وأما علماء الأمة فقد عرفت ممّا أسلفناه أن جلّهم - إن لم يكن كلّهم - لا
يجوّز أن يُنسب إليهم تجويز ذلك، عدا نادر منهم في بعض ذلك لا كلّ، ففاعل ذلك
ومجوّزه أحقّ بنسبة مخالفتهم إليه.

ونحن والحمد لله وبنعمته نتحدّث أقمنا في هذا العام بدمشق الشام في عشر
المحرم مجلساً للغزاء، لا يقلّ حاضروه تقريباً عن خمسمائة إنسان من المسلمين
على اختلاف مذاهبهم، كثرت فيه الفوائد، وجرت الدموع، وتجلّت فيه الهيبة
والوقار، ولم يكن إلّا مدرسة وعظ وإرشاد وتهذيب للأخلاق، ونشر لفضائل أهل

٤٠.....رسائل الشعائر الحسينية / ج ١

البيت عليه السلام ومناقبهم، وموجباً لإهراق الدموع على مصائبهم، ومظهراً لشيبتهم وأتباعهم بمظهر الفضل والكمال الموجب لميل النفوس إليهم، لا بمظهر الوحشية والانتقاص المنقّر للقلوب عنهم.

وقد أقيمت في اليوم العاشر فيه مراسم الحزن والبكاء، وظهرت بأجلى مظاهرها وأوقرها وأكملها فلم تبق عين لم تسكب دموعها، ولا قلب لم يحزن ويخشع، وختم بالطم المهيج المؤثر الذي لا يدخله محرّم ولا منقّر، والحمد لله على التوفيق.

ومن واجبات اتباع الأئمة عليهم السلام حفظهم في أبنائهم وذريّاتهم، وعدم اساءة القول فيهم ونسبتهم إلى ما هم منه براء.

أمّا البصري المعرّض به والمنسوب إليه مخالفة الأئمة وعلماء الأئمة، فهو سيّد جليل القدر، من أفاضل السادة العلماء، ومن الذرّيّة الطاهرة التي جعل الله مودّتها أجر الرسالة، وهو العلامة السيّد مهدي الكاظمي، صاحب المؤلّفات في الذب عن مذهب أجداده الطاهرين.

رأى منكراً فنهى عنه، وشاهد في البصرة ما لا تترك عليه الإبل، فحرّكته حميّة الهاشميّة إلى الذبّ عن حرم أجداده الطاهرين والمنع من هتك حرمتهم، وذلك إنّّه في المحرّم من السنة الماضية - وهي سنة ١٣٤٥ هـ - جرى تمثيل الواقعة في البصرة، فجئ بامرأة من مومسات البصرة، ووضعت في الهودج حاسرة، وشبّهت بزینب بنت أمير المؤمنين عليها السلام على مرأى من ألوف المتفرّجين.

فأخذت هذا السيّد الجليل الصادق النسبة الغيرة على بنت أمير المؤمنين عليها السلام وأجلّ امرأة هاشميّة بعد أمّها الزهراء عليها السلام، فمنع من التشبيه الذي اشتمل على هذه المنكرات من شقّ الرؤوس وإيذاء النفوس والطبول والزمر،

وقفة مع رسالة التنزيه وآثارها في المجتمع ٤١

وتشبيه بنات رسول الله ﷺ بهذا التشبيه الشنيع، وكتب في ذلك رسالة ونشرها، فكان بذلك عند صاحبنا مخالفاً للأئمة وعلماء الأمة...

أما العاملي المنسوب إليه ذلك، فهو هذا الفقير الذي كتب في مقدمة «المجالس السنية» بعض كلمات في منع التشبيه المشتمل على المحرّمات المشار إليها، مدعومة بساطع البرهان، حداني عليها الغيرة على الطائفة والمذهب من أن يلصق بهما الأغيار من المعائب ما هما براء منه، وقد بان بذلك من هو المخالف للأئمة وعلماء الأمة.

وهذان السيّدان اللذان عرّض بهما بسّيّ قوله يؤلمهما وأيّم الله مصاب جدّهما بما لا يؤلم به سواهما، وليست الشكلاء كالمستأجرة، ويقول أحدهما - وهو كاتب هذه السطور - من قصيدة:

يا جدّ ما برحت عيني مسهّدة حزناً عليك وقلبي يشتكي العطباً
ما مرّ يوم بقلبي ذكرٌ مصرعكم إلّا وفاض سحاب الدمع وانسكبا
إن يقتلوكم ويقلوكم فما نسخوا ذكرا لكم وثناء زين الكتب
كما قال الشريف الرضي - رضي الله عنه - قبله:

يا جد ما زالت كتائب حسرة تغشى الضمير بكرها وطرادها
ابدا عليك وأدمع مسفوحة إن لم يراوحها البكاء يغادها
هذا ما أردنا إثباته في هذه العجالة، والله ولي التوفيق، وله الحمد والمنة»^(١).

(١) التنزيه لأعمال الشبيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٢: ٢٤٠.

المرحلة الخامسة

تتمثل في ردود الفعل على رسالة «التنزيه» للسيد الأمين، فقد جاءت ردود الفعل من مختلف طبقات المجتمع: علماء، وفضلاء، وخطباء، وشعراء، وعامة الناس. واختلفت هذه الردود حسب مستوى الناس وثقافتهم:

فمنهم من اكتفى بكلمات الاستغفار والدعوة لصاحب الفتوى بالهداية.

وأظهر آخرون معارضتهم لها باللسان والكتابة والشعر.

وتجاوز البعض الحدود فاتهم السيد الأمين بتهم باطلة، وتجاسر آخرون عليه وعلى مؤيديه بالسب واللعن.

فأحاول في هذه الأوراق أن أبين ردود الفعل من المعارضين والمؤيدين، وعلى عدة مستويات:

رجال الدين:

عارض السيد الأمين عدد كبير من رجال الدين، وفي مقدمتهم مراجع دين، ومجتهدون، وكتاب معروفون، منهم:

(١) المرجع الديني الكبير الميرزا حسين النائيني (ت ١٣٥٥هـ)، عارضه في

وقفة مع رسالة التنزيه وآثارها في المجتمع ٤٣

النجف الأشرف بإصدار فتوى بالجواز^(١).

(٢) المرجع الديني الكبير الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (ت ١٣٧٣هـ)،

عارضه في النجف الأشرف بإصدار فتوى بالجواز^(٢).

وكانت لفتوى هذين المرجعين أثر كبير في نفوس الناس في العراق

وخارجه، حيث استغلها بعض المغرضين لتأليب الرأي العام على السيّد الأمين.

(٣) المجتهد الكبير الشيخ عبد الحسين صادق العاملي (ت ١٣٦١هـ)، عارضه

في النبطية بإصدار فتوى بالجواز^(٣).

(٤) المجتهد الكبير السيّد عبد الحسين شرف الدين (ت ١٣٧٧هـ)، عارضه

بإصدار فتوى بالجواز^(٤).

وكانت لفتوى هذين العالمين أثر كبير في لبنان.

وورد في رسالة ثورة التنزيه: «ومن أشرس من قاوم الدعوة في لبنان كان

السيّد عبد الحسين شرف الدين، الذي كتب رسالة عنيفة أسفّ بها إلى سييء القول،

ونحلها صهره الشيخ عبد الله سبيتي، كما أوعز إلى ولده السيّد محمد علي بأن

يصدر رسالة، وإلى ابن شقيقه السيّد نور الدين بأن يوالي حملاته.

وقد استغلّ موت إحدى قريباته من آل الصدر في العراق، فأقام لها أربعينية

في صور، وحشد له من استطاع حشدهم من الناس، وألقى هو بصوته الجهوري

خطاباً، هاجم فيه الدعوة وصاحبها، كما ألقى قصيدة لصاحب الكتيب المار

(١) معارف الرجال ٢: ٢٨٤، هكذا عرفتهم ١: ٢٠٧.

(٢) معارف الرجال ٢: ٢٧٢، هكذا عرفتهم ١: ٢٠٧.

(٣) معارف الرجال ٢: ٤١، هكذا عرفتهم ١: ٢٠٧.

(٤) معارف الرجال ٢: ٥١، هكذا عرفتهم ١: ٢٠٧.

ذكره»^(١).

٥) المجتهد والكاتب المعروف المجاهد الشيخ محمد جواد البلاغي (ت ١٣٥٢هـ)، وكانت معارضته فعلية، فلم يُسمع منه أي كلامٍ ضدَّ السيّد الأمين، بل كان هذا الشيخ الجليل على ضعفه وكبر سنّه يخرج أمام مواكب العزاء يضرب على صدره ورأسه وقد حلّ أزواره وطين جبهته. وكان له مجلس عزاء كبير جداً يُقيمهُ في كربلاء المقدّسة يوم عاشوراء، لزال الناس يتحدّثون عنه^(٢).

قال معاصره المؤرّخ الشيخ جعفر محبوبه (ت ١٣٧٧هـ):

«وكم له أمام المناوئين للحسين عليه السلام من مواقف مشهودة، ولولاه لأمات المعاندون الشعائر الحسينية والمجالس العزائية، ولكنّه تمسّك بها والتزم بشعائرها وقام بها خير قيام»^(٣).

وقال الشيخ محمد هادي الأميني (ت ١٤٢١هـ)، بعد أن حكى قول الشيخ جعفر محبوبه السابق:

«فحين أفتى بعض العلويين في الشام - وتبعه علوي آخر في البصرة - بحرمة الشعائر الحسينية، وزمّ وطبّل على هذه الفتوى كثير من المفرضين المعاندين، شُوهد هذا الشيخ الكبير على ضعفه وعجزه أمام الحشد المتجمهر للعزاء يمشي وهو يضرب على صدره وقد حلّ أزواره وخلفه اللطم والأعلام، وأمامه الضرب بالطليل. ومن آثاره إقامة المآتم في يوم عاشوراء في كربلاء، فهو أوّل من أقامه هناك، وعنه أخذ حتّى توسّع فيه ووصل إلى حدّه اليوم»^(٤).

(١) رسالة ثورة التنزيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٣: ٤٣٧.

(٢) شعراء الغري ٢: ٤٣٦.

(٣) ماضي النجف وحاضرها ٢: ٦٢.

(٤) معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام ١: ٣٥٣.

وقفه مع رسالة التنزيه وآثارها في المجتمع ٤٥

٦) الحجة الشيخ عبد المهدي المظفر (ت ١٣٦٣هـ)، عارضه بتأليف رسالة «إرشاد الأمة للتمسك بالأئمة»، طبعت سنة ١٣٤٨هـ.

٧) الحجة السيّد محمد هادي البجستاني الحائري (ت ١٣٦٨هـ)، عارضه أيضاً بتأليف «رسالة في الشعائر الحسينية»، طبعت سنة ١٣٤٨هـ.

٨) الحجة الشيخ عبد الحسين قاسم الحلّي (ت ١٣٧٥هـ)، ألف رسالة في ردّه سمّاها «النقد النزيه لرسالة التنزيه» طبعت سنة ١٣٤٧هـ.

٩) العلامة الحجة الشيخ محمد علي الغروي الأردوبادي (ت ١٣٨٠هـ)، ألف رسالة في ردّه سمّاها «كلمات جامعة حول المظاهر العزائية».

١٠) الحجة الشيخ محمد حسين المظفري (ت ١٣٨١هـ)، ألف أيضاً رسالة في ردّه سمّاها «الشعار الحسيني» طبعت سنة ١٣٤٧هـ.

١١) الحجة السيّد علي نقي النقوي اللكهنوي (ت ١٣٠٨هـ)، عارضه أيضاً برسالة «إقالة العائر في إقامة الشعائر»، طبعت سنة ١٣٤٨هـ.

ومن المراجع ورجال الدين الذين أيدوا السيّد الأمين في فتواه:

(١) المرجع الدينيّ الكبير السيّد أبو الحسن الأصفهاني (ت ١٣٦٥هـ)، أيّده بإصدار فتوى بالتحريم^(١).

(٢) المجتهد المجاهد الشيخ عبد الكريم الجزائري (ت ١٣٨٢هـ)، أيّده بإصدار فتوى بالحرمة، وقد أثرت فتواه كثيراً في أوساط الشباب^(٢).

(٣) المجتهد المجاهد السيّد هبة الدين الشهرستاني (ت ١٣٨٦هـ)، أصدر

(١) أعيان الشيعة ٢: ٣٣١، هكذا عرفتهم ١: ٢٠٧.

(٢) هكذا عرفتهم ١: ٢٠٩.

٤٦.....رسائل الشعائر الحسينية / ج ١

فتوى بالحرمة، وقد أثرت فتواه في بعض مدن إيران^(١).

(٤) المجتهد الحجة الشيخ جعفر البديري (ت ١٣٦٩هـ)، أيده وسانده كثيراً^(٢).

(٥) الحجة السيّد حسين الحسيني البعلبكي (ت ١٣٩١هـ)، أيده كثيراً عندما كان في النجف الأشرف، وكذلك في لبنان^(٣).

قال الأستاذ جعفر الخليلي: «ومنهم - أي الذين أيّدوا السيّد الأمين - الجريّ العامل، والموالي المؤيد بالعقيدة، السيّد حسين البعلبكي، وهو صهر لأخت السيّد محسن الأمين»^(٤).

(٦) الحجة الشيخ عبد المهدي الحجار (ت ١٣٥٨هـ).

(٧) الحجة الزاهد الشيخ علي القمي (ت ١٣٧١هـ) وقد أظهر تأييده علناً وفي المجالس والمحافل^(٥).

(٨) الحجة الشيخ محمد الكنجي (ت ١٣٦٠هـ)، أيده بتأليف رسالة مستقلة، سمّاها «كشف التمويه عن رسالة التنزيه»، طبعت سنة ١٣٤٧هـ.

قال الأستاذ جعفر الخليلي: «وكان من أبرز دعاة التحريم بعد طبقة العلماء الكبرى من النجفيين الشيخ محمد الكنجي، الذي سخر قلمه ولسانه وكلّ نشاطه في شجب الضرب بالسيوف، وقد شجعت جرأته الكثيرين على الالتفاف

(١) أعيان الشيعة ١٠: ٢٦١، هكذا عرفتهم ٢: ٢١٢.

(٢) هكذا عرفتهم ١: ٢٠٩.

(٣) هكذا عرفتهم ٣: ٢٢٩.

(٤) هكذا عرفتهم ٣: ٢٣١.

(٥) هكذا عرفتهم ١: ٢٠٩.

وقفة مع رسالة التنزيه وآثارها في المجتمع ٤٧ حوله»^(١).

(٩) الحجّة الشيخ محسن شرارة (ت ١٣٦٥هـ)، أيّده بالكتابه في الصحافة، قال الأستاذ جعفر الخليلي: «أما البارزون من غير النجفيين - أي الذين أيّدوا السيّد الأمين - فقد كان الشيخ محسن شرارة، وكان من العناصر المليئة بالإيمان وحرارة الدعوة في تحريم هذه التقاليد، وهو رجل لم ينل بعد يومذاك درجة الاجتهاد، فالتفت حوله من أهل بلده من العاملين جماعة»^(٢).

رسائل ألفت حول هذا الموضوع:

تضمّ حوزة النجف الأشرف - التي أسسها الشيخ الطوسي (ت ١٤٦٠هـ)، قبل ألف عام تقريباً - علماء كبار، ومراجع دين أتقياء، وكتاباً لاعمين، يصلون الليل بالنهار في عمل دؤوب، لا يعرفون الملل والضجر، همّهم الأول والأخير مرضاة الله سبحانه وتعالى، وذلك عبر المحافظة على الدين الإسلامي الحنيف وصونه عن أيّ تغيير يطرأ عليه، أو أيّ أفكار دخيلة تصل إليه.

وما إن وصلت إلى النجف الأشرف رسالة «التنزيه» حتّى انقسم الكتاب فيها إلى معارضين وهم الأكثر، ومؤيدين وهم القلّة القليلة، فألف بعضهم رسائل ردّاً على رسالة الأمين، يأتي الحديث عنها مفصّلاً قريباً إن شاء الله تعالى.

وأما الكتاب المؤيّدون للسيّد الأمين - وكانوا قلّة قليلة - فقد واجهوا موجةً عارمةً ملتهبة من كلّ حدبٍ وصوب، أدّت إلى ابتعاد بعضهم عن الأنظار خوفاً من الناس.

ومع ذلك كلّهم قد جمعوا قواهم وأوعزوا إلى أحدهم تأليف رسالة مؤيّد

(١) هكذا عرفتهم ٣: ٢٣٠.

(٢) هكذا عرفتهم ٣: ٢٣١.

٤٨.....رسائل الشعائر الحسينية / ج ١

للسيد الأمين، فقام الحجة الشيخ محمد الكنجي (ت ١٣٦٠هـ)، بجمع فتاوى العلماء والمجتهدين المؤيدين لما في رسالة «التنزيه»، وطبعها في رسالة مستقلة سماها «كشف التمويه عن رسالة التنزيه»، طبعت في المطبعة العلوية في النجف الأشرف سنة ١٣٤٧هـ^(١)، وطبعت أيضاً ضمن هذه المجموعة.

وفي الترجمة المفصلة الكاملة لحياة السيد الأمين - التي كُتب أكثرها بقلمه الشريف - المطبوعة في آخر موسوعته الكبيرة «أعيان الشيعة» وردت عدة عبارات لكتاب معروفين، أيّدوا فيها آراء السيد الأمين في رسالته «التنزيه»:

قال الدكتور علي الوردي:

«يعجبني من المصلحين في هذا العصر رجلان: الشيخ محمد عبده في مصر، والسيد محسن الأمين في الشام... وإني لا أزال أذكر تلك الضجة التي أثيرت حول الدعوة الإصلاحية التي قام بها السيد محسن قبل ربع قرن. ولكنه صمد لها وقاومها باسلاً، فلم يلين ولم يتردد وقد مات السيد أخيراً، ولكن ذكره لم تمت ولن تموت، وستبقى دهرأ طويلاً حتّى تهدم هاتيك السخافات التي شوّهت الدين وجعلت منه أضحوكة الضاحكين»^(٢).

وقال الشيخ محمد رضا الشيباني:

«شنّ السيد الأمين حرباً شعواء على الخرافات والأوهام الشائعة، وعلى العادات التي اعتبرت ديناً عند بعض الطبقات، وما هي من الدين ولا من الشرع الشريف في شيء، فهو في طليعة المنادين في الدعوة إلى الإصلاح الاجتماعي في الشرق العربي وفي غيره من الأقطار»^(٣).

(١) الذريعة ١٨: ٢٤ / ٤٩٢، أعيان الشيعة ١٠: ٣٨٢.

(٢) أعيان الشيعة ١٠: ٣٨٢.

(٣) أعيان الشيعة ١٠: ٣٨٣.

وقفة مع رسالة التنزيه وآثارها في المجتمع ٤٩

الصحف:

كانت الصحافة هي الشرارة الأولى لهذه الحركة الإصلاحية - كما بيّنا سابقاً - فقد قامت صحيفة «الأوقات العراقية» وصحيفة «العهد الجديد» البيروتية بنشر آراء السيّد محمّد مهدي الموسوي البصري والسيّد محسن الأمين.

ولأهميّة هذه القضية وحساسيتها؛ لأنّها تعدّ من الشعائر والمعتقدات التي لا يمكن المساس بها عند عامّة الناس، نرى أنّ الصحف وفي مختلف البلدان الإسلامية قد ألقت بدلوها وأعطت رأيها فيها.

والمؤيّدون للسيّد الأمين لجأوا إلى الصحف أكثر من المخالفين له؛ لأنّهم القلّة القليلة، وقد شدّت الأبواب في وجوههم، ولا وسيلة للدفاع عن آرائهم؛ لذلك اتخذوا من الصحافة الحرّة ميداناً رحيباً لأفلامهم، فكتبوا فيها وكتبوا، حتّى أنّ البعض منهم كتب بأسماء مستعارة كـ «حبيب بن مظاهر» و«أبي فراس»^(١).

والذي ظهر لي من المصادر التي راجعتها أثناء كتابة هذه الأسطر أنّ عدداً ليس قليلاً من الصحف شارك في هذه المعركة الفكرية، إلّا أنّي لم أعثر إلّا على صحيفتين كان لهما الدور الرئيسي في ذلك، هما:

صحيفة «ديوان ميسج» التي كانت تصدر باللغة الإنكليزية في الهند، وقد كتب صاحبها محمّد علي سالمين مقالات عديدة مؤيِّدة للسيّد الأمين، وترجم بعضها إلى العربية^(٢).

وصحيفة «الهاتف» وإن كانت صدرت متأخّرة عن زمان الفتوى، إلّا أنّ صاحبها الأستاذ جعفر الخليلي كان له دور فعّال في مناصرة السيّد الأمين سنة

(١) أعيان الشيعة ١٠: ٣٨١.

(٢) أعيان الشيعة ١٠: ٣٨٠.

٥٠.....رسائل الشعائر الحسينية / ج ١

١٣٤٤هـ وما بعدها، إذ يقول: «ولمّا كنتُ يومذاك موظّفاً فقد نشرتُ مقالاتي في الجرائد بتواقيع مستعارة»^(١).

وهكذا فعل الشيخ محسن شرارة، وسلمان الصفواني، إذ كتبوا مقالات في الصحف اللبنانية بأسماء مستعارة.

وأما المعارضين للسيد الأمين فلم يلجأوا إلى الصحف - كما قلنا - لوجود قنوات كثيرة لهم يُبينون فيها آراءهم، ومع ذلك فقد كتب أحدهم - وهو السيد نور الدين شرف الدين - مقالاً في صحيفة لبنانية يردّ فيها على السيد الأمين ورسالته «التنزيه».

فانبرى له في هذه المرة السيد الأمين وردّ عليه بمقالة مفصلة، كما وانبرى للردّ عليه بمقالة مفصلة أخرى شخص آخر وقّع مقالته باسم «حبيب بن مظاهر»^(٢).

ونورد هنا ما عثرنا عليه من هذه المقالات، كما نشرتها رسالة «ثورة التنزيه»^(٣).

(١) هكذا عرفتهم ١: ٢٠٩.

(٢) أعيان الشيعة ١٠: ٣٨١.

(٣) ثورة التنزيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٣: ٤٣٢.

مقالة الكاتب الهندي

محمد علي سالمين في جريدة ديوان ميسج

«وكتب العلامة المجتهد الأكبر آية الله السيّد محسن الأمين أيّده الله كتاباً ردّ به على من يضربون الصدور، والكتاب بصورة رسالة جمع فيها من الشارد والوارد إلى ما شاء الله، على أن هذا العلم لم يأتنا من إمام أو وصيّ بل هو بدعاية الجهلة بدعة ابتدعوها، وكما قال النبيّ الكريم: «كلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة في النار» فبأيّ حديث بعده يؤمنون؟

ظنّوا حبّ آل محمّد بهذه الأعمال، فهذا العمري ليس حبّاً؛ لأنّ من أحبّ شيئاً أعزّه واحترمه، وهل اللطم والضرب والتشبيهات في الشوارع أمام المجوس والوثنيين يدلّ على حبكم يا محبّي آل محمّد اليوم؟

ردّ السيّد نور الدين شرف على مقالة محمّد علي سالمين

«لم يكن في الحساب أن الشعائر الحسينية، التي اتخذتها الشيعة سنّة من عهد آل بويه إلى يومنا هذا، تُجعل مسألة نظرية تتضارب فيها الأفكار وتختلف الأنظار، إذ لا شكّ في فوائدها التي تعود بالنفع العميم على هذه الطائفة، وليت من ناقش في ذلك أدلى بحجّة واضحة وبرهان قاطع لنتبعه، فإنّ الحقّ أحقّ أن يُتَّبَعَ».

وبعد أن يمضي الكاتب على هذا المنوال، يعدّد أسماء بعض المخاصمين لدعوة الإصلاح، ويعدّد أسماء كتبهم التي تخالف الدعوة وهم: عمّه السيّد عبد الحسين شرف الدين، وصهر عمّه الشيخ عبد الله سبيتي، وابن عمّه السيّد محمّد علي شرف الدين، وقريب عمّه الشيخ مرتضى آل ياسين، ثمّ الشيخ عبد الحسين الحلّي، والشيخ محمّد حسين المظفر، يذكر هؤلاء ليدعم قوله بهم، ثمّ يستشهد ببعض الأقوال إلى أن يصل إلى الردّ الصريح على خصمه فيقول:

«ومما عجبت له جدّاً - بل أسفت - أن محمّد علي سالمين اقتفى أثر المهووسين، فغدا يضرب على ذلك الوتر الذي تغلق المسامع دون أُلحانه ونغماته».

ثمّ يقول:

«والأستاذ أنكر على الشيعة تمام الإنكار ما يقومون به من لطم الصدور والتمثيل والنياحة على الحسين، وزعم أنّ ذلك محرّم بل بدعة وضلالة، إنّها حملات شديدة ولهجات غريبة ظهرت بمظهر الإصلاح».

ثمّ يقول مريداً أن يبرهن أن لا ضرر جسدياً من الضرب: «نحن نلتمس من الأستاذ سالمين أن يلطم صدره لزمن ساعة أو ساعتين، فإن حصل له شيء من ذلك - أي الأذى - فأنا ضمين له كلّ ما يقترح».

ثمّ يختم كلامه بقوله: «لم أقصد بكلمتي هذه إلّا الذود عن الحقيقة...».

مقالة موقّعة باسم «حبيب بن مظاهر»

«نكتب هذه الكلمة الموجزة ليعلم أنّ الطائفة الإسلامية الشيعية قد ابتليت كغيرها من الطوائف بفئة خاصة من الخلق، دأبها قلب الحقائق والمكابرة لدى الدليل - حينما يؤوب إليها رشدها - أنّ تلك الأعمال قد اتخذها أمراء الشيعة سنّة من عهد القرن الرابع إلى يومنا هذا.

فإذا قيل لها: إن عمل الأمراء وأتباعهم من الرعاع لا يصلح أن يكون حجة شرعية، قامت وأعادت تمثيل تلك الرواية وزادت عليها قول: «واسنّة نبيّاه».

وإذا اعترضت عليها بأنّ الشيء لا يكون سنّة نبوية إلا إذا صحّت روايته عن النبي ﷺ، كما أنّ عمل غير واجب العصمة لمصلحة اقتضته لا تبرّر العمل المضّر، جابهتك بالسباب والتفسيق والتكفير، فيخيّل إليك أنّها من بقايا رؤساء الكنيسة في القرون الوسطى.

ولا تحسبن أنّ هذه الفئة اكتفت بالقول السيئ، بل اجتهدت في إضرام نار الفتنة حتّى بين الأخ وأخيه والولد وأبيه، فكانت العائلة وهي في مسكن واحد منقسمة إلى قسمين، قسم يحبّد تلك الأعمال البربرية وقسم ينكرها.

وقفة مع رسالة التنزيه وآثارها في المجتمع ٥٥

ثمّ بعد هذا كلّّه إذا جاءها أحد المصلحين الغيورين، وأثبت لها بالحجّة
الراهنّة الدامغة حرمة الكذب في المأتم الحسيني، وحرمة إضرار النفس بضرب
الزنجير وشجّ الرأس واللطم الدامي وإدخال الأقفال في الأبدان، وتشبّه الرجال
بالنساء، إلى غير ذلك من الأعمال الهمجيّة، قامت عليه وأعادت تمثيل رواية
القذف والسبّ».

إلى أن يقول: «هذا مجمل ما أحدثته هذه الفئة، وقد طبعت في ذلك وريقات
كلّها سباب وشتائم شأن صبيان الأزقة».

مقالة موقّعة باسم «أبي فراس»

«كُنّا نحسب أنّ كلمة الداعية الإسلامي المفضل الأستاذ محمّد علي سالمين ستكون الأخيرة من نوعها في موضوع المأتم الحسيني، وأنها سيكون منها مقنع لجماعة التهويش، فيفهمون أنّ الأمة قد اقتفت أثر مصلحيها، وأنّ هذا الذي يستندون إليه من الضوضاء والضجيج لا يُحسدون عليه.

ولكن كلمات جاءت بتوقيع نور الدين شرف الدين، جعلتنا نعلم أنّهم لا يزالون يحسبون أنّ التهويل يوصلهم إلى ما يأمّلون!

إنّني لا أريد هنا أن آتي بأدلة جديدة أقدمها بين يدي القارئ الكريم، ولكن الذي أريده هو أن أفهم صاحب تلك الكلمات ومن لفّ لفّه ونفخ في بوقه ومن حرّضه ودفعه، أنّنا بعد اليوم لن نغير كلّ ما يصدر من هذا القبيل أقلّ اهتمام، وأنّنا نضنّ بأوقاتنا وأوقات القراء أن تشغل بهذه الأمور التي أصبح مفروغاً منها، فلينضحوا كلّ ما في نفوسهم، ويسودوا ما يشاؤون من الصحف، وسيرون أنّ هذه البذور الإصلاحية التي تعهّدها أفاضل الأمة وساداتها بالرعاية ستنمو وتأتي أكلها في وقت قريب.

ولن يضير هؤلاء الكرام أنّ يقول عنهم نور الدين: إنّهم مهووسون».

الشعراء والخطباء:

من الطبيعي جداً أن يشارك الخطباء - وبعضهم شعراء في نفس الوقت - في هذه المعركة الفكرية، فيؤيد بعضهم السيّد الأمين ويعارضه آخرون. وهو حق من حقوقهم، كغيرهم من العلماء والكتاب والمثقفين الذين أيّدوا وعارضوا.

لكن أن يأتي شاعر ويتعدّى الحدود المرسومة ويتجاسر على السيّد الأمين ومؤيديه وينعتهم بنعوت باطلة، ويتلاعب بعقول الناس ويحاول تمويه الحقائق عليهم، فهذا غير مسموح به، ولا أعتقد أن التأريخ سوف يمحو هذا عن صفحاته. وعلى كلّ حال، فمن الشعراء الخطباء الذين كان لهم دور بارز في هذه الأحداث، هو الشاعر الكبير والخطيب المفوّه السيّد صالح الحلّي (ت ١٣٥٩هـ)، الذي مدحه وأثنى عليه وعلى قدرته الخطابيّة محبّوه ومبغضوه^(١).

ومع ذلك كلّه نرى أن السيّد الحلّي يقف موقفاً معارضاً بل معادياً ومعانداً للسيّد الأمين، ويتعرّض له في مجالسه بالتصريح تارةً وبالإشارة أخرى، ويصفه بصفات باطلة، ومما قاله فيه:

يا راكباً أما مررت بـ (جَلَق)^(٢) فأبصق بوجه (أمينها) المتزندق^(٣)

ولم يكتف بذلك فقط، بل شنّ حملة شعواء على كلّ المؤيدين والمناصرين للسيّد الأمين، فأخذ ينهال عليهم بالطعن والانتهاكات الباطلة، حتّى وصل به الأمر إلى أن تجاسر على المرجع الديني الكبير السيّد أبي الحسن الأصفهاني؛ لأنّه أيّد السيّد الأمين.

(١) انظر: البابليّات ٤: ١٣٣، أدب الطفّ ٩: ٢٠٤ - ٢٠٥.

(٢) جَلَق: دمشق. معجم البلدان ٢: ١٥٤ «جَلَق».

(٣) هكذا عرفتهم ١: ٢٠٨.

«فشنّ عليه غارة واسعة عنيفة بكلّ معنى العنف، ولم يترك لوناً من ألوان الزراية بالكناية والتصريح إلّا وصبغ به السيّد أبا الحسن من فوق المنابر التي كان يرقاها، فكان يتصرّف من فوقها تصرّف المالك، ويميل بها أنّى شاء، بما كان يملك من مقدرة وموهبة وجزأة رفعته إلى أعلى الدرجات في سماء الخطابة والبلاغة»^(١).

فأصدر السيّد أبو الحسن الأصفهاني فتوى حرّم بها الاستماع لقراءة السيّد صالح الحلّي، فأرخ ذلك الشاعر الشيخ علي بازي قائلاً:

أبو حسنٍ أفتى بتفسيقٍ (صالح) قراءته أرختها (غير صالح)^(٢)
وقال أيضاً يهجوّه:

مُذ تردّي الشقيّ بالغي جهلاً وإمام الزمان طراً جفاه
قلتُ: يا من قد أرخوا (أحقيق) قد رمى الله صالحاً بشقاءه^(٣)
علماً بأنّ السيّد محسن الأمين أثنى على السيّد صالح الحلّي في رسالته
«التنزيه» قالاً:

«ولا ننكر أن فيهم - أي الخطباء - الفضلاء الكاملين الذين يفتخر بأمثالهم،
وقليل ما هم، كالسيّد صالح الحلّي خطيب الذاكرين ومفخرة القارئ وأمثاله»^(٤).
ويقول الأستاذ جعفر الخليلي نقلاً عن السيّد الأمين عند زيارته في دمشق:
«وأذكر في ما أذكر أنّه قال لي ما مضمونه: إنّ السيّد صالح الحلّي هو أحسن

(١) هكذا عرفتهم ١: ١٠٨.

(٢) شعراء الغري ٦: ٣٦٩، هكذا عرفتهم ١: ١١١.

(٣) شعراء الغري ٦: ٣٦٩.

(٤) التنزيه لأعمال الشبيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٢: ١٩٢.

وقفة مع رسالة التنزيه وآثارها في المجتمع ٥٩
خطيب عرفته المنابر الحسينية، وأنا أودّ أن نعدّ الخطباء على غرارهِ إذا ما أردنا أن
ننبّه الناس ونوجههم توجيهاً صحيحاً، أمّا موقفه ضدّ الحركة الإصلاحية وضدي
أنا فله تفاسير أخرى لا يجوز أن تصدّنا عن قول الحقيقة»^(١).

ويقال: إنّ السيّد رضا الهندي كان من المعارضين للسيّد الأمين، وقد قال
فيه:

ذريّة الزهراء إن عددت يوماً ليطرى الناس فيها الثنا
فلا تعدوا (محسناً) منهم لأنّها قد أسقطت محسناً
وقيل: إنّ هذين البيتين في السيّد محسن أبو طيخ.

ووقف الشاعر الشيخ مهدي الحجار (ت ١٣٥٨هـ)، موقف المؤيّد للسيّد
محسن الأمين، فأنشأ قصيدة في ذلك، يذكرها لنا الشيخ علي الخاقاني
(ت ١٣٩٨هـ)، ويذكر كيفة إلقائها وكلماته قائلاً:

«نجدّه من جهة أخرى يقف موقف الجريّ الحرّ، لم يخضع لحرب
الأعصاب، ولم يعر الرجعية الرعناء أي قيمة أو أهميّة عندما ثارت على المصلح
الديني السيّد محسن الأمين في ثورته الإصلاحية على تنزيه الشعائر، وتلطيفها
مما لحقها من غبار الوحشية والجهل، من ضرب القامة على الهامة ولدم الظهور
بالسلاسل.

فكان يقود الفئة المحدودة من الشباب متّرساً بالزعيم الجزائري، الذي
استطاع أن يقضي على قائدها الخطيب السيّد صالح الخلّي، وقصيدته الدالية التي
هتأ بها الشيخ محمّد رضا المظفر بقرانه ومطلعيها:

(١) هكذا عرفتهم ١: ٢١٤ - ٢١٥.

يا حر رأيك لا تحفل بمنتقد إن الحقيقة لا تخفى على أحد

انصبت كالشرر على رؤوس الرجعيين والضوضائيين، وقد تلاها في محفل حاشد في دار الشيخ باقر المظفر، ضم أكثر هؤلاء، وكنت في من أحضر إلى جنب الشاعر وتأيبه، والاستعداد لكل طارئ يقع عليه لدفعه، وقد أشرت إلى هذه الناحية في مختلف أجزاء الكتاب عند ذكرى لبعض أصدانه وخصومه.

والحق أن المترجم له كان عالماً فاضلاً، وأستاذاً مربيّاً جليلاً، وشاعراً مطبوعاً، وقد تحمّل من هضم الظروف له وقسوتها معه، فراح يقابلها بصبر وجلد قويين، ورغم عسره فقد كان كريم النفس رقيق الروح حسن السمات، صمد أمام التيارات ووقف ضدّ الخصوم كأعنف مخلوق يستمدّ القوة من عقيدته التي كانت مشار إعجاب إخوانه.

ولقد أرهفت أعصابه النجف فاستاء ممّا لقيه من بعض أبنائها، وأعرب عن ذلك بعدة قصائد ومقاطع تتجلّى لك في النماذج.

نهج في شعره نهج المصلحين، وإنهال على ذوي الفكر البالية بنقد حاد وقول جرى، ورشحته هذه الناحية عند زعيم الدين فعينه وكيلاً عنه في -معدل البصرة - ولم يطل عهده فيها كعالم روحي وشخصية مرجعية، بل عاجله القدر القاسي فتوفي هناك في مستشفى تذكّار مود ليلة السبت في الساعة الرابعة ثامن شعبان عام ١٣٥٨هـ بعلّة الحمى السوداء فأعيا الأطباء علاجها، ونقل جثمانه من المعدل إلى الزبير بموكب فخم، ثمّ نقل في السيارات إلى النجف الأشرف، ودفن فيها بوادي السلام».

ثمّ يذكر قصيدته الرائية، وعنوانها «حماسة شاعر مهتضم»، وهي:

وقفة مع رسالة التنزيه وآثارها في المجتمع ٦١

يا حرّ رأيك لا تحفل بمن تقد

إنّ الحقيقة لا تخفى على أحد

إن تلق ذمّاً على رأي تجد مدحاً

وأنت في البين لم تنقص ولم تزد

وما على الشمس بأس حيث لم ترها

عين أصيبت بداء الجهل لا الرمد

لا يستوي الناس في علم ومعرفة

فالناس كالحبّ منه جيّد وردي

إنّا نرى الحرّ رهن القيد فكرته

كما نرى عيشه وقفاً على نكد

يا أيّها الوطن المحبوب رحلتنا

غيضاً عليك غداً أو لا فبعد غد

هذي بنوك صواد من معارفها

وكيف يمكث ذو ري بجانب صدي

ليس المقام على الإرغام من شيمي

أقصى البلاد على أدنى الإبا بلدي

عندي من المتنبّي خير عاطفة

روح الحماسة خلّت منه في الجسد

إنّي أقول ونظم الشهب من كلمي

كما أصول ونصر الله من مددي

عن كل شائنة في معطسي شمم

لكن على بيعة الرضوان هاك يدي

ومزبر في يدي ماضر يعرب لو

تثرى به في كثير العدّ والعدد

ما فيه من أود حول استقامته

لكنّما القوم معلولون بالأود

لئن كفت سهامي عن مقاتلهم

فالقوم قومي وسهمي صائب كبدي

إيه بني يعرب فيكم وفأ وصفاً

واليوم قد بُدّلا بالضغن والحسد

آسي على ضيعة الأخلاق منك وذا

قلبي لأجلك مطويّ على كمد

تقوى العناصر عن ضعف إذا اتّحدت

وذللّ عنصر قوم غير متّحد

تلك الإخوة يا أحرار بينكم

عانت بها من بني الأغيار شريد

إنّ الصديق إذا أدلى بـخلّته

إلى العدو فقل يا خلة اعتضدي

إنّا على عامل نأسى لأنّ بها

من لا يفرّق بين الزبد والزبد

وقفة مع رسالة التنزيه وآثارها في المجتمع..... ٦٣

سيروا شبيبتنا لكن على خطط

قد سنّها الدين في منهاجه الجدد

لا تجعلوا لسقيم الذوق منتقداً

عليكم واحذروا من أعين الرصد

إنّا لنأمل فيكم أنْ شعبكم

يعود ملتئماً في شمله البدد

وبالختام لكم أهدي التحية من

قلب بغير ولاكم غير معتقد^(١)

وذكره أيضاً السيّد جواد شبر، مع بعض النكات المتعلقة به، نذكرها تعميماً

للفائدة، إذ قال:

ويوم كتب السيّد محسن الأمين كتابه «التنزيه» للشعائر الحسينيّة ثار

العلماء الأعلام وأئمة الإسلام بوجهه، وكتبوا مفنّدين ومنتقدين ما كتب، وكنت

أتصوّر - وأنا في مقتبل العمر - أنّ المساندين لفكرة السيّد الأمين والمؤيدين له

هم المتجدّدون والذين يميلون للتحلّل من أوامر الدين، وكان المترجم له قد

استخدمت أفكاره موجة الشباب، فراح ينظم بوحي منهم كقوله من قصيدة

مطلعها:

يا حر رأيك لا تحفل بمنتقد إنّ الحقيقة لا تخفى على أحد

ويوم بلغت الخصومة أشدها بين المرجعين الكبيرين السيّد أبو الحسن

الأصفهاني والشيخ أحمد كاشف الغطاء حول شخصية الخطيب السيّد صالح

(١) شعراء الغري ١٢: ٢٠٨ - ٢١٦.

الحلي، فقد حرّم الأوّل الاستماع إلى خطاباته، وأحلّها الثاني وعقد له مجلساً في بيته، وكان المترجم له - كما قلنا - تلميذاً للشيخ أحمد كاشف الغطاء، فأُنشد قصيدته التي يقول فيها:

أنتَ العميد لهم برغم أنوفهم	بل أنتَ سيّدها وكلّهم سدى
رأتَ الشريعة منك أكبر قائد	فرمت إليك زمامها والمقودا
والعلم مثل البحر هذا غائص	فيه وهذا منه ما بلّ الصدا
والعرب تعلم أنّ تاج فخارها	بسوى شريعة (أحمد) لن يعقدا
سلها غداة تصفّحت قرآنها	أفهل رأت (بيغمبرا أو يا خدا)
فخر البيوت بأهلها فافخر علي	بأبي الرضا والمرضى علم الهدى
وإذا روي عن آل جعفر في العلى	خبر فمن كفّ (الحسين) المبتدا
إنّي وإن كنت البعيد قرابة	منكم فشعري عنكم لن يبعدا

وشاءت الإرادة السماوية والحكمة الربانية - والحمد لله على جميل صنعه - أن تنحصر الزعامة الدينية في الآية الكبرى السيّد أبو الحسن بعد وفاة المرحوم الحجة الشيخ أحمد كاشف الغطاء، فيكون الشيخ الحجّار من تلاميذه ومخلصيه، ويراسله على سبيل المداعبة، يستجديه ويستميح نيله وفضله فيقول:

عجبتُ وكلّ زماني عجب	ولستُ أصرّح ماذا السبب
ولكن أشير وأنتَ الخبير	ولا أستحي منك إذ أنت أب
(زقسم عجم را نامعدود شدم)	فهلأ أعد بقسم العرب

فيغدق السيّد عليه بكرمه المعهود ويجعله ممثلاً عنه في جانب (معقل) البصرة، ويقوم الشيخ بأداء وظيفته الدينية كما يأمر به الشرع الشريف، ولكن لم

وقفة مع رسالة التنزيه وآثارها في المجتمع ٦٥
يطل عهده وعاجله القدر فتوفي ليلة السبت ٨ شعبان ١٣٥٨ هـ، فنقل نعشه بموكب
فخم إلى النجف ودفن بوادي السلام^(١).

وفي رسالة ثورة التنزيه: ومن الشعر الذي قيل، الأبيات التي جاءت ردّاً
على ما كان ينشده لاطمو الصدور وضاربو الرؤوس وهم يجولون في شوارع
النبطية، ممّا لقّنهم إياه مهاجمو الحركة الإصلاحية، وهو:

لعنَ الله أناساً
حرّموا ندبَ الحُسين
فكان الردّ الشعري:

أبعدَ الله أناساً	قولهم كذبٌ ومين
ألصقوا بالدين ممّا	قد أتوه كلّ شين
أظهروا للدين حبّاً	وهو حبّ الدرهمين
قطّ ما سالت عليه	منهم دمعة عين
قد أعادوا عصر عمرو	يوم نصب الحكمين
ولكم سُبّ علي المر	تضى في الخافقين
أسد الله ببدر	وبأحدٍ وحُنين
بـعلي لبـنيه	شبهه في الحاليتين
ولعثمان قميص	لم يزل في الزمنين
أنالاً أطلب فيهم	أثراً من بعد عين
كلّ عصر في الوري	فيه يزيد والحسين ^(٢)

(١) أدب الطفّ ١٠: ٣١٤-٣١٥.

(٢) ثورة التنزيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة).

عامّة الناس:

لم يكن الناس، سواء في العراق أو لبنان أو غيرهما من البلدان الإسلامية، بعيدين عن هذه المعركة الفكرية القائمة آنذاك.

ومن طبيعة عوام الناس أن تحرّكهم العاطفة، خصوصاً إذا كان المتحدّثون أو القائمون على عمل معيّن من الذين يُجيدون التلاعب بعقول البسطاء. فكيف إذا كانت القصة تتعلّق بالشعائر الدينية؟! فمن الطبيعي أن يُشارك الناس فيها مشاركة فعّالة، ومن المتسالم عليه أن يخسر المصلحون الساحة لوقت ما؛ لأنّ كلّ حركة إصلاحية لابدّ لها من تضحية.

وفي هذه القضية بالذات كانت هنالك عدّة شخصيات علمية واجتماعية بارزة قد أعطت رأيها، وعملت على تحريك الساحة ضدّ فتوى السيّد الأمين:

فبعض المراجع أصدر فتوى بالجواز.

وبعض الكتاب ردّ على «التنزيه» برسائل طبعت ووزّعت مجاناً.

والعلامة الجليل المجتهد والمصلح الشيخ محمّد جواد البلاغي على كبر سنه وضعفه يتقدّم مواكب الغزاء بشكل مؤثّر جداً.

والخطيب البارع المفوّه السيّد صالح الحلّي يُحرّض الناس على السيّد الأمين من فوق المنابر التي يعتليها، وهكذا.

فكانت ردّة الفعل عنيفة جداً، يصوّرها لنا أحد المعاصرين لها، وهو الأستاذ جعفر الخليلي قائلاً:

«وانقسم الناس إلى طائفتين - على ما اصطلح عليه العوام -: «علويّين»، و«أمويّين». وعُني بالأمويّين: أتباع السيّد محسن الأمين، وكانوا قلة قليلة لا يعتدّ بها، وأكثرهم كانوا مستترّين خوفاً من الأذى.

وقفة مع رسالة التنزيه وآثارها في المجتمع ٦٧

واتخذ البعض هذه الدعوة وسيلة لمجرد مهاجمة أعدائه واتهامه بالأموية، فكثير الاعتداء على الأشخاص، وأهين عدد كبير من الناس، وضرب البعض منهم ضرباً مبرحاً.

وبدافع إعجابي بالسيّد محسن، وانطباعاتي عنه منذ الصغر، وإيماني بصحة دعوته، أصبحت أمويّاً وأمويّاً فحاً في عرف الذين قسّموا الناس إلى أمويّين وعلويّين. وكنتُ شاباً فائر الدم كثير الحرارة، فصبتُ حرارتي كلّها في مقالات هاجمتُ بها العلماء الذين خالفوا فتوى السيّد أبي الحسن والذين هاجموا السيّد محسن.

وكنتُ أجد في كثير من الأحيان رسالة أو أكثر وقد أُلقي بها من تحت باب الدار، وهي تتضمّن - إلى جانب التهديد بالقتل - شتائم بذیئة تدلّ على خسة وجبن.

وكان التيار جارفاً، والقوّة كلّها كانت في جانب العلويّين، وكان هؤلاء العلويّون وأتباعهم يتفنّون في التشهير بالذين سمّوهم بالأمويّين.

وبلغ من الاستهتار أن راح حملة القرب وسقاة الماء في مأتم الحسين يوم عاشوراء ينادون مردّدين: «لعن الله الأمين - ماء»، بينما كان نداؤهم من قبل يتلخّص في ترديدهم القول: «لعن الله حرملّة - ماء»، فأبدلوا «الأمين» بـ «حرملّة» نكايّة وشتماً.

ولا تسل عن عدد الذين شتموا وضربوا وأهينوا بسبب تلك الضجّة التي أحدثتها فتوى السيّد الأمين يومذاك، وكان السبب الأكبر في كلّ ذلك هو العالميون - أعني أهل جبل عامل - الذين كانوا يسكنون النجف طلباً للعلم، وكان

معظمهم من مخالف في السيّد محسن»^(١).

وقال الخليلي أيضاً:

«لم يكن يمرّ على صدور هذه الرسالة أسبوع أو أكثر وتنتقل من الشام - حيث تمّ طبعاها - إلى العراق حتّى رافقها كثير من الدعايات ضدّها، ووجدت هذه الدعايات هوىً في نفوس البعض، فأشعلوها فتنةً شعواء تناولت السيّد محسن الأمين وأتباعه بقساوة لا تُوصف من الهجاء والذمّ والشتم المقذع.

وخاف الذين آمنوا بقدسيّة هذه الرسالة وصحّة فتاوى العلماء، لقد خافوا أن يُعلنوا رأيهم في وجوب الذبّ عن موضوع الرسالة والدفاع عن شخص مؤلّفها. ومن الذي كان يجراً أن يُخالف للناس رأياً؟! ومن كان يستطيع الظهور بمظهر المخالف في ذلك اليوم»^(٢)!

والغريب في الأمر أنّ تسمية المؤيدين لآراء السيّد محسن الأمين بـ«الأمويّين» و«المتسنّنين» لم يصدر من عوامّ الناس فحسب، بل صدر من بعض العلماء والفضلاء أيضاً:

فالشيخ حسن المظفر (ت ١٣٨٨ هـ)، قال في رسالته «نصرة المظلوم»:
«فعلمتُ من أين جاءت هذه البليّة التي تقضي - إن تمّت - على حياة الشيعة، وتيقّنتُ إنّ كيد المموّهين والمنافقين وخاصّةً أفراد «الجمعيّة الأمويّة» ذلك الكيد الذي لا ينطلي إلّا على السدّج والبسطاء»^(٣).

(١) هكذا عرفتهم ١: ٢٠٨ - ٢١٠.

(٢) هكذا عرفتهم ١: ١٢٢.

(٣) نصرة المظلوم (المطبوعة ضمن هذه المجموعة).

وقفة مع رسالة التنزيه وآثارها في المجتمع ٦٩

وقال المتتبع الكبير الشيخ الطهراني (ت ١٣٨٩هـ)، عند ذكره لهذه الرسالة «نصرة المظلوم»: «كتبها جواباً على بعض المتجددين المتسنّين»^(١).

وقال أيضاً عند ذكره لرسالة «النظرة الدامعة» التي ألفها الشيخ مرتضى آل ياسين الكاظمي ردّاً على السيّد الأمين: «كتبه ردّاً على بعض المتسنّين المتجدّدين»^(٢).

والأغرب من ذلك كلّهُ أنّ الشيخ عبد الحسين قاسم الحلّي (ت ١٣٧٥هـ)، في مقدّمة رسالته «النقد النزيه لرسالة التنزيه» أشار إلى السيّد مهدي البصري - باعتباره من أهل البصرة - وإلى السيّد محسن الأمين - باعتباره من أهل الشام - بقوله: «إنّ الحسين عليه السلام لما قُتل بكى عليه جميع ما خلق الله ممّا يُرى وممّا لا يُرى إلا ثلاثة أشياء لم تبك عليه: البصرة، والشام، وآل الحكم بن أبي العاص»^(٣).

والمطالع لهذه الرسائل بدّقة، يقف على عبارات جارحة قويّة، صدرت من الطرفين، إن دلّت على شيء إنّما تدلّ على حساسيّة هذه الشعائر وأهمّيّتها ومكانتها عند الناس، وتأثيرها في أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

ومن حقّاً أن نتساءل هنا - وبكلّ موضوعيّة - هل يستحقّ السيّد الأمين كلّ هذا الهجوم وهذه النعوت، التي بعضها أخرجته من دائرة مذهب أهل البيت عليهم السلام؟

وهل يستحقّ مناصروه ومؤيدوه كلّ ما صدر من أصحاب الرأي الآخر؟ ونفس الأسئلة نوجّهها لدعاة الإصلاح المؤيدين للسيّد الأمين، الذين لم تقتصر عباراتهم في جرح أصحاب الرأي الآخر المقابل لهم.

(١) الذريعة ٢٤: ١٧٨ / ٩٢١.

(٢) الذريعة ٢٤: ١٩٦ / ١٠٣٠.

(٣) النقد النزيه (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٣: ١١.

الرسائل الواردة في هذه المجموعة

نورد هنا توضيحاً مختصراً للرسائل التي قمنا بجمعها، المتعلقة بهذا الموضوع، وهو الشعائر الحسينية، المختصة برسالة «التنزيه»، وقبلها رسالة «الصولة»؛ لعدم إمكان تجزئتهما، وارتباطهما بموضوع واحد وفي زمان واحد. وقد عانيت الكثير من المصاعب في جمعها، واستغرق وقت تحقيقها مني سنوات عديدة، لكثرة المشاغل وتشّتت البال، وتعدّد الأسفار، وتكليفنا بإدارة مركز الأبحاث العقائدية الذي أخذ كلّ وقتنا.

قمتُ بتصحيح هذه الرسائل وضبط نصوصها، واستخراج كلّ ما يحتاج إلى استخراج من: آيات قرآنية، وأحاديث شريفة، وأقوال مختلفة، وترجمتُ لبعض الأعلام، وشرحتُ الأحداث التاريخية والوقائع المهمة، كلّ ذلك من أجل إيصال المعلومة كاملة للقارئ الكريم.

ورتبتُ هذه الرسائل حسب تأريخ تأليفها، لا حسب وفيات مؤلفيها؛ لأنّ هذه الرسائل يردّ بعضها البعض الآخر.

(١) وقفه مع رسالة التنزيه وآثارها في المجتمع

هذه الرسالة لكاتب هذه الأسطر، وجامع هذه الرسائل، العبد الفقير إلى الله تعالى محمد ابن الحاج رضا ابن الحاج محمد علي الحسون النجفي.

جعلتها في مقدّمة، بيّنت فيها بشكل مختصر تاريخ الشعائر الحسينيّة، وفي مقدّماتها إظهار الحزن والبكاء والنوح على الإمام الحسين عليه السلام وكيفيّة تطوير هذه الشعائر زمن الأئمّة عليهم السلام في دولتي بني أميّة وبني العبّاس، ثمّ في الحكومات التي تلتها، إلى أن وصل الأمر للدولة العثمانية والصفوية، ثمّ في أيامنا هذه.

ثمّ شرعت ببيان المراحل التي مرّت بها هذه الحركة التي تطالب بإصلاح الشعائر الحسينيّة زمن السيّد مهدي الموسوي البصري والسيّد محسن الأمين العاملي، والآثار التي خلّفها في المجتمع الإسلامي على اختلاف المستويات الثقافية التي كان يعيشها الأفراد آنذاك.

وأوضحت بشكل مفصّل أسماء مراجع التقليد ورجال الدين الذين ساهموا فيها، تأييداً ومعارضةً، والرسائل التي ألّفت في هذا الموضوع، سواء التي عثرت عليها أو تلك التي لم أعثر عليها.

وبيّنت الدور المهم للصحافة آنذاك، والمقالات التي طبعت تأييداً للسيّد

٧٢.....رسائل الشعائر الحسينية / ج ١

الأمين، سواء كانت بأسماء واقعية أو مستعارة، وكذلك دور الشعراء، والقصائد التي قيلت في هذه المعركة الإصلاحية.

ثم ختمت هذا البحث ببيان دور عامة الناس فيها، وكيف أن الناس انقسموا في ذلك الوقت إلى «علويين» و«أمويين» - حسب ما اصطلح عليه آنذاك - وذكرت بعض العبارات التي تدلّ على حساسية هذا الأمر عند المجتمع الإسلامي. وأخيراً ذكرت الرسائل التي عثرت عليها، تأييداً ومعارضةً للسيد البصري والسيد الأمين، ونبذة مختصرة عن حياة مؤلفيها، والحمد لله رب العالمين.

(٢) جريدة الأوقات العراقية

كانت هذه الجريدة هي الشرارة الأولى التي انطلقت منها هذه المعركة الإصلاحية، إذ قام رئيس تحريرها بزيارة للسيد محمد مهدي الموسوي القزويني البصري (ت ١٣٥٨هـ)، الذي كان يسكن آنذاك مدينة البصرة، وتباحث معه عن إصلاح الشعائر الحسينية وما دخلها من أمور غريبة، فتجاوب معه سماحة السيد وأبدى رغبته في إصلاحها، فقام هذا الشخص - رئيس التحرير - بنشر هذه المقابلة وعرض آراء السيد فيها.

علماً بأن السيد لم يكن راضياً عن نشر هذه المعلومات في الصحافة، كما هو واضح من رسالته «صولة الحق على جولة الباطل».

وما أن انتشرت هذه المقالة التي كانت بعنوان «يوم عاشوراء» في تلك الجريدة في عددها ١٦٦١ الصادر في الأول من محرم سنة ١٣٤٥هـ حتى أحدثت ضجة كبيرة بين أوساط المؤمنين، وتجاوب معها البعض، ووقف ضدها البعض الآخر، وألفت في تأييدها وردها رسائل، وكتبت مقالات، ونظمت قصائد، بيناه مفصلاً في مقالنا عنها المطبوع في أول هذه المجموعة.

كما سيأتي الكلام مفصلاً عن هذه الجريدة، ومن أصدرها، والهدف من إصدارها، وكل ما يتعلق بها، وذلك في حديثنا عن رسالة «صولة الحق على جولة

الباطل».

وبما أننا لم نقف على هذه الجريدة الصادرة في البصرة آنذاك، لكي ننقل نصّ عبارتها، لذلك نقلنا ما ذكره منها الشيخ محمد جواد الحجّامي (ت ١٣٧٦هـ) في رسالته «كلمة حول التذكّار الحسيني»، وهي أربع عبارات فقط .

(٣) صولة الحقّ على جولة الباطل للسيّد محمّد مهدي الموسوي البصري

المؤلّف:

هو السيّد محمّد مهدي - أو مهدي - ابن السيّد صالح الموسوي القزويني.
وأضاف العلامة الطهراني (ت ١٣٨٩هـ)، لقبين له هما: الكشوان والكاظمي،
وذلك عند ذكر كتابه «بوار الغالين»^(١).

لم أعر على ترجمة مفصلة له في المصادر المتوفرة لدينا، سوى ما ذكره
العلامة الطهراني في ذريعتيه عند ذكر بعض مصنفاته، إذ قال:

«ولد بالكاظميّة سنة ١٢٧٢هـ، واشتغل بها، وهاجر إلى سامراء حدود
١٣٠٠هـ، وكان يحضر بحث سيّدنا الشيرازي وبعض تلاميذه، منهم الميرزا إبراهيم
ابن المولى محمّد علي المحلاتي الشيرازي، والشيخ إسماعيل الترشيحي.

وفي سنة ١٣٤٣هـ تشرف لزيارة مشهد خراسان، وبعد رجوعه أقام في
الكويت، وكان سنين مرجع الأمور الشرعيّة بها إلى ١٣٤٣هـ، فنزل إلى البصرة،
وكان مقيماً بالوظائف الشرعيّة ومجدّاً بالتأليف، إلى أن توفي بها يوم الاثنين

(١) الذريعة ٣: ١٥٣ / ٥٣١.

٧٦.....رسائل الشعائر الحسينية / ج ١

سادس ذي القعدة ١٣٥٨ هـ، وحمل إلى النجف ودفن بها يوم الأربعاء ثامن الشهر المذكور مع السيّد عدنان والسيّد مهدي البحرانيين في الحجرة التي على يسار الداخل إلى الصحن من باب المغرب المعروف بباب السلطاني»^(١).

وقال عنه أيضاً في موضع آخر من الذريعة: «نزّل الكويت وعالمها الأسبق، ونزّل البصرة اليوم وعالمها»^(٢).

له مجموعة من المؤلفات - إضافة لرسالة الصولة - منها:

(١) برهان الدين الوثيق في نقض «عمدة التحقيق»، الذي ألفه بعض أهل السنة، فرغ منه في ثالث شهر رمضان سنة ١٣٤٠ هـ، كما ذكر في فهرس تصانيفه^(٣).

(٢) بوار الغالين، في الردّ على الشيعة، طبع سنة ١٣٣٢ هـ^(٤).

(٣) خصائص الشيعة التي جاءت بها الشريعة، فرغ من تأليفه في رجب ١٣٤١ هـ، وطبع ببغداد في تلك السنة في ٧١٢ ص، وفي أوله فهرس مطالبه مفصلاً من المقدمة التي في أصول الدين الخمسة، ثم فصول كثيرة في المواعظ والآداب والأخلاق^(٥).

(٤) مخازي الشيعة ومفاخر الشيعة، وهو تعريب كتاب «إقام الحجر» الفارسي، فرغ منه عصر الخامس والعشرين من ذي الحجة سنة تسع وثلاثين

(١) الذريعة ٧: ١٦٧ / ٥٩٤.

(٢) الذريعة ٣: ٩٥ / ٣٠٤.

(٣) المصدر السابق.

(٤) الذريعة ٣: ١٥٣ / ٥٣١.

(٥) الذريعة ٧: ١٦٨ / ٨٩٤.

وقفة مع رسالة التنزيه وآثارها في المجتمع ٧٧
وثلاثمائة وألف^(١).

(٥) هدى المنصفين إلى الحقّ المبين، فارسي، في الردّ على الشيعة أتباع الشيخ أحمد الأحسائي، في مجلّدين، أبسط من «بوار الغالين» بالعربية في مجلّد واحد، طبع في النجف سنة ١٣٤٢هـ في ٢٩ صفحة، وقد لقّبه شيخنا شيخ الشريعة الأصفهاني بـ«إقام الحجر»، ومعرّبه بـ«مخازي الشيعة»^(٢).

«إقام الحجر لمن تجبّر وجحد الحقّ وتكبّر»، هذا الاسم اختاره له شيخنا العلامة الشهير شيخ الشريعة الأصفهاني، واسمه المعروف به «هدى المنصفين»، ومعرّبه الموسوم بـ«مخازي الشيعة»^(٣).

وفي معجم مؤلّفي الشيعة، ذكر بعض مصنفاته قائلاً له: «بوار الغالين، تبصرة الحرّ الرشيد، حلية النجيب في ردّ الماديين، حيّ على الحقّ، خصائص الشيعة التي جاءت بها الشريعة، حلية النجيب في المنع عن تقليد الميتة...»^(٤).

وذكر الشيخ عبد المهدي المظفر (ت ١٣٦٣هـ) في رسالته «إرشاد الأمة للتمسك بالأئمة» قصّة اختلاف المترجم مع الشيخ حبيب قرين، أحد مشايخ الشيعة في الكويت، ثمّ مصالحتهما بواسطة بعض رجال الدين، من أراد الاطلاع عليها فليُنظر تلك الرسالة (المطبوعة ضمن هذه المجموعة)^(٥).

المؤلّف:

نسلط الضوء عليه في عدّة نقاط:

(١) الذريعة ٢٠: ١٦٥ / ٢٤١٠.

(٢) الذريعة ٢٥: ٢٠٣ / ٢٧٥.

(٣) الذريعة ٢: ٣٠٠.

(٤) معجم مؤلّفي الشيعة: ٣١٨.

(٥) إرشاد الأمة للتمسك بالأئمة (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٣: ٣٩٦.

الأولى: تعتبر هذه الرسالة هي نقطة البدء في تلك المعركة العلمية التي حدثت آنذاك، والتي تبعها تأليف السيد محسن الأمين لرسائله «التنزيه»، وكذلك تأليف مجموعة من العلماء رسائل عديدة في ردّها أو تأييدها.

ذكرها العلامة الطهراني في الذريعة قائلاً: «صولة الحق على جولة الباطل، مقالة طبعت لبيان أنّ التعزية والتشبيه، مع كونهما راجحين، قد حفّت بها أمور محرّمة لا بدّ أن ينتزّه منها ولم يُرد مؤلفه غير هذا، كما اعترف به الرادّ عليه في كتابه «البراهين القاطنات».

الثانية: الذي حتّ المؤلف على تأليفه لهذه الرسالة، هو قيام بعض الصحفيين في نشر المحادثة التي جرت بينه وبين المؤلف، التي استنكر فيها - المؤلف - بعض الشعائر الحسينية كضرب الرؤوس بالقامات والظهور بالسلاسل الحديدية، وخروج المواكب العزائية في الشوارع، وتمثيل واقعة الطف، إذ قام هذا الصحفي ينشر آراء المؤلف في جريدة «الأوقات العراقية» العدد ١٦٦١، الصادرة في أوّل محرّم سنة ١٣٤٥ هـ.

ولم يكن المؤلف راضياً بنشر هذه الأفكار في الجريدة، إذ يقول في هذه الرسالة: «ولو كنت عالماً بأنّه سيتعرّض لها في الجريدة لحظرت عليه ذلك؛ إذ لا دخل لغير العلماء فيها. ولما كان بيانه باختصار، فأجمل فيها بعض التي لصاحب الغرض حملها على حسب غرضه....».

ويقول فيها أيضاً: «وصاحب الجريدة لم يلتفت إلى الحقيقة عند المفاوضة، فرسم في جريدته ما لم يترقّب رسمه منه».

الثالثة: لما نشرت تلك الصحيفة آراء المؤلف عن بعض الشعائر الحسينية، استنكرها الكثير من الناس، وتصوّروا أنّ المؤلف يحرم كلّ الشعائر الحسينية، ممّا حدى بالمؤلف لتأليفه هذه الرسالة، مبيّناً فيها آراءه بشكل صريح، إذ يقول فيها

وقفة مع رسالة التنزيه وآثارها في المجتمع ٧٩

مشيراً إلى هذه النقطة:

«قامت قيامة بعض الجهلة بالشناعة في محافلهم، ينادون بأننا قد حرّمنا التعزية بتاتاً، وبعضهم ينادي بأن مجالس التعزية والمآتم ستُسدّ في العام المقبل، وصاروا يتقولون علينا بالبهتان، وقد حصل لهم من ساعدهم على هذا من الذين هم من غير صنفهم، وصار لهم زفير وشهيق».

الرابعة: ستأها في مقدّماتها: «صولة الحقّ على جولة الباطل»، ولا يخفى ما لهذه التسمية من دلالات على ردة الفعل التي أحدثتها تلك الجريدة عند نشر آراء المؤلف.

الخامسة: انتهى من تأليفه لها في الخامس عشر من شهر محرّم الحرام سنة ١٣٤٥ هـ، أي بعد أيام قلائل من صدور تلك الجريدة.

السادسة: يصف المؤلف مخالفه عبارات جارحة مثل «بعض الجهلة» و«المفتري المرتاب».

السابعة: ردّ على هذه الرسالة بعض المؤلفين مثل: الشيخ حسن المظفر في رسالته «نصرة المظلوم»، والشيخ عبد المهدي المظفر في رسالته «إرشاد الأمة للتمسك بالأئمة».

الثامنة: النسخة التي اعتمدنا عليها في تصحيح هذه الرسالة، هي الطبعة الأولى لها، موجودة في مكتبة أمير المؤمنين عليه السلام في النجف الأشرف، كتب عليها: «صولة الحقّ على جولة الباطل، تصنيف العالم العامل، الورع التقي الزاهد، حافظ الشريعة، حجة الإسلام آية الله السيّد محمّد مهدي الموسوي القزويني، متّع الله المسلمين بحياته آمين. طبعت على نفقة بعض المؤمنين، طبعت في المطبعة الوطنية «عشّار» البصرة ١٩٢٦ م - ١٣٤٥ هـ».

(٤) المواكب الحسينية

للشيخ عبد الله المامقاني

المؤلف:

ترجمه الشيخ جعفر محبوبة (ت ١٣٧٧هـ)، في كتابه (ماضي النجف وحاضرها) ٢: ٢٥٥ - ٢٥٨ قائلاً:

الشيخ عبد الله ابن الشيخ حسن المامقاني، ولد في النجف سنة ١٢٩٠هـ. من العلماء البارزين وأهل الفضل السابقين، جدّ في التحصيل وألّف فأكثر. قرأ بعض المباديء من العربية على والده العلامة، وقرأ على التقي الصالح العالم الشيخ هاشم الأورنقي الملكي الكافي الكتب المعروف قراءتها من النحو والصرف والمعاني والبيان والمنطق والشرائع وشرح اللمعة، وحضر «المعالم» في الأصول على والده، وقرأ «القوانين» على المولى غلام حسين الدريندي وبعض كتاب «الرياض» و«رسائل الشيخ» و«المكاسب» على الفقيه الشيخ حسن الخراساني أصلاً النجفي مسكناً الملقب بالميرزا، وحضر درس الأصول والفقه خارجاً عند والده العلامة الشهير، ومن ذلك الوقت أخذ في التأليف والتصنيف.

يمتاز هذا الشيخ بحسن الأخلاق ولطيف المعاشرة وصراحة القول، مع التمسك بعري الدين الوثيقة والإخلاص في ولاء أهل البيت عليهم السلام، يحثّ على إقامة

وقفة مع رسالة التنزيه وآثارها في المجتمع ٨١

المآتم الحسينية ويأنس بعقدها، كان عربي الذوق سليم الذات، جمعت فيه الخلال الحميدة والمزايا الفاضلة، رجع إليه في التقليد كثير من أنحاء آذربيجان وبعض أهالي العراق، خاض قلمه الشريف في أكثر فنون العلم ورزق التوفيق، فقد طبعت جلّ مؤلفاته المهمة على عهده، وكان من المدرّسين، له حوزة علمية يحضرها بعض طلبة العلم من الترك وغيرهم.

آثاره المطبوعة:

(١) - «مناهج المتقين» ثلاث مجلدات تمام الفقه.

(٢) - «نهاية المقال في تكملة غاية الآمال» حاشية على خيارات العلامة الأنصاري، مجلدان، وألحق بها في الطبع «القلائد الثمينة» مجلد، وهو تعليق على الرسائل الست الملحقة بمكاسب الشيخ الأنصاري.

(٣) - «مرآة الرشد في الوصية إلى الأحبة والأولاد».

(٤) - «مرآة الكمال في الآداب والسنن» مجلد، وهو من الكتب النافعة.

(٥) - «الاثنا عشرية» مجموع رسائل، طبع في النجف وهي:

(١) رسالة وسيلة النجاة.

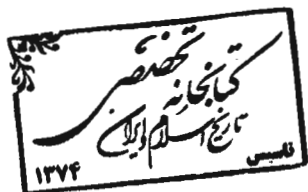
(٢) مجمع الدرر.

(٣) رسالة المسائل الأربعين العاملة.

(٤) المسائل الخويّة.

(٥) رسالة في المسافر الذي عليه قضاء شهر رمضان مع ضيق الوقت.

(٦) رسالة عدم تأثير العقد على ذات البعل والوطئ لها شبهة في الميراث وحرمتها عليه أبداً.



- (٧) رسالة المسائل الجبلانية تتضمن تحكيمه بين علمين معاصرين في فرع من فروع إرث الزوجة من رقبة الأرض.
- (٨) رسالة كشف الريب والسوء عن إغناء كل غسل على الضوء.
- (٩) رسالة في إقرار بعض الورثة بالدين وإنكار الباقيين.
- (١٠) رسالة كشف الأستار في وجوب الغسل على الكفار.
- (١١) رسالة غاية المسؤول في انتصاف المهر بالموت قبل الدخول.
- (١٢) رسالة مخزن اللثالي في فروع العلم الإجمالي.
- (٦)- حواشي «مطارح الأفهام في مباني الأحكام» في الأصول.
- (٧)- «هداية الأنام في أموال الإمام عليه السلام».
- (٨)- «تحفة الصفوة في الحبة».
- (٩)- «إزاحة الوسوسة عن تقبيل الأعتاب المقدسة» مع مخزن اللثالي.
- (١٠)- «مقباس الهداية في علم الدراية».
- (١١)- مخزن المعاني في ترجمة المامقاني.
- (١٢)- «تحفة الخيرة في أحكام الحج والعمرة» فارسية مبسطة.
- (١٣)- «السيف البتار في دفع شبه الكفار».
- (١٤)- «المسائل البصرية».
- (١٥)- «وسيلة التقى» حاشية على العروة الوثقى.
- (١٦)- رسالة «الدر المنضود في صيغ الإيقاعات والعقود».
- (١٧)- «أرجوزة في العقود».
- (١٨)- ترجمة كتابه العربي «مرآة الكمال» إلى الفارسية سمّاه «سراج

وقفة مع رسالة التنزيه وآثارها في المجتمع ٨٣
الشيعة في آداب الشريعة».

(١٩)- «المسائل البغدادية» في الفروع.

(٢٠)- «سؤال وجواب» فارسي.

(٢١)- «منهج الرشاد» سؤال وجواب فارسي.

(٢٢)- «مناسك الحج» فارسي وعربي صغير وكبير ومتوسط.

(٢٣)- تعاليق على رسائل العلماء العملية الفارسية والعربية كـ «ذخيرة

الصالحين» و«منتخب المسائل»، و«الجامع العباسي»، و«مجمع المسائل»
وغيرها.

(٢٤)- «صيغ العقود» للقزويني.

وآخر تأليفه:

(٢٥)- «تنقيح المقال في أحوال الرجال» ثلاثة مجلدات كبار، وهو أحسن

ما ألف في الرجال وأجمعها، قال بعض تلامذته مؤرخاً عام تمام الكتاب:

وشيوخ الكلّ عبد الله أرخ له قد تمّ تنقيح المقال

وأما مؤلفاته التي لم تطبع منها:

١- «منتهى مقاصد الأنام في نكت شرائع الإسلام» ثلاث وستون مجلداً.

٢- ورسالة «الجمع بين فاطميتين».

٣- ورسالة في «أحكام العزل عن الحرّة».

وفاته: توفي يوم التاسع عشر من شوال سنة ١٣٥١ هـ، وشيّع بكلّ تبجيل

واحترام، وعطّلت له الأسواق، ومشى أمام نعشه باللطم على الصدور ونشر

الأعلام، ودفن مع والده في مقبرتهم المعروفة، وأقيمت له عدّة فواتح في النجف

وخارجة، ورثته الشعراء بمراث لاذعة، منهم الكامل الأديب المرحوم الشيخ حسن سبتي يقول من أول قصيدته:

فذي أيامنا أمست ليالي	نعى ناعيك يا شمس المعالي
لفقدك قد نضا حلل الجلال	وأفق الدهر أمس مدلهما
وعنه غبت يا بدر الجمال	وكيف عليك لا يسود حزناً
وقال أيضاً مؤرخاً عام وفاته:	

أحيا العلوم بوقته	قد غاب عبد الله من
حسناً أباه بصوته	ناع نعاه فقد نعى
مات الكتاب بموته	فقضى لنا أرخ أب
وأعقب ﷺ ولداً واحداً وهو الشيخ محيي.	
المؤلف:	

ونسلمت الضوء عليه في عدة نقاط:

الأولى: هذه الرسالة عبارة عن جواب سؤال ورد إليه يتعلق بالشعائر الحسينية، إذ ورد في أوله: «ما يقول مولانا حجة الإسلام والمسلمين - أيده الله في العالمين ودام ظلّه العالي - في المواقب المحزنة التي اعتاد الجعفريون اتخاذها في العشر من المحرم تمثيلاً لفاجعة الطف، وإعلاماً بما انتهك فيها من حرمة الرسول ﷺ في عترته المجاهدين عليهم السلام بالتمثيل للشهداء وجهادهم، وما جرى عليهم وعلى الأطفال من القتل والقسوة، بإعلانهم الحزن لذلك الفادح بكافة أنواعه:

من ندب، ونداء، وعويل، وبكاء، وضرب بالأكف على الصدور، وبالحديد

وقفة مع رسالة التنزيه وآثارها في المجتمع ٨٥

على الرؤوس والظهور، إلى غير ذلك مما هو معلوم ومشهور، منضمّاً إلى بروزهم
بهيئاتهم المعروفة وحالاتهم الموصوفة، فهل هذه الأعمال مباحة في الشرع
الأزهر أم لا؟ افتونا مأجورين، مع بيان المستند؛ ليكون حجة على من أنكر أو
عاند».

الثانية: هذا هو السؤال الثاني الذي يُسأل عنه المؤلف عن الشعائر
الحسينية، إذ سُئل أولاً وقبل شهر من تأريخ السؤال الثاني، وأجاب رحمه الله عنه،
إذ يقول: «قد سُئلت عن هذه قبل شهر تقريباً، فقلت في الجواب...».

الثالثة: تأريخ السؤال الأول تقريباً في النصف من محرّم سنة ١٣٤٥ هـ،
وتأريخ السؤال الثاني - وهو هذه الرسالة - الرابع عشر من شهر صفر من نفس
السنة.

الرابعة: من تأريخ السؤالين يتّضح لنا أنّ هذه الرسالة ليست لها علاقة
برسالة «التنزيه» للسيد محسن الأمين (ت ١٣٧١ هـ)، لأنّ تأريخ تأليفها - التنزيه -
هو شهر محرّم سنة ١٣٤٦ هـ وطُبعت طبعتها الأولى في صيدا عام ١٣٤٧ هـ، بل هي
ردّ على السيد محمد مهدي الموسوي البصري (ت ١٣٥٨ هـ)، في رسالته «صولة
الحق» التي ألفها في محرّم سنة ١٣٤٥ هـ.

الخامسة: لم نقف على السؤال الأول وعلى جوابه من قبل المؤلف، إذ
الظاهر أنّه كان مجعلاً بدون ذكر الأدلّة والبراهين، لذلك طلب السائل في السؤال
الثاني «بيان المستند ليكون حجة على من أنكر أو عاند»، وقد أشار المؤلف إلى
هذا بقوله:

«قد سُئلت عن هذه قبل شهر تقريباً، فقلت في الجواب: لا ينبغي الشبهة في
جواز الأمور المذكورة في السؤال، بل وإدعاء الرأس بالسيف، بل لو أفتى فقيه

٨٦.....رسائل الشعائر الحسينية / ج ١

متبحر بوجوب ذلك كفاية في مثل هذه الأزمنة - التي صمّ جمع فيها على إطفاء أنوار أهل البيت عليهم أفضل الصلوات والسلام - لم يمكن تخطئته».

السادسة: طبعت هذه الرسالة في المطبعة المرتضوية في النجف الأشرف،

وانتهى من تأليفها في الرابع عشر من شهر صفر سنة ١٣٤٥هـ^(١)، كما جاء في آخرها.

(١) معجم المؤلفين العراقيين ٢: ٣٣٤ / ١٨.

(٥) نظرة دامعة حول مظاهرات عاشوراء للشيخ مرتضى آل ياسين

المؤلف:

ترجمه الشيخ جعفر محبوبه (ت ١٣٧٧هـ) في كتابه «ماضي النجف وحاضرها» ٣: ٥٣٤ قائلاً:

«الشيخ مرتضى ابن الشيخ عبد الحسين ابن الشيخ باقر.

أحد أقطاب هذه الأسرة، وفي الطليعة من أعلام رجالها، ولد في الكاظمين في الخامس والعشرين من ذي الحجة سنة ١٣١١هـ، نشأ تحت رعاية والده وتغذى من معينه الروحي، فنما نمواً سريعاً.

وحضر مقدمات دروسه على عدة من الأفاضل في الكاظمين ثم هاجر إلى النجف طلباً للدراسة العالية، فلازم حوزة درس المحقق النائيني والمرجع العام السيد أبو الحسن الأصفهاني، وحضر درس الفقيه أخيه العلامة الرضا، وقد شهد له أساطين الفن ببلوغ الرتبة العالية من العلم والاجتهاد وهو في عقده الثالث.

وقد شرع منذ عدة سنوات في التدريس العالي «بحث الخارج» والمساهمة مع الأعلام والمراجع في الدين، حتّى أن أخاه الرضا فقيه عصره أرجع إليه جماعة

من مراجعيه في احتياطاته شفهياً تارة وتحريراً أخرى؛ لما يراه فيه من الأهلية. ورجع إليه جملة من مقلدي أخيه بالتقليد بعد وفاته، وطلب منه جماعات من المؤمنين العارفين بفضله أن يتصدى عملياً لمهام المرجعية ونحوها فأبى إباءً شديداً؛ إعراضاً عن الدنيا وزخارفها الزائفة وبهرجتها الفانية.

استخلفه أخوه الرضا على الجماعة في أيام مرضه، واستمر عليها بعده يقيم الجماعة في البهو الشريف العلوي في الصيف، وفي الحرم المطهر العلوي في الشتاء، وصلى خلفه جماعة من المؤمنين.

يمتاز سلّمه الله بصباحة الوجه، وحسن المنظر وطيب المعشر، وصفاء القلب، وقد جمع خلاصاً حميدة مضافاً إلى مركزه العلمي، قلّ أن توجد في فقيه يتمتع بملكات أدبية فذة تكاد تكون منقطعة النظير، وإنّ قلمه ليتفجّر بالسلسيل الرائع من البيان، كما أن شبابه زخر بشعر رائع حافل بأنواعه لم يحتفظ به.

آثاره: له تعليقات على العروة الوثقى وبلغة الراغبين، وله غير ذلك من الآثار في الفقه والأصول وغيرهما لم تطبع.

توفي سنة ١٣٩٨ هـ.

المؤلف:

ونسلمت الضوء عليه في عدة نقاط:

الأولى: هذه رسالة أدبية رائعة، تدلّ على المستوى الأدبي الرفيع للمؤلف رحمه الله، فإنه يتوجّع ويتأسّف لهذه الأمة التي وصلت إلى هذا الحدّ من الانحطاط الفكري الذي دعاها إلى التشكيك بالشعائر الحسينية، إذ يقول في أولها:

«أجل والله، إنّه ليجدر بالرجل الدينيّ في عصره الحاضر، أن يثب فؤاده من بين جنبه جزعاً، وأن ينخلع قلبه عن موضعه أسفاً، عندما يلقي ببصره إلى ما

وقفة مع رسالة التنزيه وآثارها في المجتمع ٨٩
حوله، فلا يجد هنا وهناك إلا أذالييل وأباطيل، تندرج إلى قومه بين المضائق
والمنفرجات، وتتدافع نحوهم خلال الثنايا والعقبات...».

الثانية: حصر المؤلف شبهات وإشكالات المنكرين لبعض الشعائر الحسينية
في أربع مواد، ثم بدأ بالجواب عليها ردّاً علمياً، وهي:
(١) - إنّ التمثيل وما يتصل به من مظاهرات عاشوراء ممّا لم يكن عند
الشيعة في الأعصر الغابرة، فهو بدعة محرّمة.

(٢) - إنّ التمثيل يشتمل على كثير من السخافات والأمور المستهجنة.

(٣) - إنّ تجوّل مواكب اللطم في الأزقة والشوارع مدعاة للخروج عن
حدود الآداب الشرعية ومجلبة لسخرية الأغيار واستهزائهم.

(٤) - إنّ إدماء الرؤوس بالسيف موجب لإدخال الضرر على النفس،
والإضرار بالنفس حرام بلا كلام.

الثالثة: لم يذكر المصنّف أسماء الأشخاص الذين يرّد عليهم، والواضح أنّه
يرّد على السيّد محمّد مهدي الموسوي البصري (ت ١٣٥٨هـ) ورسالته «الصولة»؛
لأنّه ألفها سنة ١٣٤٥هـ، أي أنّ هذه الرسالة ليست ردّاً على «التنزيه»، لأنّها ألفت
وطبعت قبلها.

الرابعة: في آخر هذه الرسالة، حمل المصنّف المانعين عن بعض الشعائر
على الصّحة، وأنّ ليس قصدهم منع تلك الشعائر الحسينية^(١)، إذ قال: «هذا، ومن
المرجّح عندي أنّ بعض المانعين ممّن أحترم شخصيتهم، لم يقصد المنع عن القيام

(١) قال عنها الشيخ الطهراني في الذريعة ٢٤: ١٩٦ / ١٠٣٠: «ردّاً على بعض المتسنّين
المتجدّدين الذين ينكرون على الشيعة هذا الفنّ العريق عندهم منذ قرون، مع أنّهم
يحبّذونها في المسرحيّات الجديدة - كما يأتي بعنوان «نمايشنامه» - حيث لم يكن ضدّ
بني أميّة».

٩٠.....رسائل الشعائر الحسينية / ج ١

بتلك الأعمال مطلقاً وإن شَفَّ عن ذلك ظاهر كلامه الذي أرسله على عواهنه ؛ لأنَّ علمنا بحسن نوايا ذلك البعض ليضطرنا إلى تأويل كلامه بالرغم من ظهوره في خلاف التأويل، والله الموفق للصواب، وهو الهادي إلى سواء السبيل».

الخامسة: في آخر هذه الرسالة تقريرٌ للعلامة السيّد حسن الصدر (ت ١٣٥٤هـ)، جاء فيه: «هذا هو الكلام الفحل والقول الجزل، فزاد الله في شرف راقمه».

السادسة: طبعت في مطبعة الفرات في بغداد سنة ١٣٤٥هـ ، وكتب على غلافها: «نظرة دامعة حول مظاهرات عاشوراء، للأستاذ العلامة الشيخ مرتضى آل ياسين الكاظمي دام ظلّه، طبعت على نفقة بعض الأشراف».

(٦) كلمة حول التذكار الحسيني

للشيخ محمد جواد الحطّامي

المؤلف:

ذكره الشيخ جعفر محبوبة (ت ١٣٧٧هـ) قائلاً:

«الشيخ محمد جواد ابن الشيخ طاهر ابن الشيخ عبد علي.

ولد في شهر رجب سنة ١٣١٢هـ، ونشأ تحت ظلّ والده، ورباه تربيّة جيدة.

قرأ المبادئ على فضلاء عصره، وقرأ الدروس العالية على المشاهير من

مراجع العلم، كالعلامة النائيني، والشيخ آغا ضياء العراقي، والسيد أبو الحسن

الأصفهاني، والشيخ محمد حسين الأصفهاني، والعلامة السيد محسن الحكيم.

وهو اليوم بقيّة هذه الأسرة والبارز من رجالها، ضمّ إلى فضله الكمال

والأدب، ينظم الشعر أحياناً عند المناسبات ومقتضيات الوقت، قويّ السبك حسن

الديباجة، رقيق الألفاظ، سامي المعاني، وله نشر مستحسن.

له تعليقة على كفاية الأصول ملتقطة من تقريرات دروس شيخه السيد أبو

الحسن والشيخ آغا ضياء العراقي، وله شرح مختصر على أوائل التبصرة، وله شبه

الكشكول سمّاه «مكتل الفواكه والفكاهات» صغير يقرب من كراستين، وله

مجموعة شعر فيها ما يقرب من خمسمائة بيت، وله مراسلات ومطارحات نظماً

٩٢.....رسائل الشعائر الحسينية / ج ١

ونثراً مع أجدانه من الأدباء كالشيخ محمد حسين المظفر، والمرحوم الشيخ حسن البهبهاني المتوفى سنة ١٣٦٠هـ، وغيرهما من أدباء عصره.

وحجّام قبيلة كبيرة متشعبة الفروع متعدّدة الأفخاذ والمكانة العلمية، يطمع فيها كلّ من له طموح لارتقاء سلّم الشرف والسؤدد ومن له طموح وتطلّع إلى المجد العلمي»^(١).

وفي شعراء الغري لعلي الخاقاني (ت ١٣٩٨هـ) إضافة لما قاله محبوبة: «عالم فاضل، أديب كبير وشاعر رقيق، أخذ عنه العلم فريق كبير من أهل الفضل، وحلقته كان لها صداها يوم أن كان أبناء الدين من النجفيين لهم وزنهم وقيمتهم، فكان من بارزي المدرّسين وأفاضلهم، وله نادي يحضره الكثير من أهل الفضل وأعلام الأدب.

عرفته منذ ربع قرن إنساناً رقيق الروح طيّب المعشر، قد ورث الكثير من صفات أبيه الفاضلة: خلق دمث وسيرة وادعة، وعرفته إنساناً يحبّ الخير»^(٢).

وذكره العلامة الطهراني (ت ١٣٨٩هـ) في ترجمة والده قائلاً: «وولده الشيخ محمد جواد عالم أديب»^(٣).

وقال الأميني (ت ١٣٢١هـ)، في معجمه: «عالم فاضل، شاعر أديب، مجتهد. ضمّ إلى فضله وعلمه وكماله، الأدب ونظم الشعر والتواضع والخلق الكريم ومكارم الأخلاق. هاجر إلى النجف وأقام بها، وتلمذ على الشيخ مشكور

(١) ماضي النجف وحاضرها ٢: ١٦١.

(٢) شعراء الغري ١: ٤١٨.

(٣) طبقات أعلام الشيعة (نقباء البشر) ٣: ٩٧١.

وقفه مع رسالة التنزيه وآثارها في المجتمع ٩٣

الحولايي والسيد عبد الهادي الشيرازي والميرزا علي الإيرواني»^(١).

المؤلف:

نسلط الضوء عليه في عدّة نقاط:

الأولى: يذكر المؤلف في بدايتها سبب تأليفه لها، وهو أنه وقف على العدد ١٦٦١ من جريدة الأوقات العراقية، الصادرة في أوائل شهر محرم الحرام سنة ١٣٤٥ هـ، وفيها مقال بعنوان «يوم عاشوراء»، ينسب كاتبه فيها إنكار بعض الشعائر الحسينية إلى «أصحاب السيادة حضرات العلماء الأعلام»، لذلك بدأ المؤلف في ردّ ما ورد في هذا المقال، إذ ذكر أربع عبارات منها وأخذ بردّها مفصلاً.

الثانية: ينقل فيها عبارتين لعلمين من أعلامنا، إذ أجابوا على الشبهات الواردة على إقامة الشعائر الحسينية، هما:

أ) السيد جعفر بحر العلوم (ت ١٣٧٧ هـ) الذي نقل كلام صاحب القوانين الميرزا أبو القاسم القمي (ت ١٢٣١ هـ)، وكلام الشيخ مرتضى الأنصاري (ت ١٢٨١ هـ)، في رسالته العملية «سرور العباد».

ب) الشيخ هادي كاشف الغطاء (ت ١٣٦١ هـ).

الثالثة: لم يذكر المؤلف تاريخ تأليفه لها، والظاهر أنه ألفها - وكذلك طبعت - قبل شهر ربيع الأول سنة ١٣٤٥ هـ، وهو تأريخ تأليف رسالة «نصرة المظلوم» للشيخ حسن المظفر (ت ١٣٨٨ هـ)؛ لأنّ الشيخ المظفر ذكرها في رسالته هذه.

(١) معجم رجال الفكر والأدب في النجف: ٤٠١.

وكذلك ينقل فيها استفتاءً وجهه بعض المؤمنين إلى جماعة من العلماء حول إقامة الشعائر الحسينية، وأجوبتهم على ذلك الاستفتاء، منهم: السيد محمد الفيروزآبادي (ت ١٣٤٥هـ)، والشيخ عبد الله المامقاني (ت ١٣٥١هـ)، والشيخ مرتضى كاشف الغطاء (ت ١٣٤٩هـ)، والشيخ هادي كاشف الغطاء (ت ١٣٦١هـ)، والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (١٣٧٣هـ).

ويذكر أيضاً استفتاءً وجهه بعض المؤمنين إلى العلماء عن هذه الشعائر، لكنّه يورد جواب العلامة الشيخ محمد جواد البلاغي (ت ١٣٥٢هـ) فقط .

الرابعة: النسخة المتوفرة لدينا، التي اعتمدنا عليها في تصحيحها، هي النسخة المطبوعة في المطبعة العلوية في النجف الأشرف، كما كُتب في آخرها، ولم يذكر تاريخ طبعتها فيها، وكتب في أولها: «كلمة حول التذكار الحسيني لصاحب الفضيلة العالم الشيخ محمد جواد الحجّامي».

قال العلامة الطهراني في الذريعة: «كلمة حول التذكار الحسيني، للشيخ محمد جواد الحجّامي النجفي المعاصر، في إثبات جواز التعزية بأنواعها للحسين (عليه السلام)، مطبوع»^(١).

(٧) نصرة المظلوم للشيخ حسن المظفر

المؤلف:

هو الشيخ حسن - أو محمد حسن - ابن الشيخ عبد المهدي ابن الشيخ إبراهيم المظفر.

لم أعر على ترجمة مستقلة له، بل ذكره الأعلام ضمن ترجمتهم لوالده وجدّه.

فجدّه الشيخ إبراهيم كان من أعظم أعلام الأسرة العلميّة الجليّة (آل المظفر)، وكان من تلاميذ الشيخ محمد حسين الكاظمي المعروف بالمقدّس البغدادي، وهاجر بأمر أستاذه المذكور بعد عام ١٣٠٠هـ من النجف الأشرف إلى مدينة البصرة للقيام بالوظائف الشرعيّة، وقام بها خير قيام إلى أن توفي عام ١٣٣٣هـ.

وجاء من بعده ولده الشيخ عبد المهدي للقيام مقام والده، وقام بأعباء خدمة الناس في مختلف الشؤون الدينيّة والسياسيّة والاجتماعيّة، حتّى وافاه الأجل عام ١٣٦٣هـ.

وله رسالة أيضاً في ردّ رسالة التنزيه للسيد الأمين، سمّاها «إرشاد الأمة للتمسك بالأئمة» - (مطبوعة ضمن هذه المجموعة) - وردّ فيها أيضاً على السيد محمّد مهدي الموسوي القزويني في كتبه: الصولة، وخصائص الشيعة، وضربات المحدثين، وبنوار الغالين - طبعت سنة ١٣٤٨ هـ، أي بعد طباعة رسالة ولده بثلاث سنوات.

وجاء ولده الشيخ حسن للقيام بدور والده وجده.

يقول الشيخ جعفر محبوبة (ت ١٣٧٧ هـ) في ذيل ترجمة والده: «أعقب عدّة أولاد، قام مقامه في محلّه ولده الفاضل الشيخ محمّد حسن، هذا حدّو أبيه ونهج منهجه مدّ الله في عمره»^(١).

وقال الشيخ الطهراني (ت ١٣٨٩ هـ)، أيضاً عند ترجمة والده: «وقد قام مقام أبيه وخلفه في سيرته الحميدة ونفعه للناس، وهو موضع احترام أهل العلم وباقي الطبقات. وقد توفّي في يوم عاشوراء في مستشفى الميناء بعشّار سنة ١٣٨٨ هـ، ونُقل إلى النجف ودفن بها رحمه الله»^(٢).

المؤلف:

نسلط الضوء عليه في عدّة نقاط:

الأولى: كان سبب تأليفه لهذه الرسالة، هو وقوفه أولاً على جريدة الأوقات العراقية، وهي تحمل مقالاً بعنوان «يوم عاشوراء»، تنسب فيه إنكار بعض الشعائر لبعض العلماء.

(١) ماضي النجف وحاضرها ٣: ٣٦٧.

(٢) طبقات أعلام الشيعة «نقباء البشر في القرن الرابع عشر» ٣: ١٣٤١ - ١٣٤٢.

وقفة مع رسالة التنزيه وآثارها في المجتمع ٩٧

ثم وقوفه على رسالة «صولة الحق على جولة الباطل» للسيد محمد مهدي الموسوي القزويني (ت ١٣٥٨هـ)، التي بين فيها آراءه حول الشعائر الحسينية.

ثم وقوفه أيضاً على رسالة «كلمة حول التذكار الحسيني» للشيخ محمد جواد الحجاجي (ت ١٣٧٦هـ)، التي ردّ فيها على مقالة جريدة الأوقات العراقية.

إلا أن المؤلف رأى أن ذلك الردّ غير كافٍ، خصوصاً بعد انتشار رسالة «الصولة» وتأثيرها في أوساط المجتمع، لذلك تصدّى للردّ بهذه الرسالة التي سمّاها في مقدّمها «نصرة المظلوم».

الثانية: يذكر المؤلف نصّاً لتلك الجريدة ويردّ عليه، وكذلك يورد عدّة عبارات للصولة ويبدأ بردها ردّاً علمياً.

الثالثة: يذكر فيها أنواع التذكارات الحسينية التي كانت - ولا زالت - تقام في ذلك الوقت، ويبين مشروعيّتها، مثل المآتم، والتمثيل، وتمثيل النساء خاصّة، واللطم، وخروج المواكب في الشوارع: موكب السلاسل، والقامات - أي ضرب الرؤوس بالسيوف - وغيرها.

ثم يسلّط الضوء على الآلات المستعملة في العزاء الحسيني: الطبل، والبوق، والصنج.

الرابعة: يستشهد في أقواله على حليّة هذه التذكارات الحسينية، بآراء الكثير من علمائنا، إذ يورد عباراتهم المكتوبة والمسموعة.

وينقل فتوى الميرزا النائيني (ت ١٣٥٥هـ)، مفصّلةً.

وكذلك ما كتبه العلامة محمد جواد البلاغي (ت ١٣٥٢هـ)، عن مشاهداته لموكب القامات في سامراء، وكيف أن هذا الموكب كان يخرج من دار السيد الميرزا محمد حسن الشيرازي (ت ١٣١٢هـ)، وأن أفراد هذا العزاء كانوا يضربون

رؤوسهم في داره ثم يخرجون للشوارع، واستمر الأمر كذلك إلى زمن الميرزا الشيخ محمد تقي الشيرازي (ت ١٣٣٨هـ)، وأن السيد مهدي صاحب الصولة كان أحد الطلبة اللاطمين متجرداً من ثيابه إلى وسطه، وهو من دون اللادمين مؤتزرًا فوق ثيابه بإزار أحمر.

الخامسة: يصف المؤلف الذين يؤيدون منع الشعائر الحسينية بـ«الجمعيّة الأموية»، وكذلك يصف السيد مهدي بـ«الصائل»، وغيرها من العبارات الجارحة^(١).

السادسة: انتهى من تأليفها وطبعها في شهر ربيع الأول سنة ١٣٤٥هـ.

السابعة: لدينا نسختان مطبوعتان لهذه الرسالة، والتي اعتمدنا عليها في التصحيح هي الطبعة الأولى، المطبوعة في المطبعة العلوية في النجف الأشرف سنة ١٣٤٥هـ، وفي صفحتها الأولى ورد: «هذه الرسالة المسماة نصرة المظلوم، من آثار العالم الفاضل المؤتمن الشيخ حسن آل العلامة الشيخ إبراهيم مظفر قدس سرّه».

أما الطبعة الثانية لهذه الرسالة والتي فيها بعض الاستخراجات، فقد جعلناها نسخة ثانية في عملنا.

(١) في الذريعة ٢٤: ١٧٨ / ٩٢١ قال العلامة الطهراني عن هذه الرسالة: «وفيها رجحان إقامة التعازي والتمثيليات لبيان ما حدث بالأيدي الظالمة على آل رسول الله، طبع سنة ١٣٤٥هـ، جواباً على بعض المتجذدين المتسئلين الذين يحبذون التمثيليات الفنية الدنيوية ويحرمون الدينية منها».

(٨) الآيات البيّنات في قمع البدع والضلالات

«المواكب الحسينيّة»

للشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء

المؤلف:

الشيخ محمّد حسين ابن الشيخ علي ابن الشيخ محمّد رضا آل كاشف الغطاء، ولد سنة ١٢٩٤ هـ، ونشأ في مدينة النجف الأشرف وتخرّج في المبادئ على أعلام عصره من النجفيين، وفي الفقه والأصول على الزعيم الديني الكبير السيّد محمّد كاظم اليزدي، وكان أحد أوصيائه ومن أخصّ أخصّائه.

وله الرواية عن الحاج ميرزا حسين الخليلي، وعن أعمامه الشيخ عبّاس ابن الشيخ حسن والشيخ عبّاس ابن الشيخ علي، وعن العلامة النوري والشيخ علي الخيقاني.

خلف للأمة الإسلاميّة مجموعة كبيرة من الآثار النفيسة، منها: الدين والإسلام، المراجعات الريحانيّة، أصل الشيعة وأصولها، الآيات البيّنات، التوضيح في بيان ما هو المسيح، الميثاق العربي الوطني، المثل العليا في الإسلام لا في بحدون، نبذة من السياسة الحسينيّة، الأرض والتربة الحسينيّة، حاشية على

١٠٠.....رسائل الشعائر الحسينية / ج ١

تبصرة العلامة الحلي، وجيزة الأحكام، حاشية على سفينة النجاة لأخيه الشيخ أحمد، حاشية على العروة الوثقى، تحرير المجلة، تعليقات على سحر بابل ديوان السيّد جعفر الحلي، مختارات من شعراء الأغاني. وله كتب خطية كثيرة لم تطبع إلى الآن.

ومن أعماله المشهورة: سفره إلى بيت المقدس وحضوره في المؤتمر الإسلامي هناك، وإلقائه خطبة عصماء أعجبت الحاضرين، وكذلك سفره إلى الهند الذي لاقى فيه التبجيل والتكريم، ومن إصلاحاته الاجتماعية المشهورة، قضاؤه على الأعمال المنكرة الصادرة من بعض العوام في التاسع من ربيع الأول، فصعد المنبر في الصحن العلوي الشريف وخطب بالناس خطبة رائعة لمدة ساعتين تقريباً، ووعظهم وبيّن لهم ضرورة القضاء على تلك الأعمال المنكرة.

وكان رحمه الله أديباً شاعراً، له ديوان شعر كبير.

وصفه المؤرّخ الشيخ جعفر محبوبية - والذي اقتبسنا هذه الترجمة منه -

بقوله:

هو عميد الطائفة الجعفرية وزعيمها، وعلم من أعلام الفرقة الناجية وناصرها، منبع العلوم والآداب، وكعبة الفضل التي إليها تحث الركاب، سرّ الفصاحة وبحر البلاغة، إن تكلم نسي عنده حسن، أو رقى ذروة التدريس يضيع بحضرته سحبان، كيف وهو فرع الدوحة الجعفرية اليانعة، والنبعة العلمية المثمرة التي لم يزل العلم والإرشاد ضارباً فيهم رواقه، وماذا عليهم سرداقه ما يقرب من قرنين.

توفي رحمه الله في إيران يوم الاثنين الثامن عشر من شهر ذي القعدة سنة ١٣٧٣هـ، ونقل جثمانه إلى بغداد، ومنها إلى النجف الأشرف ودفن في مقبرته

وقفة مع رسالة التنزيه وآثارها في المجتمع..... ١٠١

في وادي السلام، وراثه الشعراء وأبّنه الخطباء^(١).

المؤلف:

نسلط الضوء عليه في عدّة نقاط:

الأولى: إنّ هذا الكتاب «الآيات البيّنات» يحتوي على أربع رسائل للمصنّف هي:

«المواكب الحسينيّة، ونقض فتاوى الوهابيّة، والردّ على الطبيعيين، وخرافات البابية»، جمعها ابن أخ المؤلّف محمّد ابن الشيخ عبد الحسين كاشف الغطاء، اخترنا منها الرسالة الأولى هنا، التي هي محلّ بحثنا.

الثانية: كتب المصنّف رحمه الله عدّة رسائل تتعلّق بالشعائر الحسينيّة، إلّا أنّ الموجود في هذه الرسالة ثلاث فقط، وذلك أنّ جامع هذه الرسائل وطابعها اختار هذه الثلاث فقط، إذ قال في مقدّماتها.

«كتب مدّ ظلّه في أجوبة الأسئلة الواردة إليه عن فتواه في المواكب الحسينيّة - زادها الله عزّاً وكرامة - عدّة مقالات، وكتب مطولة ومختصرة، ومتوسّطة، ونحن ننتخب منها ثلاث على ذلك النسق».

وهذه الرسائل الثلاث هي:

(١) - جواب على استفتاء من بعض ذوي الفضل في مدينة النجف الأشرف، يسألون عن رأيه في الشعائر الحسينيّة مثل: مواكب الغزاء، وتمثيل فاجعة الطفّ، واللطم، وضرب السلاسل على الظهر، ودقّ الطبول.

فأجاب رحمه الله بجواز جميع ذلك.

(١) ماضي النجف وحاضرها ٣: ١٨٤ - ١٨٩.

١٠٢.....رسائل الشعائر الحسينية / ج ١

ولم يذكر في آخر الجواب تأريخه، ولم أعثر على من أثبتته، والظاهر أنه كان قبل السابع عشر من شهر صفر سنة ١٣٤٥هـ وهو تأريخ الرسالة الثانية التي كتبها المصنّف لأهالي البصرة، والتي كانت بعد الرسالة الأولى.

(٢) - جواب على عدّة رسائل وردت إليه من أماكن مختلفة من العراق خصوصاً مدينة البصرة، يسألونه ببيان رأيه في الشعائر الحسينية، وكتابة رسالة بسيطة في ذلك، إذ أنّ جواب الرسالة الأولى لم يكن كافياً، فقد أشار جامع هذه الرسائل إلى هذه المسألة قائلاً:

«ثمّ تتابعت البرقيات من البصرة وغيرها سائلين منه دام علاه، طالبين فتواه في تلك الأعمال، فكتب إليهم كتاباً أبسط من الجواب المتقدم، وقد طبع في مطبعة الكاظمية بالبصرة، وانتشر بصورة منشور منفرد في عامّة الأطراف».

علماً بأنّ تاريخ طباعته كان في السابع عشر من شهر صفر سنة ١٣٤٥هـ.

وكتب المصنّف جوابه هذا إلى عدّة أشخاص قائلاً في أوله: «إلى إخواننا المؤمنين وعباد الله الصالحين من السادة الأشراف والأماجد الكرام: السيّد هاشم البعّاج، والسيّد عبد الباقي البعّاج، والحاج داود العطية، وعبد الواحد العطية، والملاّ جعفر أدام الله حراستهم وتوفيقهم».

وقد حكم المصنّف في رسالته هذه على الشعائر الحسينية: «المواكب الحسينية، واللطم على الصدور، وضرب السلاسل على الظهر، والضرب بالسيوف والخناجر، وخروج الجماعات في الشوارع والطرقات» بكونها «مباحة مشروعة، بل راجحة مستحبة، وهي وسيلة من الوسائل الحسينية، وباب من أبواب سفينة النجاة».

(٣) - جواب على عدّة رسائل وصلت إليه من البصرة، لذلك جعل جوابه

وقفة مع رسالة التنزيه وآثارها في المجتمع..... ١٠٣
موجهاً إليهم قائلاً في أوله: «إلى عموم إخواننا من أهالي البصرة ونواحيها -
وفقههم الله جميعاً للعمل الصالح، والمتجر الرابع، والسعي الناجح إلى سعادة
الدارين، وفوز الناشأتين إن شاء الله - بتوسط الأمجدين السيّد هاشم البعّاج
والحاج داود العطية أدام الله لهما السلامة والكرامة».

والظاهر أن الرسالتين الأوليين لم تكفيا بالمطلوب لذلك كتب هذه الرسالة
الثالثة بأسلوب مبسّط ومفصّل، إذ يقول جامع هذه الرسائل: «وحيث لم تنحسم
الشبهة ولم تبرأ العلة، ولم تمسك السنة المعارضين بتلك البيّنات الشافية، لذلك
تظاهرت وتظافرت عليه البرقيّات من عدّة جهات يرغبون إليه في أن يكتب ما
هو أبسط من ذلك، فعزّزهما بثالث، لم يبق للشبهة مجالاً ولا للشكّ موضعاً».

وهذه الرسالة الثالثة طبعت بشكل مستقل في المطبعة العلويّة في مدينة
النجف الأشرف سنة ١٣٤٥هـ باسم «المواكب الحسينيّة»، وطبعت ثانية ضمن
«الآيات البيّنات»، وذكرها الشيخ الطهراني قائلاً: «المواكب الحسينيّة» في الردّ
على منكر بعض أنواع إقامة العزاء، للشيخ محمّد حسين آل كاشف الغطاء،
صاحب المغني عن الأغاني، طبع سنة ١٣٤٥هـ^(١).

وقد تعرّض المصنّف في هذه الرسالة إلى بعض الشعائر الحسينيّة بشكل
مفصّل: اللطم واللدم، خروج المواكب في الطرقات، ضرب الرؤوس والظهور
بالسيوف والسلاسل، ضرب الطبول ونفخ الأبواق وقرع الطوس، الشبيه ومواكب
التمثيل.

وفي نهاية هذه الرسالة أورد جامعها وطابعها محمّد ابن الشيخ عبد الحسين
كاشف الغطاء، نصّ محاضرة قيّمة ألّاها المصنّف تتعلّق بهذا الموضوع.

(١) الذريعة ٢٣: ٢٣٢ / ٨٧٧٤

١٠٤.....رسائل الشعائر الحسينية / ج ١

الثالثة: من خلال الوقوف على تاريخ الأجوبة الثلاثة التي كتبها الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، وكلّهما كانت سنة ١٣٤٥هـ، يتضح أنّها كانت جواباً على ما كتبه السيّد محمد مهدي الموسوي القزويني (ت ١٣٥٨هـ) في رسالته «صولة الحقّ على جولة الباطل» التي طبعت في الخامس عشر من شهر محرّم سنة ١٣٤٥هـ، وليس لها علاقة برسالة «التنزيه لأعمال الشبيه» للسيّد محسن الأمين (ت ١٣٧١هـ) التي طبعت سنة ١٣٤٧هـ.

الرابعة: يصف الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء المعترضين على الشعائر الحسينية بقوله: «ما أحسب وضعها - أي الشعائر الحسينية - في مجال السؤال والتشكيك إلّا دسيسة أموية أو نزعة وهابيّة، يريدون أن يتوصّلوا بذلك إلى إطفاء ذلك النور، الذي أبى الله إلّا أن يتمّه ولو كره الكافرون... عرف من أين سرى هذا السمّ الخبيث، وجاءت تلك البلية، التي تريد أن تقضي على حياة الشيعة وتزهق روح الشريعة، ولا يروّج هذا إلّا على السدّج والبسطاء والمغفلين الذين يقتلون الدين باسم الدين من حيث لا يشعرون».

الخامسة: طبعت «الآيات البيّنات» بإجازة المصنّف، كما أشار جامعها وطابعها بقوله:

«ثمّ استجزنا شيخنا الأعظم أدام الله أيامه في ذلك، فتكرّم بالإجازة، وكان جملة منها قد طبع منفرداً، وقد جمعناها هنا مع ما أضافه إليها ثانية».

السادسة: كتب على الصفحة الأولى من النسخة المطبوعة التي اعتمدنا عليها في التصحيح: «الآيات البيّنات في قمع البدع والضلالات ١ - المواكب الحسينية ٢ - نقض فتاوى الوهابية ٣ - ردّ الطيعية ٤ - خرافات البايّة. جامعها وناشرها محمد ابن المرحوم الشيخ عبد الحسين آل كاشف الغطاء قدّس سرّه، من إفاضات علامة الدهر وناموس الفخر حجة الإسلام آية الله في الأنام الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء النجفي».

(٩) قطعة من كتاب الفردوس الأعلى

للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء

المؤلف:

نسلط الضوء عليه في عدة نقاط:

الأولى: في هذا الكتاب تعرّض الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (ت ١٣٧٣هـ) إلى حكم إقامة الشعائر الحسينية، في جوابه على سؤال ضمن المسائل القندهارية التي وردت إليه، والتي طبعت سنة ١٣٣٩هـ، ثم قام السيد الشهيد محمد علي القاضي الطباطبائي بترجمتها إلى العربية وطبعها في أول الفردوس الأعلى سنة ١٣٧١هـ في النجف الأشرف، وسنة ١٣٧٢ في تبريز^(١).

الثانية: حكم المصنّف على بعض الشعائر الحسينية كلطم الصدور والضرب بالسلاسل والسيوف، بالمنع والتحریم بناءً على حرمة الإضرار وإيذاء النفس. وحكم أيضاً بكونها جائزة إذا صدرت من المكلف بطريق العشق الحسيني، وانبعثت من احتراق القلب واشتعال النيران في الأكباد بمصاب الحسين عليه السلام، بل تكون حينئذٍ من القربات وأجلّ العبادات.

(١) الذريعة ١٦: ١٦٥ / ٤٦١.

ثم علق على حكمه بقوله: ولكن هذا المعنى لا يتيسر لكل أحد، وأغلب الأشخاص الذين يرتكبون هذه الأمور والكيفيات لا يأتون بها إلا من باب التظاهر والمراءات والتحامل والمداجاة.

الثالثة: الذي يظهر من كلامه في هذا الكتاب، أنه يعارض ما ذهب إليه في كتابه الآخر «الآيات البينات» من جواز تلك الشعائر، بل جعله أمراً حسناً. فما هو الرأي الصحيح للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء في هذه الشعائر؟ وأي كتاب مقدّم: «الآيات البينات» أو «الفردوس الأعلى»؟

ومن الواضح أن جوابه في المسائل القندهارية كان قبل سنة ١٣٣٩ هـ وهي سنة طبعها، بينما كلامه في «المواكب الحسينية» المطبوعة مستقلاً ومع «الآيات البينات» كان سنة ١٣٤٥ هـ، فيقدّم ما في الأخيرة من جواز تلك الشعائر؛ لأنها متأخرة تاريخياً.

لكنّ يمكن الجواب على هذا الكلام بأن كتاب «الفردوس الأعلى» تُرجم إلى العربية وطبع سنة ١٣٧١ هـ بإجازة من المصنّف وبعد مراجعته له وتقريضه له أيضاً، وأنه رحمه الله جعل «الفردوس الأعلى» و«جنة المأوى» ختام مسك حياته، أي أنه أقرّ ما ورد في «الفردوس».

وبهذا يكون الرأي الأخير له رحمه الله هو ما في «الفردوس» من حرمة تلك الشعائر.

الرابعة: ذهب المصنّف رحمه الله إلى أن أحسن الأعمال وأنزهها في ذكرى الحسين عليه السلام هو النياحة والندبة والبكاء عليه والزياره له، واللحن على أعدائه، والتبري من ظالميه والمشاركين في دمه وقتليه والراضين بقتله.

(١٠) سيماء الصلحاء للشيخ عبد الحسين صادق العاملي

المؤلف:

هو^(١) الشيخ عبد الحسين ابن الشيخ إبراهيم ابن الشيخ صادق الخيامي التباطي العاملي النجفي، ولد سنة ١٢٧٩هـ، وقرأ بعض مقدمات العلوم في جبل عامل، ثم هاجر إلى النجف بلد العلم والهجرة وعمره آنذاك إحدى وعشرون سنة، أعني سنة ١٣٠٠هـ في السنة التي توفي فيها زعيم الإمامية السيد مهدي القزويني ورفيقه العالم الشيخ نوح القرشي.

وأكمل مقدماته في النجف على الشيخ محمود ذهب (ت ١٣٢٤هـ)، والشيخ علي الخاقاني (ت ١٣٣٤هـ) والسيد علي ابن السيد محمد البحراني الغريفي (ت ١٣٢١هـ)، وحضر دروس الأعلام وتخرج على المراجع العظام في النجف، حتى صار مجتهداً وعالماً، شهد بفضلته جلّ أساتذته.

وكان كاملاً، أديباً شاعراً، خفيف الروح، مستقيم الذوق، أريحي الطبع، على

(١) اقتبسنا هذه الترجمة مما قاله فيه معاصره الشيخ محمد حرز الدين (ت ١٣٦٥هـ) في

١٠٨.....رسائل الشعائر الحسينية / ج ١

غزارة علمه وفضله وقداسته وتقاه، ويُعدُّ في عداد الطبقة الأولى من شعراء عصره. له شعر كثير محفوظ لمتانته وحسن سبكه، فيه النكات الأدبية والمناسبات.

من أساتذته: الشيخ محمد حسين الكاظمي، والميرزا الخليلي، والميرزا حبيب الله الرشتي، والشيخ محمد طه نجف، والملا محمد الشرايبي، والشيخ رضا الهمداني، والآخوند الخراساني.

ومن مؤلفاته: «المواهب السنية في فقه الإمامية»، و«جامع الفوائد»، و«الشدرات في مباحث العقود والإيقاعات»، و«منظومة في علم الكلام»، و«منظومة في الموارد»، و«كتاب في الإجازة والوصية والقضاء»، و«أجوبة على مسائل عمر الرافعي»، و«سيماء الصلحاء»، و«رسالة في الرد على القس الحلبي صاحب كتاب المشرح»، و«ديوان شعر».

خرج الشيخ عبد الحسين من النجف حدود سنة ١٣١٥ هـ عائداً إلى بلده وهو عالم فقيه، أديب ماهر، متضلّع في الأدب، صلب الإيمان، ورع ثقة عدل، كريم النفس دمث الأخلاق، يقوم بواجبه الديني إلى أن وافاه الأجل في شهر ذي الحجة سنة ١٣٦١ هـ ودفن في النبطية.

المؤلف:

نسلط الضوء عليه في عدّة نقاط:

الأولى: هذه الرسالة هي الفائدة الثانية والسبعون من كتاب المؤلف «جامع الفوائد» إذ قال في أولها:

«الفائدة الثانية والسبعون من كتابنا جامع الفوائد، المندرجة منه تحت عنوان: سيماء الصلحاء، إقامة عزاء سيّد الشهداء الحسين عليه السلام، مسّت الحاجة إلى

وقفة مع رسالة التنزيه وآثارها في المجتمع..... ١٠٩
فصلها وطبعها على حدة»^(١).

الثانية: لم يُثبت الكاتب فيها تاريخ تأليفها، والظاهر أنه كان سنة ١٣٤٥ هـ، أي بعد أن صرّح السيّد محسن الأمين (ت ١٣٧١ هـ)، في بعض جرائد بيروت بآرائه حول إصلاح الشعائر الحسينية، وكان ذلك أوائل هذه السنة.

الثالثة: طبعت هذه الرسالة مستقلةً أولاً في مطبعة العرفان في صيدا سنة ١٣٤٥ هـ، وهي طبعة حجرية، فيها بعض الأخطاء المطبعية، كتب عليها: «كتاب سيماء الصلحاء لمؤلفه حجة الإسلام العلامة الشهير والمصلح الكبير الشيخ عبد الحسين صادق. طبع على نفقة الجمعية الدينية في النبطية، حقوق الطبع محفوظة. مطبعة العرفان صيدا ١٣٤٥ هـ - ١٩٢٧ م».

وطبعت ثانية مع التعليقات عليها وتصحيح متنها، وقد أرسلها إلينا من لبنان على البريد الالكتروني صديقنا العزيز سماحة الحجة السيّد باسم الصافي، فله من الله الأجر والثواب ومنا جزيل الشكر والتقدير.

وقد اعتمدنا في تصحيحنا لهذه الرسالة على هاتين الطبعتين معاً.

الرابعة: في هامش الطبعة المصحّحة يوجد تعليق مفيد على قول المؤلف: «ما نقلته بعض جرائد بيروت» وهو:

«يريد بها جريدة العهد الجديد، الذي كان مراسلها قد زار السيّد محسن الأمين - حسب نقل الأستاذ إبراهيم فرات عن المؤرخ السيّد حسن الأمين نجل سماحة السيّد محسن الأمين - وسأله عن رأيه في اللطم على الصدور والضرب على الرؤوس، فأجابه بالتحريم، ممّا أثار حفيظة المرحوم الشيخ عبد الحسين

(١) سيماء الصلحاء (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٢: ٩.

١١٠.....رسائل الشعائر الحسينية / ج ١

صادق، فأصدر هذه الرسالة الموسومة بـ«سيماء الصلحاء» سنة ١٣٤٥ هـ - ١٩٢٧ م
- مطبعة العرفان - صيدا، ردّاً على التصريح المشار إليه. عن حلقة دراسية حول
عاشوراء ١٩٧٤ - رقم ٢٢٥ ص ٢٧»^(١).

الخامسة: هدف المؤلف من تأليف هذه الرسالة، هو الردّ على السيّد محسن
الأمين في دعوته لإصلاح الشعائر الحسينية وتحريم بعضها^(٢)، كما جاء في مقالة
جريدة العهد الجديد، وكذلك الردّ على السيّد محمّد مهدي الموسوي القزويني
البصري الذي دعا أيضاً إلى إصلاح الشعائر الحسينية، كما نقلته عنه جريدة
الأوقات العراقية آنذاك، إلا أنّ نصيب السيّد الأمين من الردّ في هذه الرسالة كان
أكبر، وذلك لمكانته العلمية وشهرته العالمية.

لذلك نرى أنّ السيّد الأمين غضب بعد صدور هذه الرسالة وقال مقولته
المشهورة: «من أغضب ولم يغضب فهو حمار» وكتب رسالته «التنزيه لأعمال
الشبيه» ردّاً على هذه الرسالة «سيماء الصلحاء».

السادسة: يصف المؤلف في رسالته هذه المخالفين للشعائر الحسينية
والمنادين باصلاحها، بأوصاف جارحة، تدلّ على مدى تأثره بها، وأهميّة
وحساسية هذا الموضوع، الذي ورثه الأبناء عن الآباء والأجداد، وتمسّك به
الجميع، إذ يقول في واحدة من عباراته الجارحة:

«إنّ ناشئةً عصرية ولدها الدهر بعد حيال، أوقاءها بعد جشاً، تنتحل دين
الإسلام، وما هي منه بقتيل أو فقير، ولا بعير أو فقير، وإنّ تقشّفت بلبسته، وادّهنت
بصبغته، لقد أتته من وجهته، وتسلّقت إليه من سلّم ثنيّته، لتطعنه في ثغره ولبّته،

(١) سيماء الصلحاء (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٢: ٨٩.

(٢) الذريعة ١٢: ٢٩٢ / ١٩٦١.

وقفه مع رسالة التنزيه وآثارها في المجتمع..... ١١١
وتقطع نياط وريديه، كتاباً وسنة.

تهمّ - وما أعظم ما تهمّ - تهمّ أن تطفئ نور الله بأفواهها ويأبى الله إلا أن يتمّ
نوره ولو كره الشائنون، تهمّ أن تمحو أسطر أعلام النبوة، وتطمس آثار الرسالة من
لوح عالم الوجود وقرطاس التذكّار.

فطائفة منها ازدلفت إلى مشاهدهم المقدّسة ببيع الغرقد بالمدينة المشرفة
فهدمت تلك المعالم الشامخة... وطائفة منهم تألّبت لإبطال إقامة العزاء للنبي وآله
وعترته أيام وفياتهم المعلومة، لاسيّما يوم عاشوراء الذي استشهد فيه الإمام
الثالث خامس أهل الكساء مولانا الحسين (عليه السلام) ^(١).

(١) سيماء الصلحاء (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٢: ٩.

(١١) التنزيه لأعمال الشبيه للسيد محسن الأمين

المؤلف:

هو^(١) السيد محسن ابن السيد عبد الكريم ابن السيد علي ابن السيد محمد الأمين ابن أبي الحسن موسى بن حيدر بن أحمد الحسيني العاملي المعروف بالأمين.

ولد في قرية شقرة من جبل عامل سنة ١٢٨٣هـ ونشأ فيها وأكمل مقدماته العلمية بها، ثم هاجر إلى العراق قاصداً الإقامة في النجف الأشرف بلد العلم والهجرة للمجتهدين، وأقام فيها سنين يطلب العلم والمعارف الإسلامية والكمالات الأخلاقية، وجدّ في دراسته حتّى حضر دروس الأعلام، وكان قويّ الحافظة فطناً أليفاً شاعراً ينظم الشعر المتن، وربما أسمعنا بعض نظمه في المديح والثناء والغزل.

ولمّا بلغ رتبة الاجتهاد والفضل الواسع غادر النجف داعياً إلى الحقّ مبشراً

(١) أقتبسنا هذه الترجمة المختصرة ممّا قاله فيه معاصره الشيخ محمد حرز الدين

(ت ١٣٦٥هـ) في معارف الرجال ٢: ١٨٤.

وقفة مع رسالة التنزيه وآثارها في المجتمع..... ١١٣

بالإيمان والصدق، وبثّ مكارم الأخلاق والفضائل الإسلامية، وأقام في دمشق والشام بطلب من وجوه المسلمين، وجعلها وطنه الدائم. وهناك ظهرت علومه الجمة وأخلاقه السامية، وطار صيته في الآفاق الإسلامية عامة والأقطار العربية خاصة. كما ألف وصنّف الكثير، وكانت الأسئلة والانتقادات من المخالفين تردّ عليه بمختلف ألوانها وصورها فيجيب عنها.

من مؤلفاته: «أعيان الشيعة في تراجم طبقات أعلام الشيعة»، و«معادن الجواهر» و«المجالس السنية» و«الدرر المنتقة» و«الدرّ الثمين» و«لواعج الأشجان» و«كشف الارتياح في أتباع محمّد بن عبد الوهّاب» و«مفتاح الجنّات» و«الرحيق المختوم» و«الدروس الدينيّة» و«الدرر النضيد في رثاء الشهيد» و«حاشية على كتاب القوانين».

توفي ﷺ ليلة الأحد الرابع من شهر رجب سنة ١٣٧١ هـ، الموافق لليوم الثلاثين في شهر آذار سنة ١٩٥٢ م.

المؤلف:

ونسلّط الضوء عليه في عدّة نقاط:

الأولى: سبب تأليف هذه الرسالة هو الردّ على الشيخ عبد الحسين بن إبراهيم ابن صادق العاملي (ت ١٣٦١ هـ) ورسالته «سيماء الصلحاء»؛ لأنّ السيّد محسن الأمين انتقد بعض الشعائر الحسينيّة، وقامت جريدة «العهد الجديد» الصادرة في بيروت بنشر انتقاده هذا آنذاك، ممّا أثار حفيظة الشيخ عبد الحسين فأصدر رسالة «سيماء الصلحاء» ردّاً على أفكار السيّد الأمين.

وأشار المؤلف السيّد الأمين أيضاً إلى انتقاد السيّد محمّد مهدي الموسوي القزويني (ت ١٣٥٨ هـ) لبعض الشعائر الحسينيّة، ودافع عنه وعن آرائه؛ لأنّ الشيخ

عبد الحسين صادق العاملي انتقده أيضاً في رسالته «سيماء الصلحاء».

علماً بأنّ جريدة «الأوقات العراقية» ذكرت آراءه في عددها ١٦٦١ الصادر في الأوّل من محرّم سنة ١٣٤٥ هـ ، وكذلك قام هذا السيّد ببيان آرائه وانتقاده لبعض الشعائر الحسينية في رسالة مستقلة سمّاها «صولة الحقّ على جولة الباطل».

الثانية: ذكر المؤلف في بداية رسالته هذه عدّة أمور اعتبرها من المنكرات والبدع التي أدخلت في الشعائر الحسينية وقد «أجمع المسلمون على تحريم أكثرها وأنها من المنكرات، وبعضها من الكبائر التي هدّد الله فاعله وذمّه في كتابه العزيز»، وهي:

(١)- الكذب بذكر الأمور المكذوبة المعلوم كذبها وعدم وجودها في خبر ولا نقلها في كتاب.

(٢)- التلحين بالغناء الذي قام الإجماع على تحريمه.

(٣)- إيذاء النفس وإدخال الضرر عليها.

(٤)- استعمال آلات اللهو كالطبل والزمر والصنوج النحاسية.

(٥)- تشبيه الرجال بالنساء في وقت التمثيل.

(٦)- إركاب النساء الهودج مكشّفات الوجوه وتشبيههن ببنات رسول

الله ﷺ.

(٧)- صياح النساء بمسمع من الرجال الأجانب.

(٨)- الصياح والزعيق بالأصوات المنكرة القبيحة.

(٩)- كلّ ما يوجب الهتك والشنعة ممّا لا يدخل تحت الحصر.

وقفة مع رسالة التنزيه وآثارها في المجتمع..... ١١٥

الثالثة: انتهى المؤلف من تأليفها في بيروت الثامن عشر من شهر محرّم الحرام سنة ١٣٤٦هـ، وطبعت طبعتها الأولى في مطبعة العرفان في صيدا سنة ١٣٤٧هـ، وكتب على غلافها عبارة «رسالة التنزيه لأعمال الشبيه، تأليف العلامة السيّد محسن الأمين الحسيني العاملي، تتضمن الكلام على ما يدخل في عمل الشبيه وإقامة العزاء للإمام الحسين الشهيد عليه السلام من المحرّمات والتحذير منها».

ورأيت طبعة أخرى لهذه الرسالة، كتب عليها أنها الطبعة الثانية، نشر دار الهداية للطباعة والنشر. إلّا أنّ هذه الطبعة لم يذكر فيها تاريخ طباعتها، ولا مكانه، ولا الجهة التي قامت بطبعتها.

والذي يظهر من «التمهيد» الذي كتب في بداية هذه الطبعة، أنّ الذين طبعوها هم من المؤيدين لأفكار السيّد الأمين، وأنّ تاريخ طباعتها هو سنة ١٣٩٣هـ، أي بعد وفاة المؤلف باثنتين وعشرين سنة، وجاء في هذا «التمهيد»: «هذه الرسالة موقف من مواقف الإصلاح الكبرى التي وقفها المجتهد الأكبر السيّد محسن الأمين منذ بدء حياته العلميّة بعد نيله إجازة الاجتهاد المطلق من النجف الأشرف.

وقد قبل هذا الموقف كما قبل غيره من المواقف بصيحات الجامدين وهجمات الحاقدين واستثارة الغافلين، ممّا لم يزد صاحبه إلّا ثباتاً ومضيّاً في مخطّطه الإصلاحية العظيم.

ولا يخفى على القارئ أنّ هذه الرسالة صدرت أوّل ما صدرت منذ ستّ وأربعين سنة، وأنّ أوّل ما عمل أعداء الإصلاح حين صدورها هو أن عمدوا إلى إثارة الغوغاء واستنفار الدهماء، ولكن شخصيّة السيّد الأمين القويّة استطاعت أن

تصمد لكلّ ذلك وأن تفرض نفسها وتقود حركتها بشجاعة وصبر».

إلا أنّ الملاحظ في هذه الرسالة هو سقوط كلمات وأسطر بل صفحات كانت موجودة في الطبعة الأولى لها، ولا يمكن إن تُرجع هذه السقوط إلى المطبعة، إذ لا يمكن لأيّ مطبعة مهما كانت سيئة ورديئة أن تسقط من الكتاب كلمات وسطور بل عدّة صفحات!!

ولا يمكننا هنا إلا أن نُرجع هذه السقوط إلى الأشخاص الذين قاموا بطباعة هذه الرسالة ثانية، فعمدوا إلى حذفها بدوافع تظهر جلياً عند مطالعة محتواها بدقة.

أف هذا هو الإصلاح يا أولي الإصلاح؟!

وأيّن الأمانة العلمية في النقل والاقتباس وإعادة طباعة كتب الماضين؟! وهل يقبل المؤلّف رحمه الله بحذف كلّ هذه الجمل والصفحات من رسالته؟!

اللهم اغفر لنا - ولاخواننا - إن أخطأنا أو نسينا.

والعجيب في الأمر أنّ الطبعات الأخرى لهذه الرسالة اعتمدت على الطبعة الثانية لها المحرّفة، ولم تعتمد على طبعتها الأولى الصحيحة، فقد طبعت هذه الرسالة «التنزيه» في آخر كتاب «أعيان الشيعة»، وفي كتاب «ثورة التنزيه» لمحمّد القاسم الحسيني النجفي، دار الجديد - لبنان - ١٩٩٦م، وفي كتاب «الاختلاف والنقد ثمّ الإصلاح» لمختار الأسدي، مؤسسة الأعراف للنشر - قم المقدّسة - ١٤١٨هـ.

الرابعة: اعتمدنا في تصحيح هذه الرسالة على الطبعة الأولى لها التي مرّ ذكرها، وأشرنا إلى السقوط والاختلافات مع الطبعات الأخرى في الهامش.

(١٢) رنة الأسى
«نظرة في رسالة التنزيه لأعمال الشبيه»
للشيخ عبد الله السبيتي العاملي

المؤلف: (١)

الشيخ عبد الله ابن الشيخ محمد ابن الشيخ حسن ابن الشيخ محمد السبيتي العاملي ينتمي لأسرة آل السبيتي، التي تعدّ من الأسر العلمية والأدبية المعروفة في بلاد جبل عامل، ولها مصاهرات مع غيرها من الأسر العلمية الأدبية، فأُم المترجم بنت العلامة الشيخ محمد علي عزّ الدين، وزوجته بنت العلامة السيّد عبد الحسين شرف الدين.

ولد في قرية كفرا في جبل عامل سنة ١٣١٣ هـ، وتلقّى في الجبل العاملي علومه الأولى، إذ درس المقدمات الأدبية والشرعية على أفاضل العلماء والفقهاء، وأبرزهم كان العلامة السيّد عبد الحسين شرف الدين. ثمّ هاجر إلى مدينة العلم والعلماء النجف الأشرف سنة ١٣٣٧ هـ، وحضر

(١) أقتبسنا هذه الترجمة ممّا ورد من معلومات قليلة عن المؤلف في «الذريعة» للشيخ الطهراني ومن مقالة نشرت في مجلة «ينابيع» العدد ٢٣ الصادرة في مدينة النجف الأشرف في شهري ذي القعدة وذو الحجة سنة ١٤٣٠ هـ، والمقالة بقلم م م مجيد الحدراوي.

على أفاضل العلماء هناك كالسيد محمد جواد الصدر، والسيد حيدر الصدر،
والشيخ محمد تقي صادق، والشيخ مرتضى آل ياسين.

وحضر الأبحاث العالية على أساطين العلم والمرجعية آنذاك كالسيد
محسن الحكيم، والسيد أبي الحسن الأصفهاني، والميرزا النائيني.

كان الشيخ السبتي عالماً فاضلاً فقيهاً، وقد تفتحت أمامه في مدينة النجف
الأشرف آفاق واسعة في البحث والتأليف، وقد رقد المكتبة الإسلامية بمجموعة
من الآثار منها:

(١) تحت راية الحق، في الرد على كتاب «فجر الإسلام» لأحمد أمين
المصري، فرغ من تأليفه سنة ١٣٤٩هـ، وكتب له مقدمة العلامة الشيخ مرتضى آل
ياسين الكاظمي، وطبع في مطبعة العرفان بصيدا سنة ١٣٥١هـ^(١).

وقد منعت السلطة العراقية آنذاك دخول هذا الكتاب إلى العراق، وأصدرت
أمراً باحراقه في الكمارك العراقية، وبهذا الصدد قال المؤلف: «وكانت الصدمة
عنيفة جداً، وعلمت آنذاك أن الحق لا زال في محبسه الضيق تحوطه سيوف
السياسة ورماحها، ولم يتهياً له الانطلاق والتحرير؛ لأن اللحظة المرجوة لبروز
العلّة والحقائق لم يأت وقتها».

(٢) حياة أبي ذر، ويقال له «أبو ذر»، طبع في طهران سنة ١٣٦٥هـ^(٢).

(٣) سلمان الفارسي، في ترجمة أحواله وسوانحه قبل الإسلام وبعده، قدّم له
السيد صدر الدين ابن السيد عبد الحسين شرف الدين، وقد أهداه المؤلف إلى

(١) الذريعة ٣: ٢٧٥ / ١٣٦٣هـ.

(٢) الذريعة ٧: ١١٤ / ٦٠٠.

وقفة مع رسالة التنزيه وآثارها في المجتمع..... ١١٩

السيد عبد الحسين شرف الدين، طبع في صيدا سنة ١٣٥٨هـ^(١).

(٤) المباهلة^(٢).

(٥) رسالة إلى مشيخة الأزهر، وهي ردّ على ما كتبه أحد علماء الأزهر الشيخ سعد حسن في كتابه «المهدويّة في الإسلام» إذ هاجم المسلمين الذين يعتقدون بوجود الإمام المهدي عليه السلام.

في سنة ١٣٥٤هـ عاد الشيخ السبتي إلى بلده كفرأ عالماً مرشداً ومصلحاً وموجّهاً، فمكث فيها مدّة سبع سنين متواصلة، بعدها آثر العودة إلى مدينة النجف الأشرف، ومنها انطلق في سفرات متعددة إلى بعض دول العالم حيث سافر لإيران عدّة مرات زائراً وباحثاً، والتقى بالعديد من الشخصيات العلمية والفكرية.

وسافر إلى أفريقيا وأمريكا اللاتينية حيث توجد الجالية العربية وبدعوة منها في دول تلك القارتين، كما شارك في الاحتفال الذي أقيم في مدينة كراچی بمناسبة مرور ثلاثة عشر قرناً على وفاة الإمام علي عليه السلام وألقى كلمة في المؤتمر.

نزل الشيخ السبتي في مدينة الكاظمية وعمل على تأسيس مؤسسة (حديث الشهر)، وعملت هذه المؤسسة على إصدار سلسلة كتب مختارة تصدر في الشهر مرّة إلا أنّها توقّفت بعد صدور كتابها الخامس عشر.

وبعد هذه المرحلة الطويلة للشيخ عبد الله السبتي في البحث والاستقصاء التي وقفها للدفاع عن آل البيت عليهم السلام ومحبيهم، حلّ ضيفاً على الرحمن ليلة الأربعاء ٢٥ رجب ١٣٩٧م في مدينة الكاظمية، ونقل إلى النجف الأشرف ودفن

(١) الذريعة ١٢: ٢١٩/ ١٤٥٤.

(٢) الذريعة ١٩: ٤٦/ ٢٤٢.

١٢٠.....رسائل الشعائر الحسينية / ج ١

بالصحن الشريف مع عمّه أبي زوجته بحجرة رقم ٤٨.

المؤلف:

ونسَلَطَ الضوء عليه في عدّة نقاط:

الأولى: كتب المؤلف هذه الرسالة ردّاً على رسالة «التنزيه» للسيد محسن الأمين، كما هو واضح من عنوانها، لذلك ينقل عبارات «التنزيه» ثم يبدأ بردها ومناقشتها مناقشة علمية.

الثانية: للمؤلف بعض التعليقات التوضيحية وضعها في الهامش، ميّزناها عن عملنا بكلمة «المؤلف».

الثالثة: ينقل عبارات عن عدّة رسائل ألّفت ردّاً على المانعين لبعض الشعائر الحسينية، وطبعت قبل رسالته هذه، وهي:

(١) المواكب الحسينية، للشيخ عبد الله المامقاني (ت ١٣٥١هـ) التي طبعت في الرابع عشر من شهر صفر سنة ١٣٥٤هـ.

(٢) نظرة دامعة، للشيخ مرتضى آل ياسين (ت ١٣٩٨هـ) التي طبعت في سنة ١٣٤٥هـ.

(٣) كلمة حول التذكار الحسيني، للشيخ محمد جواد الحجّامي (ت ١٣٧٦هـ) التي طبعت في ربيع الأول سنة ١٣٤٥هـ.

(٤) نصرة المظلوم، للشيخ حسن المظفر (ت ١٣٨٨هـ)، التي طبعت في ربيع الأول سنة ١٣٤٥هـ.

(٥) المواكب الحسينية، للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (ت ١٣٧٣هـ) التي طبعت مستقلة سنة ١٣٤٥هـ، وطبعت بعد ذلك ضمن الآيات البيّنات.

وقفه مع رسالة التنزيه وآثارها في المجتمع..... ١٢١

(٦) سيماء الصلحاء، للشيخ عبد الحسين صادق العاملي (ت ١٣٦١هـ) التي طبعت سنة ١٣٤٥هـ.

الرابعة: ذكر المؤلف في آخر رسالته فتاوى مجموعة من العلماء الذين أيدوا الشعائر الحسينية.

مثل: السيد محمد الفيروزآبادي، والشيخ عبد الله المامقاني، والشيخ مرتضى كاشف الغطاء، والشيخ هادي كاشف الغطاء، والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، والشيخ مرتضى كاشف الغطاء، والشيخ هادي كاشف الغطاء، والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، والشيخ محمد جواد البلاغي، والشيخ ضياء الدين العراقي، والشيخ محمد حسين الأصفهاني.

الخامسة: ذكر في آخرها تأريخ الانتهاء من تأليفها، وهو شهر شوال سنة ١٣٤٧هـ.

السادسة: طبعت هذه الرسالة في مطبعة النجاح في بغداد سنة ١٣٤٧هـ، وكتب على غلافها: «رنة الأسى أو نظرة في رسالة التنزيه لأعمال الشبيه، بقلم الأستاذ العلامة الشيخ عبد الله السببتي العاملي، حقوق الطبع محفوظة»، وهذه الطبعة هي التي اعتمدناها في عملنا هذا.

(١٣) كلمات جامعة حول المظاهر العزائية

للشيخ محمد علي الأردوبادي

المؤلف:

ذكره معاصره وزميله الأديب الشيخ محمد السماوي (ت ١٣٧٠هـ) في
الطليعة قائلاً:

«محمد علي ابن الشيخ أبي القاسم بن محمد تقي بن محمد قاسم
الأردوبادي التبريزي النجفي. فاضل، اشتمل على فضل جمّ، وغزير علم، وشارك
في فنون مختلفة، وأتسم بأحسن صفة إلى تقي طارف وتليد، وحسب موروث
وجديد.

اجتمعتُ به كثيراً، وعاشرته طويلاً، فرأيت منه الرجل المتقدم الفهم، الغزير
العلم، الحصيف الذكر، المصنّف الشاعر» ثم ذكر بعض أشعاره^(١).

وذكره معاصره الآخر السيّد محسن الأمين (ت ١٣٧١هـ) في أعيانه^(٢) بنفس
عبارات الطليعة.

(١) الطليعة من شعراء الشيعة ٢: ٢٧٥ / ٢٨٣.

(٢) أعيان الشيعة ٩: ٤٣٨.

وقفه مع رسالة التنزيه وآثارها في المجتمع..... ١٢٣

وأضاف السيّد حسن الأمين في مستدركه على الأعيان:

«ونسبته إلى أردوباد، مدينة تقع على الحدود بين آذربيجان والقفقاز، قرب نهر أرس.

وكانت ولادته في تبريز في ٢١ رجب سنة ١٣١٢ هجرية.

وأتى به والده إلى النجف بعد عودته إليها في حدود سنة ١٣١٥ فنشأ عليه ووجهه خير توجيه.

قرأ مقدّمات العلوم على لفيف من رجال الفضل والعلم، وحضر في الفقه والأصول على والده، وشيخ الشريعة الأصفهاني - وقد أخذ عنه الحديث والرجال أيضاً - والسيّد ميرزا علي الشيرازي، وفي الفلسفة على الشيخ محمّد حسين الأصفهاني، وفي الكلام والتفسير على الشيخ محمّد جواد البلاغي، ولزم حلقات دروس مشايخه الثلاثة المتأخّرين أكثر من عشرين سنة. وبرع في الشعر والأدب العربيين، وتضلّع في التاريخ والسير وأيام العرب ووقائعها، وتوفّي سنة ١٣٨٠ في النجف الأشرف.

له: كتاب ضخّم في ستّ مجلدات على نهج الكشكول، فيه الكثير من الفوائد التاريخية والرجاليّة والتراجم والتحقيقات.

و«حياة إبراهيم بن مالك الأشتر» مختصر نشر في آخر «مالك الأشتر» للسيّد محمّد رضا بن جعفر الحكيم المطبوع في طهران سنة ١٣٦٥ هـ.

و«حياة سبع الدجيل» في ترجمة السيّد محمّد ابن الإمام علي الهادي عليه السلام صاحب المشهد المشهور في الدجيل قرب بلد، طبع في النجف أيضاً.

و«سبيك النصار في شرح حال شيخ الثار المختار».

و«الرد على ابن بليهد القاضي» وهو ردّ على الوهابيين، طبع.

و«الأنوار الساطعة في تسمية حجة الله القاطعة».

و«منظومة في واقعة الطف».

و«منظومة في مناظلة أرجوزة نير» جارى بها أليّة الشيخ محمّد تقي

التبريزي المتخلص بنير، وقد بلغت (١٦٥١) بيتاً.

و«علي وليد الكعبة» طبع في النجف عام وفاته ١٣٨٠ مع مقدّمة لسبطه

السيد مهدي ابن الميرزا محمّد ابن الميرزا جعفر ابن الميرزا محمّد الشيرازي.

و«حياة الإمام المجدّد الشيرازي» في ترجمة السيد الميرزا محمّد حسن

المُتوفّى سنة ١٣١٢، وهو يشتمل على تراجم كثير من تلاميذه ومعاصريه.

و«سبك التبر فيما قيل في الإمام الشيرازي من الشعر» في (٦٠٠) صفحة،

ترجم فيه لشعرائه ومادحيه مع إيراد قصائدهم مرتبة على حروف الهجاء.

و«ديوان شعر» عربي، معظمه في مدح آل البيت ورثائهم، ومراثي العلماء

والعظماء وفي سائر الأغراض الأخرى، ويبلغ مجموع نظمه أكثر من ستة آلاف

بيت.

و«التقارير» في الفقه والأصول وغيرهما، كتبها من تقارير مشايخه،

وآخر آثاره «تفسير القرآن» خرج جزؤه الأوّل فقط»^(١).

دفن في صحن أمير المؤمنين عليه السلام في مدينة النجف الأشرف في الحجرة

رقم ٢٣(٢).

(١) مستدرک أعيان الشيعة ١: ٢١٣.

(٢) مشاهير المدفونين في الصحن العلوي الشريف: ٤٠٦/٣١١.

المؤلف:

نسلط الضوء عليه في عدة نقاط:

الأولى: هذه الرسالة لازالت مخطوطة، نسختها موجودة عند سبط المؤلف سماحة الحجة السيّد مهدي الشيرازي، الذي يعمل حالياً على جمع وتحقيق كلّ آثار جدّه المؤلف، وقد بعث لنا مشكوراً هذه الرسالة بعد صفّ حروفها، حيث جعلناها الأصل في عملنا هذا، فله من الله الأجر والثواب، ومنّا جزيل التقدير والاحترام.

الثانية: لم يذكر المؤلف تاريخ تأليفه لهذه الرسالة، والظاهر أنّه ألفها سنة ١٣٤٧هـ؛ إذ يذكر فيه رسالة السيّد محمد مهدي الموسوي القزويني البصري قائلاً: «وقد سبقه إليها البصري منذ عامين»، علماً بأنّ هذا السيّد ألف رسالته «صولة الحقّ على جولة الباطل» سنة ١٣٤٥هـ، وكذلك نشرت جريدة «الأوقات العراقية» آراءه عن الشعائر الحسينيّة في نفس السنّة

الثالثة: سمّاها مؤلفها في أولها: «كلمات جامعة حول المظاهر العزائية»، وذكرها العلامة الطهراني (ت ١٣٨٩هـ)، في الذريعة ١٨: ١١٤ / ٩٦١ قائلاً: «الكلمات الجامعة».

الرابعة: سبب تأليفها كما أوضحه المؤلف في مقدّمته لها، هو الردّ على السيّد محسن الأمين ورسالته «التنزيه»، حيث يورد عدة نصوص منها، ويبدأ بردها رداً علمياً رزيناً في غاية الاحترام والأدب، وهذه ميزة إمتازت بها هذه الرسالة عن أكثر أخواتها في ردّ رسالة «التنزيه».

الخامسة: ينقل المؤلف فيها كثيراً أقوال العلماء ومراجع الدين الذين أيّدوا الشعائر الحسينيّة، وأصدروا فتاوى في حلّيّتها، خصوصاً ضرب الرؤوس

بالقامات والظهور بسلاسل الحديد.

السادسة: ينقل فيها مشاهداته، ومشاهدات كثير من العلماء، عن مواكب التطبير، وأن بعض مراجع الدين والعلماء كانوا يؤيدون المتطهرين ويدافعون عنهم ويدعموهم مالياً في تهيئة القامات والأكفان.

السابعة: يذكر عدة رسائل لها علاقة بهذا الموضوع - تأييداً ورداً - منها: «صولة الحق على جولة الباطل» للسيد محمد مهدي الموسوي القزويني (ت ١٣٥٨هـ)، ورسالة «نظرة دامعة» للشيخ مرتضى آل ياسين (ت ١٣٩٨هـ)، ورسالة «كلمة حول التذكار الحسيني» للشيخ محمد جواد الحجّامي (ت ١٣٧٦هـ)، ورسالة «رنة الأسي» للشيخ عبد الله السبيتي العاملي (ت ١٣٩٧هـ)..

(١٤) الشعار الحسيني

للشيخ محمد حسين المظفر

المؤلف:

ذكره في أدب الطفّ قائلاً:

«الشيخ محمد حسين المظفر ابن الشيخ محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن مظفر النجفي، أحد الأعلام المرموقين بالعلم والأدب.

ولد سنة ١٣١٢هـ بالنجف الأشرف، وتوفي والده في الخامس من شوال ١٣٢٢هـ فكفله أخوه الأكبر الشيخ عبد النبي وقام بتربيته أحسن قيام.

قرأ المقدمات ودرس السطوح على أخيه الأكبر الشيخ محمد حسن، ثم حضر درس الميرزا حسين النائيني، والشيخ ضياء العراقي، والسيّد أبو الحسن الأصفهاني، وبلغ درجة عالية في الفقه والأصول والتاريخ والأدب، وولع بالتأليف والتحقيق، فطرق الأبواب الصعبة وأنتج آثاراً جليّة.

ومن محاسنه وأسلوبه في طرق التربية أن قام بتربية ثلّة من الشباب النابهين، فقبل رئاسة المجمع العلمي لمنتدى النشر، وكان لنشاطه أكبر الأثر في نفوس الأعضاء، وأذكر وأنا مقرّر المجمع العلمي والمعني بأموره، وأرى الواجب

أن أكون المسؤول الأول، ولكن الشيخ أبو أمين كان له السبق والنشاط مما يجعلني استصغر نفسي، وكان قد هباً نفسه لقبول أي طلب يكون في سبيل نصره المبدأ والعقيدة.

آثاره:

«الإمام الصادق عليه السلام» في جزئين، وقد طبع في النجف، «ميثم التمار» طبع في النجف، «الكتاب والعترة»، «الشيعة والإمامة»، «تأريخ الشيعة»، «الشيعة وسلسلة عصورها»، «دعاء الإمام الصادق عليه السلام»، «علم الإمام»، «هشام بن الحكم»، «مؤمن الطاق»، «الأوصياء»، «القرآن تعليمه وإرشاده»، «الإسلام نشوؤه وارتقاؤه»، «الآيات الثلاث»، «ديوان شعره» وأكثره في أهل البيت عليه السلام.

وله إجازة الرواية كتبياً عن الحجة السيّد عبد الحسين شرف الدين، ترجم له الشيخ محمد حرز الدين في «معارف الرجال»^(١) ضمن ترجمة أخيه الأكبر العلامة الشيخ محمد حسن فقال: كان كاملاً ينظم الشعر، ونظم أرجوزة في بعض أبواب الفقه.

كانت وفاته سنة ١٣٨١هـ بالنجف الأشرف رحمه الله رحمة واسعة، ودفن بمقبرتهم الخاصة بالأسرة إلى جنب أخيه الأكبر الشيخ محمد حسن.

وذكر في أول ترجمته قطعة من شعره، وهي:

شهر شعبان قد تجسّمت نورا

فاسم وافخر فقد سموت الشهورا

لك بشرى بما حويت من الفخر

فكم جئت بالسرور بشيرا

(١) معارف الرجال ٢: ٢٤٧.

وقفة مع رسالة التنزيه وآثارها في المجتمع..... ١٢٩
 أيّ شهر جارك في حلبة السعد
 فوافى ويتبع النور نورا
 أشرق فـيك للسعود شمس
 وبـاشراقها الوجود أنيرا
 كلّ شهر للشمس برج وفيه
 تقطع الشمس في السماء المسيرا
 وثلاث من الشمس بشعبا
 ن تجلّت من البروج ظهورا
 في ثلاث منه، وفي الخمس، والنصف
 غدا الأفق باسماً مستنيرا
 فاطم أولدت بهنّ حسينا
 وابنه والمؤيد المنصورا
 أنفس صاغها المهيمن نورا
 قدّر الله صـنعها تقديرا
 وأفاض السنا على الخلق حتّى اشتق
 منه شمساً وبدراً منيرا
 هو لولا ذاك السنا ما برى خلقاً
 كـريماً ولا جناناً وحورا
 أهل البيت قد أذهب الله عنهم
 الرجس اعتصاماً وطهّروا التطهيرا^(١)

المؤلف:

ونسلط الضوء عليه في عدة نقاط:

الأولى: اسم هذه الرسالة «الشعار الحسيني» كما هو مثبت على غلاف الطبعة الأولى منها، إلا أن العلامة الطهراني (ت ١٣٨٩هـ) ذكرها في ثلاثة مواضع في ذريعتيه باسم «الشعائر الحسينية»، ونحن أثبتنا الاسم كما في النسخة المطبوعة.

الثانية: ألفها ردّاً على رسالة «التنزيه» للسيد محسن الأمين (ت ١٣٧١هـ) كما قال في أولها: «وبعد، فقد حمل البريد إلى النجف الأشرف رسالة «التنزيه لأعمال الشبيه»، وبعدما تصفّحت صفحاتها وجدت فيها من التشويه لأعمال الشبيه، مالو أغضينا أو تغاضينا عنه لكننا مسؤولين عند من تُصنع تلك الأعمال لأجله، إمامنا الحسين عليه السلام، فتزيتها لشعائره ونصرةً للحق وكشفاً للحقيقة بادرت إلى تحرير هذه السطور، مستعيناً به تعالى ومستمدّاً منه».

ثم بدأ بذكر عبارات «التنزيه» والردّ عليها ردّاً علمياً متيناً.

الثالثة: في آخرها ذكر رسالة «كلمه حول التذكار الحسيني» للشيخ محمد جواد الحجّامي (ت ١٣٧٦هـ) قائلاً: «وأما بقيّة المظاهر والمراجع من العلماء الحضور، فقد نشرت فتاواهم منظمّة إلى كلمة فاه بها الأستاذ الأخ الفاضل الشيخ محمد الجواد الحجّامي، ردّاً على الجريدة، التي نشرت مزاعم السيّد البصري، وهم الحجج من آل كاشف الغطاء: الشيخ مرتضى، والشيخ هادي، والشيخ محمد الحسين».

وذكر أيضاً رسالة «نظرة دامعة حول مظاهرات عاشوراء» للشيخ مرتضى آل ياسين الكاظمي قائلاً: «وأما علماء الكاظمية فأشهرهم حجج الإسلام السيّد

وقفه مع رسالة التنزيه وآثارها في المجتمع ١٣١
حسن الصدر والشيخ عبد الحسين آل ياسين، والسيد محمد مهدي الصدر،
وحالهم في الذهاب إلى الرجحان معلوم.

وشاهده أن العلامة الفاضل الشيخ مرتضى نجل حجة الإسلام الشيخ عبد
الحسين آل ياسين صنف - في من صنف - رسالة ردأ على السيد البصري برغبة
من أبيه وذينك السيدين العلمين، بل قد التمسه أخوه حجة الإسلام الشيخ محمد
رضا، وقد قرظها ذلك الحبر العلامة السيد حسن، وقد أبرزتها المطابع رأي العين،
وقد سارت في الأقطار «الأمصار»، ولا أحسب أنه لم يَر تلك الرسائل المؤلفة
والكتب المصنفة، ولكن الغضب سلطان قاهر».

الرابعة: يذكر فيها مواكب الغزاء التي كانت تخرج في سامراء زمن المرجع
الشيرازي، إذ قال: «وأما ضرب الرؤوس بالسيوف فقد كان يأتي موكبه إلى داره،
وأول ما يضربون رؤوسهم فيها، ولقد نقل حجة الإسلام النائيني أن الأكفان كان
يبدلها من عنده، فانظر وأعجب».

ويذكر أيضاً أن ضرب الرؤوس كان يحصل بمنزل السيد بحر العلوم، إذ
قال: «وهل يخفى على أحد أن ضرب الرؤوس بالسيوف في النجف الأشرف من
أول حدوثه وإلى اليوم أول ما يقع في دار العلامة السيد بحر العلوم طاب ثراه.
وناهيك بها من دار، وياله من آل، فإن من أبناء ولده العلامة السيد رضا كان
ثلاثة من علماء أعلام في عصر واحد وهم:

السيد محمد تقي، والسيد حسين، والسيد علي صاحب «البرهان»،
والضرب على الرؤوس بالسيوف يقع في دارهم بمشهد منهم ومرأى، فلم يردعوا
عن ارتكابه، وإن لم يستطيعوا فلم لم يدفعوهم عن الدخول إلى دارهم المنيعة».

الخامسة: طبعت هذه الرسالة في مطبعة النجاح في بغداد سنة ١٣٤٧ هـ،

١٣٢.....رسائل الشعائر الحسينية / ج ١

وهي الطبعة التي اعتمدنا عليها في تصحيح هذه الرسالة ونشرها ضمن هذه المجموعة.

السادسة: ورد على غلاف الطبعة الأولى لها: «رسالة الشعار الحسيني، تتضمن الكلام على بيان رجحان عمل الشبيه وإقامة الشعائر للإمام الحسين عليه السلام، لمؤلفها العلامة المفضل الشيخ محمد حسين المظفر النجفي».

(١٥) النقد التنزيه لرسالة التنزيه

للشيخ عبد الحسين قاسم الحلّي

المؤلف:

ذكره معاصره العلامة الشيخ محمّد السماوي (ت ١٣٧٠هـ)، في كتابه
«الطليعة من شعراء الشيعة» قائلاً:

«عبد الحسين بن القاسم بن صالح بن القاسم بن محمّد علي بن هليل الحلّي
النجفي، فاضل مشارك في الفنون، ثاقب الفكر، دقيق النظر، مصنّف في العلوم،
عاشرته فرأيتّه جميل العشرة، كريم الأخلاق، حبيب الرأي، طيّب المفاكهة، إلى
سليقة معتدلة، ودين قويّ، وله أدب جمّ وشعر غزير».

وذكر مجموعة من أشعاره ثمّ قال:

«ومحاسنه كثيرة، ولد في أوائل محرّم سنة ألف وثلاثمائة وواحدة في
الحلّة، وقرأ بها علوم العربية، وسافر إلى النجف سنة أربعة عشر، وبقي بها إلى الآن،
وهو اليوم مجدّد في كسب الفضائل والفواضل، سلّمه الله تعالى».

وكتب محقّق الطليعة الأستاذ الفاضل كامل سلمان الجبوري، في الهامش:

«توفي سنة ١٣٧٧هـ»^(١).

(١) الطليعة من شعراء الشيعة ١: ٤٩٠ رقم ١٤٧.

١٣٤.....رسائل الشعائر الحسينية / ج ١

وقال معاصره الآخر السيّد محسن الأمين (ت ١٣٧١هـ)، في كتابه «أعيان الشيعة»: «ولد في أوائل المحرم سنة ١٣٠١هـ في الحلة، وقرأ بها العلوم العربية، وسافر إلى النجف سنة ١٣١٤هـ، وتفقه وتأدّب في النجف، وله شعر ونثر وكتب» ثم ذكر بعض أشعاره^(١).

المؤلف:

ونسلمت الضوء عليه في عدّة نقاط:

الأولى: يبيّن المؤلف سبب تأليفه لهذه الرسالة، وهو الردّ على الذين أنكروا بعض الشعائر الحسينية، إذ يشير إلى أنّه وقف أولاً على رسالة «الصولة» ثمّ على رسالة «التنزيه»، حيث يقول:

«حدث منذ أعوام في البصرة رأي لا يؤبه به، يتضمّن المنع عن كثير من الشعائر الحسينية التي تقام في بلدان الشيعة، عدا البكاء ولدم الصدور في الدور، وهو - مع أنّ صاحبه ليس بتلك المكانة - لم يُدعم بحجّة ولم يُقم على سوى التهاويل الفارغة.

وقد قوبل هذا الرأي في ما مضى برسائل جمّة حافلة بالأدلة التي لا يكاد يبقى بعد مراجعتها ريب في وجوب إقامة جميع الشعائر المذكورة كفاية، إلّا لجاهل بأصول الاستدلال، أو قاصر بذاته عن البلوغ إلى مراتب الكمال.

واليوم قد أوقفنا العجائب الغرائب على أوراق مطبوعة في هذا الشأن، تدهورت علينا من الشام، وهي تنحو هذا المنحى.

إلّا أنّ هذه - مع أنّ صاحبها في مفتحتها يزعم أنّه لم يقصد بها سوى إنكار

(١) أعيان الشيعة ٧: ٤٥٠.

وقفة مع رسالة التنزيه وآثارها في المجتمع..... ١٣٥

المنكرات التي أدخلها الناس في الشعائر الحسينية - تشف عن روح التعصب الحاد، ويستبين الغضب الشائن من خلال سطورها، ويقرأ كل أحد بوضوح من عناوينها التحامل المقذع على بعض الأعلام المعاصرين المعروفين بالعلم والأدب، حتى أنه لم يملك نفسه في حياته ما افتتح به مقالته دون أن رفع عقيرته مجاهراً في الصفحة: ١٣ منها بقوله: وأيم الله لو لم يوجّه - يعني معاصره - لسباته ولسعته إلينا ما تعرّضنا له».

الثانية: في هامش هذه الرسالة توجد تعليقات وبعض الفوائد العلمية، لم أقف على كاتبها، هل هي من المؤلف أو شخص آخر، لذلك أبقيناها كما هي، وجعلنا تعليقاتنا وكل عملنا في الهامش بين معقوفتين.

الثالثة: سمّاها مؤلفها في أوائلها «النقد النزيه لرسالة التنزيه».

الرابعة: في كثير من الموارد يذكر عبارة «سيما الصلحاء» ثم ردّ رسالة «التنزيه» عليها، ثم يبدأ بجوابه ومحاكمته بين العبارتين، منتصراً للشيخ عبد الحسين صادق العاملي في رسالته «سيما الصلحاء».

الخامسة: ينقل عبارة من رسالة «المواكب الحسينية» للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (ت ١٣٧٣هـ)، التي طبعت في السابع عشر من شهر صفر سنة ١٣٤٥هـ.

السادسة: في آخر هذه الرسالة يذكر المؤلف أنه يسعى لتأليف جزء ثان من هذه الرسالة، إذ قال: «ونحن بتيسير الله وعونه سنتعرّض لذلك دعوىً ودليلاً في الجزء الثاني من هذا الكتاب، فإنّ العوارض الوقتية كما اقتضت تأخير إنجازها اقتضت انشطاره إلى جزئين».

السابعة: في آخر النسخة المطبوعة يذكر أنه حدثت أخطاء كثيرة في تلك النسخة قائلاً: «وقع في هذا الجزء نقصان كلمات كثيرة، وأغلاط كثيرة جداً،

١٣٦.....رسائل الشعائر الحسينية / ج ١

لإهمال المطبعة والمصحح معاً، يستوعب ذكرها صفحات عديدة، ونظراً إلى كثرة الغلط وعدم ملاحظة القارئ جدول الخطأ والصواب غالباً، تركناه والتزمنا بتصحيح القلم لكل نسخة.

الثامنة: لم يذكر المؤلف في آخرها تاريخ انتهائه من التأليف، إلا أن تاريخ الطبع مثبت على الصفحة الأولى منها، وهو سنة ١٣٤٧ هـ، في المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف.

(١٦) كشف التمويه عن رسالة التنزيه

للشيخ محمد الكنجي النجفي

المؤلف:

لم أعثر على ترجمته، إلا ما ذكره الشيخ محمد هادي الأميني (ت ١٤٢١هـ) في كتابه «معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام»، إذ قال فيه: «عالم فاضل، سكن النجف، ومات في العشر السادس من القرن الرابع عشر الهجري، كتب وصنّف وجمع، وجاء في بعض المراجع: الكنجي. له كشف التمويه عن رسالة التنزيه»^(١).

المؤلف:

نسلط الضوء عليه في عدّة نقاط:

الأولى: الهدف من تأليف هذه الرسالة - كما قال المؤلف الكريم - هو إظهار الحقيقة لعموم الناس، وبيان أن مذهب أهل البيت عليهم السلام خالص وأصيل وخالٍ عن الشوائب، إذ قال المؤلف في أول الرسالة تحت عنوان «إيضاح وتنبيه»:

(١) معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام ٣: ١١١٤، وانظر: الذريعة ١٨: ٢٤ /

٤٩٢، معجم المؤلفين العراقيين ٣: ٢٣٢، المطبوعات النجفية: ٢٨٤.

١٣٨.....رسائل الشعائر الحسينية / ج ١

«لا يخفى على إخواننا المسلمين المتورعين في الدين، إننا إنما كتبنا هذه الرسالة إظهاراً للحقيقة، وغيرةً على الشرع الحنيف أن يتلاعب به أهل الأهواء والأغراض، لذلك فقد أتينا بهذه الرسالة جامعة لأقوال العلماء الأعلام.

وقد توخينا أقوالهم وفتاواهم لتبين الحقيقة، وينكشف لعموم إخواننا الشيعة أن مذهبنا السامي منزّه عن كلّ شناعة وقباحة يحدثها المحدثون، وأنّ هذه الأمور ليست منه بشيء».

وقال تحت عنوان «كلمة المؤلف» مبيناً هدفه من هذه الرسالة: «وما حداني إلى تأليف هذه الرسالة سوى ما في «سيماء الصلحاء» لبعض رجال النبطية من ادّعاء أنّ خواطر العلامة الشهير السيّد محسن الأمين حول المواضيع التي اشتملت عليها المواكب الحسينية حديثاً، ممّا خالف بها الأئمة وعلماء الأمّة، وتهويس أفراد حول ذلك الادّعاء الفارغ من دون ما روية ولا نظر».

الثانية: ذكر المؤلف اسم هذه الرسالة قائلاً في مقدّمها: وحيث إنّ وجوب إنكار المنكر من الأولويات الإسلامية، ضمّنت صحيفة الوجود رسالتي «كشف التمويه عن رسالة التنزيه».

الثالثة: طبعت هذه الرسالة سنة ١٣٤٧هـ في المطبعة العلوية في النجف الأشرف.

الرابعة: في بداية الرسالة أوضح المؤلف سبب تأليفه لها تحت عنوانين: «إيضاح وتنبيه» و«كلمة المؤلف»، ثمّ بين أنّ دين الإسلام دين فطرة، وسبب تقدّمه هو وجود المصلحين من أبنائه، والذين منهم السيّد الأمين، ثمّ بيّن أنّ السيّد الأمين لم يمنع الشعائر الحسينية، بل دعى إلى تهذيبها من الشوائب التي لحقتها، ثمّ نقل كلامه من كتابه «إقناع اللائم في إقامة المآتم» الذي يوضح فيه رأيه.

وقفة مع رسالة التنزيه وآثارها في المجتمع..... ١٣٩
بعدها بدأ بذكر عبارات رسالة «التنزيه» والدفاع عنها، وردّ المعارضين عليها.

وأثناء بحثه ذكر كلام العلامة الميرزا حسين النوري والعلامة الشيخ هادي كاشف الغطاء حول الأحاديث المكذوبة التي ينقلها بعض قراء التعزية، وكذلك نقل فتوى الشيخ مرتضى الأنصاري حول حرمة الغناء في المآتم الحسينية، وفتوى الشهيد الأوّل والسيد كاظم اليزدي في حرمة جرح النفس، وكذلك فتاوى مجموعة أخرى من العلماء عن بعض الشعائر الحسينية.

الخامسة: يشير إلى رسالة «نصرة المظلوم» للشيخ حسن المظفر (ت ١٣٨٨هـ)، المطبوعة سنة ١٣٤٥هـ، والمطبوعة أيضاً ضمن هذه المجموعة.
وكذلك يشير إلى رسالة «النقد النزيه لرسالة التنزيه» للشيخ عبد الحسين قاسم الحلّي المطبوعة سنة ١٣٤٧هـ، والمطبوعة أيضاً ضمن هذه المجموعة.
وكذلك يذكر في آخر كلامه رسالة «نصرة الفقيه» للشيخ عبد المهدي الحجّار.

كما أنّه ينقل عبارات عديدة من رسالة «سيماء الصلحاء» للشيخ عبد الحسين الصادق العاملي (ت ١٣٦١هـ)، ويردّ عليها بعنف.

السادسة: يرّد على هذه الرسالة - كشف التمويه - السيد علي نقي النقوي اللكهنوي (ت ١٤٠٨هـ) في رسالته «إقالة العاثر في إقامة الشعائر» المطبوعة سنة ١٣٤٨هـ، والمطبوعة ضمن هذه المجموعة أيضاً.

السابعة: يصف المخالفين لآراء السيد محسن الأمين بألفاظ جارحة قائلاً:
(أ) - «ولكن يعترضنا في الحال الحاضر ما هو أدهى من ذلك وأمرّ، ألا وهو قيام أفراد من «المرتزقة» الذين تطفّلوا على هذا الصنف الروحاني، وهو يبرأ إلى

الله منهم براءة الذئب من دم يوسف، قاموا ويابئس ما قاموا، قاموا على الدين بلباسه، وأخذوا يقذفون العلماء الروحانيين، ويلصقون بهم ما يبرئهم منه العالم الإسلامي كله، ويكذبون عليهم ويموّهون ويدجلون لدى العوام، بما يخشى لأجله من تزعزع الثقة العامة بهذا الصنف المقدّس».

(ب)- قال واصفاً الشيخ عبد الحسين صادق العاملي صاحب رسالة «سيماء الصلحاء» التي ردّت على آراء السيّد الأمين: «ويدفع فيها [أي السيّد الأمين في رسالته التنزيه] ما تحامل عليه بعض قومه ممّن حسد مركزه ويحقد على ما آتاه الله من فضل، ذلك قوله: (إنّه خالف الأئمة وعلماء الأئمة) نعوذ بالله من هذه الافتراءات.

وقد نسج على منواله بعض من يمتّ به وينتسب إليه بقرابة، فأخذ يموّه على السدّج والبسطاء، ويخلق ويفتري عليه الكذب، ممّا هو معروف ومشهور لدى الجميع، وقد خرجت أوراق مطبوعة مملوءة فحشاً لبعض المتطفّلين على موائد غيرهم، وتكرّم عن ذكرهم من باب حبّ (لوزات سوار لطمتني)».

(ج)- ويقول في مكان آخر رادّاً على الشيخ عبد الحسين صادق العاملي ورسالته «سيماء الصلحاء»: «اعلم أنّ كلّ مصلح كبير يتمركز على كرسي الإمامة والسيادة في الأئمة، لا بدّ وأن يتهيّأ له من مرضى النفوس من يحسده ويحقد عليه... وهنا أقول: طالعت تلك الأوراق المطبوعة، فأنكشف لي التحامل الشديد والكذب الصريح الذي نشأ عن مآرب شخصيّة وأحقاد كانت تتآكل في الصدور، ولسوف يلقون بها جده رسول الله ﷺ وأمه الزهراء وأبويه علياً والحسين عليهم السلام يوم حشرهم ونشرهم فيجازون».

الثامنة: ذكر المؤلف في آخر رسالته هذه، ترجمة مفصّلة لحياة السيّد

وقفه مع رسالة التنزيه وآثارها في المجتمع..... ١٤١
محسن الأمين تضمّنت: نسبه، مولده، تحصيله للعلوم، أساتذته، أقوال العلماء في
حقّه، مشايخ إجازته.

التاسعة: يوجد في آخر الرسالة أيضاً قائمة بأسماء مؤلّفات السيّد محسن
الأمين.

العاشر: النسخة التي اعتمدنا عليها في التصحيح هي الطبعة الأولى لها،
كُتِبَ في أولها: كشف التمويه عن رسالة التنزيه لأعمال الشبيه، بقلم العلامة الكبير
والمفكّر الخطير الجامع للمعقول والمنقول حضرة الأستاذ الشيخ محمّد الغنّجي
النجفي دامت تأييداته، حقوق الطبع محفوظة للمؤلّف، طبع في المطبعة العلوية في
النجف الأشرف سنة ١٣٤٧هـ.

(١٧) إقالة العائر في إقامة الشعائر

للسيد علي نقي اللكهنوي

المؤلف:

في أثناء تحقيقنا لهذه الرسالة، وبحثنا عن ترجمة المصنّف، أخبرنا الأخ العزيز المحقّق الشيخ أحمد الحلّي حفظه الله ورعاه، بوجود ترجمة للمصنّف كتبها بنفسه، وصورتها الخطيّة موجودة في مكتبة العتبة العباسيّة المقدّسة في مدينة كربلاء المقدّسة، فطلبنا منه تصويرها لنا، فأرسل لنا صورتها، جزاه الله خير الجزاء.

فوجدتها ترجمة مفصّلة للمصنّف كتبها بنفسه بناءً على طلب بعض السادة منه، وتاريخ كتابتها هو يوم الأربعاء الثاني عشر من شهر ذي القعدة سنة ١٣٤٩هـ في مدينة النجف الأشرف.

وقام باستنساخها السيّد محمّد صادق بحر العلوم الطباطبائي في يوم الخميس الرابع عشر من شهر ربيع الأوّل سنة ١٣٥٠هـ.

وقد ذكر المصنّف في هذه الترجمة تاريخ ولادته، وهجرته إلى النجف الأشرف مع والده، وبداية دراسته مقدّمات العلوم، ثمّ رجوعه إلى الهند وإتمام دراسته هناك، ثمّ عودته إلى النجف الأشرف لإكمال أبحاثه العالية فيها.

وقفه مع رسالة التنزيه وآثارها في المجتمع..... ١٤٣
وذكر فيها مؤلفاته التي كتبها في الهند أو النجف، ثم ذكر أساتذته ومشايخه
في الإجازة.

وبما أن تاريخ كتابة تلك الترجمة كانت أواخر سنة ١٣٤٩هـ، ووفاته رحمه
الله كانت سنة ١٤٠٨هـ، لذلك لم يرد فيها الكثير من نشاطه العلمي وآثاره خلال
تسع وخمسين سنة، لذلك لم تكن تلك الترجمة وافية بكل أبعاد حياته العلميّة.
ونحن ننشر تلك الترجمة هنا باعتبارها صادرة منه رحمه الله، ولم تطبع
لحد الآن، فقال فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أكرمنا بالهدى، وجعلنا من أمة خير الورى، والصلاة على
نبيه المصطفى وآله مصاييح الدجى.

وبعد، فقد سألتني بعض من يجب عليّ إجابة سؤله من السادة العلماء
الأفاضل - جعله الله من أنصار الدين وحماة الشرع المبين - أن أذكر له نبذة من
شؤون حياتي وترجمة أحوالي، حتّى تكون تذكرة باقية وأحدوثة خالدة، فنزلت
على حكمه وإن كنت أرى قصور شأوي وسقوط خطري ما لا أستحقّ سمعه لذلك.
ومن أنا حتّى يُعنى بشأني، ويُبحث عن أحوالي، ويُسأل عن مبدأ أمرى
ومآلى؟

وهل أكون إلّا امرأ قليل البضاعة، ساقط العزيمة، كثير العثار، حلس زاوية،
وعقيد حاجة وافتقار، «ومن يسأل الصعلوك أين مذاهبه».

ولكن حيث سُئلت وجب عليّ الإجابة، ومن الله استمدّ المعونة والتوفيق.
أمّا نسبي، فهو ينتهي بثمان وعشرين واسطة إلى الإمام الهمام عليّ النقي

الهادي سلام الله عليه، وإليك بيانه:

أضعف العباد عليّ نقي ابن ممتاز العلماء الثاني السيّد أبو الحسن دام ظلّه
سيّد العلماء الثاني السيّد محمّد إبراهيم ابن ممتاز العلماء السيّد محمّد نقي سيّد
العلماء السيّد حسين ابن العلامة المجتهد الكبير السيّد دلدار علي بن محمّد معين
ابن عبد الهادي بن إبراهيم بن طالب بن مصطفى بن محمود بن إبراهيم بن جلال
الدين بن زكريا بن جعفر بن تاج الدين بن نصير بن عليم الدين بن علم الدين بن
شرف الدين بن نجم الدين بن عليّ بن أبي علي بن أبي يعلى محمّد بن أبي طالب
حمزة بن محمّد بن الطاهر ابن جعفر ابن الإمام علي النقي الهادي سلام الله عليه.
ولدت يوم السادس والعشرين من رجب الحرام سنة ١٣٢٣ ثلاث وعشرين
بعد ألف وثلاثمائة من الهجرة في بلدة «لكهنؤ»، عاصمة العلم والتشيع في بلاد
الهند.

ولما كنت ابن ثلاث سنين وأشهر سافر بي السيّد والدي دام ظلّه إلى النجف
الأشرف سنة ١٣٢٧، فبقي فيها خمس سنين ملتقطاً فرائد العلم عن أصداف صدور
العلماء الأعلام، ونشأت هناك في جوار باب المدينة (والحمد لله).

فلما بلغت سبع سنين رأى أن يشرع في تعليمي بيوم سعيد، فأتى بي إلى
مشهد أمير المؤمنين سلام الله عليه، وكان العلامة الورع السيّد محمّد علي الشاه
عبد العظيمي وقتئذٍ جالساً على مصلاه يريد صلاة الظهر بالجماعة، فسأله السيّد
والدي أن يبدأ بتعليمي تيمناً بأنفاسه الشريفة، فعلمني بسم الله الرحمن الرحيم،
ونحن اتّجاه الضريح المقدّس والصلاة قائمة بصفوفها وراء السيّد الجليل.

ومنذ ذلك اليوم واظب السيّد بنفسه على تعليمي، فضرب لي وقتاً من
الفراغ، وسلك بي منهجاً كان هو المؤسّس له، فسار بي سيراً حثيثاً قلماً يسير

وقفة مع رسالة التنزيه وآثارها في المجتمع..... ١٤٥

الطالب مثله، حتّى أني في طيّ ستة أشهر فرغت من القرآن المجيد وبعض الكتب الفارسية بكلّ ضبط وإتقان ودخلت في النحو والتصريف.

وكان في كلّ من يومي الخميس والجمعة يلقي عليّ أسئلة في ما قرأته في أيام الإيسوع، مع ما يتعلّق بها من الفروع والأشباه التي يناط تخريجها بقوة الفطنة والذكاء.

فكنت أجيب فيها بما ساعدني عليه الفكر والحافظة، ولربما أقف فيها، فإن كان ممّا يحقّ لمثلي أن يقصر عنه؛ لصعوبة، كان هو دام ظلّه يوقفني عليه.

وإن تراءى له منّي شيء من التفریط والتقصير، فهناك الزجر والتنديد والبأس الشديد، إلى أن أكون أنا المجيب عنه جواباً صحيحاً، فإذا رأيت منه الرضى والإقرار أكتبه تحت سؤاله حتّى يكون تذكرة في ما يأتي، فاجتمع عندي من ذلك كتب مدوّنة.

وقد رأيت لذلك في نفسي أثراً كبيراً من الزيادة في قوة الفطنة، وتشحيد الفكرة، والإتقان في الضبط، والمحافظة والتمرّن على التأليف والتصنيف.

ومن مسلكه الخاصّ في تدريسي أنّه لم يدعني أسمع وهو يقرّر مطلب الكتاب، بل ألزمني أن أقرأ العبارة وأبين معناها ومفادها. والغرض منها حسب ما فهمت في أثناء المطالعة، فإن كان صحيحاً بنظره أمضاه، وإن كان خطأ أمرني بالمراجعته ثانياً، إلى أن أكون أنا المبيّن للمطلب.

نعم، لو كان من المطالب الصعبة المستصعبة التي لا يمكن لمثلي أن يحلّ عقدها بيّنها بنفسه، حتّى أنّه ربّما يمضي الوقت كلّه ويتمّ الدرس وهو لا يتكلّم فيه بكلمة غير الإمضاء أو الأمر بالتأمل والمراجعة.

فبذلك أوجد في نفسي ملكة استخراج المطالب المشكّلة من العبارات

الصعبة بقوة المطالعة، ثم ملكة التقرير وبيان الطلب العلمي على نحو يفهم المخاطب، فكأنه في حين أنه يدرّسني كان يجعلني مستعداً للبحث والتدريس، فهو دام ظلّه بذلك المنهج وهذا حاول أن يجعلني مصنفًا ومدرّسًا في وقت واحد. ولم أزل ملازمًا له غدوة وعشيًا في حين إقامته بالعراق، ومن بعد رجوعه، إلى الهند وهو في صفر سنة ١٣٣٢، حتّى قرأت عليه كلّ ما قرأت من العلوم من النحو والتصريف والمنطق والحكمة والهيئة والفقه والأصول.

ولم يبعثني يوماً إلى أستاذ سواه، حتّى عندما كنت أتعلم حروف الهجاء المفردة، فهو بنفسه الشريفة كان يهتّم بي في كلّ الأدوار وكلّ الفنون.

اللهمّ إلّا الأدب، فإنّه أمرني بالحضور فيه على زميله العلامة المفتي السيّد محمّد علي دام ظلّه ابن العلم الشهير المفتي السيّد محمّد عبّاس آل المحدث السيّد نعمة الله الجزائري رحمه الله، وما كان من قرائتي على بعض الأجلّة من الفقهاء والأعلام بالهند - على ما ستأتي الإشارة إليه - فإنّما كان التزاماً بقانون المدرسة التي توجب على تلاميذها الحضور في مجلس بحثها البتّة.

وكان من آثار ما سلّكه بي من المنهاج، أنني طويت مراحل الدروس السطحيّة، وأخذت الشهادات العالية من كبار مدارس الهند وجلّتها وأنا ابن عشرين سنة.

ولولا ما ظهر في البين من العراقيل التي عطّلتني في خلال ذلك زهاء ثلاث سنين، لكنّك أبلغ الغاية قبل هذا الأوان بمدة طويلة، ولكنّ الأمور مرهونة بأوقاتها، والأشياء تجري على مقاديرها، والأمر لله وحده.

كان السيّد آلي على نفسه أن لا يبعثني إلى أستاذ سواه - على ما ذكرت - لكن دعت مصالحي شتّى من بعد ذلك إلى أن يدخلني في بعض المدارس العلميّة،

وقفة مع رسالة التنزيه وآثارها في المجتمع..... ١٤٧
حتّى أنال منها الشهادات الثمينة.

فدخلت «الجامعة السلطانية» المشتهرة بـ«سلطان المدارس» في «لكهنؤ»، وحضرت على أكبر أساتذها العلامة حجة الإسلام السيّد محمّد باقر قدّس الله سرّه، فسمعت منه شطراً من أصول «الكافي»، وطهارة «الرياض»، و«فرائد» شيخنا الأنصاري رحمه الله.

ودخلت الجامعة النازميّة المسماة «مشارع الشرائع»، فحضرت لدى أستاذها الأكبر العلامة المصلح الشهير السيّد نجم الحسن مؤسس «مدرسة الواعظين» دام ظلّه، وسمعت منه أيضاً شطراً قليلاً من «الرياض» و«الرسائل»، وقرأت لديه أيضاً من كتب الهيئة كتاب «التصريح في شرح التشريح».

وعرضت على مسرح الامتحان في كلّ منهما ثلاث سنين، وأدّيت أيضاً الامتحان في الكليّة العربيّة ببلدة «إله آباد» وفي الكليّة العظمى العربيّة أيضاً في «لكهنؤ»، فكان مجموع ما أدّيت من الامتحانات ثمانية.

وكان من فضل الله عليّ ولطفه أنّي في كلّها نلت قصب السبق وسبقت على شركاء الامتحان، فلقّبت من تلك المدارس حسب قواعدها بألقاب: «سند الأفاضل»، و«صدر الأفاضل»، و«الفاضل»، و«ممتاز الأفاضل»، و«العالم»، و«فاضل الأدب».

وأخذت في التدريس منذ مبادئ أمري، ومن لطف الله سبحانه عليّ إن جعل قلوب الطّلاب تهوي إليّ، حتّى أنّي بعد إتمام الدروس المرسومة في الهند واختصاصي بالتدريس مدّة سنة أو أكثر لربما، باحثت في يوم واحد أكثر من خمسة عشر درساً من فنون متباينة كالمنطق والفقه والأصول والأدب، حتّى أنّ السيّد أبي دام ظلّه خاف عليّ كثرة الاشتغال، فلربما منعني إرشاداً وكان ينهاني

مولوياً.

ولمّا فهمت الدروس السطحية إلى «الرسائل» و«المكاسب» في تلك البلاد، وأدّيت الامتحانات، ساعدني التوفيق الإلهي على المهاجرة إلى النجف الأشرف. فزمت ركاب السفر، وشدّدت رحال الطلب، وخرجت من بلدي مودّعاً للأهل والإخوان، ليلة الأحد الثالث من شعبان سنة ١٣٤٥. ووصلت إلى النجف الأشرف بعد التشرف بزيارة مشاهد الكاظمين والعسكريين سلام الله عليهم، ومشهدي الطّف على صاحبيهما السلام، يوم الثلاثاء السادس والعشرين من الشهر نفسه، وكانت عطلة عامّة في الأبحاث لأجل قرب شهر رمضان، فبقيت.

وفي شهر رمضان ألّفت رسالتي «كشف النقاب عن عقائد ابن عبد الوهاب» وقد جعلها الله سبحانه مرضيّة عند الناس جميعاً، وسبباً لمعرفة الناس وحسن ظنهم بي.

ومن التاسع من شهر شوال أخذت في تحصيل العلم بسعي متواصل وجهد مستمر إلى اليوم، والحمد لله.

فقرأت الدروس السطحية في «الرسائل» و«المكاسب» و«الكفاية» على أستاذي العلامة عمدة العلماء المحققين حجة الإسلام والمسلمين الميرزا أبو الحسن المشكيني النجفي دام ظلّه صاحب «الحاشية على الكفاية»، وحضرت لديه أيضاً في خارج بحثه بكتاب الصلاة.

وحضرت في خارج الأصول بحث آية الله العظمى إمام المحققين شيخنا الأعظم الميرزا محمد حسين النائيني متّع الله المسلمين بطول بقائه.

ومن حسن الاتفاق أن صادف أوّل حضوري لديه شروع دورته في مباحث الألفاظ، فقد أدركت دورته الأصوليّة هذه من أولها إلى الحال على

وقفه مع رسالة التنزيه وآثارها في المجتمع..... ١٤٩

الاستمرار، إلا نادراً في بعض الليالي إذا صادفني ما نزع سفر ونحوه.

وحضرت في مباحث الألفاظ وشطر من الأدلة العقلية ونبذة من كتاب الطهارة مجلس بحث رئيس الشيعة والمرجع في أحكام الشريعة آية الله في العالمين السيّد أبو الحسن الأصفهاني دام ظلّه، وقليلاً من بحث الفقه والأصول لحضرة مقدّم المحقّقين وواحد الأساطين الشيخ ضياء الدين العراقي أدام الله أيام إفاضاته.

اللّهم هؤلاء مشايخي فأجزهم عني خير جزاء المحسنين وآتهم الحسنى في الدنيا والدين.

أمّا ما برز منّي من المؤلّفات، فمنها ما كتبتّه وأنا بالهند، ومنها ما كتبتّه بعد تشرّفي بالنجف الأشرف.

إمّا القسم الأوّل فمنه:

«رسالة البيت المعمور في عمارة القبور»^(١)، ردّاً على الوهابيّين.

«روح الأدب في شرح لامية العرب»^(٢).

«فرياد مسلمانان عالم»، مجموعة مناشير ومقالات ضافية والاستغاثة بالعالم الإسلامي.

وهذه الثلاث مطبوعات وهي بلغة «أردو» اللغة الإسلاميّة بالهند.

«تذكرة السلف»، وهو كتاب في ترجمة جدّي الأكبر العلامة المؤسّس

السيّد دلدار علي قدّس سرّه، نشر كثير منها في بعض صحف الهند.

(١) الذريعة ٣: ١٨٥ / ٦٦١.

(٢) الذريعة ١١: ٢٦١ / ١٥٩٤.

١٥٠.....رسائل الشعائر الحسينية / ج ١

«أوراق الذهب في استدراك مافات وذهب عن صاحب أوراق الذهب»،
في ترجمة جدنا العلامة الوحيد سيّد العلماء السيّد حسين قدّس سرّه، بالعربية.

«رسالة في حكم انتقاض التيمّم بدلاً عن الغسل بالحدث الأصغر».

«تواريخ الأعلام»، وهي مجموعة لطيفة في تواريخ ولادات أو وفيات
العلماء الأعلام والأفاضل الكرام.

هذه عدا ما أشرنا إليه من كتب دراسية في النحو والتصريف، جمعناها من
الأسئلة والأجوبة عند اشتغالنا بقراءة المبادئ العربية.

وأما القسم الثاني فمنه:

«كشف النقاب عن عقائد ابن عبد الوهاب»^(١)، وهو أوّل ما ألفتّه في النجف
الأشرف، وقد تقدّم ذكره، طبع في المطبعة الحيدريّة بالنجف الأشرف.

«السيف الماضي على عقائد الإباضي»^(٢)، في زهاء ٣٥٠ صحيفة.

«شنف النضير في مسألة التصوير».

«تراجم مشاهير علماء الهند».

«الردود القرآنية على الكتب المسيحية»، في الردّ على النصاري.

«إقالة العائر في إقامة الشعائر»^(٣)، ردّاً على رسالة «التنزيه» السورية،
طبعت بالنجف.

«مطارحة علميّة»، وهي ما جرى من المراسلات بيني وبين أحد الفقهاء

(١) الذريعة ١٨: ٧٠١/٦٥.

(٢) الذريعة ١٢: ٢٨٨ / ١٩٣٨.

(٣) الذريعة ٢: ٢٦٣ / ١٠٧٢.

وقفة مع رسالة التنزيه وآثارها في المجتمع..... ١٥١

والأعلام حول مواضيع رسالتي «إقالة العاثر».

«رسالة في الاجتهاد والتقليد» من تقارير بحث آية الله السيّد الأصفهاني دام ظلّه.

«مباحث الألفاظ»، من تقارير بحث آية الله شيخنا الأعظم النائيني دام ظلّه، مجلّد تام.

«مباحث الأدلّة العقلية»، من تقاريره دام ظلّه، برز منها جزء إلى أواخر البراءة.

«مجموع ديوان البقيعيّات»، جمعت فيه ما قيل في فاجعة البقيع من المنظوم والمنثور.

«نظرات على كتاب السفور والحجاب»، للآتسة نظيرة زين الدين السورّيّة.
«تاريخ وفيات الشيعة»^(١)، برز منها زهاء مجلّدين، ونشر منها شيء كثير في مجلّة «الهدى» الإسلاميّة بالعمارة.

«تقارير بحث الصلاة»، لآية الله الأصفهاني.

«أقرب المجازات إلى مشايخ الإجازات»، برز منه مجلّد ضخّم يزيد على ٣٠٠ صفحة، لم يتمّ.

«أصول الدين والقرآن»^(٢)، رسالة بلغة «أردو» الهنديّة.

«نظرات بحّانة في الأخبار الثلاثة» كتبها ردّاً على السيّد رشيد رضا المصري صاحب مجلّة «المناار» في إنكاره لقوله ﷺ: «أنا مدينة العلم وعليّ

(١) الذريعة ٣: ٢٩٤ - ٢٩٥ / ١٠٩٠.

(٢) الذريعة ٢: ١٩٦ / ٧٤٩.

بابها»، وقوله عليه السلام: «أقضاكم علي»، وقول الخليفة الثاني: لولا علي لهلك عمر.

«الشعائر الحسينية في العراق».

«بغية المرتاد في شرح نجاة العباد» لم يتم.

«لمحات على كتاب الفتاة والشيخ»، للآسة نظيرة زين الدين السورية.

«رشحات القلم»، وهي مجموع مقالات دينية نشرت مني في الصحف

والمجلات الهندية.

«الظلّ الظليل في المكاتيب والمراسيل»، وهو مجموع ما دار بيني وبين

جملة من الأعلام من المكاتيب العربية متضمنة لنكات من البلاغة والأدب.

«حاشية الأدلة العقلية من الكفاية»، وفيها فوائد استفدتها من بحث شيخنا

العلامة المشكيني دام علاه.

«تعليقات على المكاسب»، كذلك.

إلى غير ذلك من حواشي غير مدونة، ومقالات ضافية منشورة،

وملاحظات انتقادية على الكتب التي طالعها مما لا يسعني الآن بيانه^(١).

(١) أضاف الشيخ الطهراني إلى مؤلفاته:

«الحجج والبيّنات في ما ظهر من المشاهد المشرفة بالعراق من الكرامات في سنة ١٣٥٠هـ،

طبع في لکهنو. الذريعة ٦: ٢٦٣ / ١٤٤٠.

«الفرقان في تفسير القرآن»، طبع مجزأً شهرياً في مجلة الرضوان، ابتداءً من شهر ذي

الحجة سنة ١٣٥٣هـ. الذريعة ١٦: ١٧٤ - ١٧٥ / ٥٢٩.

«الفجعة في الرجعة»، طبع في مجلة الرضوان سنة ١٣٥٤هـ. الذريعة ٢٤ / ٦٨ / ٣٤١.

وأضاف الأخ الكريم المحقق السيد محمد رضا الجلاي حفظه الله ورعاه في «ثبته»: ٨٢،

وقفة مع رسالة التنزيه وآثارها في المجتمع..... ١٥٣

وإني أعترف بالتقصير، وأسأل الله سبحانه أن يوفّقني للعلم والعمل، والقيام
بواجب الدين من نشر آثار سيّد المرسلين وآله المعصومين، إنّه أرحم الراحمين.

وأما مشايخي في الرواية فهم كثير من أعلام الطائفة كآيات والحجج
والأعلام: الميرزا محمّد حسين النائيني، والميرزا علي آقا الشيرازي، والسيد
حسن الصدر، والشيخ عبد الله المامقاني، والشيخ محمّد باقر البيرجندي، وآقا
رضا الأصفهاني النجفي، والشيخ مرتضى آل كاشف الغطاء طاب ثراه، والسيد نجم
الحسن اللكهنوي، وسيدنا الوالد العلامة، والشيخ محمّد كاظم الشيرازي، والسيد
ميرزا هادي الخراساني، والميرزا محمّد الطهراني، والشيخ محسن - المعروف
بآقا بزرگ الطهراني - نزيلي سامراء، والحاج الشيخ عبّاس القمي، وغيرهم ممّن
ذكرت تراجمهم وأسانيدهم بأجمعها في كتاب «أقرب المجازات».

هذا ما أردت بيانه في هذا المختصر، قضاءً للوטר وابقاءً للأثر، أسأل الله
سبحانه أن يجعل عاقبة أمري خيراً، ويرزقني الحسنی في الدين والدنيا، إنّه
بالإجابة جدير، وهو على كلّ شيء قدير.

كتبه في غاية الاستعجال وتوزّع البال، يوم الأربعاء الثاني عشر من ذي
القعدة سنة ١٣٤٩، في بقعة النجف الطيبة الزكية على مشرفها ألف سلام وتحيّة. وأنا
الأقل علي نقی النقوي عفي عنه.

وقد تمّ استنساخه يوم الخميس ١٤ شهر ربيع الأوّل سنة ١٣٥٠، على يد أقل
الخلیقة، بل لا شيء في الحقيقة، محمّد صادق بن الحسن آل بحر العلوم

❦ لمؤلفات المصنّف:

«لزوم المسح على الرجلين في الوضوء»، في الفقه المقارن.

«البيان في تفسير القرآن»، طبع بعضه في الهند.

الطباطبائي الحسني، عفى الله عن جرائمه بالنبي وآله الكرام عليهم السلام
سنة ١٣٥٠ هجرية.

المؤلف:

نسلط الضوء عليه في عدة نقاط:

الأولى: كتب المؤلف هذه الرسالة ردّاً على رسالة «التنزيه لأعمال الشبيه»،
التي ألفها السيّد محسن الأمين (ت ١٣٧١هـ)، إذ ينقل عبارات منها ويبدأ بردها،
وفي عدة موارد يذكر نصوصها دون نسبتها إليها.

الثانية: ينقل عدة عبارات من رسالة «كشف التمويه عن رسالة التنزيه»،
التي ألفها الشيخ محمد الكنجي دفاعاً عن السيّد الأمين ورسائله «التنزيه»، ممّا
يدلّ على أنّ هذه الرسالة طبعت بعد تلك الرسالة.

الثالثة: ينقل عبارة للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء (ت ١٣٧٣هـ) في
رسائله «المواكب الحسينية» في معرض كلامه على شجّ الرؤوس بقوله: «بلغنا من
العمر ما يناهز السّتين وفي كلّ سنة نصب أعيننا تلك المحاشد الدمويّة، وما رأينا
شخصاً مات بها أو تضرّر، ولا سمعنا به في الغابرين».

الرابعة: يشير إلى رسالة «كلمة حول التذكار الحسيني» للشيخ محمد جواد
الحجّامي (ت ١٣٧٦هـ)، التي جمع فيها نصوص فتاوى بعض العلماء في جواز هذه
الشعائر.

الخامسة: يذكر أنّ له كتاباً في الردّ على الوهابيّة.

السادسة: ذكر في آخرها أنّه انتهى من تأليفها في اليوم الثاني من شهر
رمضان سنة ١٣٤٧هـ، وأخرجها إلى البياض مع بعض الزيادات في شهر محرّم
سنة ١٣٤٨هـ. إلّا أن الموجود في الصفحة الأولى من الطبعة الأولى المتوفّرة لدينا

وقفه مع رسالة التنزيه وآثارها في المجتمع..... ١٥٥

أنها طبعت سنة ١٣٤٧هـ.

السابعة: النسخة التي اعتمدنا عليها في التصحيح هي الطبعة الأولى، كتب في الصفحة الأولى منها: رسالة إقالة العائر في إقامة الشعائر، نظريات شريفة حول مواضيع رسالة التنزيه في أعمال الشبيه السورية، للعلامة الثقة البارع السيد علي نقوي النقوي اللكهنوي دام ظلّه، طبعت على نفقة بعض أهل الخير من التجّار زادهم الله شرفاً، طبع بالمطبعة الحيدريّة في النجف الأشرف سنة ١٣٤٧هـ.

الثامنة: في آخر الطبعة الأولى من هذه الرسالة، طبع ملحق يبيّن فيه أسماء الأعلام الذين أيّدوا إقامة الشعائر الحسينيّة، وكذلك طبعت عبارة تشكّك في إصدار فتوى من قبل المرجع الديني السيّد أبو الحسن الأصفهاني يعارض فيها بعض الشعائر الحسينيّة.

(١٨) قطعة من إرشاد الأمة للتمسك بالأئمة للشيخ عبد المهدي المظفر

المؤلف:

عبد المهدي ابن الشيخ إبراهيم ابن الشيخ نعمة بن جعفر بن عبد الله بن عبد الحسين المظفر.

ولد سنة ١٢٩٦ هـ وقرأ المقدمات على لفيف من المدرسين، وحضر خارج الفقه والأصول على آية الله السيد محمد كاظم اليزدي، وشيخ الشريعة الأصفهاني، والشيخ علي الجواهري، وعمدة تتلمذه على الأخير، فقد لازمه وحضر بحثه سنين طوال، حتى برع وحظي بمكانة عند أساتذته وعلماء وقته وفضلائه، لغزارة فضله وسعة اطلاعه.

يقول عنه معاصره الشيخ جعفر محبوب (ت ١٣٧٧ هـ): «هذا الشيخ من أهل الفضل، ومن المبرزين في الكمال والأدب، قام في البصرة مقام والده للهداية والإرشاد، فحمدت سيرته وفشى معروفه، وطار ذكره، وملأ صيته الأصقاع والبقاع.

نصب نفسه لقضاء حوائج المؤمنين، فكان ملجأ للعاني والعافي والرائح والغادي، فكانت داره مأوى الضيوف ومقرراً للوفاد، وله في كل جيد مكرمة من

وقفة مع رسالة التنزيه وآثارها في المجتمع..... ١٥٧
مكارمه الكثيرة التي لا تُعدّ ولا تحصى، فهو من حسنات الدهر ونوادر العصر، لم
تحصى مناقبه، ولم تحصر مآثره.

عاش في العُشّار محترم الجانب، مرعي الحرمة، يقدره سائر الطبقات؛ لما
انفرد به من غرّ الخصال، وهي حسن الخلق ولين العريكة، ولم يحمل في قلبه غلاً
لأحد. لم يعرف له عدو، وكلّ يستقبله بوجه متهلل وثرغ باسم، كان وجود بماله
وجاهه.

يمتاز هذا الشيخ بكثرة الحافظة وسعة الاطلاع، يحفظ الكثير من السير
والتاريخ والنكات والشعر والشواهد المستحسنة، وإذا حلّ في نادي كان له
الصدر، وهو بلبله الغرّيد، ويضمّ الى تقواه وصلاحه نبلة وحسن خلقه وخفة طبعه،
من عاشره لا يملّ عشرته ولا يستطيع مفارقتها^(١).

وقال عنه معاصره الآخر الشيخ الطهراني (ت ١٣٨٩هـ): «وكان بالإضافة
إلى براعته في الفقه وأصوله ملماً بالسير والتاريخ، راوية لطريق الحوادث
والأخبار، حافظاً لغرر الشعر من القديم والحديث، مستحضرًا للنكات المستملحة
والنوادر المحتشمة.

وكان بشوش الوجه حسن الأخلاق، كثير التواضع، طيب القلب، لين
العريكة، ورعاً تقياً محبوباً عند عارفه.

وقد كانت بيننا وبينه صلة وثيقة وعلاقة متينة، وكان يأنس بنا ونأنس به،
حتّى خرج من النجف للقيام مقام أبيه رحمه الله.

هبط البصرة فكان مرجع أهلها في القضاء والإمامة وأخذ الأحكام، وأحلّه

(١) ماضي النجف وحاضرها ٣: ٣٦٦.

ورعه وخلقه محلاً مرموقاً بين الناس، وطار صيته في تلك الأطراف، فاجتمعت القلوب على حبه، والناس على تكريمه وتعظيمه، وامتدت زعامته ووجاهته، فكان ملجأ العفاة، وسند المحتاجين، وكهفاً وملاذاً للمؤمنين، وصارت داره كعبة الوافدين ومأوى الضيوف، يستقبل الكلّ بثغر باسم، ويطوّق رقابهم بمعروفه والمكارم، ولا يبخل على أحد بمال أو جاه، وكانت له كلمة مسموعة ونفوذ واسع. وقد وفقه الله لخدمة الناس وقضاء الحوائج، فهو صاحب فضل على الكثيرين.

توفي في العشار ٢١ ذي القعدة سنة ١٣٦٣هـ، فجرى له تشيع قليل النظير، فقد نقل في قطار خاص إلى كربلاء، وكلّما مرّ بمدينة أو توقّف فيها خرج أهلها لاستقباله بمظاهر الحزن، وعطلت له أسواق كربلاء، واستقبلت النجف جثمانه في اليوم الثاني من وفاته بتبجيل لم يتفق لكثير من المراجع، ودفن مع والده في مقبرته بمحلة المشراق، وأقيمت له فواتح عديدة في النجف وأكثر المدن العراقية، ورثاه غير واحد من الشعراء، وأرخ وفاته جماعة منهم الشيخ علي البازي قال:

لقد نكب الإسلام أية نكبة بفقد زعيم منه عزّ نظيره
يومٍ به مهدّيها الندب قد قضى وأرخته «المهدي فيه غيب نوره»^(١)

المؤلف:

ونسلط الضوء عليه في عدة نقاط:

الأولى: يقع هذا الكتاب في ١٤٣ صفحة، إلا أن أكثره ليس له علاقة بالشعائر الحسينية، ولا برسالة «التنزيه»، وإنما تعرّض المؤلف فيه لمواضيع

(١) طبقات أعلام الشيعة (نقباء البشر في القرن الرابع عشر) ٣: ١٢٤٠.

وقفه مع رسالة التنزيه وآثارها في المجتمع..... ١٥٩

مختلفة مثل: الإمامة ووجوبها، واختصاص الخلافة بأمر المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وذكر الأدلة على ذلك من: حديث الغدير، والولاية، والمنزلة، والثقلين، والوصية، والموأخاة، والطائر المشوي، وغيرها.

ثم تعرّض للردّ على كلام ابن خلدون في الإمامة، وكذلك ابن أبي الحديد المعتزلي في شرحه للنهج.

وبيّن مظلومية أهل البيت عليهم السلام، ابتداءً بعميد البيت العلوي الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ولما وصل إلى مظلومية الإمام الحسين عليه السلام تعرّض لمسألة إقامة الشعائر الحسينية، واستحباب البكاء والطم وإظهار الحزن والجزع عليه.

الثانية: يبدأ المصنّف ابتداءً من الصفحة ١١٩ من هذا الكتاب بذكر الشعائر الحسينية تحت عنوان «خاتمة: في فاجعة الطفّ والمظاهر الحسينية»، فيتعرّض لاستحبابها وسيرة علماء الشيعة على ذلك.

ثم يبدأ بالردّ على رسالة «التنزيه» للسيد الأمين، فيعقد باباً خاصاً بعنوان «السيد محسن الأمين ورسالاته التنزيه لأعمال الشبيه»، فيورد عدّة عبارات منها ويبدأ بالردّ عليها.

الثالثة: يصفّ المصنّف السيد الأمين أثناء الردّ عليه بقوله: «وها أنا أذكر لك بعض من أوقعته الغفلة في الورطة، وقذفته البساطة والاستبداد في الرأي في الهوة، فمنهم السيد الأجل المحسن الأمين العاملي في رسالاته الموسومة بـ«التنزيه لأعمال الشبيه».

وهذا السيد قد كنّا نسمع عنه أنّه من أهل المآثر الحسان، وذوي المكانة السامية في العلم، لكن لما أطلعنا على هذه الرسالة وقعنا في حيرة الشكّ؛ لما اشتملت عليه من التهجمات على الشيعة، والتهويلات الفارغة على مظاهر

الشرعية، والاستدلال على مقصوده بما لا يليق أن ينسب إلى مثله.

وليته اكتفى بذلك وكفّ عن صاحب الشريعة وأهل بيته المعصومين عليهم السلام، ولم ينسب إليهم عدم العصمة عن فعل المحرّمات جهلاً بمواقعها، أو لسلب الاختيار منهم عند وقوعها.

الرابعة: يذكر صدور بعض الرسائل للردّ على «التنزيه» دون أن يذكر أسماءها أو أسماء مؤلفيها، إذ يقول: «وإني لا أريد الردّ عليه في مقاصده، وإثبات رجحان تلك المظاهر الشريفة أو وجوبها الكفائي، لكفاية ما كتبه للردّ عليه جملة من إخواننا الأفاضل، لكن أعرّض لبعض ما كتبه؛ استغراباً له وإن كان كلّ ما فيها غريباً».

علماً بأنّ ولد المصنّف الشيخ حسن (ت ١٣٨٨هـ)، كتب أيضاً رسالة مفصلة في الشعائر الحسينية، ردّ فيها على ما كتبه السيّد محمّد مهدي الموسوي القزويني (ت ١٣٥٨هـ)، في جريدة الأوقات العراقية، وكذلك ما كتبه في رسالة «صولة الحقّ على جولة الباطل» ينتقد فيهما بعض الشعائر الحسينية، وقد طبعت تلك الرسالة سنة ١٣٤٥هـ، وطبعت هنا ضمن هذه المجموعة أيضاً، أي أنّ الأب ردّ على السيّد الأمين في رسالته «التنزيه»، والابن ردّ على السيّد القزويني في رسالته «الصولة».

الخامسة: يشير إلى رسالة «كشف التمويه عن رسالة التنزيه» للشيخ محمّد الكنجي التي طبعت في المطبعة العلوية في النجف الأشرف سنة ١٣٤٧هـ، والتي دافعت عن السيّد الأمين ورسالته «التنزيه»، إذ قال: «وقد بلغني عن رسالة هي بنت جماعة كتبت حديثاً انتصاراً للسيّد الأمين، أيّدوا بها منع دفن زين العابدين عليه السلام لأبيه عليه السلام، بدعوى أنّه مخالف لمقدورات البشر».

السادسة: يذكر رسالة «صولة الحقّ على جولة الباطل» للسيّد القزويني بقوله: «وأنّ حضرة السيّد لم يكن منفرداً بالتهجّم على الشيعة والمظاهر المقدّسة،

وقفة مع رسالة التنزيه وآثارها في المجتمع..... ١٦١

بل. هناك من هو أعظم منه، وهو صاحب «الصولة»، التي أنكرها كل من يهتبه أمر أهل البيت الطاهر عليهم السلام».

إلا أنه لم يرد على هذه الرسالة «الصولة»، بل بدأ بالرد على كتابين آخرين لنفس المؤلف هما: «خصائص الشيعة» و«ضربات المحدثين»، إذ نقل عباراته ورد عليها.

ثم أفرد باباً خاصاً للرد على السيد محمد مهدي الموسوي القزويني بعنوان: «صاحب الصولة وتهوره في الفتيا»، فذكر عدة أمور استشكل فيها عليه منها: افتاؤه بوجوب تغسيل الميت بماء السدر على وجه يكون السدر مخرّجاً له عن الإطلاق.

ومنها: تحريمه أكل الدجاج الموضوع بالماء الحار قبل خروج أمعائه.

ومنها: إيجابه الكفارة على من أدمى صدره في عزاء الإمام الحسين عليه السلام.

ومنها: تحريمه المعاملة مع البنوك.

ومنها: ما صدر بينه وبين الشيخ حبيب قرين.

ومنها: طعنه بنسب السادة آل البعاج.

السابعة: في آخر هذا الكتاب تقرّظ للعلامة الأديب الشاعر الشيخ محمد علي الأردوبادي (ت ١٣٨٠هـ)، يقع في ستة أبيات.

الثامنة: النسخة التي اعتمدنا عليها في التصحيح هي الطبعة الأولى لها، كتب في الصفحة الأولى منها: «كتاب إرشاد الأمة للتمسك بالأئمة، لمؤلفه العلامة البارعة ثقة الإسلام حضرة الشيخ عبد المهدي المظفر دام تأييده، حقوق الطبعة محفوظة للمؤلف، طبع في المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف سنة ١٣٤٨هـ»^(١).

(١٩) رسالة في الشعائر الحسينية

للسيد محمد هادي البجستاني

المؤلف:

ترجمه سبطه الأخ الكريم المحقق الفاضل سماحة السيد محمد رضا الحسيني حفظه الله ورعاه في كتابه «ثبت الأسانيد العوالي»: ٤٢ قائلاً:
«السيد محمد هادي - ويدعى علي نقي - بن علي بن محمد البجستاني الخراساني الحائري».

ولد في كربلاء، وتوفي بها، وهاجر إلى النجف وأخذ من أعلامها السيد اليزدي صاحب العروة والشيخ الخراساني صاحب الكفاية، وشيخ الشريعة الأصفهاني.

ثم هاجر إلى سامراء واختص بالميرزا محمد تقي الشيرازي الحائري ولازمه وأجيز منه، ثم هاجر معه إلى كربلاء مشاركاً في حركته الجهادية ضد المستعمرين الإنجليز في ثورة العشرين، وأرجع إليه الميرزا في الاحتياطات اللازمة، وترغم التدريس في كربلاء، فكان علمها البارز.

واشتغل بالتأليف والتصنيف، واشتهر بالتحقيق والتدقيق وسعة العلم

وقفة مع رسالة التنزيه وآثارها في المجتمع..... ١٦٣
وللمعرفة، خصوصاً في مجال المناظرة والجدل، وهو من المشاركين في العلوم،
والمكثرين في التأليف، وقد بلغت مؤلفاته (١٣٠) كتاباً ورسالة، منها:

أحسن الجدل مع أحمد بن حنبل، ناقداً ما أثبتته في مسنده.

وله: «أُسْنَةُ السُّنَّةِ السُّنِّيَّةِ فِي قَطْعِ أَلْسِنَةِ السُّنِّيَّةِ» معجمٌ فقهي مقارن واسع،
أثبت فيه أحكام الفقه الشيعيِّ بأحاديث العامة، وناقش الفقه السنيَّ من خلال
مصادرهم وأدلتهم، وهو عملٌ عملاق يقع في سبعة مجلدات ضخامٍ.
وله: دعوة الحقِّ إلى أئمة الخلق، في الردِّ على الفرقة الوهابية.

وله: مرقاة الثقات في تمييز المشتركات.

وهو جدِّي أبو والدتي، وقد تَرَجَمْتُ له مفصَّلاً في كتاب «آية الله
الخراساني سيرته بقلمه وأقلام الآخرين».

وله ثَبَّتُ اسمه «الصُّحُفُ الْمُطَهَّرَةُ» سَمَاءَ أَوَّلًا بـ«الْعَلَّيْنِ» يحتوي على
فصلين: أورد في فصله الأوَّل: فضل العلم وتدوينه، وفي فصله الثاني: نُصوص
الإجازات الصادرة إليه من مشايخه، وختمه بذكر مؤلفاته، وقد بدأتُ بإخراجه
وتحقيقه بعون الله.

يروي عن شيخ الشريعة الأصفهاني، والسيد حسن الصدر، وعن الشيخ آقا
بزرگ الطهراني بالمديحة.

ويروي عن الراوي إبراهيم بن محمّد البغدادي الشافعي الرفاعي، من
علماء العامة، وهو الذي قال في حقّه: «أشهد أنّه أعلم بالمذاهب الأربعة من
أئمّتها».

وعنه آقا بزرگ الطهراني، والسيد محمّد صادق بحر العلوم، والسيد علي
نقي اللكهنوي، والسيد شهاب الدين المرعشي النجفي.

وأنا الجلالى أروي عن هؤلاء كلهم عنه».

وفى «المسلسلات فى الإجازات» ٢: ٤٠٨ - ٤١٢ جمع السيّد محمود المرعى، قال: «ولد فى كربلاء سنة ١٢٩٧هـ، تتلمذ على السيّد محمّد كاظم الطباطبائى اليزدى، والمولى محمّد كاظم الآخوند الخراسانى، وشيخ الشريعة الأصفهانى.

وفى سنة ١٣٢٠هـ انتقل إلى سامراء وحضر أبحاث الميرزا محمّد تقى الشيرازى، جمع بين المعقول والمنقول، والأدب والحكمة والكلام، كما كانت له اليد الطولى فى الرياضيات والطبيعيّات.

وأصبح فى السنوات الأخيرة من عمره من زعماء كربلاء، ورجع إليه جماعة فى التقليد.

كان متّصفاً بالزهد والتقوى وطول التهجد، كما أنّ داره كانت محفلاً لأهل العلم وطلاب الحقيقة، وكان شاعراً بالعربيّة والفارسيّة، له ديوان «دعوة دار السلام»، وله مؤلّفات كثيرة منها «رسالة فى الشعائر الحسينيّة» طبعت بمطبعة النجاح ببغداد سنة ١٣٤٨هـ.

توفى فى كربلاء ١١ ربيع الأول سنة ١٣٦٨هـ، ودفن فى الصحن الحسينى».

المؤلّف:

نسلطّ الضوء عليه فى عدّة نقاط:

الأولى: ذكر المصنّف سبب تأليفه لهذه الرسالة، وهو منام رأى فيه الإمام زين العابدين عليه السلام، إذ قال فى آخرها: «وسمعت جدّى الإمام زين العابدين عليه السلام يقول لي بلا واسطة راو - وإن كان فى المنام - ما معناه: أخبروا المؤمنين بمصائبنا

وقفه مع رسالة التنزيه وآثارها في المجتمع..... ١٦٥

حتّى يبكو افتجب لهم الجنة.

فقلت له: سيدي قل: حتّى تجب لك الجنة.

فقال: حتّى تجب لك أيضاً الجنة.

وكان ذلك بين النوم واليقظة، ولأمره عليه السلام نشرت هذا البلاغ المبين، والحمد لله ربّ العالمين».

الثانية: لم يذكر المصنّف السيّد الأمين ولا رسالته «التنزيه»، ولا السيّد الموسوي القزويني ورسالته «الصولة»، بل ردّ عليهما وعلى الذين يشكلون على بعض الشعائر الحسينيّة دون ذكر أسمائهم.

الثالثة: وصف في أوّل رسالته المستشكلين على بعض الشعائر الحسينيّة بقوله: «ولا أرى أخفّ كلم ولا أدقّ قلم على خلاف شيء من هذه الدعوة الإسلاميّة والتظاهر الديني، إلّا نفثة من السموم الأمويّة، ونزعة مروانيّة، شوشت بعض الآراء الراكدة والأوهام والجامدة».

الرابعة: هذه الرسالة في الواقع عبارة عن منشور صغير عبّر عنه كاتبه بـ«البلاغ المبين»، وأوضح رأيه في الشعائر الحسينيّة، وبَيّن فيه كون البكاء والإبكاء والمواكب والتشاييه من أفضل القربات الإلهيّة، والوسائل المطلوبة إلى الفوز العظيم، والمثوبة الخالدة في العاجلة والآجلة.

ثمّ ردّ الاستدلال بقاعدتي «حرمة اللهو» و«لا ضرر» على منع بعض الشعائر، وحثّ على تجديد العهد في كلّ عام بهذه الشعائر الحسينيّة.

الخامس: الظاهر أنّ المصنّف لم يضع لها اسماً معيّناً، ففي النسخة المطبوعة التي وقفنا عليها كتب: «هذه رسالة شريفة ومقالة منيفة في جواز التشاييه وضرب

١٦٦.....رسائل الشعائر الحسينية / ج ١

القامات والطبول في عزاء سيّد الشهداء (عليه السلام) وهذا العنوان لا ينطبق على محتوى هذه الرسالة، والظاهر أنّه من وضع الذي قام بطبعتها.

وفي «المسلسلات في الإجازات» ٢: ٤٠٨ سمّاها «رسالة في الشعائر الحسينية».

السادسة: ألفها في التاسع من شهر صفر، كما هو مثبت في آخرها، وطبعت في مطبعة النجاح في بغداد سنة ١٣٤٨ هـ، كما هو مثبت في الصفحة الأولى منها.

السابعة: ترجمها إلى الفارسية الربّاني الخلخالي بأمر أستاذه السيّد مهدي الحسيني اللاجوردي، وطبعت الترجمة مع الأصل العربي.

الثامنة: اعتمدنا في تصحيحنا لها على الطبعة الأولى لها، والتي كتب في أولها: «هذه رسالة شريفة ومقالة منيفة في جواز التشابه وضرب القامات والطبول في عزاء سيّد الشهداء (عليه السلام)، بقلم حضرة آية الله في العالمين فقيه الشيعة السيّد ميرزا هادي الخراساني الحائري دام ظلّه، سنة ١٣٤٨ هـ - مطبعة النجاح - بغداد».

(٢٠) ثورة التنزيه

لمحمد القاسم الحسيني النجفي

هذه ثالث رسالة عثرت عليها مؤيدة لآراء السيّد محسن الأمين في رسالته «التنزيه»، طبعت سنة ١٩٩٦م في بيروت «دار الجديد»، ولم أتعرف على مؤلفها - أو الذي أعدها - محمد القاسم الحسيني النجفي.

علماً بأن أكثر أبحاث هذه الرسالة ليس له علاقة بمتن «التنزيه»، بل هي تتحدث كثيراً عن مؤلفها السيّد الأمين وما ورد في مدحه والثناء عليه.

ذكر مؤلفها - محمد القاسم - أولاً الحركات الإصلاحية عند الشيعة، خصوصاً حركة ابن إدريس الحلّي وابن زهرة والسيّد هبة الدين الشهرستاني، ثم وصف حركة السيّد الأمين الإصلاحية بـ«الحركة الإصلاحية العالمية الكبرى»، وأشار إلى مبدئها وتطورها، ومن وقف معها من العلماء والمثقفين والصحفيين والشعراء بشكل مختصر.

ثم أورد النصّ الكامل لهذه الرسالة، معتمداً الطبعة الثانية المحرّفة لها، لذلك نحن لم نورد هذا النصّ هنا، اكتفاءً ممّا بالنصّ الكامل الصحيح الذي طبعناه ضمن هذه المجموعة.

ثم أفرد بحثاً بعنوان «مواقف من الرسالة» ذكر فيه مقالات بعض الصحف،

وبعض الآيات الشعرية المتعلقة بهذا الموضوع.

وختم رسالته بفصل «آراء في السيد محسن الأمين» أورد فيه ما قاله بعض المؤيدين له مثل: الأستاذ جعفر الخليلي، والدكتور حكمت هاشم، والدكتور محمد سعيد الرحيل، والدكتور وجيه بيضون، ومقالة لمجلة العرفان.

ونحن إنما قمنا بإيراد هذه الرسالة في آخر هذه المجموعة، وفاءً بعهدها بإيراد كل ما يتعلق برسالة التنزيه من رسائل مؤيدة ومعارضة لها، على الرغم من أن كل ما ورد فيها لا يمثل رأينا، وقد وضعنا متن الرسالة وهامشها كما وجدناه في طبعها الأولى ولم نجر عليه أيّ تغيير.

ختاماً:

أحمد الله وأشكره أن وفقني لجمع هذه الرسائل وتحقيقها والتعليق عليها، وأقدم شكري وتقديري لكل من ساعدني في العثور على نسخ هذه المجموعة وتصحيحها، والحمد لله أولاً وآخراً.

محمد الحسون

الأول من شهر رمضان ١٤٣١ هـ

البريد الإلكتروني: muhammad@aqaed.com

الصفحة على الإنترنت: www.aqaed.com/Muhammad

(٢)

جريدة الأوقات العراقية

العدد ١٦٦١ الصادر في البصرة
في الأوّل من شهر محرّم سنة ١٣٤٥ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

بما أننا لم نعثر على هذه الجريدة، حتّى ننقل نصّ المقال الوارد فيها، الصادر في الأوّل من شهر محرم سنة ١٣٤٥هـ، في عددها ١٦٦١، لذلك نقلنا هنا ما عثرنا عليه من بعض فقراتها التي أوردها الشيخ محمد جواد الحجّامي (ت ١٣٧٦هـ) في رسالته «كلمة حول التذكّار الحسيني» (المطبوعة ضمن هذه المجموعة)، وهي أربع عبارات فقط، آملين مستقبلاً أن يوفّقنا الباري عزّ وجلّ للوقوف عليها.

العبارة الأولى

قال الشيخ محمد جواد الحّجّامي: قالت الجريدة - ولا أنقل إلا عنها، ولا أنتقد إلا عليها، حيث لا يهمني من قال، وإنما يهمني المقال - بعد أن ذكرت اعتياد الجعفرين في هذه الأيام - أي في العشرة الأولى من محرّم الحرام - على إقامة المآتم والتعازي، وتنظيم المواكب المخترقة للشوارع، حاملة للأعلام والمشاعل ليلاً، وتدفع الجماهير عراة الصدور، حاسرة الرؤوس، تندب ابن بنت رسول الله ﷺ:

«وقد شعر أصحاب السيادة، حضرات العلماء الأعلام حفظهم الله تعالى، بهذه الحقيقة، وأدركوا بثاقب بصرهم، وما وهبهم الله من عقل راجح غزير، ما لهذه الأعمال من التأثير السيئ في سمعة الإسلام في العالم، وفي نظر الأجانب، فقاموا يستنكرون إتيانها وينهون عنها»^(١).

(١) كلمة حول التذكار الحسيني (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ١: ٢٧٢.

العبارة الثانية

وقال أيضاً: وإن قالت الجريدة: مرادي الثاني - أي المواكب المنظّمة،
الحاملة للأعلام والمشاعل - زد على ذلك التمثيل والتشبيه، المعبر عنه بلسان
العامة بـ«السبايا» و«الشبيه»، فإنّ الجريدة وإن أغفلت ذكر تلك الزيادة أولاً،
وتعرّضتها أخيراً عند نقلها تحريم المحرّم، حيث قالت:
«فإنّه^(١) حفظه الله لم يكتف بتقبيح إقامة السبايا في الشوارع وتنظيم
المواكب، بل حرّمها تحريماً باتاً»^(٢).

(١) أي السيّد مهدي الموسوي القزويني البصري (ت ١٣٥٨هـ)، صاحب رسالة «صولة
الحقّ على جولة الباطل» (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ١: ١٧٧.
(٢) كلمة حول التذكّار الحسيني (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ١: ٢٧٦.

العبارة الثالثة

وقال أيضاً: ثم إنَّ الجريدة بعدما خلطت الحابل بالنابل^(١)، ونقضت ما أبرمت^(٢) وحرمت ما حلَّه الشرع ورجَّحه اجتهاداً في مقابلة النصّ، دخلت المسألة في صورة سياسية، وتحككت^(٣) تحكك العقرب بالأفعى، فكانت كالساعي إلى حتفه بظلفه^(٤) فقالت - بعد أن ذكرت أن أمنيته الوحيدة هي إعلاء كلمة الإسلام، وإزالة التعصّب المذهبي - :

«إنَّ هذه المواقب هي عامل من عوامل التفرقة، ورمز يشير إليها»^(٥).

(١) الحابل: الذي ينصب الجبال للصيد، وفي المثل «اختلط الحابل بالنابل»، ويقال: الحابل:

السدى في هذا الموضوع، والنابل: اللّحمة. الصحاح ٤: ١٦٦٥ «حبل».

(٢) أبرمت الشيء: أي أحكمته. الصحاح ٥: ١٨٧ «برم».

(٣) فلا يتحكك بي، أي يتمرّس ويتعرّض لشري. الصحاح ٤: ١٥٨٠ «حكك».

(٤) ذهب دمه ظلّفاً وظلّفاً: أي هدرأ، ويقال: ذهب ظليفاً: أي مجاناً، أخذه بغير ثمن. الصحاح

٤: ١٣٩٨ «ظلف».

(٥) كلمة حول التذكار الحسيني (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ١: ٢٧٩.

وهذه العبارة بعينها نقلها عن الجريدة المذكورة الشيخ إبراهيم المظفر (ت ١٣٨٨هـ)، في

رسالته «نصرة المظلوم» (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ١: ١٨٤.

العبارة الرابعة

وقال أيضاً: ثمَّ إنّ الجريدة لم تقنع بذلك حتّى زادت في الطين بلّة، وفي الطنبور^(١) نغمة، فقالت:

«إئنّي استفظع هذه المواكب، كما استفظع أعمال الوهابيّين في الحجاز»^(٢).

(١) الطنبور: من آلات العزف، فارسي معرّب. الصحاح ٢: ٧٢٦ «طنبر».

(٢) كلمة حول التذكّار الحسيني (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ١: ٢٨١.

(٣)

صولة الحقّ
على جولة الباطل

تأليف

السيد محمد مهدي الموسوي القزويني

(١٢٧٢ هـ - ١٣٥٨ هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله على محمد وعترته الطاهرين.
 أما بعد، فقد قال الله سبحانه وتعالى في مُحكم كتابه المجيد: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾^(١).
 وورد في السُّنة ما دلّ على وجوب إظهار العالم علمه عند ظهور
 المبتدعات، فمن لم يفعل ذلك يكبّه الله على منخره في النار^(٢).
 فبطاعة الله سبحانه، وطمعاً في مثوباته، وهرباً من العقوبة الفادحة^(٣) التي

(١) آل عمران (٣): ١١٠.

(٢) روى الشيخ الكليني في الكافي بسنده عن محمد بن جمهور العمّي، يرفعه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا ظهرت البدع في أمتي فليظهر العالم علمه، فمن لم يفعل فعليه لعنة الله» الكافي: ١: ٤٤، حديث ٢ باب البدع والرأي والمقائيس.

ورواه أحمد بن محمد بن خالد البرقي في المحاسن: ٢٣١ حديث ١٧٦ أيضاً بسنده عن محمد بن جمهور العمّي يرفعه إلى رسول الله ﷺ.

وأخرجه عنهما الحرّ العاملي في وسائل الشيعة ١٦: ٢٦٩ حديث ١ باب ٤٠ من أبواب الأمر والنهي من كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ولمزيد من الاطلاع انظر: وسائل الشيعة ١٦: ٢٦٩ - ٢٧٢ باب ٤٠ من أبواب الأمر والنهي.

(٣) أي الثقيلة الباهضة الصحاح ١: ٣٩٠ «فدح».

١٨٠.....رسائل الشعائر الحسينية / ج ١

يُعاقب بها كاتم العلم، ما زلتُ بحمدِ الله سبحانه وحُسن توفيقه صادحاً^(١) - منذ دخولي البصرة من شهر شعبان^(٢) إلى اليوم^(٣) - في الناس بالنهي لهم عمّا قد تعودوه من الإتيان بضروب المحرّمات والمنكرات والسخافات^(٤) والحماقات^(٥) وجعلهم إياها من جملة الديانات الشرعية، خصوصاً مسألة التشبيهات^(٦) التي يُمثّلونها في عاشوراء، فصرّت مُنوّهاً برفضها ومُصرّحاً بما فيها من التحريم؛ لأنّي أراها مُجلبّةً لسخرية الملل الخارجة، وداعياً من دواعي الاستهزاء.

فحرّمته علناً، منادياً بذلك بين الخلق، هادياً لهم إلى سبيل الحقّ والرشاد، ومقدّساً للدين القويم عمّا جعله منه جماعة الجاهلين.

ولمّا علمَ بتحريمي لذلك أرباب العقول السليمة والآراء النيرة وأصحاب الحجا^(٧) والمعرفة، طفقوا يشكرون لي على تنزيهي للدين الشريف عن سخافات الجهلة، حتّى لقد جرت بيني وبين بعض من جاءني محادثةً في هذه وغيرها من

(١) في الصحاح ١ : ٢٨١ «صدح» : صدح الديك والغراب صدحاً : أي صاح.

(٢) في سنة ١٣٤٣ هـ وهي السنة التي ترك فيها دولة الكويت واستقر في مدينة البصرة، كما ورد ذلك في ترجمته في بعض المصادر.

(٣) أي في سنة ١٣٤٥ هـ وهو تاريخ تأليفه لهذه الرسالة.

(٤) السخف : رقة العقل، وقد سخف الرجل سخافةً فهو سخيّف. الصحاح ٤ : ١٣٧٢ «سخف».

(٥) الحمق : قلة العقل، وقد حمق الرجل حماقةً فهو أحمق. الصحاح ٤ : ١٤٦٤ «حمق».

(٦) يُسمّى في اللغة العاميّة في العراق «السبايا» و«الشبيه» و«الدائرة»، وكانت تُقام في عدّة أماكن في العراق منها الكوفة والحيرة، وهي عبارة عن تمثيل الأحداث المأساوية التي جرت يوم عاشوراء على الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه الشهداء.

(٧) الحجا: العقل. الصحاح ٦ : ٢٣٠٩ «حجا».

الديانات وغير الديانات، وبعد أيام نشرها على صفحات الأوقات العراقية^(١)، وقد

(١) المقالة كانت بعنوان «يوم عاشوراء»، وقد نُشرت في العدد ١٦٦١ من هذه الجريدة التي كانت تصدر في مدينة البصرة في العراق. انظر الصفحة ٣ من رسالة «كلمة حول التذكار الحسيني» للشيخ محمد جواد الحّجّامي (المطبوعة ضمن هذه المجموعة). وعن هذه الجريدة - الأوقات العراقية - يقول السيّد عبدالرزاق الحسيني (ت ١٤١٨هـ) في كتابه «تاريخ الصحافة العراقية»: ٧٤ - ٧٥ تحت عنوان: الجرائد التي صدرت بعد الاحتلال البريطاني للبصرة وكانت سياسية:

«الأوقات البصرية»: لما احتلّ الجيش البريطاني البصرة في ٢٢ تشرين الثاني ١٩١٤ م وضع يده على ثلاث مطابع للأهالي فيها، مضافاً إلى مطبعة الولاية التي صادرها وأخذ يطبع فيها نشرة يومية باللغتين العربية والإنكليزية عن سير القتال في الشرق والغرب. وقد تطوّرت هذه النشرة إلى جريدة يومية سياسية أدبية مصوّرة، يحزّر فيها «جون قلبي» وغيره من مروجي السياسة البريطانية.

ولمّا شعرت الحكومة المحتلّة بضرورة وجود جريدة ثانية تعبّر عن سياستها وتهيء الرأي العامّ في البلاد إلى الأحداث المقبلة، أو عزت إلى «سليمان بك الزهير» - أحد سراً البصرة - أن ينشئ جريدة باسمه لهذا الغرض، فصدرت جريدة «الأوقات البصرية» من أول عام ١٩١٥ م بأربع لغات وهي: العربية، والإنكليزية، والفارسية، والتركية، ولبثت تصدر بانتظام خمس سنوات كاملات، حيث حلّ محلّها جريدة «أوقات ما بين النهرين» باللغة الإنكليزية في أواسط عام ١٩٢١ م أوّل مايس، إذ لم تبق ضرورة لبقاء الجريدة الأولى.

وكانت الجريدة يومية سياسية استبدلت اسمها باسم «الأوقات العراقية» ونقلت إدارتها من البصرة إلى بغداد لتحلّ محلّ جريدة «الأوقات البغدادية» التي عطّلتها الحكومة». ويقول عن «الأوقات العراقية» منير بكر التكريتي في كتابه «الصحافة العراقية»: ٦٨ بعد نقله لكلام السيّد الحسيني المتقدّم: «وكانت خير أداة للإعلان عن سياستهم، وقد لعب المستر «جون قلبي» - السياسي الإنكليزي المعروف - دوراً هاماً في تحريرها».

تعرض لأكثر ما جرت فيه المفاوضة باختصار، وكان من جملة ما تعرض إليه هذه المسألة: «التشبيهاً والمواكب العاشورية»، ولو كنتُ عالماً بأنه سيتعرض لها في الجريدة لحظرت عليه ذلك؛ إذ لا دخل لغير العلماء فيها.

ولمّا كان بيانه لها باختصار^(١)، فأجملَ فيها بعضَ التي لصاحب الغرض

❦ ويقول أيضاً في الصفحة ١١٣ من هذا الكتاب: «حرّر فيها السياسي المعروف المستر «جون فلي»، ولها سياسة معروفة، فهي خادمة لأغراض السلطات البريطانية ومروّجة لسياسة الحلفاء، وقد استمرت في الصدور إلى احتلال بغداد في الحادي عشر من آذار عام ١٩١٧ م وانتقال حكومة الاحتلال إليها، إذ ذاك أعطيت بطريقة الالتزام إلى أحد وجوه البصرة السيد سليمان الزهير، وقد استقدم لها محرراً من مصر هو «عطا عوام» زميل «توفيق حبيب» المعروف بالصحافي العجوز.

فالمتصفّح لأعدادها يجد أنباء العالم والبلاغات الحربية تحتلّ معظمها، فهي أشبه ما تكون بنشرة حربية لخدمة مصالح الإنكليز والترويج لسياساتهم وحلفائهم. أمّا المقالات الثقافية فتكاد تكون قليلة جداً بالقياس إلى الموضوعات الأخرى، وحتى هذه الموضوعات القليلة لا تخلو بين ثناياها من مدح الإنكليز وذمّ العثمانيين».

ويقول رجب بركات في كتابه «من صحافة الخليج العربي»: ٧٦ - ٧٧: «خلال فترة الإصدار الأول استخدمت حكومة الاحتلال لتحرير الجريدة من غير العراقيين كلاً من: محمّد شوقي، وعبد الحميد مرعي. وأمّا العراقيون الذين حرّروا في «الأوقات البصرية» فكان منهم: الأستاذ شاكر نعمة، والمرحوم الأديب الشاعر هادي الدفتر. ومن كتابها أيضاً المرحوم سليمان فيضي المحامي، وعبد الوهاب الطباطبائي».

(١) إذ قال فيها: «وقد شعر أصحاب السيادة حضرات العلماء الأعلام حفظهم الله تعالى بهذه الحقيقة، وأدركوا بثاقب بصرهم وما وهبهم الله من عقل راجح وعلم غزير ما لهذه الأعمال من التأثير السيئ في سمعة الإسلام في العالم، وفي نظر الأجانب، فقاموا يستنكرون إتيانها وينهون عنها». انظر رسالة «كلمة حول التذكّار الحسيني» (المطبوعة ضمن هذه المجموعة): ٤.

صولة الحقّ على جولة الباطل ١٨٣

حملها على حسب غرضه، قامت قيامة بعض الجهلة بالشناعة^(١) في محافلهم، ينادون بأنّا قد حرّمتنا التعزية بتاتاً، وبعضهم ينادي بأنّ مجالس التعزية والمآتم ستُسدّ في العام المقبل، وصاروا يتقولون علينا بالبهتان^(٢) وقد حصل لهم من ساعدهم على هذا من الذين هم من غير صنفهم!!! وصار لهم زفير وشهيق^(٣) و و و...

ولكنّي لا تضرّني زعقاتهم^(٤)، ولا يقلقني اصطخابهم^(٥) بتشنييعهم عليّ بالبهتان البين، وهم وغيرهم يعلمون بأنّ ما أعلنت حرّمته قد وصل خبره إلى العتبات المقدّسة، فأمضى تحريمي له سيّد مشاهير مجتهدي العصر وعمدة مشيّد دين سلفه الصالحين، متّعنا الله بطول بقائه، فلم أر منه رأياً مخالفاً لما حرّمته البتّة^(٦)، وستعرف حقيقة الحال عن قريب، فأيّ فائدة يا ترى في رعد وبرق المفترين، ورتق وفتق^(٧) المغرضين؟!

(١) الشناعة: الفظاعة، قد شَنَعُ الشيء يَشْنَعُ فهو شَنِيع وأَشْنَع والاسم الشَّنْعَة. الصحاح ١٢٣٩:٣ «شنع».

(٢) أي كذبوا علينا ونسبوا لنا ما لم نقله. وفي الصحاح ج ١: ٢٤٤ «بهت»: بَهَتْهُ بَهْتًا وبَهْتًا وبُهْتَانًا فهو بَهْهَات: أي قال عليه ما لم يفعله.

(٣) الزفير: أوّل صوت الحمار، والشهيق: آخره؛ لأنّ الزفير إدخال النَفْس، والشهيق: إخراجها. الصحاح ٦٧٠:٢ «زفر».

(٤) الزعق: الصياح، وقد زعقتُ به زعقاً. الصحاح ٤: ١٤٩٠ «زُعق».

(٥) الصَخْبُ: الصياح والجَلْبَةُ. الصحاح ١: ١٦٢ «صخب».

(٦) هو المرجع الديني الكبير آية الله العظمى السيّد أبو الحسن الأصفهاني (ت ١٣٦٥ هـ).

(٧) فتقتُ الشيء فتقّاً: شققته. والرَّتْقُ: ضدّ الفتق، وقد رتقت الفتق أرتقته فارتتق: أي التأم. الصحاح ٤: ١٤٨٠ «رتق» و ١٥٣٩ «فتق».

ونحن نسأل الله سبحانه وتعالى التفضل على المفترين بالتوفيق للتوبة،
ولمتابعة دينه القويم جميعه، آمين رب العالمين.

ولقد طلب إلي بعض المؤمنين كتابة شيء مختصر جلي^(١) في الباب، يتحقق
به فصل الخطاب، ويخزي بحججه الدامغة المفترى المرتاب، فأجبتة إلى ما طلب؛
تنزيهاً للدين عن السخافات، وقمعاً لمن جعل شعاره المفتريات، وقد سمّيته
«صولة^(٢) الحق على جولة^(٣) الباطل».

فأقول : يا ذوي المعرفة والبصيرة، وأهل الشرف والشهامة والغيرة، من
منكم يرضى بأن تُشبهه محبّباته - كأُمّه وبنته وخالته وزوجته وغيرهنّ من نسوته
- بالنسوة غير المحبّبات اللائي لا شرف لهن ولا حيثة^(٤) تحوطهن؟ فيُعلن
على الجمال في المحامل^(٥) وغيرها، ويشهرنّ بين الفسقة وغيرهم من الملل

(١) الجليّ: نقيض الخفيّ. الصحاح ٦: ٢٣٠٣ «جلا».

(٢) صال عليه: وثب، صولاً وصولة، والمصاولة: المواثبة. الصحاح ٥: ١٧٤٦ «صول».

(٣) التجوال: التطواف. وجال ويجول وجولاناً. الصحاح ٤: ١٦٦٢ - ١٦٦٣ «جول».

(٤) أي لا قيمة لهنّ ولا اعتبار بين الناس.

(٥) المحامل، جمع مخمل: وهو الذي يُركب عليه، قال ابن سيده: المخمل شيقان على

البعير يُحمل فيهما العديلان. لسان العرب ١١: ١٧٨ «حمل».

صولة الحقّ على جولة الباطل ١٨٥

الخارجة، وقد ضُربت الطبول^(١) والطوس^(٢)، وصدحت^(٣) الأبواق^(٤) أمامهنّ وخلفهنّ، والخلق حولهنّ من كلّ صنف وشاكلة، ما بين وقوف وجلس، يتفرّجون عليهنّ: بعض بالاستهزاء، وبعض بالشماتة^(٥) وآخر راث^(٦) لهذه الهيئة. وهنّ يُسار بهنّ في الطرق والأزقة على هذه الهيئة الشنيعة^(٧) البشعة، والناس يشيرون إليهنّ بأيديهم، ويسمّونهنّ بأسمائهنّ، وقد سخر الآخرون من هذه الحماقات، فتراهم

(١) الطبول، جمع طَبْل: وهو اسم يشمل الطبول المحرّمة وغيرها؛ إذ ليس كافّة الطبول محرّمة في الشريعة، والمحرّم منها ما يستعمله المختّون وأهل اللهو والطرب، وهو الذي يُسمّى باللغة «كُوبة».

قال الجوهري في الصحاح ١: ٢١٥ «كوبه»: الكُوبة: الطبل الصغير المُخَصَّر.

وانظر المصباح المنير: ٥٤٣، والقاموس المحيط ١: ١٣١ «كُوبة».

(٢) الطوس، كلمة عراقية، وهي الصُنْجُ، وجمعها صُنُوج، وهو اسم يشمل الصنوج المحرّمة وغيرها.

قال الجوهري في الصحاح ١: ٣٢٥ «صنج»: الصنج الذي تعرفه العرب: هو الذي يُتخذ من صُفْرٍ، يُضرب أحدهما بالآخر، وأمّا الصنج ذو الأوتار فيختصّ به العجم، وهما معرّبان. وانظر القاموس المحيط ١: ٢٠٤ ومجمع البحرين ٢: ٣٠٣ «صنج».

(٣) في الصحاح: ١: ٣٨١ «صدح»: صدح الديك والغراب صدحاً: أي صاح.

(٤) الأبواق، جمع بوق: وهو الآلة المستعملة في المواكب العزائية، ويُسمّى بلسان العامة في عرف العراقيين «البوري» أو «البرزان»، وهو غير المزمار المنهيّ عنه.

(٥) الشّماتة: الفرح ببلية العدو، يقال: شَمِتَ به يَشْمَتُ شِماتَةً. الصحاح ١: ٢٥٥ «شمت».

(٦) أي متألّم، يبكي على ما وصل إليه بعض الناس في أساليب التعزية من طرق غير صحيحة. وفي الصحاح ٦: ٢٢٥٢ «رثي»: ورثيت الميت مرثيةً: إذا بكيت.

(٧) الشناعة: الفظاعة. وقد شَنَعُ الشيء فهو شَنِيع وأَشْنَع، والاسم الشُنعة. الصحاح

٣: ١٢٣٩ «شنع».

١٨٦.....رسائل الشعائر الحسينية / ج ١

يزدرون^(١) طوراً، وطوراً يضحكون من سخافات المسلمين التي ليست من الإسلام في شيء، وما يدرون بأن هذه المضحكات من مبتدعات الطغام^(٢) غير الملتزمين بدين المسلمين، المنزه عن مثل هذه المنكرات، التي تنفر منها القلوب، وتشمئز^(٣) منها النفوس.

فأي عاقل يرضى بهذه السيرة السخيفة الفظيعة في حق محارمه، بل لن يرضى ولو بدون هذه الهيئة في حقهن.

ونحن نقول لمن جعل هذه الهيئات ديناً لله يعبد به : تجعل نسوة الناس غير المحجبات شبيهات لبنات الرسول صلى الله وسلم عليه - وعلى عترته - وقرة عين البتول، ولم تجعل محجباتك شبيهات بهن؟ فإن كان التشبه على هذه الهيئة المعلومة ديناً حسناً عندك، فاختر الدين الحسن لنفسك، فما وجه جعله لغيرك؟! فهل الدين عندك ملعبة تلعب بها؟!

وهل عيالك في النجابة والشرف والحذر مثل بنات البضعة البتول؟! حاشا لله حاشا!

فإن كنت صادقاً في محبة أهل البيت، فما بالك لا تشهر بناتك أو غيرهن من عائلتك ومحجباتك بهن، فتخرجهن على هذه الهيئة الشنيعة؟! ومن المحال صدور ذلك منك، ومن هنا إنك تلعب بالدين، نسأل الله التفضل عليك برفض هذه الديانة الخبيثة، والرجوع إلى ديانة الحق الشريفة.

(١) اَزْدَرَيْتُهُ : أي حَقَرْتَهُ. الصحاح ٦ : ٢٣٦٨ «زري».

(٢) الطَّغَامُ : أو غاد الناس. الصحاح ٥ : ١٩٧٥ «طغم».

(٣) اَشْمَأَزَّ الرجل اَشْمِئْزَازاً : انقبض، وقال أبو زيد : دُعِرَ من الشيء وهو المذعور الصحاح ٣ : ٨٨١ «شمز».

فيا أيها المُبتدع في الدّين هذه السخافات، المحفوفة بجملّة من المحرّمات، لِمَ لَمْ تسأل مَنْ تعتمد عليه وتركن في دينك إليه، عن هذه الهيئات السخيفة الموجبة للسخرية بالشرعية الشريفة، زاعمين بأنّها عند المسلمين من أجزاء الديانة؟ فليت شعري هل ورد عن الرسول وآله ولو خبر ضعيف في شرعيّتها، حتّى تصول به على المتشرّعين؟

أما علمت أنّ متابعة الهوى وخيمة العاقبة؟!

إذاً فما هذه الحماسة تتظاهر بها بين الخلق، ها تكأ عقائل الرسالة ومحجّبات النبوة، وتُسمّى ذلك تعزية؟!

أما دريت معنى التعزية المندوب إليها المئاب عليها ما هي؟

بلى والله العظيم لقد عرفت ذلك حقّ المعرفة، ولكن قد حالت متابعة الهوى والشیطان بينك وبين الحقائق، والله جلّ ذكره يقول: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾^(١).

فالنصيحة النصيحة في رفض هذه الخرافات الموجبة لسخرية الملل الخارجة بشريعة خير البريات، وفي لزوم طريقة عباد الله المتّقين في مسائل التعزية لسيد المرسلين وعترته الطاهرين صلّى الله عليه وعلى عترته، فإنّ في الجري عليها شرف الدّين والدنيا.

فإن لم تكن متّقياً، فتابعهم على هذه الطاعة العظيمة، وحسبك في رفعة مقامها ما نقله إمام أهل السنّة أحمد بن حنبل في كتاب المناقب^(٢) في فضلها

(١) الجاثية (٤٥): ٢٣.

(٢) وهو كتاب «فضائل الصحابة» الذي يعبر عنه كثيراً بـ«المناقب».

مرفوعاً: «من بكى علينا فخرجت من عينه دمعةً أو قطرت قطرة يؤتاه الله الجنة»^(١)، نقله عنه حافظهم الجليل السيد علي في كتابه مودة القربى^(٢).

ومن طرق الشيعة بمعناه كثير^(٣).

(١) فضائل الصحابة ٢: ٦٧٥ - ٦٧٦ حديث ١١٥٤ وفيه: عن الربيع بن منذر عن أبيه قال: كان حسين بن علي يقول: «من دمعتا - كذا - عيناه دمعة أو قطرت عيناه فينا قطرة أثواه الله عز وجل الجنة».

وحكاه عن ابن حنبل في المناقب أيضاً: أحمد بن محمد الطبري المكي (ت ٦٩٤هـ) في كتابه ذخائر العقبى في مناقب القربى: ٥٢ الباب الخامس: «في فضل أهل البيت (عليهم السلام)» فصل «ذكر ما لمن توجع لهم». وفيه «دمعت» بدل «دمعتا» و «آتاه» بدل «أثواه».

(٢) كتاب «المودة في القربى» للسيد علي بن شهاب الدين الهمداني (ت ٧٨٦هـ) من مشاهير علماء السنة وعرفائهم، ومن فقهاء الحنفية، ويُعدُّ من رواة حديث الثقلين بصيغته «كتاب الله وعترتي أهل بيتي»، وحديث السفينة: «مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق» وغيرها من الأحاديث المتعلقة بأهل البيت (عليهم السلام). له ترجمة في نفحات الأنس في حضرات القدس للجامي: ٤٤٧، ونزهة الخواطر ٢: ٨٧، وذكره المحقق الطباطبائي في «أهل البيت في المكتبة العربية: ٦٣٥-٦٣٦.

(٣) منها ما رواه الشيخ الطوسي في أماليه: ١٩٤ حديث ٣٣٠ بسنده عن محمد بن أبي عمار الكوفي، قال: سمعت جعفر بن محمد (عليه السلام) يقول: «من دمعت عينه دمعة لدم سَفَك لنا أو حق لنا أنقصناه، أو عرض انتَهك لنا أو لأحدٍ من شيعتنا بَوَّاه الله تعالى بها الجنة حقاً».

وفيه أيضاً في الصفحة ١١٦ - ١١٧ حديث ١٨١ روى بسنده عن الربيع بن المنذر، عن أبيه، عن الحسين بن علي (عليه السلام) قال: «ما من عبدٍ قطرت عيناه فينا قطرة أو دمعت عيناه فينا دمعة إلا بَوَّاه الله بها الجنة حقاً».

صولة الحقّ على جولة الباطل..... ١٨٩

فإن كنت مسلماً، وجبت عليك محافظة هذا الأثر بأعظم توقير وتبجيل
لمقام شرف محجّبات الرسالة بالصون، حتّى بمجرد تشبيه غيرهنّ من أجلّ
المحجّبات النجيبات بهنّ.

حسب الدهر صدمة عظيمة مدهشة، وطامة مفجعة موحشة، ومصيبة هائلة
تتضاءل دونها المصائب وتضمحل إزائها الرزايا، ما فعله يزيد وشيعته بعقائل
النبوة ومحجّبات الرسالة، فما بالك في كلّ سنة على ما فعلوه تزيد؟! دعهم
منفردين بالخزي الذي سوّد وجوههم في الدنيا والعقبى.

فما وجه تكريرك ما فعلوه وما لم يفعلوه كلّ عام، حتّى توجب سخرية
ذوي العقول والأوغاد^(١) الطغام^(٢) بدين المسلمين بما يشاهدون من السخافات،
التي قد جعلتها من أعظم الطاعات المترّبة عليها ما ليس يعلمه غير الله من جليل
الثواب؟!

وفّقنا سبحانه وسائر المؤمنين للقيام بوظائف الطاعات، ورفض المحرّمات
عن شريعة سيّد الكائنات.

وأما مسألة لطم الصدور، فما حرّمته وما منعه، بل الذي ناديتُ علناً في
ذلك بين الناس على المنبر وغيره، بأن يصير ذلك في المآتم، وذلك لما بلغني من
ترتب بعض المحرّمات على خروجهم، من فتنه وفساد ومضاربة ومقاتلة عندما

ولمزيد الاطلاع انظر بحار الأنوار ٤٤ : ٢٧٨ باب «ثواب البكاء على مصيبيته ومصائب
سائر الأئمة».

(١) الرُّغْدُ: الرجل الدنيء الذي يخدم بطعام بطنه. الصحاح ٢ : ٥٥٢ «وغد».

(٢) الطُّغَامُ: أوغاد الناس. الصحاح ٥ : ١٩٧٥ «طغم».

١٩٠.....رسائل الشعائر الحسينية / ج ١

يلتقي أهل محلّتين، بحيث يحصل من جرّاء ذلك جرح وقتل، إلى غير ذلك، فكأنّما بعضهم يلطم على آل الرسول، وبعضهم يلطم على يزيد وشيعته ويحارب بعضهم بعضاً.

نحن نأسف ونحزن إلى الغاية على مَنْ يتعب نفسه باللطم لغير الله سبحانه وتعالى، فإنّه لو كان لله لما حصل ما ذكرت، نسأله سبحانه التوفيق لفعل طاعاته على وجهها.

ناهيك بما يصدر من جدال وضرب وتقاتل بين أهل اللطم وغيرهم من جهلة فرق سائر المسلمين، فتكثر القتل والجرحى من الفريقين، وجميعها ناشئة عن سخافة العقل وشدة الجهل، ولقد صدر الكثير من هذه الفتن، وحتى في العام الماضي^(١) صدر شيء منها في بغداد، فقتل من قُتل وحُبس من حُبس.

فاللطم إذاً في المآثم لن يترتب عليه شيء من هذه، والشريعة المقدسة والعقل السليم قاضيان بأنّ اللطم محلّه المآثم دون الطرقات؛ هرباً ممّا بيّناه، فعلى المتدينين طاعة الشريعة والتمسك بقولها؛ دفعاً للفتن وصيانة للنفوس.

نعم، إنّ ذوي الحجا وأهل التقوى والمعرفة، ليس في لطمهم في الطرق محذور البتّة؛ إذ هم يخرجون على حالة خاشعة وهيئة مُفجعة تحزن الناظر وتجري دموعه، فياليت أنّ جميع أهل اللطم يكونون بهذه الهيئة المرضية عند الله ورسوله وسائر ذوي العقول، وما ندرى ما الضرر الذي يحصل إلى عموم أهل اللطم لو يسировن بهذه السيرة الحسنة، الفارقة للمحرّمات، المأمونة من ترتّب شيء

(١) أي في سنة ١٣٤٤ هـ؛ لأنّ تاريخ تأليفه لهذه الرسالة وطبعها ونشرها هو سنة

من الفتن والمفاسد؟!

فنسأل الله سبحانه التفضل عليهم برفض ما قد تعودوه في اللطم من المحرّمات، وسيرهم على الهيئات المنكرة من الوثبات^(١) والزعات^(٢) الوحشية. وأما الضرب بالسيوف والقامات على الرؤوس فمحرّم؛ لما شاهدناه وشاهده غيرنا من موت جماعة منهم في كلّ سنة؛ لكثرة نزف الدم.

ولو قطعنا النظر عن هذه الجهة، فهو فعل همجيّ وحشيّ، مثل الضرب بسلسلة من الحديد، ولم يرد دليل شرعيّ على تجويزها، وما من سيرة يستند إليها فيها، بل هي بنظر أرباب العقول والمعرفة أفعال وحشية، ما فيها من ثمره في التعزية. ولو صُرف المال الذي يُصرف في جهتها في المآتم الموجودة، أو بزيادة مآتم أو مآتمين على ما هو موجود لكان أجود.

وقبل مضيّ إلى الكويت كان أهلها يخرجون الشبيه على التفصيل الذي سبق، فلمّا علمتُ بذلك منعته منهُ، فأطاعوني، وذلك في سنة الثلاثين^(٣)، فصاروا يلطمون في المآتم ولا يخرجون، وبذلك قطع دابر ما ربما ينجم من المحرّمات والفتن.

ومن المعلوم أنّ الذي جرى على سيّد الشهداء من الصدمات المفجعة والمصائب المدهشة، إنّما صدر من جهة قيامه بتشيد الدّين وترويج له؛ لأنّه سلام الله عليه قد تحمّل من البليّات ما لم يتحمّلها غيره.

(١) الوثبات، جمع الوثبة: وهي الطفرة، وثب وثباً ووثوباً ووثباناً: طفر الصّاح ١: ٢٣١ «وثب».

(٢) الزعق: الصياح، وقد زعقتُ به زعقاً. الصّاح ٤: ١٤٩٠ «زعق».

(٣) أي سنة ١٣٣٠ هـ.

إذن ينبغي على أهل الدين ذِكْرُ صنيعه الحسن على المنابر وغيرها، وبيان ما صدر عليه إلى يوم القيامة؛ ليكون سلام الله عليه قدوة لكل من أراد أن ينحو هذا النحو، فلذا نحن لا نستحسن غير تشييد المآتم وانهقاد المحافل تشهيراً بجهاد الحسين عليه السلام.

ونحن نحمدُ الله سبحانه على ما نرى من ضيق المآتم في هذه السنة بالمستمعين، وحصول المقصود منها للباني^(١) والقاري، مما سينالون من الثواب العظيم بخدمتهم وبذلهم وبكائهم على آل الرسول ﷺ وقد نقل لي أنه لم تكن تحصل في المآتم هذه الهيئة في اليوم العاشر الذي الناس يخرجون إلى النظر وراء المواكب السائرة في الطرقات.

فنسأل الله سبحانه التوسعة على من رفضها ولم يفعلها طاعة لله سبحانه في تعظيمه سامي مقام شرف عقائل الرسالة، وفي تنزيهه للشريعة المقدسة عن هذه السخافات، ونطلب من الله جلّ وعلا تسديد عموم من تعودوا على فعلها - ولو في غير البصرة - إلى رفضها وتركها بتاتاً.

والأولى أن تُصرف هذه المبالغ الطائلة في سبيل العلم والعرفان، وتمهّد فيها الطرق لطلبة العلوم الدينية، فإنهم - على قلتهم في عصرنا - مشغولون في تحصيل معيشتهم؛ لعدم من يقوم بمصارفهم، فهم يضربون البرّ والبحر في سبيل ذلك، فلذا لا يتسنّى لهم تحصيل العلوم.

أليس هذا خير من إنشاء السفساف^(٢) وبناء هياكل السخرية؛ إذ به يتّسع نطاق المعارف، وتترامى أطراف دائرة العلوم، فيكثر المتعلّمون، وينشأ المحقّقون،

(١) أي الذي تبني إقامة مجلس العزاء وتكلف جميع مصاريفه.

(٢) السفساف: الرديء من كلّ شيء، والأمر الحقيق. الصحاح ٤: ١٣٧٥ «سفف».

صولة الحق على جولة الباطل ١٩٣

فيرفعون منار الدين، ويبرزون للملأ أسرار الشريعة المحمدية المكنونة. فطوبى لباذلي أموالهم في هذا السبيل؛ لدخولهم في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(١).

ونحن نحذّره من الدخول في قوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُخْصَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فُتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾^(٢).

ومن المعلوم أن المال عارية غير باق عند الخلق، فهو ينفد في حياتهم: إما بخسارة تجارة، أو سرقة، أو غرق، أو حريق، أو بغير ذلك. أو يبقى للورثة، وتبقى معه التبعة على جامعته، والمهناً لغيره.

فإن بذله جاء معه في سبيل الله، فقد فاز بمرضاة الله سبحانه وتعالى وعظيم مثوباته، ونجا من الكي في نار جهنم، فنسأله تعالى أن يوفّق ذوي المال لتشديد الدين وترويجه.

ونحن نلفت أنظار ذوي الشعور إلى أن يميّزوا بين الضارّ والنافع، وأن يجتنبوا الرذائل كالتياترو^(٣) والسينما والقمار وغير ذلك من الملاهي، وأن يصرفوا ما يصرف في هذه الطرق غير المشروعة والمعاقب عليها في ما هو مشروع

(١) البقرة (٢): ٢٦١.

(٢) التوبة (٩): ٣٤ - ٣٥.

(٣) كلمة فارسية، وأصلها «تئاتر»، وقد تلفظ «تياتر»: وهي محل إقامة التمثيليات المعبر عنه بالعربية بـ«المسرح». انظر لغت نامه «دهخدا» ١٤: ١١٧٤.

ومثاب عليه في النشاطين ممّا يرضي الربّ ويخلّد الذكر الحسن.

فالمأمول من إخواننا المؤمنين، الذين قد غلبهم هوى النفس برهة من الزمان، فأدخلهم في بذل المال النفيس في المحرّمات، التوبة من ذلك، ومخالفة النفس، وصرف مثل ذلك المال في سبيل طاعة الله؛ ليحصل لهم الفوز بما ضمنه سبحانه في آية ﴿سَبْعَ سَنَابِلَ﴾^(١).

وأما ما فعله الوهابيون - المستحلّون دم ومال وعرض عامّة من خالفهم من المسلمين - بقبور أهل البيت وخاتم الرسل ﷺ، في المدينة المنورة المقدّسة المعظّمة، وقبابها الشريفة المحترمة^(٢)، فهو في الفظاعة والشناعة والخزي على التجسّر عليها، تالٍ لما فعله يزيد وشيعته لعنهم الله بسيد شباب أهل الجنة ريحانة خير الرسل، وبأهل بيته ﷺ على جدّهم وعليهم وسلّم، فإنّها من أفاضل البيوت التي ﴿أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾^(٣) حسبما روى ما دلّ على ذلك مُحَبّ الدّين الطبري في الرياض النضرة^(٤).

وحديث مسلم في صحيحه^(٥).

(١) البقرة (٢): ٢٦١.

(٢) وهو ما جرى في الثامن من شوال سنة ١٣٤٤ هـ من هدم قبور الأئمة الطيّبين في البقيع إثر الفتوى التي أصدرها مجموعة من علماء الوهابيين بعد السؤال الذي وجهه لهم الشيخ عبد الله بن بليهد.

(٣) النور (٢٤): ٣٦.

(٤) الرياض النضرة ٣: ١٥٢.

(٥) صحيح مسلم ٤: ١٨٧٣ حديث ٢٤٠٨ وفيه عن يزيد بن حيّان التيمي قال: انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم، فلما جلسنا إليه قال له حصين: لقد

صولة الحق على جولة الباطل ١٩٥

وغيره من الصحاح المعتمدة^(١) عن زيد بن أرقم قال: قال النبي ﷺ: «أني تارك فيكم الثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور - إلى قوله: وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي» قالها ثلاثاً.

❦ لقيت يا زيد خيراً كثيراً رأيت رسول الله ﷺ وسمعت حديثه وغزوت معه وصليت معه، لقد رأيت يا زيد خيراً كثيراً، حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله ﷺ. فقال: يا ابن أخي والله لقد كبرت سنّي وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله ﷺ فما حدثتكم فاقبلوه وما لا فلا تكلفوني. ثم قال: قام رسول الله ﷺ يوماً خطيباً فينا بماء يدعى خماً بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر، ثم قال: «أما بعد يا أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربّي عزّوجلّ فأجيب، وأني تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله عزّوجلّ فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله تعالى واستمسكوا به».

فحثّ على كتاب الله ورغب فيه: قال: «وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي».

فقال له حصين: ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: إنّ نساءه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده. قال: ومن هم؟

قال: هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس.

قال: كلّ هؤلاء حرم الصدقة؟ قال: نعم.

ورواه بهذا اللفظ أحمد بن حنبل في مسنده ٥: ٤٩٢ - ٤٩٣ حديث ١٨٧٨٠.

(١) وورد هذا الحديث في مجاميع حديثية كثيرة معتمدة عند أبناء السنة. انظر موسوعة أطراف الحديث النبوي ٣: ٦٤٣.

والثقل : عبارة عن الشيء العظيم الذي ليس له نظير في الخطر^(١).

نعلم من الخبر الشريف كون الكتاب المجيد وأهل البيت الذين قد قرنهم به، ليس لهما في عظم الخطر نظير في ما تركه في أمته بعده.

ومن هذه حال رفعة قدرهم وعظم خطرهم، يجب على أمته تعظيمهم وتوقيرهم وتجليلهم، وحرمة المؤمن ميّناً مثل حرمة حيّاً^(٢)، فكيف بحرمة من هذه عظمة خطرهم؟!

ولذلك ندب شرعاً إلى زيارة قبور عموم المؤمنين، روى ما دلّ عليه إمام أهل السنة أحمد بن حنبل في مسنده في عدّة مقامات من طرق عديدة^(٣).

(١) قال ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر ١: ٢١٦ «ثقل»: فيه - أي في الحديث - «إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي». سمّاهما ثقلين لأنّ الأخذ بهما والعمل بهما ثقل ويقال لكلّ خطر نفيس ثقل، فسّمّاهما ثقلين إعظاماً لقدرهما وتفخيماً لشأنهما.

(٢) روى الشيخ الطوسي في التهذيب ١: ٤٤٥ حديث ١٤٤٠ بسنده عن الفضل بن يونس الكاتب عن أبي الحسن موسى الكاظم عليه السلام أنه قال: «كان أبي يقول: إنّ حرمة المؤمن ميّناً كحرمة حيّاً».

وروى الشيخ الكليني في الكافي ٧: ٢٢٨ حديث ٢ باب حدّ النبّاش بسنده عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إنّ حرمة الميّت كحرمة الحيّ».

ورواه أيضاً الشيخ الصدوق في الفقيه ٤: ٥٢ حديث ١٨٩ والشيخ الطوسي في التهذيب ١٠: ١١٦ حديث ٤٦١، والاستبصار ٤: ٢٤٦، حديث ٩٣٠.

(٣) مسند أحمد بن حنبل ٣: ١٨٦ حديث بسنده عنه أبي هريرة قال: زار النبي ﷺ قبر أمّه فبكى وبكى من حوله... فزوروا القبور فإنّها تذكر الموت.

صولة الحقّ على جولة الباطل ١٩٧

وما وجهه سوى تعظيم شأن المؤمن، فزيارة مَنْ عرفتَ عظم خطرهم بطريق أولى، فما حال من خرّب بيوتهم التي هي من أفاضل البيوت التي أمر الله أن تُرفع ويذكر فيها اسمه^(١).

وصاحب الجريدة^(٢) لم يلتفت إلى الحقيقة عند المفاوضة، فرسم في جريدته ما لم يترقّب رسمه منه.

وأما مسألة وقعة نهر اليهودي، فقد بيّنها صاحب الجريدة على غير وجهها، فأني قد قلت له صريحاً بأنّه في العام الماضي^(٣) قد رُمي المآتم بالحجارة، فأخبر المختار بذلك فمنعهم.

وفي هذه السنة قد رُمي بالحجارة ثانياً، فأخبر المختار بذلك فانكفّ الرمي به.

ثمّ صار البعض يجلسون في طريق المآتم يؤذون من يمضي إلى المآتم، فأخبر المختار بحقيقة الحال، فأوعد بمنعهم عن الجلوس.

وبعد ذلك بلغنا الهجوم على المآتم، وجرى ما جرى من المضاربة.

والعاقل من هذه المقدمات يلتفت إلى أنّ الهجوم على المآتم قد تسبّب عن عصبية دينيّة، دون غيرها من الجهات، ولذلك خشيت الهيئة العلميّة - لما بلغها ذلك - من التعديّ إلى سائر المآتم، فيعظم الفساد ويختلّ نظام الوفاق بين

❦ وفي الصفحة ٤٢٧ الحديث رقم ١٠٩٣٦ روى بسنده عن أبي سعيد الخدري أنّه قال: قال رسول الله ﷺ: «إني نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنّ فيها عبرة».

(١) إشارة إلى الآية ٣٦ من سورة النور.

(٢) أي جريدة الأوقات العراقية التي كانت تصدر في مدينة البصرة في العراق.

(٣) أي في سنة ١٣٤٤ هـ، لأنّ تاريخ تأليف وطبع هذه الرسالة كانت سنة ١٣٤٥ هـ.

١٩٨.....رسائل الشعائر الحسينية / ج ١

المسلمين، الذي يجب عليهم خاصة وعلى كل مسلم المحافظة عليه بكل ما يقدرون عليه.

ففي الفور مضت الهيئة العلمية إلى سعادة المتصرف وبينت له الحال، وحذّرت من وخامة المآل، فبعث ذلك الوقت من يخمد هذه النائرة على وجه يستحيل صدور مثلها، ثم جرى ما يلزم من التحقيقات في هذه القضية، وما يترتب عليها من المجازات، فشكرته الهيئة العلمية على عظم همّته، وودّعته وخرجت مسرورة منه.

فنسأله سبحانه التسديد لنا ولهم ولسائر عبادِهِ إلى ما يُحبّ ويرضى.

وكان الفراغ من تبويبها في ١٥ محرّم سنة ١٣٤٥ هـ.

(٤)

المواكب الحسينية

تأليف

الشيخ عبد الله المامقاني

(١٢٩٠هـ - ١٣٥١هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

وله الحمد، والصلاة والسلام - على أشرف الخلق محمد وآله الطاهرين،
واللعنة الدائمة على أعدائهم إلى يوم الدين.

السؤال: ما يقول مولانا حجة الإسلام والمسلمين - أيده الله في العالمين
ودام ظلّه العالي - في المواكب المحزنة التي اعتاد الجعفريّون اتخاذها في العشر
من المحرم تمثيلاً لفاجعة الطفّ، وإعلاماً بما انتهك فيها من حرمة الرسول ﷺ
في عترته المجاهدين ﷺ بالتمثيل للشهداء وجهادهم، وما جرى عليهم وعلى
الأطفال من القتل والقسوة، بإعلانهم الحزن لذلك الفادح بكافة أنواعه:

من ندب، ونداء، وعويل، وبكاء، وضرب بالأكفّ على الصدور، وبالحديد
على الرؤوس والظهور، إلى غير ذلك ممّا هو معلوم ومشهور، منضمّاً إلى بروزهم
بهيئاتهم المعروفة وحالاتهم الموصوفة، فهل هذه الأعمال مباحة في الشرع
الأزهر أم لا؟ افتونا مأجورين، مع بيان المستند؛ ليكون حجة على من أنكر أو
عاند؟

الجواب: قد سئلت عن هذه قبل شهر تقريباً، فقلت في الجواب: لا ينبغي
الشبهة في جواز الأمور المذكورة في السؤال، بل وإدعاء الرأس بالسيف، بل لو
أفتى فقيه متبحر بوجوب ذلك كفاية في مثل هذه الأزمنة - التي صمّ جمع فيها

٢٠٢.....رسائل الشعائر الحسينية / ج ١

على إطفاء أنوار أهل البيت عليهم أفضل الصلوات والسلام - لم يمكن تخطئته.

نعم، يجتنب الرجل لبس لباس المرأة على وجه لا يتميز عنها، وبالعكس على الأحوط، ومن ضرب آلات اللهو على الكيفية التي تضرب بها للهو والطرب، لا على الكيفية المرسومة في العزاء الشائعة، والله العالم. انتهى.

وحيث إنك الآن طلبت بيان المستند في ذلك، أقول مستمداً من وليّ

التوفيق:

إنّه قد تطابق العقل والشرع، ونطق الكتاب^(١) والسنة^(٢) من الفريقين بإباحة كلّما لم يدرك العقل فيه قبحاً ولا ضرراً، أو لم يرد فيه من المولى نهى ولا تحريم،

(١) قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾. البقرة (٢): ٢٩.

(٢) من لا يحضره الفقيه ١: ٣١٧ الحديث ٩٣٧ باب «استحباب البكاء من خشية الله»، وفيه:

عن الصادق عليه السلام أنّه قال: «كلّ شيء مطلق حتّى يرد فيه نهى».

وفيه أيضاً ٣: ٣٤١ الحديث ٤٢٠٨: قال أبو عبد الله عليه السلام: «كلّ شيء يكون فيه حلال وحرام

فهو لك حلال أبداً حتّى تعرف الحرام منه بعينه فتدعه».

والسنن الكبرى للبيهقي ١٠: ١٢ باب «المالم يذكر تحريمه...» وفيه: عن سلمان الفارسي

رضي الله عنه قال: سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السمن والجبن والفراء،

فقال: «الحلال ما أحلّ الله في كتابه، والحرام ما حرّم الله في كتابه، وما سكت عنه فهو

عفو».

والفراء، قال القاري: بكسر الفاء والمدة، جمع الفراء مدّاً وقصراً، وهو حمار الوحش وقيل: هو

ها هنا جمع الفرو الذي يلبس، وشهد له صنيع بعض المحدثين كالترمذي فإنّه ذكره في

باب لبس الفرو... تحفة الأحوذى للمبار كفوري ٥: ٣٢٤.

وفي السنن الكبرى أيضاً: عن أبي الدرداء رضي الله عنه، رفع الحديث قال: «ما أحلّ الله في

كتابه فهو حلال، وما حرّم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عافية، فاقبلوا من الله عافيته،

فإنّ الله لم يكن نسياً، ثم تلا هذه الآية ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً﴾ مريم (١٩): ٦٤».

بل على ذلك إجماع العقلاء وأهل الملل والأديان، ومن يظهر منه الخلاف بادئ بدئ فهو بعيد التأمل، منازع في الصغرى أو مشكك فيه، كما شرحناه سابقاً مستوفى في محله.

ومن البين عند كل محيط بالأخبار، متطّلع في كلمات فقهاءنا الأخيار، عدم ورود آية، ولا رواية ولو ضعيفة أو مرسلّة، بحرمة تشبيه شخص بشخص وإيجاد مثال قضية شخصية سيّما إذا كان لغرض عقلائي.

وهذه زبر^(١) الأوائل والأواخر، وكتب الأخبار من الفريقين، ليس فيها من منع ذلك عين ولا أثر. ومن ادّعى ذلك فليأت بكلام فقيه واحد أو رواية واحدة إن كان صادقاً.

وكيف؟! وأوّل من أسّس أساس تشبيه وقعة الطفّ العلامة المجلسي^(٢)، الذي هو أطلع العلماء بالأخبار والآثار وكلمات الفقهاء الأبرار، وكلّ من أتى بعده من علماء البلاد أمضى قوله وفعله، ولم ينكر ذلك عليه، ولا على المرتكبين له. فبان أنّ المنع من التشبيه ممّا لا دليل عليه، وأنّ مقتضى الأصل جوازه، ومنع منه مطالب بإقامة دليل عليه مُخرّج عن الأصل، ودون ذلك خرط القتاد^(٣)؛ لأنّ غاية ما يتصوّر تمسّكه به - تمسّك الغريق بالحشيش - أمور وهميّة:

أحدها: أنّ ذلك فعل عبث.

(١) الزبُر: الكتاب، والجمع زُبُور. الصحاح ٢: ٦٦٧ «زبر».

(٢) خرطت العود وأخرطه خرطاً: قشرته. وخرطت الورق: حثته، وهو أن تقبض على أعلاه ثم تمرّ يدك إلى أسفله. وفي المثل: «دونه خرط القتاد». الصحاح ٣: ١١٢٢ «خرط».

والقتاد: شجر له شوك. الصحاح ٢: ٥٢١ «قتد».

وضعفه ظاهر عند أولي البصائر:

أما أولاً: فلاّنه لا دليل على حرمة كلّ عبث.

وأما الثاني: فلأنّ عدّ ذلك عبثاً يلحق قائله بأهل السوداء، ضرورة أنّ من أعظم ما تداول بين العقلاء عند إرادة إفهام شخص كنه أمر معقول أو منقول، وهو تجسيم ذلك المعقول أو المنقول، حتّى يسارع الطرف الآخر إلى تلقّيه بالقبول، ولا تناله يد الإنكار من معاند أو مغفول.

وذلك أنّ من عدا نادر من كملي العقلاء لا يصلون إلى حقيقة الأمر إلّا بالإحساس بالبصر، ولذا صار من السائر من المثل أنّه: «ليس البيان كالعيان» من حيث إنّ القوة الباصرة أقوى القوى المدركة، فكلمّا أراد إفهامه على حقيقته ألبسوه لباس التشخيص الخارجي وأخرجوه إلى برج العيان، حتّى يسهل للعموم فهمه وإدراكه والنيل إلى كنهه وعمقه.

ولذا ترى أنّ أهل الهيئة صنعوا كرة من صفر، ورسموا عليها البروج والسيّارات؛ ليسهل تعليم المبتدئ مطالب الهيئة.

بل الله سبحانه لما أخبر آدم ﷺ بوقعة الطّف، وأراد إفهامه حقيقتها، صوّره مثلاً^(١).

(١) بحار الأنوار ٤: ٢ الحديث ٤٤ باب «إخبار الله تعالى أنبياءه ونبينا صلى الله عليه وآله شهادته» وفيه:

وروى صاحب الدر الثمين في تفسير قوله تعالى: «فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ» (البقرة: ٣٧) أنّه رأى ساق العرش وأسماء النبيّ والأنمة عليهم السلام، فلقّنه جبرئيل قل: «يا حميد بحقّ محمّد، يا عالي بحقّ علي، يا فاطر بحقّ فاطمة، يا محسن بحقّ الحسن

المواكب الحسينية ٢٠٥

وكذلك الله سبحانه لما أراد ستر جسد سيّدة النساء عليها السلام، أمر الملائكة فصوّروا لها صورة النعش، فأوصت أمير المؤمنين باتّخاذها لها قائلة: «إني رأيت الملائكة صوّرت لي صورته»^(١).

وكذلك لما ضجّت الملائكة إلى الله سبحانه بالبكاء والنحيب «وقالوا: إلهنا وسيّدنا تغفل عمّن قتل صفوتك، وابن صفوتك، وخيرتك من خلقك؟! أوحى الله عزّ وجلّ إليهم: قزّوا ملائكتي، فوعزّتي وجلالي لأنتقمّ منهم ولو بعد حين.

ثمّ كشف الله عزّ وجلّ عن مثال من ولد الحسين عليه السلام، فسرت الملائكة بذلك، فإذا الحجّة المنتظر عجلّ الله تعالى فرجه قائم يصليّ، فقال الله عزّ وجلّ: بذلك القائم أنتقمّ منهم».

❦ والحسين ومنك الإحسان.

فلما ذكر الحسين سالت دموعه وانخشع قلبه، وقال: «يا أخي جبرئيل، في ذكر الخامس ينكسر قلبي وتسيل عبرتي؟» قال جبرئيل: ولدك هذا يُصاب بمصيبة تصغر عندها المصائب. فقال: «يا أخي وما هي؟»

قال: يقتل عطشاناً غريباً وحيداً فريداً، ليس له ناصر ولا معين، ولو تراه يا آدم وهو يقول: واعطشاه واقلةً ناصراه، حتّى يحول العطش بينه وبين السماء كالدخان فلم يجبه أحد إلاّ بالسيوف، وشرب الحتوف، فيذبح ذبح الشاة من قفاه، وينهب رحله أعداؤه، وتشهر رؤوسهم هو وأنصاره في البلدان ومعهم النسوان، كذلك سبق في علم الواحد المتّان، فبكى آدم وجبرئيل بكاء الثكلى.

(١) روضة الواعظين: ١٥١ «مجلس في ذكر وفاة فاطمة الزهراء» وفيه:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أربعة ليس إلى فراقهنّ سبيل: أمانة أوصتني بها فاطمة، ثمّ قالت: أوصيك يا بن عم أن تتخذ لي نعشاً فقد رأيت الملائكة صوّروا صورته».

كما نصّ على ذلك مولانا الباقر عليه السلام في وجه تسمية مولانا الحجة عجل الله تعالى فرجه بالقائم، في خبر أبي حمزة الثمالي المروي في العلل ^(١).

وكذلك الله سبحانه لما أراد أن يُري الملائكة عبادة عباده له، خلق لكل مؤمن مثلاً في العرش، يركع المثال بركوعه، ويسجد بسجوده، فتراه الملائكة يصلّون عليه، ويستغفرون له.

إلى غير ذلك ممّا يقف عليه الخبير بالأخبار والسير.

فالتمثيل والتشبيه ليس بأمر حادث مبتدع، بل هو أمر عقلائي قديم متّبع، يرتكبه العقلاء لغاية جعل المعقول والمنقول محسوساً، ليرسخ فوراً في ذهن من رآه.

وبالجملة، فالغاية العقلائية العظيمة في صنع شبيه ما جرى بالطفّ، هو تجسيم الواقعة لينال عموم الناس إلى حقيقة الحال، فيحزنوا ويبكوا، ليؤجر الباكي ببكائه، ومحدّث الشبيه ببكائه، إذ قد ورد في الصّاح والمستفيض بل المتواتر من أخبار الفريقين، بكاء النبي صلى الله عليه وآله لمصاب الحسين عليه السلام عند إخبار جبرئيل به، وبكاء علي عليه السلام وفاطمة عليهما السلام معه لذلك ^(٢).

(١) لاحظ علل الشرائع ١: ١٦٠ باب ١٢٩.

(٢) كامل الزيارات: ١٢١ باب ١٦ «ما نزل به جبرئيل عليه السلام في الحسين بن علي أنه سيقتل» وفيه:

لما هبط جبرئيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله بقتل الحسين عليه السلام، أخذ بيد علي فحلاه ملياً من النهار، فغلبتهما العبرة...»

وفيه أيضاً: ١٢٥:

دخلت فاطمة عليها السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وعيناه تدمع، فسألت: مالك؟

وبكاء أمير المؤمنين عليه السلام عند مروره بأرض كربلاء في بعض حروبه بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم (١).

❦ فقال: إن جبرئيل عليه السلام أخبرني أن أمتي تقتل حسيناً، فجزعت وشقّ عليها، فأخبرها بمن يملك من ولدها، فطابت نفسها وسكنت.

والمستدرك على الصحيحين ٤: ١٩ وفيه:

حدّثني سلمان قال: دخلت على أم سلمة وهي تبكي، فقلت ما يبكيك؟

قالت: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المنام يبكي وعلى رأسه ولحيته التراب، فقلت: مالك يا رسول الله؟

قال: «شهدت قتل الحسين آنفاً».

ومسند أحمد ٣: ٢٤٢ ومجمع الزوائد ٩: ١٩٠ وصحيح ابن حبان ١٥: ١٤٢ والمعجم الكبير للطبراني ٣: ١٠٦ وموارد الضمآن ٧: ١٩٨ والإكمال في أسماء الرجال: ١٧٢ واللفظ لمسند أحمد:

عن أنس بن مالك: أن ملك المطر استأذن ربّه أن يأتي النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأذن له، فقال لأم سلمة: «أملكي علينا الباب لا يدخل أحد».

قال: وجاء الحسين ليدخل فمنعته، فوثب فدخل، فجعل يقعد على ظهر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلى وسلم وعلى منكبه وعلى عاتقه، قال: فقال الملك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم عليه وسلم أحبّه؟ قال: «نعم».

قال: أما أن أمتك ستقتله، وإن شئت أريتك المكان الذي يقتل فيه، فضرب بيده فجاء بطينة حمراء فأخذتها أم سلمة فصرتّها في خمارها. قال: قال ثابت: بلغتها أنها كربلاء.

(١) الإرشاد ١: ٣٣٢ وفيه:

عن جويرية بن مسهر العبدي قال: لما توجهنا مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلى صفّين، فبلغنا طفوف كربلاء، وقف عليه السلام ناحية من العسكر، ثمّ نظر يمينا وشمالاً واستعبر ثمّ قال: «هذا - والله - منأخّ ركابهم وموضع منيتهم».

وكذا ورد في أخبار الفريقين: «أن من بكى للحسين عليه السلام، أو أبكى أو تباكى وجبت له الجنة»^(٢).

فقيل له: يا أمير المؤمنين، ما هذا الموضوع؟

قال: «هذا كربلاء، يقتل فيها قوم يدخلون الجنة بغير حساب»، ثم سار.

فكان الناس لا يعرفون تأويل ما قال حتى كان من أمر أبي عبد الله الحسين بن علي عليه السلام وأصحابه بالطف ما كان، فعرف حينئذ من سمع مقاله مصداق الخبر فيما أنبأهم به.

ومجمع الزوائد ٩: ١٩١ وفيه:

وعن أبي هريرة قال: كنت مع علي رضي الله عنه بنهر كربلاء، فمرّ بشجرة تحتها بعرجلان، فأخذ منه قبضة فشتمها ثم قال: «يحشر من هذا الظهر سبعون ألفاً، يدخلون الجنة بغير حساب. رواه الطبراني ورجاله ثقات.

(١) كامل الزيارات: ٢٠١ الباب ٣٢ «ثواب من بكى على الحسين بن علي عليه السلام» وفيه:

عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «كان علي بن الحسين عليه السلام يقول: أيما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين بن علي عليه السلام دمة حتى تسيل على خذه يوّاه الله بها في الجنة غرقاً يسكنها أحقاباً، وأيما مؤمن دمعت عيناه حتى تسيل على خذه فينا لأذى مسنا من عدونا في الدنيا يوّاه الله بها في الجنة مبرأ صدق، وأيما مؤمن مسّه أذى فينا قدمعت عيناه حتى تسيل على خذه من مضاضة ما أؤذي فينا صرف الله عن وجهه الأذى وآمنه يوم القيامة من سخطه والنار».

المضض: وجع المصيبة. الصحاح ٣: ١١٠٦ «مضض».

(٢) الأُمالي للشيخ الصدوق: ٢٠٥ وفيه:

عن أبي عمارة المنشد، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال لي: «يا أبا عمار، أنشدني في الحسين ابن علي عليه السلام».

قال: فأنشدته فبكي، ثم أنشدته فبكي، قال: فوالله ما زلت أنشده ويبكي حتى سمعت البكاء من الدار.

قال: فقال لي: «يا أبا عمار، من أنشد في الحسين بن علي عليه السلام فأبكى خمسين فله الجنة،

وإنَّ «من ذكر الحسين عليه السلام عنده فخرج من عينه من الدموع مقدار جناح ذباب كان ثوابه على الله تعالى، ولم يرض له بدون الجنة»^(١).

إلى غير ذلك من الأخبار التي لا يسعنا هنا استقصاءها، وفي ما سطرناه كفاف لمن كان له إنصاف، ومن لا إنصاف له لا يدع الجحد والخلاف. ثم إنَّ في التشبيه المذكور واستطراق الشوارع به فوائد أخر عقلائية شرعية مترتبة عليه:

فمنها: ملئ قلوب عموم الناس بوقوع هذه الفاجعة العظمى، حتَّى لا يبقى للإنكار مجال ضرورة.

إنَّ الثبت في الكتب إنَّما ينفع في إلزام العلماء، وأمَّا العامي فليس له من الكتب حظ، فلولم يكن للوقعة شبيه في الخارج نالتها يد الإنكار، كما أنَّ وقعة الغدير نالتها يد الإنكار من عموم العامة، مع أنَّ كتبهم بنقلها وروايتها مشحونة

❦ ومن أنشد في الحسين شعراً فأبكى ثلاثين فله الجنة، ومن أنشد في الحسين فأبكى عشرين فله الجنة، ومن أنشد في الحسين فأبكى عشرة فله الجنة، ومن أنشد في الحسين فأبكى واحداً فله الجنة، ومن أنشد في الحسين فبكى فله الجنة، ومن أنشد في الحسين فتباكى فله الجنة».

(١) ثواب الأعمال للصدوق: ١١١ وفيه:

عن أبي هارون المكفوف قال: قال لي أبو عبد الله: «يا أبا هارون أنشدني في الحسين» فأنشدته... فلمَّا فرغت قال: «يا أبا هارون من أنشد في الحسين عليه السلام شعراً فبكى وأبكى عشرة كتب لهم الجنة، ومن أنشد في الحسين عليه السلام شعراً فبكى وأبكى خمسة كتب لهم الجنة، ومن أنشد في الحسين عليه السلام فبكى وأبكى واحداً كتب لهما الجنة، ومن ذكر الحسين عليه السلام عنده فخرج من عينيه مقدار جناح ذباب كان ثوابه على الله عزَّ وجلَّ ولم يرضى له بدون الجنة».

متواترة.

ولقد عثرت بعد يسير تتبّع في كتب أهل السنة والجماعة، فضلاً عن كتبنا، على أكثر من أربعين رواية متكفّلة لنقل وقعة الغدير^(١).

ولو كان للوقعة مثال في الخارج في كلّ سنة في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة الحرام، لكانت القضية إلى الآن مسلّمة عند عموم الناس، ولم يسع أحد إنكارها.

ولقد اعترض منذ ثلاثين سنة^(٢) تقريباً ابن باشي العسكر على جمع كانوا يلطمون على الصدور في صحن مولانا سيّد الشهداء أرواحنا فداء: بأنّه ما هذا الغوغاء في المجامع والطرقات، وما غرضكم بذلك؟!

فرأى أنّه إن أجاب: بأنّا نطلب بذلك الأجر؛ لاحتاج إلى إثبات أنّ فيه أجراً، ولا يمكنه ذلك في تلك الحال، فقال: إنّنا لمّا وجدناكم أنكرتم وقعة الغدير على تواترها عندهم، التزمنا بالغوغاء في أيام هذه الوقعة في المجامع والشوارع؛ كي لا يسعكم إنكار وقوع هذا الظلم العظيم من يزيد لعنه الله، ولو كنّا نلتزم في وقعة الغدير بمثله لمّا وسعكم إنكارها.

ومنها: التفاف عموم الناس برؤية هذه التشبيهات إلى قبح الظلم ووخم عاقبته ومبغوضيته حتّى يجتنبوه، فإنّ السواد إذا رأوا أنّ العموم يستقبحون أفعال

(١) مسند أحمد ١: ٨٤ و١١٨ و١١٩ و١٥٢ و٤: ٢٨١ و٣٧٢ و٥: ٣٤٧ و٣٦٦ و٣٧٠ وسنن

ابن ماجه ١: ٤٥ وسنن الترمذي ٥: ٢٩٧ وفضائل الصحابة للنسائي: ١٤ والمستدرک

على الصحيحين ٣: ١١٠ و١١٦ و٣٧١ و٥٣٣ ومعجم الزوائد ٧: ١٧ و٩: ١٠٣.

(٢) في سنة ١٣١٥ هـ تقريباً؛ لأنّ تاريخ تأليف هذه الرسالة هو سنة ١٣٤٥، كما مثبت في آخرها.

بني أمية، ويسبّوهم، دعاهم ذلك إلى الاجتناب عن الظلم؛ حذراً من السبِّ والفضيحة الدنيوية أقلّاً.

ومنها: أن تتحقّق عند جميع أهل الملل خروج يزيد بأفعاله بما صنع بأهل بيت نبينا ﷺ من هذا الدين، حتّى لا يحتجّ الكفّار بشربه للخمر واشتغاله بالملاهي على حلّها في شرعنا.

ومنها: رؤية الكفّار والتشبيّهات في الشوارع، ورقّتهم - بموجب الرقّة البشريّة - لذريّة نبينا ﷺ الملازمة للرغبة في الإسلام.

ولقد أنتجت التشبيّهات في بلاد إيران وقلقاسيا والهند وغيرها تشرّف جمع منهم إلى الإسلام، ونذر الكتائبين والوثنيين وعبدّة النار والبقر لأهل البيت ﷺ، ودفعهم في كلّ سنة أموالاً خطيرة إلى الشيعة ليصرفوها في عزاء سيّد الشهداء أرواحنا فداه.

ولقد أدّى الحال إلى وضع شركة في تلك البلاد من تجار النصارى بين أنفسهم وبين سيّد الشهداء ﷺ، وكانوا يصرفون سهمه ﷺ من الربح في عزائه، وكان يبلغ ألوفاً، كما لا يخفى على من أحاط خبراً بأحوال تلك البلاد، وهذه كلّها ثمرة المواكب المحزنة في الشوارع والمجامع.

ولقد نقل لنا متواتراً منذ نشأنا إلى الآن، وشاهدنا في بعض أسفارنا بأبصارنا، أنّ الكفّار - حتّى الوثنيين منهم - عند مرور التشبيّهات في الشوارع يقفون، ويكشفون رؤوسهم احتراماً، ويكون بمقتضى الرقّة البشريّة، بل يضربون أحياناً بالأيدي على الرؤوس ضرباً خفيفاً.

قد جرت عادة عبدّة النار في بعض أقطار الهند على صنع شبيه «حجلة

٢١٢.....رسائل الشعائر الحسينية / ج ١

القاسم»^(١) من خشب، وإعدادهم يوم عاشوراء ناراً جزيلاً، وحملهم «الحجلة»، ودخلهم من جانب إلى النار، وخرجهم من جانب آخر، وعدم تأثير النار فيهم، ولا في «الحجلة».

ولعلّ أساس ذلك من مسلم دخل فيهم قديماً، وأظهر التدنّين بدينهم، ودلّهم على ذلك، فبقى بينهم عادة.

إلى غير ذلك من الفوائد العظيمة والشعائر الفخيمة التي تجعل الفعل حسناً ممدوحاً، بعد عدم ورود منع من المولى فيه، ويجزئ الله سبحانه منشيء التشبيه، عن أنفسهم، وعنا، وعن الإسلام خيراً.

أمّا عن أنفسهم؛ فلا يكاثمهم الناس واستحقاقهم لذلك الأجر الجزيل.
وأمّا عنا فبحملهم ما لولا هم لكنّا مكلفين بتحمّله لتحصيل المقاصد المزبورة.

وأمّا عن الإسلام؛ فلتشييدهم له، وترغيبهم الكفّار فيه.
ثانيها: أنّ ذلك موجب لهتك حرمة رؤساء الدين وأئمّته، وتشبيه الرعيّة بهم.
وأنت خير بوضوح فساد؛ ضرورة أنّه ليس الغرض هو تشبيه النفس بالنفس، والشخص بالشخص، بل هو تشبيه محض للصورة والزّيّ واللباس؛ لتذكّار أحوالهم، وللتأثّر ممّا جرى عليهم.

فهو نظير تشبيه أمير المؤمنين عليه السلام بالأسد - الذي هو حيوان مفترس -

(١) في هامش النسخة المطبوعة ورد: «الحجلة، محرّكة، واحدة حجال العروس: وهي بيت يزين بالثياب والأسرة والستور، ومنه الحديث: (عقولهم كعقول ربّات الحجال)». مجمع البحرين ١: ٤٦٥ «حجل».

انظر: الكافي ٥: ٦ الحديث ٦ باب «فضل الجهاد» وفيه: «يا أشباه الرجال ولا رجال، وحلوم الأطفال وعقول ربّات الحجال، لوددت أنّي لم أركم ولم أعرفكم».

تأيرة، وباليعسوب^(١) أخرى، وبالزناد القادح^(٢) - الذي هو جماد - ثالثة، وبالشجرة رابعة^(٣)، وبالسيف^(٤) - هو حديد خامسة، وتشبيهه الأتقياء بالخيـل

(١) المعجم الكبير للطبراني ٦: ٢٦٩ وفيه:

عن أبي ذر وعن سلمان قالاً: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد علي رضي الله عنه فقال: «إِنَّ هَذَا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِي، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ يَصَافِحُنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَذَا الصَّدِيقُ الْأَكْبَرُ، وَهَذَا فَارُوقُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، يَفْرُقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَهَذَا يَعْسُوبُ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْمَالُ يَعْسُوبُ الظَّالِمِينَ».

اليعسوب: ملك النحل، ومنه قيل للسيد: يعسوب قومه. الصحاح ١: ١٨١ «عسوب».

(٢) العقد النضيد والدر الفريد: ١٣٤ وفيه:

خرج معاوية ذات يوم إلى خارج دمشق راكباً على بغلة شهباء للتفرّج... فلما أصبح إذا شيخ قد أقبل من صدر البرية... فقال له معاوية: كيف خلّفت أبا تراب؟ فقال الشيخ: فمن أبو تراب؟

قال: علي بن أبي طالب.

فقال: خف، ولم لا تقول: الميزان الراجح، والطريق الواضح والزناد القادح...».

وفي المزار للشهيد الأول: ٤٧:

«... السلام على الصراط الواضح والنجم اللائح والإمام الناصح والزناد القادح ورحمة الله وبركاته».

والزند والزنادة: خشبتان يستقبح بهما، العليا زند، والسفلى زنده. كتاب العين ٧: ٣٥٦.

والقَدَاحُ: الحجر الذي تُورى منه النار... والقَدَحُ: فعل القادح بالزند وبالقَدَاح ليوري. كتاب العين ٣: ٤٠ «قدح».

(٣) كنز العمال ١١: ٦٠٨ الحديث ٣٢٩٤٣ وفيه:

«أنا وعلي من شجرة واحدة والناس من أشجار شتى».

(٤) الأمالي للشيخ الصدوق: ٦١ وفيه:

عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «... علي سيف الله على أعدائه».

المحجلة^(١)، كل ذلك بلحاظ صحيح، فأين التشبيه المبحوث عنه من الهتك المنهي عنه؟!

نعم، الإنصاف إن جعل المتجاهر المعروف بالفسق شبيه هؤلاء الأطهار، والمعلنة بالفسوق شبيهة الطاهرات، هتك يجب اجتنابه بجعل شبيههم وشبيههن الأخيار أو مجهول الحال أقلأً، وجعل المعلن بالفجور شبيه شمر وحرملة وسان ونحوهم، والمعلنة بالفجور شبيهة نساء الأعداء.

بل الأحوط لزوماً ترك شبهة حرم أهل الطف أصلاً، أو تشبيه رجل بهن بوضع عباءة على رأسه، وستره وجهه بها.

وتوهم كونه مشمولاً لما دلّ على حرمة تشبه الرجال بالنساء^(٢) ولبسهم لباسهن، لا وقع له؛ لأنّ المراد بالتشبيه الممنوع منه إنّما هو التشبيه التام، بحيث لا يتميز الرجل عن المرأة، ولا المرأة عن الرجل بوجه؛ لأداء ذلك إلى مفسد عظيمة

(١) روضة الواعظين للفتال النيسابوري: ١٠٥ وفيه:

وقال [الإمام الباقر عليه السلام] أيضاً: «قال رسول الله ﷺ لعليّ مبتدياً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ البينة (٩٨): ٧، هم أنت وشيعتك، وميعادي وميعادكم الحوض إذا حشر الناس حيث أنت وشيعتك شباعاً مرويين غُرّاً مُحَجَّلِينَ».

والغرة، بالضم: بياض في جبهة الفرس فوق الدرهم. الصحاح ٢: ٧٦٧. وحجل في صفة الخيل (خير الخيل الأفرح المحجل) هو الذي يرتفع البياض في قوائمه إلى موضع القيد، ويجاوز الأرساغ ولا يجاوز الركبتين؛ لأنهما مواضع الأحجال وهي الخلاخيل والقيود. النهاية في غريب الحديث ١: ٣٤٦.

(٢) روضة الواعظين: ٣١٠ وفيه:

وروي أنّ رسول الله ﷺ لعن المشبهين من الرجال بالنساء، والمشبهات من النساء بالرجال.

لا تحصى.

ولقد بلغنا سابقاً أنّ في بعض البلدان تتشكّل المرأة - التي زوجها مشغول عنها - بالغلّمان بشكل الولد، وتكلّفه بأن يأتيها من حيث يأتي الغلمان، وأنّ النساء المساحقات تتشكّل الراكبة منهنّ بشكل الرجل تشبيهاً تاماً، حتّى أنّها تسوّد محلّ شاربها، فيركبها ويساحقها.

وأنّ الفاسد من الذكور قد يلبس لباس النساء ويدخل في مجامعهنّ؛ ليطلع على أشكالهنّ، ويجد من يفجر بها منهنّ.

ولعلّ ذلك ونحوه هي أسباب المنع من تشبّه الرجال بالنساء، والنساء بالرجال، فتحرّيم التشبّه بهما إنّما هو للمنع من هذه النتائج التي لا تحصل إلّا بالتشبّه التام الذي لا يتميّز به عمّن شبّه نفسه به.

وأين ذلك، وكيف هو من لبس الرجل إزاراً أو عباءة على رأسه، فوق ثياب الرجال، وستر وجهه، وركوبه الناقة العريانة؛ لتجسيم الظلم الوخيم الصادر من أعداء الدين لغرض إيكاء الناس والفوز بالأجر، مع علم الناس بأنّه رجل؟!

ولئن تنزّلنا غاية التنزّل، وسلّمنا المنع من مطلق اللبس حتّى مثل لبس الإزار على ثيابه، فذلك لا يوجب إلّا المنع من التشبّه بنساء أهل الطفّ، وأين ذلك من مطلق التشبيهات المتداولة الخالية عن لبس الرجل لباس المرأة؟!

ثالثها: أنّ في التشبيه هتكاً لهم من جهة أخرى، وهي: أنّ إظهار ما جرى عليهم من الذلّ والصغار والاستهانة والاستحقار هتك لهم عليهم السلام.

وفيه: أولاً: أنّه استفاضت الأوامر الأكيدة في الأخبار بذكر ما جرى عليهم من الذلّ والصغار والهتك والإضجار في المجامع الكبار، والتفجّع عليهم،

بل العقل السليم يقضي بحسن إشاعة ما جرى عليهم، بل لزومه؛ وذلك أنّ من ضروري مذهبنا أنّ تحمّلهم لما جرى عليهم لم يكن لعجزهم عن الدفع ضرورة، وأنهم بسبب بلوغهم في العبادة والإطاعة إلى درجة، صاروا بها مصداق قوله سبحانه: «عبدني أطعني تكن مثلي إذا قلت لشيء كن فيكون»^(٢).

(١) الكافي ٤: ٥٨٣ الحديث ١١ باب «فضل الزيارات وثوابها» وفيه:
عن معاوية بن وهب: استأذنت على أبي عبد الله عليه السلام... فوجدته في مصلاه... فسمعتة وهو يناجي ربّه ويقول: «... وارحم تلك الأعين التي جرت دموعها رحمة لنا، وارحم تلك القلوب التي جزعت واحترقت لنا، وارحم الصرخة التي كانت لنا».

والأما للشيخ المفيد: ٣٤١ وفيه:
ما من عبد قطرت عيناه فينا قطرة، أو دمت عيناه فينا دمة، إلا بواه الله بها حقباً.

والحقب بالضم: ثمانون سنة، ويقال: أكثر من ذلك، والجمع أحقاب. الصحاح ١: ١١٤ «حقب».

والعوالم في ترجمة الإمام الحسين عليه السلام للشيخ عبد الله البحراني وفيه:
فقال النبي ﷺ: «يا فاطمة إنّ نساء أمّتي يبكين على نساء أهل بيتي، رجالهم يبكون على رجال أهل بيتي، ويجددون العزاء جيلاً بعد جيل في كلّ سنة، فإذا كان يوم القيامة تشفعين أنت للنساء وأنا أشفع للرجال، وكلّ من بكى منهم على مصاب الحسين عليه السلام أخذنا بيده وأدخلناه الجنة، يا فاطمة كلّ عين باكية يوم القيامة إلا عين بكت على مصاب الحسين عليه السلام فإنّها ضاحكة مستبشرة بنعيم الجنة».

(٢) إرشاد القلوب للدلمي ١: ١٥٦ وفيه:
وروي أنّ الله تعالى يقول في بعض كتبه: «يا ابن آدم، أنا حيّ لا أموت، أطعني في ما أمرتك أجعلك حيّاً لا تموت، يا ابن آدم أنا أقول للشئ كن فيكون، أطعني فيما أمرتك أجعلك تقول للشئ كن فيكون».

كانوا قادرين على إفناء الأعداء، بل جميع العالم بكلمة واحدة في طرفة عين، كما يشهد بذلك: أَنَّ يزيد لعنه الله لَمَّا أذن لهم في الرجوع، وخرجوا وساروا يسيراً، ندم على ترخيصه إياهم في الرجوع؛ لأنَّهم يفضحونه ببيان ما جرى عليهم منه، فأرسل جيشاً لإرجاعهم، فوعظهم مولانا السجاد عليه السلام فلم يتعظوا، فطرح عصي كانت بيده بقدر ذراع فصارت ثعباناً كَثَعْبَانِ موسى عليه السلام، وبلعت الجيش إلا اثنين منهم، فأمرهما بالرجوع وإخبار يزيد بما جرى.

فقليل له عليه السلام: أين كانت هذه العصا في كربلاء؟!

فقال عليه السلام ما حاصله: إِنَّا إلى الخروج من باب الشام كُنَّا ملتزمين بأمر من الله سبحانه بتحمُّل ما يجري علينا، وقد وفينا بعهدنا، والآن هم أعجز وأذلَّ من أَن يصيبونا بشوكة.

فقبولهم عليه السلام لهذه المصائب مع قدرتهم على الدفع؛ لما كان بالنظر إلى حكم بالغة الإلهية، كإنجائهم جمٍّ غفير في الآخرة بشفاعتهم، وإراءة العباد كيفية الإطاعة اللازمة عليهم، وتسليٍّ من تصيبه مصيبة بتذكر مصائبهم ^(١).

🔸 وبحار الأنوار ٩٠: ٣٧٦ وفيه:

في الحديث القدسي: «يا ابن آدم أنا غني لا أفقر، أطعني في ما أمرتك أجعلك غنياً لا تفقر، يا ابن آدم أنا حي لا أموت، أطعني في ما أمرتك أجعلك حياً لا تموت، يا ابن آدم أنا أقول للشيء كن فيكون، أطعني في ما أمرتك أجعلك تقول للشيء كن فيكون».

وشجرة طوبى للشيخ محمد مهدي الحائري ١: ١٣٣ المجلس الثاني عشر وفيه:

قال عزَّ من قائل: «عبدني أطعني حتَّى أجعلك مثلي أقول للشيء كن: فيكون، تقول للشيء كن: فيكون».

(١) في هامش النسخة المطبوعة التي اعتمدنا عليها في التصحيح: كما قال الشاعر:

وغير ذلك من الحكم، لزم عقلاً إفشاء ما جرى عليهم، حتّى يعمّ التسليّ لأهل المصائب، ويلتفت عموم الناس إلى ما ينبغي تحمّله في مقام إطاعة الربّ تعالى وتقّدس، فإشاعة ما جرى عليهم من الذلّ والصغار، وتحمّلهم في مقام العبوديّة، مع القدرة على الدفع، ما يعجز عن تحمّله أواسط البشر، لازمة عقلاً فضلاً عن النقل.

وبعبارة أخرى: علّة وقوع هذه الفاجعة هي العلّة في لزوم إشاعتها. وثانياً: أنّه لو تمّ ما ذكر وجهاً للإشكال، للزم المنع من إظهار ما جرى عليهم حتّى باللسان نظماً ونثراً، مع أنّ جواز ذلك من ضروريّات المذهب. رابعها: أنّ تشبيه المؤمن الموحّد بالكافر الملحّد شمر ونحوه لا يجوز لوجهين:

❖ أمست رزيّتكم رزايانا

التي سلفت وهونت الرزايا الآتية

وهذا البيت من قصيدة للشاعر الشيخ عبد الحسين الأعسم الزبيدي النجفي، ولد في حدود سنة ١١٧٧هـ، وتوفي سنة ١٢٤٧هـ.

كان عالماً، فقيهاً أصولياً، ثقة، محققاً مدقّقاً، مؤلفاً، أديباً شاعراً مُفلقاً، مشهوراً. أعيان الشيعة ٧: ٥٢.

وأولها:

قد أوهنت جلدي للديار الخالية من أهلها ما للديار ومالية
والبيت الذي قبله:

تبثّل منكم كربلا بدم ولا تبثّل منّي بالدموع الجارية
والبيت الذي بعده:

وفجائع الأيام تبقى مدّة وتنزل وهي إلى القيامة باقية

أحدهما: ما ورد من أن «من تشبهه بقوم فهو منهم»^(١).

وفيه: أولاً: أنه ليس المبحوث عنه من التشبه الممنوع منه؛ لأنه عبارة عن التشبه، مع حب أن يعد من صنف المشبه به طوعاً ورغبة واستحساناً لشيء وعمله، كلبس المتفرنجين لباس الإفرنج، والتزامهم بأفعالهم وحركاتهم وسكناتهم وشيمهم.

فحال الخبر المانع من التشبه حال ما ورد مستفيضاً: من أن «من أحب قوماً حُشر معهم، ومن أحب عمل قوم أشرك في عملهم»^(٢).

وأين ذلك من التشبه بعدو الدين كارهاً له، مبغضاً إياه، لغاية الإيكاء رجاء للأجر والثوبة؟!

ولو سلم تنزلاً ومما شاة صدق التشبه عليه، وقبول سنده ودلالته وعمومه، فلا شك في أن عمومات الإيكاء أرجح منه سنداً ودلالة واعتضاداً.

ثانيهما: أن فيه إذلالاً للنفس واستهانة، وهو حرام.

وفيه ما في سابقه، مضافاً إلى منع حرمة مثل هذا الإذلال الذي فيه غرض صحيح عقلائي، وهو الإيكاء ونحوه، بل يمكن دعوى أن هذا الإذلال من أعظم المجاهدات؛ لأنه يشبه نفسه بأبغض الخلق إليه طلباً لمرضاة الله سبحانه، والله أجل من أن يحرم من الأجر من أذل نفسه لأجله.

خامسها: أن التشبه سبب لسخرية أهل سائر الأديان والمذاهب على

(١) عوالي اللئالي ١: ١٦٥ الحديث ١٧٠ الفصل الثامن، وسنن أبي داود ٢: ٢٥٥ الحديث

٤٠٣١ باب «في لبس الشهرة» ومجمع الزوائد للهيتمي ١٠: ٢٧١ باب «من تشبه بقوم فهو منهم».

(٢) بشارة المصطفى: ١٢٦.

الشيعة، فلا يجوز.

وفيه أولاً: أنه دعوى محضّة تشهد بفسادها البديهة، ضرورة أن أهل سائر المذاهب من فرق الإسلام لا يعقل تمسخرهم بذلك؛ لأنّ السخرية لا تكون إلّا من المبغض، ولا يعقل بغضهم لسيّد شباب أهل الجنّة؛ فإنّهم وإن لم يقولوا بإمامته إلّا أنّهم يشاركونا في القول بأنّه سبط نبيّهم صلوات الله عليه، ولا يعقل أن يكونوا أقلّ من النصارى الذين كانوا يعظّمون رسول ملك الروم؛ لكونه من حوافد داود^(١).

وقد شحنت كتب أهل السنّة والجماعة بالأخبار الصحاح عن النبي ﷺ

(١) مثير الأحزان لابن نما الحلبي: ٨٢ وفيه:

عن أبي الأسود محمّد بن عبد الرحمن قال: «لقيني رأس الجالوت بن يهوذا فقال: والله إنّ بيني وبين داود سبعين أباً، واليهود تلقاني فتعظّمني، وأنتم ليس بين ابن النبي وبينه إلّا أب واحد وقد قتلتم ولده؟»

وكان يزيد يتخذ مجالس الشراب واللّهو والقيان والطرب ويحضر رأس الحسين بين يديه، فحضر مجلسه رسول ملك الروم وكان من أشرافهم فقال: يا ملك العرب هذا رأس من؟ قال: مالك ولهذا الرأس؟

قال: إنّني إذا رجعت إلى ملكنا يسألني عن كلّ شيء شاهدته، فأحببت أن أخبره بقضية هذا الرأس وصاحبه ليشاركك في الفرح والسرور.

قال: هذا رأس الحسين بن علي.

قال: ومن أمّه؟

قال: فاطمة بنت رسول الله.

فقال النصراني: أف لك ولديك، لي دين أحسن من دينكم، إنّ أبي من حفدة داود^{عليه السلام}، وبينه وبينه آباء كثيرة، والنصارى يعظّمون قدري ويأخذون من تراب قدمي تبركاً بأنّي من الخواص. وقد قتلتم ابن بنت نبيكم، وليس بينه وبينه إلّا أمّ واحدة، فقبح الله دينكم...».

الناطقة بالملازمة بين حبّ النبي ﷺ وحبّ الحسين عليه السلام^(١)؛ بأنه سيّد شباب أهل الجنة^(٢).

وبيكائه صلى الله عليه وآله لمصاب الحسين عليه السلام^(٣)، وجعله ﷺ بأمر من الله سبحانه مودّته، ومودّة أبيه، وأمه، وأخيه، وأولاده، أجر الرسالة بنصّ الآية^(٤)، وروايات الفريقين^(٥).

(١) مسند أحمد ٢: ٢٨٨، وفضائل الصحابة للنسائي: ٢٠ والمستدرک ٣: ١٦٦ وفيها:
عن أبي هريرة قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أحبّهما فقد أحبّني، ومن أبغضهما فقد أبغضني، يعني حسناً وحسيناً».

وسنن ابن ماجه ١: ٥١ الحديث ١٤٣ فضل الحسن والحسين وفيه:
«من أحبّ الحسن والحسين فقد أحبّني، ومن أبغضهما فقد أبغضني».

(٢) المستدرک على الصحيحين ٣: ٣٨١ وفيه:

عن حذيفة عن النبي ﷺ قال: «أتاني جبرئيل عليه السلام فقال: إنّ الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة، ثم قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: غفر الله لك ولأمّك يا حذيفة».

ولاحظ مسند أحمد ٥: ٣٩١ - ٣٩٢ وفضائل الصحابة للنسائي: ٥٨ ومجمع الزوائد للهيتمي ٩: ١٨٣ والمصنّف لابن أبي شيبه ٧: ٥١٢ الحديث ٥ «ما جاء في الحسن والحسين»، والأمالى للشيخ المفيد: ٢٣ الحديث ٤ المجلس الثالث، ومناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ٣: ١٦٤ باب «إمامة السبطين».

(٣) كامل الزيارات: ١٢٥ الحديث ٨ باب «ما نزل به جبرئيل...» وفيه:

«عن أبي عبد الله عليه السلام قال: دخلت فاطمة عليها السلام على رسول الله ﷺ وعيناه تدمع، فسألتها: ما لك؟

فقال: إنّ جبرئيل عليه السلام أخبرني أنّ امتي تقتل حسيناً، فجذعت وشقّ عليها، فأخبرها بمن يملك من ولدها فطابت نفسها وسكنت».

(٤) وهو قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ الشورى (٤٢): ٢٣.

(٥) الكافي ١: ٤١٣ الحديث ٧ باب «فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية» وفيه:

فكيف يعقل سخريتهم لذلك، وهم محبّون له، ومبغضون لعدوّه؟!

وكيف يعقل بغضهم له؟!

مع أنّ الإمام الشافعي - الذي هو أحد أعمدة مذهبهم - قد بالغ في حبّهم نظماً ونثراً في وقائع عديدة فمنها:

ما نقله البيهقي عن الربيع بن سليمان أحد أصحاب الشافعي، قال: قيل للإمام الشافعي رحمه الله: إنّ أناساً لا يصبرون على سماع منقبة أو فضيلة لأهل البيت الطيّبين عليهم السلام، فإذا رأوا واحداً منّا يذكرها، يقولون: هذا رافضيّ، فأنشأ الشافعي:

إذا في مجلس ذكروا عليّاً	وسبطيه وفاطمة الزكيّة
فأجرى بعضهم ذكراً سواه	فأيقن أنّه لسلفلقية ^(١)

عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ الشورى (٤٢): ٢٣ قال عليه السلام: «هم الأنمة عليهم السلام».

ومجمع الزوائد للهيتمي ٧: ١٠٣ وفيه:

وعن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿قُلْ لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ قالوا يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال: «علي وفاطمة وابناهما».

والمستدرک علی الصحيحین ٣: ١٧٢ وفيه:

قال الحسن بن علي: «وأنا من أهل البيت الذي افترض الله مودّتهم على كلّ مسلم، فقال تبارك وتعالى لنبيّه صلى الله عليه وآله: ﴿قُلْ لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾».

(١) السلفلق، كسفرجل، والسلفلقية: هي المرأة تحيض من دبرها. كما صرح به في

. إذا ذكروا علياً أو بنيه تشاغل بالروايات العلية

وقال تجاوزوا يا قوم هذا فهذا من حديث الرافضية

برئت إلى المهيمن من أناس يرون الرفض حبّ الفاطمية

على آل الرسول صلاة ربّي ولعنته لتلك الجاهلية^(١)

وقال الحافظ أبو عبد الله جمال الدين محمد بن أبي المظفر يوسف الزرندي

المدني في كتابه «معراج الوصول في معرفة آل الرسول» قال الإمام الشافعي:

يا أهل بيت رسول الله حبّكم فرض من الله في القرآن أنزله

كفاكم من عظيم القدر أنكم من لم يصلّ عليكم لا صلاة له^(٢)

إلى غير ذلك ممّا نقله في الباب الثاني والستين من ينابيع المودة^(٣).

ولئن اتّفق بغض نادر منهم للحسين عليه السلام، فهو بمقتضى الأخبار المروية من

طرقهم صحيحاً - فضلاً عن طرقنا - ابن زنا أو... بل هو كافر ملحد، بمقتضى

② القاموس المحيط للفيروز آبادي ٣: ٢٤٦ «سلق».

ولسان العرب ١٠: ١٦٣ «سلق».

وانظر تاج العروس ١٣: ٢٢٢ «سلق».

(١) نظم درر السمطين للزرندي الحنفي: ١١١ وفيه:

«فأجرى بعضهم ذكرى سواه...».

وفي ينابيع المودة ٣: ٩٧ - ٩٨ باب ٦٢. «فأجرى بعضهم ذكراً سواه...» «وقال تجاوزوا

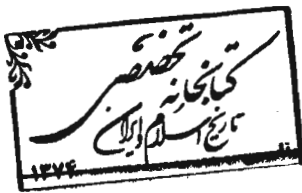
يا قوم عن ذا...».

(٢) نظم درر السمطين للزرندي الحنفي: ١٨ وينابيع المودة ٣: ١٠٣ باب ٦٢.

(٣) ينابيع المودة ٣: الباب الثاني والستون في إيراد مدائح الإمام الشافعي وتفسير بعض

الآيات والأحاديث الواردة في كثرة ثواب من بكى على الحسين وآل بيته رضي الله

عنهم.



٢٢٤.....رسائل الشعائر الحسينية / ج ١

أخبار الفريقين الناطقة بأن من أبغض حسيناً فقد أبغض رسول الله ﷺ^(١)، فإن مبغض الرسول ﷺ كافر، فكذا مبغض الحسين ﷺ.

وورد أيضاً في أخبار الفريقين صحيحاً مستفيضاً قول النبي ﷺ: «حسين مني وأنا من حسين»^(٢).

وعليه فمن أبغض الحسين فقد أبغض الرسول الأكرم ﷺ.

وقوله: «لا يبغض أهل هذا البيت إلا منافق»^(٣) بضيمته قوله سبحانه: ﴿إِنَّ

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ٢٥٩ - ٢٦٠ الحديث ٥ الباب ٢٤ وفيه:

عن الأصمعي بن نباتة، قال: خرج علينا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ ذات يوم ويده في يد ابنه الحسن وهو يقول: «خرج رسول الله ﷺ ذات يوم ويده في يده هكذا وهو يقول: خير الخلق بعدي وسيدهم أخي هذا... ولقد سئل رسول الله - وأنا عنده - عن الأئمة بعده فقال للسائل: ﴿وَالسُّمَاءُ ذَاتِ الْجُرُوجِ﴾ البروج (٨٥): ١ إِنَّ عددهم بعدد الشهور.

فقال السائل: فمن هم يا رسول الله؟

فوضع رسول الله ﷺ يده على رأسي فقال: أولهم هذا وآخرهم المهدي، من والاهم فقد والاني، ومن عاداهم فقد عاداني، ومن أحبهم فقد أحبني، ومن أبغضهم فقد أبغضني، ومن أنكرهم فقد أنكرني...».

والمستدرك على الصحيحين ٣: ١٦٦ وفيه:

قال رسول الله ﷺ في حق الحسن والحسين ﷺ: «من أحبهما فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني».

(٢) الإرشاد ٢: ١٢٧ والعمدة لابن البطريق: ٤٠٦ الحديث ٨٣٩ وذخائر العقبى: ١٣٣ ومسند

أحمد ٤: ١٧٢ وسنن الترمذي ٥: ٣٢٤ الحديث ٣٨٦٤، والمستدرك على الصحيحين ٣:

١٧٧ وتحفة الأحوزي ١٠: ١٩٠ والمصنف لابن أبي شيبة ٧: ٥١٥.

(٣) كفاية الأثر للخزاز القمي: ١١٠ وذخائر العقبى: ١٨ وينابيع المودة للقندوزي ٢: ١١٦

الْمُتَافِقِينَ فِي الدِّزْلِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ^(١).

وبالجملة، فنسبة البغض للحسين عليه السلام إلى أهل السنة والجماعة بهتان عليهم أجازنا الله تعالى منه، وكيف ينسب ذلك إليهم، وهم لا يزالون يندرون الأموال والتحف لأبي الفضل العباس عليه السلام، الذي هو أحد خدام الحسين؟!

ولقد كان يأتينا قبل الحرب العمومي من اسلامبول من أهل السنة والجماعة، بتوسط تجار الشيعة نذورات من النقود ومصوغات الذهب والفضة لأبي الفضل عليه السلام، لنصرفها عليه، ولعمري إنني طول عمري ما لاقيت سنيًا وفتشته إلا وجدته محبًا لأهل البيت عليهم السلام.

وثانيًا: إن من سخر من أهل السنة والجماعة على التشبهات، ننقض عليه تارة بمجالس ذكرهم، وأخرى بما تداولوه من حمل هودج أم المؤمنين عائشة في كل سنة من مصر إلى الحج^(٢)، وزيارة النبي صلى الله عليه وآله، وصرف أموالاً خطيرة في

❦ وفيها:

عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا يحبنا أهل البيت إلا مؤمن تقي، ولا يبغضنا إلا منافق شقي».

(١) النساء (٤): ١٤٥.

(٢) لاحظ: «أزمة سياسية بين مصر والسعودية بسبب محمل الحج» بقلم إبراهيم كامل:

المحمل الشريف: فهو عبارة عن هودج من عدة قطع من القماش المزخرف بالآيات القرآنية يحمل على جمل خاص، وكان يسير من بلاد مصر وتركيا وسوريا متزامناً مع مناسك الحج، ابتداءً من عصر المماليك، حين خرجت «شجرة الدر» قاصدة الحج، واستمر حتى ملك آل سعود، وتحديداً في عهد الملك عبد العزيز آل سعود.

وفي عهد الملك عبد العزيز وقعت حادثة تقاتل بعض الحجاج النجديين المنتمين للإخوان (فرقة عسكرية وهابية مناصرة لآل سعود) مع عسكر المحمل المصري في عام

ذلك.

وكذلك حملهم لشبيه هودج النبي ﷺ من الشام إلى الحج^(١).

٥ ١٣٤٤هـ.

وَاتَّفَقَ الملك عبد العزيز مع المصريّين أخيراً على أنه لا حاجة للمحمل بعد توقّف الكسوة، ووقع معهم بعد تولي الملك فاروق الحاكم المعاصر معاهدة على وفق القوانين الدولية عام ١٣٥٥هـ تَضَمَّنَت السماح للمصريّين بالتطوُّع لعمارة الحرمين الشريفين.

(١) في كتابه «دمشق في مطلع القرن العشرين» يوضح «أحمد حلمي العلاف» كيف كانت ترتب شؤون الحجيج أيام الدولة العثمانية، والتفاصيل الدقيقة لكلِّ مراسم المحمل الشامى بدءاً من الإعداد له، ومروراً بمسيرته، وانتهاءً بالاحتفالات التي يقيمهما الدمشقيّون بعد عودة الحجّاج من الأراضي المقدّسة، وكانت هذه التفاصيل قد عُرضت في أحد الأعمال الدرامية السورية «الخوالي» لبسام الملا، واتكأت على هذا المرجع لتقديم صورة عن حياة الناس، عاداتهم وطقوسهم في أيام الحجّ البعيدة تلك.

تبدأ مراسم المحمل في اليوم الأوّل لعيد الفطر، وتسمّى «مراسم الزيت والشمع والمحمل»، حيث تصطف الفرق العسكرية أمام المسجد الأموي، وتؤدي التحية لوالي المدينة وقائدها العسكري، وبعض كبار الموظفين، وبعد الانتهاء تجري حفلة إخراج الشموع والزيوت المهيّأة لإرسالها مع موكب الحجّ إلى الحرمين الشريفين.

في «يوم الزيت» وهو الثاني من شوال كلّ عام، يتمّ الاحتفال بنقل الزيت من «كفر سوسة» أحد ضواحي دمشق في الماضي، وهو أحد أحيائها اليوم، ضمن ظروف على ظهور الإبل حتّى «الكيلار» في البحصّة، وهو المستودع الخاص بأدوات محمل الحجّ.

أمّا في اليوم الثالث من شوال (يوم الشمع) فينقل الشمع باحتفال رسمي أيضاً، من الدار التي سكب فيها في «كفر سوسة» ووزنه ثلاثة قناطير، وماء الورد من محصول قرية «المزّة» - وهو حي المزّة المشهور في دمشق اليوم - ووزنه نحو قنطار، والملبّس ووزنه عشر أربال، ويحمل الشمع على أعناق الرجال ملفوفاً بالشال «الكشمير»

٥

❦ لإهدائه إلى الحرمين.

وفي يوم السنجق، يُخرج السنجق الشريف «الراية أو اللواء» وهو كلمة فارسية، من القلعة حيث يُحتفظ به، وينقل باحتفال مهيب إلى دائرة المشيرية، ليستقبله المُشير ويضعه في قصره.

أمّا اليوم الرابع من هذه المراسم، فهو (يوم المحمل)، حيث يخرج موكب الحجّ الشريف مع المحمل والسنجق إلى حي الميدان، ثمّ باب مصر، ومنه إلى قرية القدم التي فيها قبة جامع «العسالي»، وتحت هذه القبة، يوضع المحمل نحو عشرة أيام، ريثما تنتهي أسباب السفر إلى الحجاز.

التشرف بإمارة الحجيج: من هنا كان يبدأ المحمل رحلته.

يعتبر «آل سعد الدين» من أعرق العائلات الدمشقية، وأكثرها ارتباطاً بطقوس محمل الحجّ الشامي، حيث كان لشيوخ الأسرة السعدية موقعهم المميّز في احتفالات المحمل؛ لأنّ دارهم كانت المحطة الأهم لاستراحة المحمل الشريف، الذي كان شعاراً لسيادة السلطان العثماني على الحرمين الشريفين.

يوضع (المحمل) على ظهر جملٍ جميل الشكل قوي وعال لا يستخدم لأي عمل سوى الحجّ، ويحمل إضافة للمحمل الكسوة السلطانية إلى الكعبة الشريفة.

وحين كان المحمل يتوقّف في دار سعد الدين يتقدّم شيوخ الأسرة وجهاؤها ليلقموها الجمل قطعاً من اللوز والسكر، فيتهاقت الناس على التقاط الفضلات من فم الجمل تبركاً وتحبباً؛ لأنّه يحمل أعظم شعار يجتمع إليه المسلمون عند ذهابهم إلى الحجّ.

وبعد وصول المحمل إلى العسالي، ينتظر تجمّع الحجاج يوماً أو يومين، حيث تسير قافلة أمير الحجّ في طريقها إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلّم.

كانت الدولة العثمانية تتحمّل نفقات الحجّ، وتعهد بإمارته لواحد من كبار العسكريين في دمشق، أو من زعماء العشائر العربية في فلسطين، ويهيأ هذا الأمير للخروج بالحجّ، قبل حلول الموسم بثلاثة أشهر، فيقوم أولاً بـ«الدورة» أي زيارة المناطق الجنوبية من

❦ دمشق لجمع المال اللازم، وقد يكون الوالي نفسه أمير الحج، وهي مهمة صعبة وخطيرة؛ لأنَّ من واجباته أن يدفع عن الحجاج اعتداءات القبائل التي تنوي بهم شراً، وقد تولى أسعد باشا العظيم - والي دمشق - إمارة الحج مدة ١٤ عاماً، وكان الباشاوات في مختلف أنحاء السلطنة العثمانية يتوقون إلى هذا اللقب.

تتكون قوافل الحج الشامي من عدة فئات تقوم بخدمة الحجاج والسهر على راحتهم وحمايتهم، ولكل من هذه الفئات وظائفها:

فالسقا، كانوا يحملون القرب لنقل المياه من البرك والآبار إلى الحجيج.

والبرّاكون، هم أصحاب الدواب التي تنقل الحجاج، وتكون من البغال والبراذين.

والعكامة، وهم أصحاب الجمال والهوارج التي تنقل الحجاج أيضاً.

وأصحاب المشاعل، وهم حملة القناديل ومشاعل الزيت، وطائفة أصحاب الخيم.

ولكل هؤلاء رؤساء ومعاونون كثيرون، مهيؤون لتأمين راحة الحجاج، فأهل حي الشاغور وقصبة دوما للجمال، وأهل الصالحية كان أكثرهم للسقاية والمشاعل والبركة، والبيطرة منهم أيضاً، والجنود يخدمون أنفسهم، أمّا الأمير وأتباعه فإن مئات الأشخاص يكونون تحت خدمته وخدمة معاونيه.

كان أمير الحج يخرج من سراي الحكم «المشيرية أو العسكرية» على رأس موكب الحج بين ١٥ - ١٧ شوال، ويتخذ طريقه: الميدان، مجتازاً باب المصلّى، ثمّ الميدان الفوقاني، إلى باب الله أو بوابة مصر، في ممرّ يمتدّ نحو ثلاثة كيلومترات متجهاً إلى قرية مزيريب، وبعد خروج الحج ببضعة أيام «من يومين إلى خمسة» تخرج قافلة الحج الشامي من الطريق نفسه، يتلوها قافلة الحج الحلبي، ومعهم حجاج العجم، ويبقى الجميع في مزيريب حتّى يتمّ خروج الموكب بأجمعه، وكانت رحلة الحج الشامي تستغرق أربعة أشهر من شوال حتّى صفر.

الحبوب والمحبوب:

بعد انتهاء مناسك الحج، يتجمّع الحجاج في المدينة المنورة حول المحمل والسنجق

فحيث لا مرض في قلوبنا لم نكن نسخر بفعلهم هذا، فمن سخر منهم بتشبيهات الطفّ، فهو مريض لا عبرة بقوله وفعله.

☞ ويعودون في نفس الموكب الذي ذهبوا به، وحين يقارب وصولهم إلى دمشق، تستعد الحكومة والأهالي لاستقبالهم باحتفالات كبرى.

وكان معروفاً عند الناس قولهم أثناء مغادرة الحجاز: «ياكلون الحبوب ويفارقون المحبوب»، والحبوب نوع من الحلوى تطبخ فيه الحبوب المتنوعة كالحمص والقمح واللوبياء والفاصولياء مع السكر، وعادة ما يصنع يوم عاشوراء في العاشر من محرم، والمحبوب هو الرسول - صلى الله عليه وسلم -.

في العودة، يكون مع القافلة رجل يدعى «أمين الصر»، - والصر - هو بعض الهدايا التي كانت توزع على عربان بين الحرمين تملقاً لهم وخوفاً من بطشهم، ويحوي هذا الصر مختلف المتاع من أحذية، ومحارم وهي مناديل قطنية أو حريرية كان بعضها يصنع في دمشق أو تحضر من إستانبول، والعقل، والعباءات والجوارب.

أمّا «الجوخة دار» (الجوقة دار) وهي كلمة تركية الأصل تعني فتيان السلطان أو القصر السلطاني، ثم أصبحت الكلمة تطلق على رسول السلطان أو الوالي، فيقوم في الحجّ بدور الرسول الذي يرسله أمير الحجّ إلى دمشق ليبشّر الناس بعودة الحجّ قبلهم وصولهم ببضعة أيام، وينفصل «الجوخة دار» عن الحجاج في تبوك، يصل قبلهم بسبعة أيام، ويبشّر الناس بسلامة الحجّ ونظافته من الوباء والأمراض والمصائب، وبمجرّد وصول «الجوخة دار» يبدأ الناس بالسفر إلى مزيريب أو غباغب أو الكسوة، حاملين مختلف الأطعمة لملاقاة حجاجهم من أقارب وأصحاب.

أمّا الدولة فتعتن يوماً لاستقبال موكب الحجّ، يأتي فيه الناس مهللين مكبرين، يصطفون على جوانب الطرق من بوابة مصر في العسالي، إلى دار الحكومة وهي مكان القصر العدلي في دمشق اليوم. وتطلق مدفعية قلعة دمشق عند وصول الموكب عشرين طلقة متقطعة، وفي تلك الأثناء يمرّ الموكب ثانية في دار آل سعد الدين الذين يناولون جمل الحجّ اللوز والسكر كما فعلوا عند ذهابه إلى الحجاز.

وكذا من سخر من الكفار، ننقض عليه بما يرتكبونه في عيد الصليب^(١).

وثالثاً: إن استهزاء أعداء الدين بعمل حسن ديني لا يسلب حسن العمل، ولا يجعله قبيحاً، ولا يلزم تركه، كما أن نبيح الكلاب لا يمنع من سير القافلة عند العقلاء، وإلا للزم الرسول الأكرم ﷺ أن لا يظهر نبوته لسخرية أبي جهل، وأبي لهب، وأمثالهما به، ولزم أن لا يصلي أحد عند بعض المستهزئين بها من الكفار والمرتدين.

ولئن كان التمسخر على التشبيه موجب للمنع منه، للزم المنع من مطلق إقامة العزاء والبكاء، وذكر أسماء النساء على المنابر؛ لأن من يسخر بالتشبيه يسخر بذلك كله.

ولقد اعترض منافق على مؤمن في ذكر أسماء حرم الطف على المنابر؟ فأجابه بقراءة قوله سبحانه: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا...﴾^(٢) الآية، فإنه لو كان ذكر أسماء الحرم قبيحاً لما سمي الله تعالى مريم في كتابه المجيد.

سادسها: اقتران التشبيهات بضرب آلات اللهو من الطبل والمزمار ونحوهما.

(١) الكامل في التاريخ ١: ٣٢٩ - ٣٣٠ وفيه:

«ثم ملك قسطنطين المعروف بأمه هيلاني في جميع بلاد الروم...

وفي السنة السابعة من ملكه سارت أمه هيلاني الزهاوية، كان أبوه سبأها من الزهاء، فأولدها هذا الملك، فسارت إلى البيت المقدس وأخرجت الخشبة التي تزعم النصارى أن المسيح صلب عليها، وجعلت ذلك اليوم عيداً، فهو عيد الصليب، وبنت الكنيسة المعروفة بقمامة، وتسمى القيامة، وهي إلى وقتنا هذا يحجها أنواع النصارى».

(٢) التحريم (٦٦): ١٢.

. وأنت خير بأن المحرم ليس نفس الآلة، ولا استعمالها بأي نحو كان، بل المحرم إنما هو ضربها على الكيفية الملهية، فحال تلك الآلات حال حنجرة الإنسان، فالصوت الذي يخرج منها على وجه الغناء حرام، والخارج منها لا على تلك الكيفية ليس بحرام.

وحينئذٍ، فإن ضربت تلك الآلات على الكيفية الملهية كان حراماً محرماً، يجب تركه، والنهي عنه بكل ما يمكن، لكن اقتران هذا المحرم بالتشبيه لا يجعل التشبيه محرماً؛ لأنهما شيان متباينان مقترنان في الوجود، لا تلازم بين حرمة أحدهما وحرمة الآخر، ولا مانع من حل أحدهما أو حرمة الآخر.

فتلخص مما ذكرنا كله: أن حرمة التشبيه مما لا دليل عليه، وأن الأصل جوازه، وكذا ضرب الرأس والظهر بسلاسل من حديد، بل وضرب الرأس بالسيف وإخراج الدم مالم يكن فيه خوف الضرر؛ إذ لا دليل على حرمة إدماء الجسد حتى يكون ذلك أصلاً ثانوياً معدلاً عن أصالة الإباحة حتى يحتاج الجواز إلى الدليل المخرج عن الأصل الثانوي، فما صدر من بعض من سبق من علمائنا رضوان الله تعالى عليهم من التأمل في جواز ذلك^(١)، بل جواز اللطم على الصدور المدمي، لم أقف على مستنده.

وأوهن منه التأمل في جواز اللطم الموجب لإحمرار الجسد.

ويمكن الاستيناس لجواز التشبيه بما مر من تمثيل الله سبحانه مثال الطفّ لآدم عليه السلام، ومثال مولانا القائم عليه السلام للملائكة، وتمثيله مثال المؤمن في العرش وتمثيله النعش للحوراء الإنسية عليه السلام.

ولإدماء الرأس بالسيف والسلسلة بضرب زينب جبينها بمقدّم المحمل،

(١) في هامش النسخة المطبوعة: «يعني جواز إدماء الرأس بالسيف» منه دام ظله.

٢٣٢..... رسائل الشعائر الحسينية / ج ١

وسيلان الدّم من تحت قناعها^(١)، بل استدّل الفاضل القمي رحمه الله لحلّ التشبيه لا بكاء الناس بعموم: «من أبكى» في ما مرّت إليه الإشارة من الأخبار^(٢).

ولعلّه بالنظر إلى أنّ شموله لآحاد المبكين يستلزم بعد حذف المتعلّق لشمول الآحاد أسباب البكاء.

وكذا استدّل لذلك بعموم قوله سبحانه: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾^(٣).

وأَيّ شعار لله أعظم من التذكّار للشعائر الحسينيّة، التي عظمها صلوات الله عليه يوم الطفّ، إحياءً لدين جدّه ببذل نفسه، وجمع من ولده وإخوته وأرحامه وأحبّته، ونهب ثقله، وسبي عياله وأطفاله على يد شرّ الخلق وأرذلهم وأعصاهم لله سبحانه ابن مرجانة، كما اعترف بتوقّف بقاء طريقة جدّه على بذل نفسه المقدّسة، والأنفس الزاكية ممّن معه، ونقله الإمبراطور الروسي في تاريخه.

وبهذا التقريب يمكن الاستدلال المطلوب بقوله سبحانه: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ

(١) العوالم، الإمام الحسين عليه السلام: ٣٧٣ - ٣٧٤ وفيه:

«... فالتفت زينب عليها السلام فرأت رأس أخيها فنطحت جبينها بمقدم المحمل، حتّى رأينا الدم يخرج من تحت قناعها وأومات إليه بحرقه وجعلت تقول:

يا هلالاً لما استتمّ كمالاً	غاله خسفه فأبدا غروباً
ما توهّمت يا شقيق فؤادي	كان هذا مقرّراً مكتوباً
يا أخي فاطم الصغيرة كلّها	فقد كاد قلبها أن يذوباً

(٢) الأمالي للشيخ الصدوق: ١٣١ الحديث ٤ المجلس السابع عشر وفيه:

«عن علي بن الحسن بن علي بن فضال عن أبيه، قال: قال الرضا عليه السلام: من تذكّر مصابنا وبكى لما ارتكب منّا كان معنا في درجتنا يوم القيامة، ومن ذكرّ بمصابنا فبكى وأبكى لم تبك عينه يوم تبكي العيون، ومن جلس مجلساً يحيي فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب».

(٣) الحج (٢٢): ٣٢.

عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴿١﴾ بعد تفسير «القربى» في المتواتر من أخبار الفريقين بعلي وفاطمة والحسين عليهم السلام ؛ إذ أي مودة أعظم من إقامة عزائهم بكشف الرؤوس والصدور واللمطم عليها في المجامع والشوارع، وتجسيم ما جرى عليهم الموجب للبكاء عليهم، والحزن لحزنهم.

وبالجملة، فرجحان إقامة عزاء سيد المظلومين سلام الله عليه، والبكاء على مصابه، واللمطم على الرؤوس والصدور في الطرقات والمجامع، وتهيئة التشبيهات، ممّا لا ريب ولا إشكال فيه، ولا في كونه من أعظم الشعائر الإسلامية والعبادات المندوبة.

نعم، يعتبر فيها قصد القرية، وتعريتها عمّا هو منهي عنه، كضرب آلات اللهو على الكيفية المطربة، وتشبه الرجال بالنساء تشبهاً تاماً؛ إذ لا يطاع الله سبحانه من حيث يعصى^(٢)، سيّما وسيد الشهداء - أرواحنا فداءه - إنّما بذل النفس والأولاد والأرحام والأحباب والمال والعيال ؛ لإحياء دين جدّه الأكرم ﷺ، فلا يعقل رضاه بما منع منه في الدين.

هذا ما وسعه الوقت من الكلام في المقام في اليوم الرابع عشر من صفر ١٣٤٥.

وأنا الفاني عبد الله المامقاني عفي عنه
طبعت في المطبعة المرتضوية في النجف الأشرف على نفقة جمع من
إخواننا المؤمنين.

(١) الشورى (٤٢): ٢٣.

(٢) معاني الأخبار: ٢٤٠ الحديث ١ باب «معنى العبادة» وفيه:

عن خيثمة بن عبد الرحمن الجعفي قال: سأل عيسى بن عبد الله القمي أبا عبد الله عليه السلام وأنا حاضر فقال: ما العبادة؟

قال: «حسن النية بالطاعة من الوجه الذي يطاع منه».

(٥)

نظرة دامعة
حول مظاهرات عاشوراء

تأليف
الشيخ مرتضى آل ياسين الكاظمي
(١٣١١هـ - ١٣٩٨هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

أما في هذه الدنيا مقرّ	إلى أين الفرار ولا مفرّ
ولكن كلّ ما في الكون شرّ	لقد عمّ الفساد فلا صلاح
تجرّع سمّه برّ وبحر	وطبّق هذه الدنيا ضلال
كأن لم يأتها نهى وأمر	وأنكرت النفوس الدين حتّى
وطعم الحقّ في الأفواه مرّ	ولا عجب فإن الدين حقّ
كمسجون على كفيّه جمر	وما دينيّ هذا العصر إلّا

أجل والله، إنّه ليجدر بالرجل الدينيّ في عصره الحاضر، أن يشب فؤاده من بين جنبهيه جزعاً، وأن ينخلع قلبه عن موضعه أسفاً، عندما يلقي ببصره إلى ما حوله، فلا يجد هنا وهناك إلّا أضراليل وأباطيل، تندرج إلى قومه بين المضائق والمنفرجات، وتتدافع نحوهم خلال الثنايا والعقبات، حتّى إذا اتصلت بأحدهم اتصال الأفعى ببدن السليم، تسلّقت إلى كرة دماغه بسلم التمويه والخداع، فتربّعت

على دسته^(١) الرحيب كملك على عرشه، ثم أخذت تلعب دورها في روحه وبدنه، فلا تلبث إلا كريثما تشرب الصهباء^(٢)، فتدبّ حتى تبعث به إلى مركز جيشها المتألب، كجندي جهّز بأخر طرز من آلات الفناء، وعند ذلك تهجم به في طليعة أنصارها، على سياج دينه الأقوم، وسراذه^(٣) الأعظم؛ لتستطيع منه عمده الرفيع، وتستبيح من حرمة كلّ فظيع وشنيع.

بينما نجد شخص الدين الكريم قد أفرد في ميدانه، واصفرت كفه من أنصاره وأعوانه، وهو يدير بعينه يمينا وشمالاً، فلا يجد إلا من يخزّه^(٤) بسيفه، أو يركزه^(٥) برمحه، أو يستهدفه بسهمه، وكلّما احتوشت شخصه الموقر خباشات^(٦) من البشر، رفع عقيرته بالاستنصار، وصرخ منادياً بالويل والدمار، فلا يسمع من أبنائه إلا أصواتاً خافتة، وأنفاساً هافتة، لاتسمن من جوع ولا تؤمن من خوف. وهكذا أصبح هذا الدين في وسط معترك رهيب، مفعم بالمخاطر والأهوال، مكتظّ بالخيال والرجال، محتشد بالأفاعي والصلال^(٧)، مشتبك بالعصي والحبال،

(١) الدست، له عدة معاني والمراد به هنا صدر المجلس، ففي تاج العروس ٣: ٥٠ «دست» الدست: صدر المجلس. والمراد أنّ هذه الأضاليل والأباطيل هيمنت على صدر مجلس الشخص كناية عن هيمنتها عليه.

(٢) الصهباء: الخمر، سمّيت بذلك للونها، الصحاح ١: ١٦٦، «صهب».

(٣) السراشق: واحد السراشقات التي تمدّ فوق صحن الدار، الصحاح ٤: ١٤٩٦، «سردق».

(٤) خزّه بسهمه واختزّه: أي طعنه، الصحاح ٣: ٨٧٧، «خز».

(٥) ركزت الرمح أركزه: غرسته في الأرض، الصحاح ٣: ٨٨٠، «ركز».

(٦) الخباشات من الناس: الجماعة من قبائل شتى، تاج العروس ٩: ١٠١، «خبش».

(٧) الصلّ: الحية التي لا تنفع منها الرقية، يقال: إنّها لصلّ صفاً: إذا كانت مُنكرة مثل

نظرة دامعة حول مظاهرات عاشوراء..... ٢٣٩

في وسط معترك قد زقا^(١) فيه الضجيج وعلامة العجيج، وارتفعت فيه الضوضاء إلى أجواز^(٢) الفضاء، إلى عنان السماء.

وقد وقف أبناؤه من دونه على كذب، كوقفة المتفرج، ينظرون إلى ما ينال جسمه الزكي، في كل ليل إذا يغشى، أو نهار إذا تجلّى^(٣)، من جروح وقروح، وتخريق وتمزيق، حتى لقد كادت تتناثر أشلاؤه أوزاعاً^(٤)، ويذهب روحه الطاهر شعاعاً.

وهو لا يبرح فيما بين ذلك كله يستثير حفاظ أبنائه بذكرى تلك الأعمال الكبيرة والتضحيات الخطيرة، التي قام بها آباؤهم العظام في سبيل نشر دعوته وبثّ تعاليمه، تلك التعاليم العالية التي لم يصدع بها صاحبها صلى الله عليه وآله وسلم إلا لكي يقلل بها هذا العالم من كبوته^(٥)، وينشله من هوته^(٦)، فينهج به إلى سبيل السعادة والخير، ويحيد بأهله عن مهاوي الشقاء والضير.

فهل ياترى يجدر بنا - ونحن أبناء أولئك الآباء - أن ندع تلك التعاليم القيمة تذهب على مشهد منا ضحية لتعاليم الغرب التي اندلعت ألسنتها في بلاد الإسلام، فطفقت تتوصل إلى تزريق سموها القتالة في أدمغة المسلمين بكل حيلة

☞ الأفعى. ويقال للرجل إذا كان داهياً منكراً: إِنَّهُ لَصِلُّ أَصْلَالٍ: أي حية من الحيات. الصحاح ١٧٤٥: ٥ «صلل».

- (١) زقا، يزقي: صاح، وكلّ صائح زائق، الصحاح ٦: ٢٣٦٨، «زقا».
- (٢) جوز كل شيء وسطه، والجمع الأجواز، الصحاح ٣: ٨٧١، «جوز».
- (٣) تجلّى الشيء: أي تكشف، الصحاح ٦: ٢٣٠٥، «جلا».
- (٤) يقال: أتيتهم وهم أوزاع: أي متفرقون، تاج العروس ١١: ٥٠٩، «وزع».
- (٥) كبا، يكبو، كبواً وكبوة: عثر، تاج العروس: ١١٥، «كبو».
- (٦) الهوة: الوهدة العميقة، الصحاح ٦: ٢٥٣٨، «هوى».

ووسيلة، وتذرع إلى بث بذورها الفتاكة بكل مألديها من نخوة وقوة، حتى انخدع بها من الشبيبة المسلمة عدد ليس بالقليل ممن افستن بحب المدينة الحاضرة المبهجة بمظاهرها الخلابة، فانقلبوا إلى قومهم يحملون على متونهم ألوية الباطل والضلال، يريدون أن يفيؤا بها على رؤوسهم، بالرغم من كل وازع إلهي، أوردع ديني.

فكأنهم - وهم أبناء أولئك المجاهدين في سبيل هذا الدين - يريدون أن يرجعوا بقومهم القهقري إلى عهد الجاهلية الأولى، عهد الكفر والإلحاد، والجحود والعناد، ذلك العهد المظلم، الذي لم تكد تنجلي غبرته بنور الإسلام، إلا بعد أن تكبد دعاة الحق عليهم الصلاة والسلام في سبيل تأييده وتوطيد أركانه من النكبات والمفادات ما يعجز القلم عن تحديده، ويقصر الكلم عن تعديده.

وهذا التاريخ الإسلامي الباهر، لا يزال ماثلاً أمام أعيننا، يذكرنا بصحائفه البيضاء، بما قام به أولئك المجاهدون العظام والزعماء الكرام من الأعمال المجيدة، التي خلدت لهم مدى الدهر أجمل الذكر وأعظم الشكر.

فأواه ثم أواه، أين أولئك الآباء الصالحاء عن هؤلاء الأبناء الأعقَاء^(١)، لينظروا إليهم كيف خلفوهم في الوديعة التي تركوها بين أيديهم قائمة على أكداس من أشلائهم الموزعة، وأوصالهم المقطعة؟!

وكيف أصبحوا يشنون الغارة إثر الغارة على معقلها الحصين، ليفتتحوا منه منفذاً يجهزون منه على آخر نفس من أنفاس حياتها العزيزة؟!

فكان الغرب بعدته وعديده، وسلاحه وكراعه، ودسائسه ووساوسه^(٢)، لم

(١) عَقٌّ وَالذَّةُ يَعْقُ عُقُوقاً وَمَعَقَّةٌ، فَهُوَ عَاقٌ وَعُقُوقٌ، وَالْجَمْعُ عَقَقَةٌ. الصحاح ٤: ١٥٢٨ «عقق».

(٢) الوسائس بالفتح: هو الشيطان، لسان العرب ١٦، ٢٥٤، «وسس».

نظرة دامعة حول مظاهرات عاشوراء..... ٢٤١

يكفهم مؤنة ذلك الجهاد والجلاد، حتّى برزوا إلى ساحة الوغى منظمين إليه، ومتطوعين بين يديه، يعبدون له السبل والسكك^(١)، ويقتلون من طريقه الشوك والحسك^(٢)، ثم لا يأتي عليهم يوم بعد آخر إلا ويمدّونه بما شاء من مال ورجال، ويبدلون له من أنفسهم كلّ رخيص وغال، من حيث يشعرون أولاً يشعرون، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

وليت الخطب قد وقف عند هؤلاء الأعقاء، ولم تضاف إلى بليّتنا بهم بليّتنا بالسذج والبسطاء، من الذين يضعون أنفسهم مواضع المصلحين من هذه الأمة، ثم هم يفسدون أكثر ممّا يصلحون، ويهدمون أكثر ممّا يبنون، لا قصداً منهم إلى ذلك، ولكن جهلاً منهم بأسباب الإصلاح الذي يريدون إدخاله على أمّتهم.

وكم بين ظهرانينا من هؤلاء المصلحين الذين لا يميّزون بين سوانح الخير، وبوارح^(٣) الشرّ، قد منيت بهم هذه الأمة من حيث ترضى أولاً ترضى، فألقت بخطامها^(٤) إلى أيديهم، أو مدّوا أيديهم فأخذوا بخطامها، ثم طفقوا يسرون بها على الجادة طوراً، وعلى غير الجادة أخرى؛ ذلك لأنّ القائد لم يتعرّف الطريق قبل أن يأخذ بخطام ناقته، وقد ارتبكت^(٥) عليه السبل والمذاهب، فراح يخطب بها

(١) السكك، جمع سكة والسكة المأبورة: هي الطريق المستوية المصطفة من النخل، والسكة الزقاق، وقيل سمّيت الأزقة سككاً لا صطفاً الدور فيها كطرائق النخل،
الصحاح ٤: ١٥٩٠ «سكك».

(٢) الحسك: نبات له ثمرة خشنة، تعلق ثمرته بصوف الغنم ووبر الإبل في مراتعها، تاج العروس ١٣: ٥٤٠، «حسك».

(٣) سوانح، جمع سانح: وهو ما يتبرك به، والبارح يتشاءم به، تاج العروس ٤: ٩٧، «سنح».

(٤) الخطام: الزمام: وخطمت البعير، زممته، الصحاح ٥: ١٩١٤، «خطم».

(٥) ارتبك: أي اختلط. الصحاح ٤: ١٥٨٦ «ربك».

الأرض خبط عشواء في ليلة ظلماء، لا يدري ولا ناقتة تدري، متى تعترضهما الهوة في الطريق فتبعث بهما جميعاً إلى حيث لا قائد ولا مقود، ولا سائد ولا مسود.

إني وأيم الله لا أريد بكلمتي هذه أن أزلزل بأولئك النفر في مراكزهم مهما كبر على الأمة شيء من أقوالهم وأعمالهم، ولكنني أريد أن يتدبروا قبل أن يتهوروا، أريد أن يتعلموا أكثر ممّا علموا، أريد أن تسعد بهم الأمة أكثر ممّا تشقى، أريد أن يكونوا أكياساً^(١) أذكاء، لا بسطاء بلهاء؛ لئلا تنطلي عليهم دسائس الباطل ووساوس الضلال، ولئلا تموّه عليهم الحقائق بالسنة المكر والخداع، فكم قد قتل من الحقائق بسيف التمويه الذي لا يزال مسلولاً على هواديها^(٢)، ينحر منها في كلّ يوم على قدر ما تسنح له الفرصه وينفسح له المجال؟!

فإلى مَ نقابل اليقظة بالسنة^(٣)، والنباهة بالبلاهة، والكياسة بضعف الرأي وضعة^(٤) المدار؟!

وإلى مَ لا تتقف عقولنا التجارب، ولا توقظنا العبر والمثلات، وقد أصبحت ملأ السمع والبصر، وعداد الرمل والحجر؟!

حتّام أيّها القوم نُطمع فينا عادية هذا الدهر، فلا يأتي علينا يوم واحد إلّا

(١) الكَيْشُ: خلاف الحمق ٨: ٤٥٣، «كيس».

(٢) الهادي: العنق، وأقبلت هوادي الخيل: إذ بدت أعناقها، الصحاح ٦: ٢٥٣٤، «هدى» والمعنى: أنّ سيوف التمويه لا تزال مسلولة على أعناقها.

(٣) السنة: النعاس يبدأ في الرأس، فإذا صار إلى القلب فهو نوم، لسان العرب ١٣: ٤٤٩،

«وسن».

(٤) والضعة: خلاف الرفعة في القدر، لسان العرب ٨: ٣٩٧، «وضع».

ويوقفنا أمام رزية جديدة، وبلية شديدة.

ألم يكفه بالأمس ما أنزله بمشاهد القدس في البقيع^(١) من الخطب الفادح،

(١) في سنة ١٣٤٤ هـ استفتى قاضي القضاة في الحجاز الشيخ عبد الله بن بليهد علماء المدينة المنورة في جواز البناء على القبور، وتقبيل الأضرحة، والذبح عند المقامات، حيث يتناول الزائرون لها تلك اللحوم. فأجاب العلماء - وكان عددهم خمسة عشر شخصاً - بعدم جواز ذلك ووجوب منعه ومعاقبة من يفعله.

وقد نشرت هذه الفتوى في أكثر الصحف الصادرة آنذاك كجريدة أم القرى الصادرة في مكة المكرمة، وجريدة العراق الصادرة فيه.

وكان الهدف الرئيسي من هذه الفتوى هو تهينة الرأي العام لهدم المراقد في الحرمين الشريفين. وفعلاً فقد تم في الثامن من شوال من تلك السنة هدم قبور الأئمة من أهل البيت عليهم السلام في بقيع الغرقد في المدينة المنورة. وفي مقبرة المعلى في الحجون في مكة المكرمة، والمراقد الموجودة في الطائف.

وقد ضمّ بقيع الغرقد في المدينة المنورة عشرة آلاف مرقد من مرقد الصحابة والشهداء والأئمة من أهل البيت عليهم السلام، منها: مرقد الإمام الحسن المجتبي عليه السلام سبط رسول الله ﷺ، ومرقد الإمام السجاد زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام، وابنه الإمام محمد الباقر عليه السلام، ثم ابنه الإمام جعفر الصادق عليه السلام، وهم عند عمّهم العباس بن عبدالمطلب تحت قبّته التي كانت مشادة.

وعلى رواية أنّ هناك مرقد الصديقة الزهراء عليها السلام، وكذلك مراقد عمّات الرسول ﷺ وزوجاته - عدا السيدة خديجة الكبرى والسيدة ميمونة بنت الحارث - وعقيل بن أبي طالب، وإبراهيم بن رسول الله ﷺ، والإمام مالك بن أنس، ونافع شيخ القراء، وحليمة السعدية.

كما طال الهدم مرقد عمّ الرسول ﷺ حمزة بن عبدالمطلب، وغيره من شهداء أحد مثل مصعب بن عمير، وجعفر بن سمّاس، وعبد الله بن جحش.

والعمل الفاضح، الذي ملأ صدور المسلمين قبحاً، وفجّر عيونهم دماً، ولا يزال الشغل الشاغل لأفكارهم وخواطرمهم؟!

حتى جاءنا اليوم أن يزيد على الإبالة ضعفاً^(١)، وأن يذّر على الجرح ملحاً، فيبتزّ من أيدينا أغلى مجوهراتنا، وأعزّ مقدّساتنا، ألا وهي المظاهرات العزائية، التي اعتاد الشيعة القيام بها كلّ عام في العشر الأول من شهر محرّم الحرام، حزناً على سبط الرسول، وقرة عين الزهراء البتول عليه الصلاة والسلام. وذلك كاللطم على الصدور في الشوارع، والضرب على الظهر بالسلاسل، وإدماة الرؤوس بالسيوف، وتمثيل فاجعة الطفّ بالصورة التي يسمّونها «الشبيه». وما كان أجدرنا بالتعاضّي اتّجاه هذه العادية الطارية، لولا ما اكتنفها من الهتاف العالي، المنبعث عن كثير من الألسن والأقلام، التي أخذت على نفسها أن ترحّب بكلّ عادية تأمل من ورائها القضاء على شيء من المقدّسات الدينية مهما كبر ذلك بعين الله وعين رسوله ﷺ.

☞ وقد امتدّ التدمير إلى مرقد حبر الأُمّة عبد الله بن عباس في الطائف، وقد كانت عليه قبة مشادة لاتزال صورتها موجودة على صفحات التاريخ.

وعندما امتدّ الزحف العسكري إلى مكّة المشرفة عمدوا إلى آثارها فدمروها، وهدموا المراقد الشريفة في مقبرة المعلّى في الحجون، فهدموا قبة عبد المطلب جدّ النبي ﷺ، ومرقد عمّه أبي طالب.

كما دخلوا إلى مدينة جدّة فهدموا قبة حواء أمّ البشرية الأولى وخزّبوا قبرها، كما طال الهدم بيت رسول الله ﷺ، ومنزل فاطمة الزهراء ﷺ، ومنزل حمزة بن عبد المطلب، ودار الأرقم ابن أبي الأرقم، ومكان العريش التاريخي الذي أشرف منه رسول الله ﷺ على معركة أحد. انظر مقدّمة «دعوة الهدى إلى الورع في الأفعال والفتوى».

(١) ضغت على إبالة: أي بليّة على أخرى كانت قبلها، الصحاح ٤: ١٦١٩ «أبل».

نظرة دامعة حول مظاهرات عاشوراء..... ٢٤٥

. وما أدري، وليتني كنت دريت، ما الذي يؤلم أولئك الهاتفين من تلك الشؤن، ولما يلطم لهم صدر بين الصدور، أو يقرع لهم ظهر بين الظهر، أو يدم لهم رأس بين الرؤوس؟!

أفغيرهم تراهم يرثون ويتوجّعون، أم ران^(١) على قلوبهم ما كانوا يعملون؟!

عشاً يحاول أولئك الهاتفون أن يقضوا على ذلك الروح الديني، في الوقت الذي أدركت فيه الطائفة نجاح تلك الأعمال بالنظر إلى مقصدها الأسمى وغايتها الوحيدة التي ترمي إليها من وراء تلك المظاهرات والتمثيلات.

فلقد يحسب الغبي أن جلّ ما يقصده المتظاهرون من تلك الأعمال ليس إلاّ إيلاّم أجسامهم وأرواحهم، ولم يعلم بأنّ لهم في تلك الأعمال أسراراً ورموزاً تعود عليهم بأكبر الفوائد، وتتقدّم بهم في جميع شؤونهم الأدبيّة والاجتماعيّة والسياسيّة.

كيف لا، وهذا التذكّار الحسيني ليلقي عليهم في كلّ سنة من دروس التضحية والمفاداة في سبيل الحقّ ما يهبط بسعر الحياة في سوقهم الاجتماعيّة إلى درجة الصفر.

حتّى لقد أدرك فلسفة ذلك التذكّار كثير من مستشرقي فلاسفة الغرب، وكتبوا عنه في مؤلّفاتهم فصولاً طويلة ومقالات ضافية.

منهم ذلك الدكتور «جوزف» الفرنسي في كتابه «الإسلام والمسلمون»، فقد ذكر في جملة كلام له مسهب يتعلّق ببيان فلسفة ماتم الحسين عليه وآله وأسرار

(١) الرين: الطبع والدنس، الصحاح ٥: ٢١٢٩ «رين».

شهادته عليه السلام ما نصّه مترجماً إلى العربيّة عن الترجمة الفارسيّة بقلم أحد العلماء:

«ومن جملة الأمور السياسيّة التي أظهرها أكابر فرقة الشيعة بصيغة مذهبية منذ قرون، وجلبت لهم قلب البعيد والقريب، هي قاعدة التمثيل باسم الشبيه في ما تمّ الحسين عليه السلام.

وقد قرّر حكماء الهند التمثيل لأغراض ليس هذا موضع ذكرها، وجعلوه من أجزاء عباداتهم، فأخذته أوروبا وأخرجته بعامل السياسة بصورة التفرّج، وصارت تمثّل الأمور المهمّة السياسيّة في دور التمثيل للخاصّة والعامة، وجلبت القلوب بسببه، وأصابته بسهم واحد غرضين معاً: تفرّيج النفوس، وجلب القلوب في الأمور السياسيّة.

والشيعة قد استفادت من ذلك فوائد كاملة، وأظهرته بصيغة دينيّة، ويمكن القول بأنّ الشيعة قد أخذت ذلك من الهنود.

وكيف كان، فالأثر الذي ينبغي أن يعود من التمثيل، إلى قلوب الخواصّ والعوام، قد عاد.

ومن المعلوم أنّ تواتر إقامة المآتم، وذكر المصائب الواردة في فضل البكاء على مصاب آل محمّد، إذا انضمت إلى تمثيل تلك المصائب، تكون شديدة الأثر، وتوجب رسوخ عقائد خواصّ هذه الفرقة وعوامها فوق حدّ التصور، وهذا هو السبب الذي أوجب أن لانسمع من ابتداء ترقّي مذهب الشيعة إلى الآن أنّ ترك بعضهم دين الإسلام أو دخل في سائر الفرق الإسلاميّة.

هذه الفرقة تقيم التمثيل على أقسام مختلفة، في مجالس خصوصيّة وأمكنة معيّنة، وحيث إنّ الفرق الأخرى قلماً تشترك معهم في المجالس، اخترعوا تمثيلاً

نظرة دامعة حول مظاهرات عاشوراء..... ٢٤٧

خاصاً، وصاروا يدورون به في الأزقة والشوارع أمام جميع الفرق المختلفة، فتتأثر قلوب جميع الفرق من القريب والبعيد عين الأثر الذي يحصل من التمثيل. ولم يزل هذا العمل يزداد إليه توجه الأنظار من الخاص والعام، حتى قلّد الشيعة فيه بعض الفرق الإسلاميّة والهنود واشتركوا معهم في ذلك، وهو في الهند أكثر رواجاً من جميع الممالك الإسلاميّة، كما أنّ سائر فرق الإسلام هناك أكثر اشتراكاً مع الشيعة في هذا العمل من سائر البلاد.

ويغلب على الظنّ أنّ أصول التمثيل بين الشيعة قد تداول من زمن الصوفيّة^(١) الذين هم أوّل من نال السلطنة بقوة المذهب، وأجاز العلماء والرؤساء الروحانيون هذه الأصول.

ومن جملة الأمور التي أوجبت رقيّ هذه الفرقة وشهرتهم في كلّ مكان، هو تعرّفهم، بمعنى أنّ هذه الطائفة قد جلبت إليها قلوب سائر الفرق من حيث الجاه والقوّة والشوكة والاعتبار، بواسطة المآتم والمجالس والشبيه واللطم والدوران، وحمل الألوية والرايات في عزاء الحسين عليه السلام.

ومن الأمور الطبيعيّة المؤيّدّة لفرقة الشيعة في تأثير قلوب سائر الفرق، هو إظهار مظلوميّة أكابر دينهم، وهذا التأثير من الأمور الفطرية؛ لأنّ كلّ أحد بالطبع يأخذ بيد المظلوم ويحبّ نصرته الضعيف والمظلوم على القوي، والطبائع البشريّة أميل إلى الضعيف والمظلوم ولو كان مبطلاً من الظالم ولو كان محقّقاً لاسيما إذا مرّت عليه السنون والأعوام.

وهؤلاء مصنّفوا أوربا - مع أنّهم لا يعتقدون بهم - يدعون بالمظلوميّة لهم،

(١) سيأتي منّا أنّه أقدم تاريخاً من ذلك، و أنّه كان متداولاً عند الشيعة منذ المائة الرابعة

ويعترفون بظلم وتعدي قاتليهم، وعدم رحمتهم، ولا يذكرون أسماءهم إلا مشمئززين، وهذه الأمور الطبيعية لا يقف أمامها شيء، وهذا السر من المؤيدات الطبيعية لفرقة الشيعة».

ومنهم ذاك الحكيم الألماني الميسو «ماربين»، فقد ذكر في جملة كلام له طويل في كتابه «السياسة الإسلامية»^(١) مانصه معرباً عن الترجمة الفارسية أيضاً: «إن عدم معرفة بعض مؤرخينا بحقيقة الحال، أوجب أن ينسبوا في كتبهم طريقة إقامة الشيعة لعزاء الحسين إلى الجنون، ولكن جهلوا مقدار تغيير هذه المسألة وتبديلها في الإسلام.

فإننا لم نر في سائر الأقوام ما نراه في شيعة الحسين من الحسيات السياسية والثورات المذهبية، بسبب إقامة عزاء الحسين.

وكل من أمعن النظر في رقي شيعة علي، الذين جعلوا إقامة عزاء الحسين شعارهم في مدة مائة سنة، يذعن بأنهم فازوا بأعظم الرقي، فإنه لم يكن قبل مائة سنة من شيعة علي والحسين في الهند إلا ما يعد بالأصابع، واليوم هم في الدرجة الثالثة من حيث الجمعية إذا قيسوا بغيرهم، وكذلك هم في سائر نقاط الأرض.

(١) في الذريعة ٢٢: ٢٤: «مقتل أبي عبد الله الحسين عليه السلام للسيد ميرزا حسن ابن السيد علي القزويني... وفي آخره تعريب كلام موسيو ماربين الألماني في فلسفة شهادة الإمام الحسين عليه السلام».

وفي معجم المطبوعات النجفية: ٢١٥: «السياسة الحسينية: مسيو ماربين والدكتور جوزيف. المطبعة العلوية سنة ١٣٤٧هـ، بحجم الكف، اللغة فارسية، ٥٨ صفحة.

وفي الأعلام للزركلي ٢: ٢٤٣: «وللفيلسوف الألماني ماربين كتاب سماه «السياسة الإسلامية» أفاض فيه بوصف استشهاد الحسين».

وإذا قسنا دعائنا مع تلك المصارف الباهظة والقوة الهائلة بالشيعة، نرى دعائنا لم يحظوا بعشر ترقيات هذه الفرقة وإن كانت قسنا تحزن القلوب بذكر مصائب المسيح، ولكن لا بذلك الشكل والأسلوب المتداول بين شيعة الحسين، ويغلب على الظن أن سبب ذلك هو أن مصائب الحسين أشد حزنًا وأعظم تأثيراً من مصائب المسيح.

وإنني اعتقد بأن بقاء القانون الإسلامي، وظهور الديانة الإسلامية، وترقي المسلمين هو مسبب عن قتل الحسين وحدث تلك الوقائع المحزنة.

وهكذا ما نراه اليوم بين المسلمين من حسن السياسة وإباء الضيم ما هو إلا بواسطة عزاء الحسين، وما دامت في المسلمين هذه الملكة والصفة لا يقبلون ذلاً ولا يدخلون في أسر أحد.

ينبغي لنا أن ندقق النظر في ما يذكر من النكات الدقيقة الحيوية في مجالس إقامة العزاء، ولقد حضرت دفعات في المجالس التي يذكر فيها عزاء الحسين في إسلامبول مع مترجم، فسمعتهم يقولون:

الحسين الذي كان إمامنا ومقتدانا، ومن تجب طاعته ومتابعته علينا، لم يتحمل الضيم، ولم يدخل في طاعة يزيد، وجاد بنفسه وعياله وأولاده وأمواله في سبيل حفظ شرفه، وعلو حربه ومقامه، وفاز في قبال ذلك بحسن الذكر والصيت في الدنيا، والشفاعة يوم القيامة، والقرب من الله، وأعداؤه قد خسروا الدنيا والآخرة.

فأريت وبعد ذلك وعلمت أنهم في الحقيقة يدرّس بعضهم بعضاً علناً، بأنكم إن كنتم شيعة الحسين وأصحاب شرف، إن كنتم تطلبون السيادة والفخر، فلا تدخلوا في طاعة أمثال يزيد، لا تحملوا الذلّ، بل اختاروا الموت بعزة عن الحياة

بذلة، حتّى تفوزوا بحسن الذكر في الدنيا والآخرة، وتحظوا بالفلاح.

ومن المعلوم حال الأمة التي تلقى إليها أمثال هذه التعاليم من المهد إلى اللحد، في أيّ درجة تكون من الملكات العظيمة والسجايا العالية.

نعم هكذا أمة تحوي كلّ نوع من أنواع السعادة والشرف، ويكون جميع أفرادها جنداً مدافعين عن عزّهم وشرفهم، هذا هو التمدّن الحقيقي اليوم، هذا هو طريق تعليم الحقوق، هذا هو معنى تدريس أصول السياسة».

هذا ما ذكره ذاك المستشرقان الغربيّان عن فلسفة تلك المظاهرات العزائية، التي تقوم بها الطائفة الشيعيّة من عام إلى آخر، تذكّراً لذلك الإمام الشهيد.

وأنت ترى أنّهما قد فطنا إلى كثير من أسرارها الخفيّة، ورموزها المختبئة حتّى عن كثير من أبنائها وأصدقائها.

وليت فلاسفتنا الأقربين قد أدركوا ولو طرفاً يسيراً ممّا أدركه أولئك الفلاسفة الأبعدون، كي يعلموا بأنّ تلك المظاهرات هي من أهمّ المقدّسات الطائفيّة والنواميس المذهبيّة التي لا يمكن القضاء عليها بقوة التمويه مهما أفرغ عليه من مبرقشات^(١) الثياب.

وأنى للموهّبين أن يقضوا على عادة يمتدّ بها التاريخ منذ عهد البويهيين إلى اليوم؟!

أي منذ عشرة قرون تقريباً، كما يرشدك إلى ذلك ابن الأثير، في ما ذكره من

(١) البرقشة: شبه تنقيش بألوان شتّى، تاج العروس ٩: ٦٠، «برقش».

حوادث بعض السنين على عهد ملوك آل بويه في المائة الرابعة^(١).

ومن ذلك تعرف أنّ الإنكار على تلك العادة بكلمة «لم تكن» لم ينبعث في الحقيقة إلّا عن الجهل بالتاريخ، ولا ريب أنّ تلك الكلمة لم تدخل العراق إلّا عن طريق نجد، الذي اعتاد الإنكار بها على أيّ عمل مستحدث، بالرغم ممّا عليه طريقة عامة المسلمين وكافة أهل الدين - إلّا من شذّ - من التمسك بالبراءة في كلّ مشتبه الحكم إلى أن يقوم الدليل على تحريره.

وليت شعري متى أصبح التمثيل عادة سيئة، وهذه الطوائف الإسلامية كلّها كانت تحترم بالأمس «المحمل» الذي كان يمثل به الشاميون محمّل النبي صلى الله عليه وآله وسلّم،^(٢) كما أنّها تحترم اليوم «الهودج» الذي يمثل به المصريون كلّ

(١) قال: «في هذه السنة ٣٥٢ هـ عاشر المحرم أمر معز الدولة الناس أن يغلقوا دكاكينهم ويبتلوا الأسواق والبيع والشراء، وأن يظهروا النياحة ويلبسوا قباباً عملوها بالمسوح، وأن يخرج النساء، منشّرات الشعور، مسودات الوجوه، قد شققن ثيابهنّ، يدرن في البلد بالنوائح، ويلطنن وجوههنّ على الحسين بن علي (رضي الله عنهما). ففعل الناس ذلك ولم يكن للسنيّة قدرة على المنع منه، لكثرة الشيعة، ولأنّ السلطان معهم الكامل في التاريخ ٨: ٥٤٩، ذكر عدّة حوادث في سنة ٣٥٢ هـ.

وقال في موضع آخر: «في هذه السنة ٣٥٣ عاشر المحرم أغلقت الأسواق في بغداد يوم عاشوراء، و فعل الناس ما تقدّم ذكره، فثارت فتنة عظيمة بين الشيعة والسنية جرح فيها كثير ونهبت الأموال» المصدر السابق، ذكر عدّة حوادث لسنة ٣٥٣.

ويقول في حوادث السنة ٣٥٨: «في هذه السنة عاشر المحرم عمل أهل بغداد ما قد صار لهم عادة من إغلاق الأسواق وتعطيل المعاش وإظهار النوح والمآتم بسبب الحسين بن علي (رضوان الله عليهما).

(٢) في كتابه «دمشق في مطلع القرن العشرين» يوضح «أحمد حلمي العلاف» كيف كانت

٥ ترتب شؤون الحجيج أيام الدولة العثمانية، والتفاصيل الدقيقة لكلّ مراسم المحمل الشامي بدءاً من الإعداد له، ومروراً بمسيرته، وانتهاء بالاحتفالات التي يقيمها الدمشقيون بعد عودة الحجاج من الأراضي المقدّسة، وكانت هذه التفاصيل قد عرضت في أحد الأعمال الدرامية السورية «الخوالي» لبسام الملاً، واتكأت على هذا المرجع لتقديم صورة عن حياة الناس، عاداتهم وطقوسهم في أيام الحجّ البعيدة تلك.

تبدأ مراسم المحمل في اليوم الأول لعيد الفطر، وتسمّى «مراسم الزيت والشمع والمحمل»، حيث تصطف الفرق العسكرية أمام المسجد الأموي، وتؤدّي التحية لوالي المدينة وقائدها العسكري، وبعض كبار الموظفين، وبعد الانتهاء تجري حفلة إخراج الشموع والزيوت المهيأة لإرسالها مع موكب الحجّ إلى الحرمين الشريفين.

في «يوم الزيت» وهو الثاني من شوال كلّ عام، يتمّ الاحتفال بنقل الزيت من «كفر سوسة» أحد ضواحي دمشق في الماضي، وهو أحد أحيائها اليوم، ضمن ظروف على ظهور الإبل حتّى «الكيلار» في البحصّة، وهو المستودع الخاص بأدوات محمل الحجّ.

أمّا في اليوم الثالث من شوال (يوم الشمع) فينقل الشمع باحتفال رسمي أيضاً، من الدار التي سكب فيها في «كفر سوسة» ووزنه ثلاثة قناطير، وماء الورد من محصول قرية «المزّة» - وهو حي المزّة المشهور في دمشق اليوم - ووزنه نحو قنطار، والملبّس ووزنه عشر أرتال، ويحمل الشمع على أعناق الرجال ملفوفاً بالشال «الكشمير» لإهدائه إلى الحرمين.

وفي يوم السنّج، يخرج السنّج الشريف «الراية أو اللواء» وهو كلمة فارسية، من القلعة حيث يحتفظ به، وينقل باحتفال مهيب إلى دائرة المشيرية، ليستقبله المشير ويضعه في قصره.

أمّا اليوم الرابع من هذه المراسم، فهو (يوم المحمل)، حيث يخرج موكب الحجّ الشريف مع المحمل والسنّج إلى حي الميدان، ثمّ باب مصر، ومنه إلى قرية القدم التي فيها قبة جامع «العسالي»، وتحت هذه القبة، يوضع المحل نحو عشر أيام، ريثما تنتهي أسباب

➡ السفر إلى الحجاز.

التشرف بإمارة الحجيج: من هنا كان يبدأ المحمل رحلته.

يعتبر «آل سعد الدين» من أعرق العائلات الدمشقية، وأكثرها ارتباطاً بطقوس محمل الحجّ الشامي، حيث كان لشيوخ الأسرة السعدية موقعهم المميز في احتفالات المحمل؛ لأنّ دارهم كانت المحطة الأهم لاستراحة المحمل الشريف، الذي كان شعاراً لسيادة السلطان العثماني على الحرمين الشريفين.

يوضع (المحمل) على ظهر جمل جميل الشكل قوى وعال لا يستخدم لأي عمل سوى الحجّ، ويحمل إضافة للمحمل الكسوة السلطانية إلى الكعبة الشريفة.

وحين كان المحمل يتوقّف في دار سعد الدين يتقدّم شيوخ الأسرة ووجهاؤها ليلقموها الجمل قطعاً من اللوز والسكر، فيتهافت الناس على التقاط الفضلات من فم الجمل تبركاً وتحبباً؛ لأنّه يحمل أعظم شعار يجتمع إليه المسلمون عند ذهابهم إلى الحجّ. وبعد وصول المحمل إلى العسالي، ينتظر تجمّع الحجاج يوماً أو يومين، حيث تسير قافلة أمير الحجّ في طريقها إلى مدينة الرسول ﷺ.

كانت الدولة العثمانية تتحمّل نفقات الحجّ، وتعهّد بإمارته لواحد من كبار العسكريين في دمشق، أو من زعماء العشائر العربية في فلسطين، وينتهي هذا الأمير للخروج بالحجّ قبل حلول الموسم بثلاثة أشهر، فيقوم أولاً بـ«الدورة» أي زيارة المناطق الجنوبية من دمشق لجمع المال اللازم، وقد يكون الوالي نفسه أمير الحجّ، وهي مهمة صعبة وخطيرة؛ لأنّ من واجباته أن يدفع عن الحجاج اعتداءات القبائل التي تنوي بهم شراً، وقد تولّى أسعد باشا العظم -والي دمشق- إمارة الحجّ مدة ١٤ عاماً، وكان الباشاوات في مختلف أنحاء السلطنة العثمانية يتوقّون إلى هذا اللقب.

تتكون قوافل الحجّ الشامي من عدّة فئات تقوم بخدمة الحجاج والسهر على راحتهم وحمايتهم، ولكلّ من هذه الفئات وظائفها:

فالسقاة، كانوا يحملون القرب لنقل المياه من البرك والآبار إلى الحجيج.

٢ والبَراكون، هم أصحاب الدواب التي تنقل الحجاج، وتكون من البغال والبراذين. والعكامة، وهم أصحاب الجمال والهوداج التي تنقل الحجاج أيضاً. وأصحاب المشاعل، وهم حملة القناديل ومشاعل الزيت، وطائفة أصحاب الخيم. ولكل هؤلاء رؤساء ومعاونون كثيرون، مهيؤون لتأمين راحة الحجاج، فأهل حي الشاغور وقصبة دوما للجمال، وأهل الصالحية كان أكثرهم للسقاية والمشاعل واللبراكة، والبيطرة منهم أيضاً، والجنود يخدمون أنفسهم، أما الأمير وأتباعه فإن مئات الأشخاص يكونون تحت خدمته وخدمة معاونيه.

كان أمير الحج يخرج من سراي الحكم «المشيرية أو العسكرية» على رأس موكب الحج بين ١٥ - ١٧ شوال، ويتخذ طريقه: الميدان، مجتازاً باب المصلّى، ثم الميدان الفوقاني، إلى باب الله أو بوابة مصر، في ممرٍ يمتدّ نحو ثلاثة كيلومترات متّجهاً إلى قرية مزيريب، وبعد خروج الحج ببضعة أيام «من يومين إلى خمسة» تخرج قافلة الحج الشامي من الطريق نفسه، يتلوها قافلة الحج الحلبي، ومعهم حجاج العجم، ويبقى الجميع في مزيريب حتّى يتمّ خروج الموكب بأجمعه، وكانت رحلة الحج الشامي تستغرق أربعة أشهر من شوال حتّى صفر.

الحبوب والمحبوب:

بعد انتهاء مناسك الحج، يتجمّع الحجاج في المدينة المنوّرة حول المحمل والسنجق ويعودون في نفس الموكب الذي ذهبوا به، وحين يقارب وصولهم إلى دمشق، تستعد الحكومة والأهالي لاستقبالهم باحتفالات كبرى.

وكان معروفاً عند الناس قولهم أثناء مغادرة الحجاز: «يأكلون الحبوب ويفارقون المحبوب»، والحبوب نوع من الحلوى تطبخ فيه الحبوب المتنوعة كالحمص والقمح واللوبياء والفاصولياء مع السكر، وعادة ما يصنع يوم عاشوراء في العاشر من محرّم، والمحبوب هو الرسول ﷺ.

في العودة، يكون مع القافلة رجل يدعى «أمين الصر»، والصر - هو بعض الهدايا، نتي كانت

سَيِّة هودج أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها^(١).

توزع على عربان بين الحرمين تملقاً لهم وخوفاً من بطشهم، ويحوى هذا الصر - مختلف المتاع من أحذية، ومحارم وهي مناديل قطنية أو حريرية كان بعضها يصنع في دمشق أو تحضر من استانبول، والعُقل، والعباءات والجوارب. أمّا «الجوخة دار» أو «جوخة دار» وهي كلمة تركية الأصل تعني فتيان السلطان أو القصر السلطاني، ثم أصبحت الكلمة تطلق على رسول السلطان أو الوالي، فيقوم في الحجّ بدور الرسول الذي يرسله أمير الحجّ إلى دمشق ليبشّر - الناس بعودة الحجّ قبل وصولهم ببضعة أيّام، وينفصل «الجوخة دار» عن الحجّاج في تبوك، يصل قبلهم بسبعة أيّام، ويبشّر الناس بسلامة الحجّ ونظافته من الوباء والأمراض والمصائب، وبمجّد وصول «الجوخة دار» يبدأ الناس بالسفر إلى مزيريب أو غباغب أو الكسوة، حاملين مختلف الأطعمة لملاقاة حجّاجهم من أقارب وأصحاب. أمّا الدولة فتعيّن يوماً لاستقبال موكب الحجّ، يأتي فيه الناس مهلّلين مكبّرين، يصطفّون على جوانب الطرق من بوابة مصر في العسالي، إلى دار الحكومة وهي مكان القصر العدلي في دمشق اليوم. وتطلق مدفعية قلعة دمشق عند وصول الموكب عشرين طلقة متقطعة، وفي تلك الأثناء يمرّ الموكب ثانية في دار آل سعد الدين الذين يناولون جمل الحجّ اللوز والسكر كما فعلوا عند ذهابه إلى الحجاز.

(١) لاحظ «أزمة سياسية بين مصر والسعودية بسبب محمل الحجّ» بقلم إبراهيم كامل: المحمل الشريف؛ فهو عبارة عن هودج من عدّة قطع من القماش المزخرف بالآيات القرآنية يحمل على جمل خاصّ، وكان يسير من بلاد مصر وتركيا وسوريا متزامناً مع مناسك الحجّ، ابتداءً من عصر المماليك، حين خرجت «شجرة الدر» قاصدة الحجّ، واستمرّ حتّى ملك آل سعود، وتحديداً في عهد الملك عبدالعزيز آل سعود.

في عهد الملك عبد العزيز وقعت حادثة تقاتل بعض الحجّاج النجديين المنتمين للإخوان (فرقة عسكرية وهابية مناصرة لآل سعود) مع عساكر المحمل المصري في عام

وليس في حجاج المسلمين من لم يشاهد أبهة ذلك الهودج الموقر، حينما يسير بين الجماهير محاطاً بالجند والسلاح، وقد تقدّم أمامه الموسيقي يعزف له بألحانه المطربة، حتّى لقد قتل الجند المصري في هذه السنة عند «وادي منى» ثلاثة من الوهابيين دفاعاً عن موسيقي الهودج.

وإذا كان التمثيل عادة سيئة، فلماذا تنكره الألسن والأقلام على ممثلي فاجعة الطفّ خاصّة، ولا تنكره على ممثلي «المحمل» و«الهودج»؟

لماذا لا تنكره على الإفرنج، وقد غصّت مدنهم بقاعاته وساحاته؟

لماذا لا تنكره على النصارى في اتّخاذ الصليبان؟ وليست هي إلّا تمثيلاً للخشبة التي صلب عليها المسيح عليه السلام.

وها أني وإن كنت أعترف للمنكرين بوجود شيء ما من السخافات في ضمن التمثيل الحسيني، غير أنني لأرى أنّ ذلك ممّا يدعو إلى حظره وتحريمه، بل اللازم على محبّ الإصلاح أن يدعو أولئك النفر الذين يقومون بتنظيم ذلك التمثيل إلى تهذيبه وتنزيهه ممّا يشوّه صورته أو يشين سمعته؛ ليرز إلى الناس بصورة محتشمة تروق الناظرين إليه، وتعجب الواقفين عليه.

وهكذا القول في مواكب اللطم التي تتجوّل في الأزقة والشوارع، فإنّها وإن تجاوزت حدود الآداب الشرعيّة أحياناً، غير أنّ ذلك لا يوجب تحريم التجوّل عليها في السبل والمذاهب، فإنّ اللازم الاتّفاقي لا يكاد يغيّر حكم الملزوم إذا خالفه في الحكم بضرورة العلم.

❦ واتفق الملك عبدالعزيز مع المصريين أخيراً على أنّه لا حاجة للمحمل بعد توفّر الكسوة، ووقّع معهم بعد تولي فاروق الحاكم معاهدة على وفق القوانين الدولية عام ١٣٥٥ هـ تضمّنّت السماح للمصريّين بالتطوّل لعمارة الحرمين الشريفين.

ولماذا لانعذر أولئك اللاطمين - وجلّهم من الشباب - إذا دفعهم الغرور الشخصي في سنة ما إلى الملاكمة مع بعضهم؟! في الوقت الذي نقرأ فيه على صفحات الجرائد أنباء الملاكمات المدهشة، التي تجرى بتوسّط الكراسي والمناضد في أهمّ المجالس النيابيّة المنعقدة في عواصم أوربا، وهي تلك المجالس التي لا تضمّ إليها إلّا الصفوة المنتخبة من عقلاء الأمّة ومفكرّيها، وهم على الأغلب يؤمنون مقصداً واحداً وينتمون إلى ديانة واحدة، ولا يبعثهم على ذلك التلاكم إلّا الانشطار الحزبي.

وبهذا الانشطار عينه ينبعث أولئك اللاطمون إلى التلاكم فيما بينهم أحياناً، عندما يتزاحم فريقان منهم لدى جادة واحدة، طلباً للسبق في ذهاب أو إياب، مهما كان المقصد واحداً والديانة واحدة.

فهلّمّ معي أيّها الصديق لأضع يدي في يدك، فنذهب جميعاً إلى أولئك المفدّين فنسأل منهم: لماذا استباحوا تفنيد ذلك الفريق اللاطم، ولم يستببحوا تفنيد الفريق المنتخب، وكلاهما يتلاكمان ويتشاجران؟! لماذا ينتقصون العمل شريقاً، ولا ينتقصونه غريباً، والعمل واحد من كلّ وجه؟! وجه؟! وجه؟!

لماذا يرحّبون بعبادات الغرب على هتّاتها وعلاّتها، ثمّ ينكرون على الشرق كلّ عاداته وأخلاقه؟!

أليس ذلك كلّه من تأثير القوّة على الضعف، والرفعة على الضعة، وتلاشي نفسيّة الشرقي إزاء نفسيّة الغربي؟!

على أنّ الشيعة لو أرادوا أنّ يحبسوا اللطم بين جدران البيوت وحيطان الدور، لخسروا أكثر أغراضهم التي يرمون إليها من وراء تلك المظاهرات، لذلك

٢٥٨.....رسائل الشعائر الحسينية / ج ١

فإني لأعتبر المنع عن سير تلك المواكب إلا خطأ فاحشاً في العلم، وبالأخص إذا جعل الوجه في منعه سخرية بعض المتفرجين من أولئك اللاطمين.

فإن سخرية الأغيار لو صح لنا أن نتخذها وجهاً للمنع عن مثل هذا العمل العبادي، لصح لنا أن نتخذها وجهاً للمنع عن كثير من العبادات، التي يسخر منها من لا يعرفها من الأجانب.

ولا سيما مثل الحج، الذي لا يكاد يعزب عن فكر المانع ما يوجد فيه من الأعمال المستغربة، التي لا يمكن لشخص ما أن يقف على حكمها الكبيرة، بعقليته الصغيرة.

ولا شك أن المانع لا يرضى للرجل المسلم أن يتمنع عن الحج، أو عن التظاهر بشيء من عباداته المشروعة؛ محتجاً بما يجلبه عليه من سخرية الأعداء أو استهزاء الغرباء.

كيف، والأنبياء عليهم الصلوات والسلام لم ينهضوا بنشر دعوتهم الإلهية إلا بين هزؤ المستهزئين وسخرية المستسخرين؟! وما من ملّة على وجه الأرض إلا ولها من الأعمال والشعائر ما تسخر منه سائر الملل الأخرى.

فهل بلغك لحدّ اليوم أن ملّة من تلك الملل، أضربت عن القيام بشيء من أعمالها وشعائرها فراراً من سخرية الآخرين واستهزائهم؟

إذا فلماذا لا نثبت على المبدأ أمام أولئك الجهلاء، ثم نقول لهم كما قال نوح لقومه: ﴿إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾^(١) ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾^(٢).

(١) هود (١١): ٣٨.

(٢) البقرة (٢): ١٥.

أجل، إنّ على محبّ الإصلاح أن يتحرّى مواضع النقص من تلك الأعمال، ثمّ يسعى جهده في ملاقاتها بكلّ ما أوتيّه من قوّة ورباطة جأش، وليس له في آية شريعة سماويّة أو وضعيّة أن يقذفها بالكراهة، بل التحريم، سيّما وأنّ القيام بتلك الأعمال من القيام بواجب المودّة في القربى التي أمر الله بها في صريح كتابه المجيد^(١)، ومن الحزن لحزنهم عليهم السلام الذي ندب إليه أشياعهم وأتباعهم في جملة من الروايات المستفيضة عنهم^(٢).

وزد إلى ذلك قول صادقهم عليه السلام، فيما رواه عنه خالد بن سدير «لقد شققن الجيوب ولطمن الخدود الفاطميات على الحسين بن علي عليهما السلام، وعلى مثله تلطم الخدود وتشقّ الجيوب»^(٣).

على أنّ في السيرة المستمرة على مشهد ومسمع من أكابر أهل الدين، غير متبرّمين ولا منكرين، لغني عن إقامة الحجج وإدلاء البراهين.

ومن الرواية المتقدّمة آنفاً المرويّة عن صادق أهل البيت عليهم السلام يمكنك أن تعرف الحكم في إدماء الرؤوس إشعاراً بالحزن على شهيد الطفّ، فإنّ إطلاق الأمر باللطم على الخدود لما يقضي باستحبابه ورجحانه وإن استلزم الخدش والإدماء.

بل إنّ أنبعاث الدم من الخدّ بسبب توالي اللطم عليه يكاد يعدّ لازماً عادياً له على الأغلب، بالنظر إلى رقة جلده وطراوة بشرته.

(١) قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾، الشورى (٤٢): ٢٣.

(٢) راجع وسائل الشيعة ١٤: ٥٠٨، باب استحباب البكاء لقتل الحسين وما أصاب أهل

البيت عليهم السلام.

(٣) تهذيب الأحكام ٨: ٣٢٥، حديث ١٢٠٧.

وما ضرّ المسلمين أن يسفحوا قليلاً من دمائهم على أبدانهم مواساةً لتلك الأبدان الطاهرة، التي تضرّجت بدمائها فداءً لقضيتهم وخدمة لمصلحتهم؟
أو ليس من الجفاء الممقوت أن يتحمّل أولئك الشهداء في سبيل أمّتهم كلّ تلك المصائب والنوائب، ولا تتحمّل هي في سبيلهم ما يريق من أبدانها ملء محجمة دماً؟!

ولئن احتجّ المانع عنه بكونه إضراراً بالنفس، فإنّ جُلّ أولئك الذين يدمون رؤوسهم بحدّ السيف لا يعترفون له بتلك الحجّة، وإن شاء فليحفظهم السؤال وليستخبرهم الحال، فسوف لا يجد بينهم إلّا منكرًا للضرر، أو مدّعياً للانتفاع.
ولا غرو، فإنّ كثيرين في الناس، من لا تستقيم صحتهم إلّا بإسالة كمية وافرة من دمائهم، وربما أسالوا منه في السنة أكثر من مرّة واحدة.

على أنّ الإضرار بالنفس في سبيل مواساة ذلك الإمام الشهيد ممّا تحمّله كثير من أكابر رجال هذا الدين، ومنهم العباس ابن أمير المؤمنين عليهما السلام، وهو أفضل أولاد أبيه بعد أخويه الحسين، فإنّه بعد أن اخترق بسيفه صفوف أهل الكوفة، ووصل المشرعة من شطّ الفرات، وكان قد أخذ منه العطش مأخذاً لا يوصف، مدّ يده إلى الماء فاغترف منه غرفة، فلما أدناها من فمه ليشرب، ذكر عطش أخيه الحسين وأهل بيته، فرمى الماء من يده، وقال: ياماء لا ذقتك وأخي الحسين وعياله عطاشي^(١).

إذاً، فما يمنع سائر أفراد المسلمين من قبول الضرر على أنفسهم في سبيل تلك المواساة، بعد أن قبله على نفسه مثل ذلك الرجل الكبير، أعني العباس بن

(١) لم نعثر على هذا النصّ بخصوصه وهناك نصّ مشابه له في ينابيع المودة وهو: «والله لا أذوق الماء وأطفاله عطاشي و...» ينابيع المودة ٣: ٦٧، مقتل العباس.

نظرة دامعة حول مظاهرات عاشوراء..... ٢٦١
علي عليهما السلام، وهو من لا تجهل مكانته السامية في العلم بدين الله وأحكامه،
وتمييز حلاله من حرامه.

ولو أردنا غضّ النظر من هذه الوجهة، فإنّه لا يسعنا أن نتغاضى عن إطلاق
الحكم بالتحريم، بعد أن لم نقف له في أصول الشرع وقواعد العلم على أيّ مبرّر
يذكر.

وهنا أودّ أن أفكّك على بضعة كلمات لبضعة رجال من كبار رجال الدين،
لتكون لك بمثابة نموذج لنظرية سائر العلماء الأعلام في الموضوع:

قال شيخنا الأكبر المرحوم الشيخ جعفر في كتابه «كشف الغطاء»، بعد أن
ذكر الأعمال التي تصنع في مقام عزاء الحسين (عليه السلام) من دق طبل إعلام، أو ضرب
نحاس، وتشابيه صور، ولطم على الخدود والصدور، مالفظه:

«وجميع ما ذكر وما يشابهه إن قصد به الخصوصية كان تشريعاً، وإن لوحظ
فيه الرجحانية من جهة العموم فلا بأس به»^(١).

وقال شيخنا المحقق الميرزا القمي رحمه الله في كتابه «جامع الشتات»، بعد
ذكره ما ورد إليه من السؤال عن حكم تلك الأعمال والمظاهرات، ما ترجمته:

«إنّي لا أرى وجهاً للمنع عن ذلك، ويدلّ عليه عمومات رجحان البكاء
والإبكاء والتباكي على سيّد الشهداء (عليه السلام)، ولا شكّ أنّه من الإعانة على البرّ»^(٢).

وقال شيخنا الإمام الفقيه المتبحّر الشيخ زين العابدين الحائري عليه
الرحمة في كتابه «ذخيرة المعاد» بعد ذكره السؤال الوارد إليه عن حكم التمثيل

(١) كشف الغطاء ١: ٥٤، نهاية مبحث القواعد المشتركة بين المطالب الفقهيّة.

(٢) جامع الشتات ٢: ٧٥٠.

الحسيني بما يشتمل عليه من تشبه الرجل بالمرأة، ما ترجمته:

«لابأس بذلك، بل هو من المرغوب فيه، مالم يشتمل على محرّم خارجي كالغناء ونحوه»^(١).

وقال أيضاً في جواب السؤال عن حكم استعمال الطبل والصنج في عزاء الحسين (عليه السلام) مع كونهما لا يستعملان إلا في مقام العزاء، ما ترجمته:

«لابأس به، بل هو من الأمور المطلوبة المحبوبة»^(٢).

وفي الكتاب المذكور أسئلة كثيرة تتعلّق بالمقام، ضربنا عنها صفحاً طلباً للاختصار^(٣).

وقال شيخنا العلامة المحدث الكبير الخضر بن شلال في مزاره «أبواب الجنان وبشائر الرضوان» في جملة كلام له متّسع الأطراف، مالفظه:

«قد يستفاد من النصوص التي منها ما دلّ على جواز زيارته ولو مع الخوف على النفس^(٤)، جواز اللطم عليه والجزع لمصابه بأي نحو كان لو علم أنّه يموت من حينه، فضلاً عمّا لا يخشى منه الضرر على النفس التي قد تكون عند كثير من الناس أهون من المال الذي قد قامت ضرورة المذهب على مزيد فضل بذله في

(١) ذخيرة المعاد: ٣٦٨.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) ورد في كامل الزيارات: ٢٢٧، الباب ٤٠ (دعاء رسول الله وعلي وفاطمة والأئمة لزوّار الحسين (عليه السلام)). روايات عديدة تشير إلى هذا الأمر، منها عن معاوية بن وهب عن أبي عبد الله قال: قال لي: «يا معاوية لا تدع زيارة قبر الحسين (عليه السلام) لخوف...»، الحديث ١ - تسلسل ٣٣٥.

نظرة دامعة حول مظاهرات عاشوراء..... ٢٦٣
مصابه وزيارته».

وخلاصة القول: أن حجج المانعين التي تترأى لنا من خلال مقالهم، لا تزيد على أربع مواد، نفهرسها لك في ما يأتي، مشفوعة بخلاصة ماقدّمناه من الملاحظات عليها، لتقف على حقيقة ما ورد في الموضوع من النقد والردّ بصورة منتظمة:

المادة (١): إنّ التمثيل وما يتّصل به من مظاهرات عاشوراء ممّا لم يكن عند الشيعة في العصر الغابرة، فهو بدعة محرّمة.

والجواب عن ذلك: إنّ التمثيل وما يتّصل به كان متداولاً عند الشيعة منذ عصر البويهيين، أي منذ عشرة قرون تقريباً.

ولو قدّر أنّه أمر مستحدث، فلا يلزمه أن يكون بدعة محرّمة، كيف والبدعة كما قد تكون معروضة للكرهية أو الحرمة، كذلك قد تكون معروضة للوجوب أو الاستحباب، فهي في الحقيقة من الأمور التي تنقسم إلى الأحكام الخمسة، ويكفي في استحبابها أن تتناولها عمومات بعض المستحبات.

ولا يجب أن تكون من المنصوص عليها بالخصوص، كما هو الشأن في قضية التمثيل وما يتّصل به من مظاهرات عاشوراء، فإنّها مضافاً إلى ما ورد في بعضها من النصوص الخاصة، لا تكاد تعدوها العمومات الحاتّة لتابعيهم على البكاء والإبكاء عليهم، والجزع لمصائبهم، وإظهار أمرهم، والقيام بواجب مودّتهم، إلى غير ذلك من الأدلّة العامة الشاملة لتلك الشؤون وغيرها، ممّا ينطبق عليه شيء من تلك العناوين الراجعة.

ولو قطع النظر عن جميع تلك الأدلّة الخاصّة والعامة، فلا بدّ عند ذاك من المصير إلى المرجع الوحيد، ألا وهو الأصل في المسألة، ومن المعلوم لدى

الأصوليين أن مقتضاه حينئذ البراءة ليس إلا.

المادة (٢): إن التمثيل يشتمل على كثير من السخافات والأمور المستهجنة.

والجواب عن ذلك: إن اشتماله على تلك الأمور لا يسوّغ المنع عنه

بتأناً، وإنما اللازم - بناء عليه - هو الاهتمام بتنزيهه عما فيه.

المادة (٣): إن تجوّل مواكب اللطم في الأزقة والشوارع مدعاة للخروج عن

حدود الآداب الشرعية، ومجلبة لسخرية الأغيار واستهزائهم.

والجواب عن ذلك: إن خروج اللاطمين عن تلك الحدود بسبب تجوّلهم

ليس إلا أمراً اتفاقياً؛ فلا سبيل إلى اتخاذه وجهاً لمنعهم عن التجوّل شرعاً.

وأما ما يجلبه عليهم من سخرية الأغيار واستهزائهم، فقد عرفت أنه من

لوازم المغايرة في الديانة، وكم لأولئك الأغيار من الأعمال ما يجلب عليهم

سخريتنا واستهزائنا، إذ أفليسقط الاحتجاج بالسخرية والاستهزاء.

المادة (٤): إن إدماء الرؤوس بالسيف موجب لإدخال الضرر على النفس،

والإضرار بالنفس حرام بلا كلام.

والجواب عن ذلك: إن أولئك المدمين لرؤوسهم لا يعترفون بدخول الضرر

عليهم من قبل ذلك الإدماء، فلا وجه للإنكار عليهم بعمل لا يكون ضررياً بالقياس

إليهم، ولو قدر أن فيهم من يتضرر بإدماء رأسه اختصّت الحرمة به دون غيره.

هذا، ومن المرجّح عندي أن بعض المانعين ممّن أحترم شخصيتهم، لم

يقصد المنع عن القيام بتلك الأعمال مطلقاً، وإن شَفَّ عن ذلك ظاهر كلامه الذي

أرسله على عواهنه، لأن علمنا بحسن نوايا ذلك البعض ليضطرّنا إلى تأويل كلامه

بالرغم من ظهوره في خلاف التأويل، والله الموفق للصواب، وهو الهادي إلى

سواء السبيل.

كلمة حول الرسالة

لسيّدنا الأعظم حضرة آية الله السيّد حسن صدر الدين دامت بركاته:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا هو الكلام الفحل والقول الجزل، فزاد الله في شرف راقمه.

حسن صدر الدين

(٦)

كلمة حول التذكار الحسيني

تأليف

الشيخ محمد جواد الحطّامي

(١٣١٢ هـ - ١٣٧٦ هـ)

بسم الله ولا حول ولا قوة إلا بالله

لقد أوقفني الحبّ الصميم^(١) والولاء الصادق لسيد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام وآله النُجباء^(٢) موقفَ الحُزن والأسى، أنا وفوج^(٣) من صفوة إخواني^(٤) «بحالٍ للنواظر غير حال»^(٥)، قلوب واجدة^(٦)، وأنفاس هادمة^(٧)، وعيون

(١) أي الحبّ الخالص والشديد. انظر الصحاح ٥: ١٩٦٨ «صمم».

(٢) رجل نجيب: أي كريم بين النجابة. الصحاح ١: ٢٢٢ «نجب».

(٣) الفُوجُ: الجماعة من الناس، والجمع فُؤُوجٌ وأفواج، وجمع الجمع أفواجٌ وأفوايج. الصحاح ١: ٣٣٦ «فوج».

(٤) صفوة الشيء: خالصه، ومحمد ﷺ صفوة الله من خلقه ومُصطفاه. الصحاح ٦: ٢٤٠١ «صفا».

(٥) عجز بيت للشاعر معروف الرصافي (ت ١٣٦٤ هـ) من قصيدة له بعنوان «إلى كم أنت تهتف بالنشيد»، وتمايم البيت والذي قبله:

قد التَفَعُوا بأسمال بَوَالٍ مُشاةً في السهول وفي الجبال
يَجْدُونَ المسير بلا نعال بحالٍ للنواظر غير حال
وزيٍّ غير مازي الجنود

ديوان معروف الرصافي ١٥٠.

و«غير حالٍ» بمعنى غير طيب، أي حالته كانت سيئة. انظر الصحاح ٦: ٢٣١٧ «حلا».

(٦) أي شديدة الحزن، وتَوَجَّدْتُ لفلان: أي حزنتُ له. الصحاح ٢: ٥٤٧ «وجد».

(٧) أي ساكنة. الصحاح ٢: ٥٥٦ «همد».

٢٧٠.....رسائل الشعائر الحسينية / ج ١

مُعْرُورَةٌ^(١)، وذلك حيث يقام التذكار الحسيني للحادثة الكبرى، والكارثة العظمى، التي حَيَّرَت العقول والحواس، فضربت أخماساً لأُسداس.

ولا غرو^(٢)، فقد ميَّزت تلك الواقعة -ببوتقة^(٣) الامتحان والاختبار -التبر^(٤) من الصفر، والإيمان من الكفر، مثَّلت للعالم بأسره أخلاقاً محمدية، إلى شجاعة حيدرية، إلى إباء عربي، وتصلَّب ديني، أيَّا له عليه السلام أن يضرع^(٥) إلى الدنية فيمدَّ يد المبايعة إلى ملحدٍ بغيض، لا يعرف من الحقِّ موضع قدم، ولا مغرِز إبرة.

فجاد بنفسه ونفيسه، وآله وعياله، تضحيةً للدين، وفداءً لشريعة جدّه سيّد المرسلين عليه السلام، ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾^(٦).

فأبانَ وأظهرَ لمن تعامى وتبصَّر ما أبطنه هؤلاء المعاندون، من حسيكة^(٧)

(١) أي مملوءة بالدمع. انظر الصحاح ٤: ١٥٣٦ «غرق».

(٢) الغُرُؤُ: العجب، وغَرُوتُ أي عجت، يقال: لا غُرُؤ: أي ليس بعجب. الصحاح ٦: ٢٤٤٦ «غرا».

(٣) البوتقة والبودقة هي البوطة.

في كتاب العين ٧: ٤٢٦ «بوط»: البوطة: التي يذيب فيها الصاغة ونحوهم من الصناع. وفي لسان العرب ٧: ٢٦٦ «بوط»: البوطة: التي يذيب فيها الصائغ المعدن ونحوه من الصناع.

وفي تاج العروس ١٠: ٢٠٦ «بوط» بعد أن ذكر معنى البوطة قال: قلت: وهي البودقة والبوتقة.

(٤) التَّبَرُّ: ما كان من الذهب غير مضروب، فإذا ضُرب دنانير فهو عين، ولا يقال تبرُّ إلا للذهب، وبعضهم يقوله للفضة أيضاً. الصحاح ٢: ٦٠٠ «تبر».

(٥) ضَرَعَ الرجل ضَرَاعَةً: أي خضع وذُلَّ. الصحاح ٣: ١٢٤٩ «ضرع».

(٦) الأنفال (٨): ٤٢.

(٧) أي ضيغنٌ وعداوة. الصحاح ٤: ١٥٧٩ «حسك».

كلمة حول التذكار الحسيني ٢٧١

البنفاق والإلحاد في الدين، وباطنة المروق عما انتحلوه من الإسلام ذريعةً لأطماعهم، ووسيلةً لأغراضهم.

وإليك شاهداً على ذلك ما ارتكبه منه ومن عياله من الهمجية القحّة^(١)، والوحشية الفاضحة التي يتحامي عرينتها^(٢) ويتقاصر دونها وحوش الزنج والبربر. وبيننا أعوم في تيار الأفكار في فوائد تلك التضحية والفداء، وعوائد هذا التذكار، المعيد للذاكرة غيضاً من فيض^(٣)، وبرضاً من عدّ^(٤)، الجدير بأن يجدّ المعادي جدّه، ويجهّد جهده في إطفاء مناره ومحو آثاره، إذ همزني^(٥) بعض أصحابي الوقوف، فأشرفني على العدد المحزن (١٦٦١) من جريدة «الأوقات العراقية»، فتطلّعت على مقال عنوانه «يوم عاشوراء».

فازددتُ على ما أنا فيه من الوجد والكآبة، فتصاعدت لذلك حسراتي، وتصوّبت عبراتي، فإنّ العنوان يرمز غالباً إلى المعنون، فأطلقتُ عنان النظر رغبةً بذلك العنوان في مضمار ذلك المقال برويّة وإمعان، وسبرتُ غوره^(٦) من مبدئه إلى منتهاه، وإذا جلّ مغزاه بل كلّه لا يتجاوز صريح الكذب، وقبيح المين^(٧) على العلم وحملته العلماء الأعلام، والقصد إلى إقحاح فتنة عمياء، وبث بذور التعصّب

(١) القُحُّ: الخالص من اللؤم والكرم ومن كلّ شيء. لسان العرب ١١: ٤٢ «قحح».

(٢) العرين والعرينة: مأوى الأسد الذي يألفه. لسان العرب ٩: ١٧٤ «عرن».

(٣) أي قليل من كثير. الصحاح ٣: ١٠٩٦ «غيض».

(٤) البرّض: الماء القليل. الصحاح ٣: ١٠٦٦ «برض».

العِدّ: الماء الذي له مادة لا تنقطع، كماء العين والبئر. الصحاح ٢: ٥٠٦ «عدة».

(٥) أي أشار عليّ ودفعني للاطلاع على هذه الجريدة. «انظر الصحاح ٣: ٩٠٢ «همز».

(٦) سَبَرْتُ الجُرْحَ أُسْبِرُهُ: إذا نظرت ما غَوْرُهُ. الصحاح ٢: ٦٧٥ «سبر».

(٧) المَيْنُ: الكذب. الصحاح ٦: ٢٢١٠ «مين».

المذهبي بين إخواننا المسلمين، وإليك ذلك فاضحك أو فابكي.

قالت الجريدة - ولا أنقل إلا عنها، ولا أنتقد إلا عليها، حيث لا يهمني من قال، وإنما يهمني المقال - بعد أن ذكرت اعتياد الجعفرين في هذه الأيام - أي في العشرة الأولى من محرّم الحرام - على إقامة المآتم والتعازي، وتنظيم المواكب المخترقة للشوارع، حاملة للأعلام والمشاعل ليلاً، وتدفع الجماهير عراة الصدور، حاسرة الرؤوس، تندب ابن بنت رسول الله ﷺ:

«وقد شعر أصحاب السيادة حضرات العلماء الأعلام^(١) حفظهم الله تعالى بهذه الحقيقة، وأدركوا بثاقب بصرهم وما وهبهم الله من عقل راجح وعلم غزير، ما لهذه الأعمال من التأثير السيئ في سمعة الإسلام في العالم، وفي نظر الأجانب، فقاموا يستنكرون إتيانها، وينهون عنها»^(٢).

فهلّمّ معي أيّها القارئ نسأل من الجريدة: ما مرادها من الأعمال التي قام العلماء باستنكار إتيانها والنهي عنها:

[١] أهى المآتم والتعازي؟

[٢] أم هي المواكب المنظّمة، الحاملة للأعلام والمشاعل ليلاً.

[٣] أم هي الجماهير المتدفّقة، العراة الصدور، الحاسرة الرؤوس؟

فإن قالت: الأوّل، فغفرانك اللهم غفرانك من هذه الجرأة على العلم والعلماء والعقل، والفريّة^(٣) الصريحة. وهذه العرب ببابك من النجف، إلى بقيّة العراق، إلى

(١) إشارة للسيد محمّد مهدي الموسوي القزويني البصري (ت ١٣٥٨ هـ) صاحب رسالة «صولة الحقّ على جولة الباطل».

(٢) انظر رسالة «صولة الحقّ على جولة الباطل» (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ١: ١٨٠.

(٣) أي الكذب. الصحاح ٦: ٢٤٥٤ «فرا».

كلمة حول التذكار الحسيني ٢٧٣

إيران، إلى الهند، إلى سورية، إلى سائر الأقطار الإسلامية، تُقيم المآتم الحسينية، وتأمر بإقامتها، وتتسابق إليها، وتتنافس فيها، ولم نسمع بمنكر ولا مستنكر لها، فضلاً عن محرّم ناهٍ عنها.

وكيف؟! وهذه كتبهم مشحونة بالأحاديث المستفيضة عن أئمتهم عليهم السلام الحاضرة على إقامة العزاء، والحائّة على البكاء وإظهار الحزن والأسى بما هو غني عن البيان، يظفر به من له أدنى إلمام بكتبهم ومجاميعهم في ذلك الموضوع. وحسبك من واضح الدلالة، وقاطع البرهان على ذلك حديث دعبل^(١)

(١) أبو علي، وقيل: أبو جعفر، دعبل بن علي بن رزين الخزاعي. وقيل: إن دعبلأ لقبه واسمه الحسن، وقيل: عبد الرحمن، وقيل: محمد.

وهو شاعر مطبوع مفلّح، من أهل الكوفة، ولد فيها سنة ١٤٨ هـ، وكان أكثر مقامه ببغداد، وسافر إلى غيرها من البلدان كدمشق ومصر وخراسان.

كان رحمه الله متفانياً في حبّ أهل البيت عليهم السلام وهو الذي يقول: حملتُ خشبتي على كتفي منذ خمسين سنة لستُ أجد أحداً يصلبني عليها.

أخذ الشعر عن أستاذه صريع الغواني مسلم بن الوليد واستقى من بحره، وله عدّة مؤلّفات منها: «الواحدة» في مناقب العرب ومثالبها، وكتاب «طبقات الشعراء»، وله ديوان شعر مجموع.

ذكر النجاشي في رجاله ١: ٣٧١ عن ابن أخيه أنّه رأى الإمام الكاظم عليه السلام، ولقي الإمام الرضا عليه السلام.

وعده ابن شهر آشوب في المعالم: ١٣٩ من أصحاب الإمامين الكاظم والرضا عليهم السلام. وذكره العلامة الحلي في الخلاصة: ٧٠، وابن داود في رجاله: ١٤٧ في القسم الأوّل من رجالهما.

قتل رحمه الله وهو شيخ كبير سنة ٢٤٦ هـ، وسبب قتله أنّ مالك بن طوق بعث رجلاً ليقترله وأعطاه عشرة آلاف درهم، فلحقه في الأهواز وقتله هناك.

٢٧٤.....رسائل الشعائر الحسينية / ج ١

المشهور المسمطور في غالب كتب الشيعة، وبعض كتب أهل السنة كمعاهد التنصيص^(١)، يوم وفوده على الرضا عليه السلام وبكائه البكاء الغزير عند إنشاده تائيته المشهورة^(٢).

(١) معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ٢: ١٩٨.

(٢) وهي قصيدة شعرية رائعة، تعتبر من أحسن الشعر وأسنن المدائح، قالها دعبل في أهل البيت عليه السلام، وأنشدها أول مرة بحضور الإمام الرضا عليه السلام في خراسان، بعد أن بويج بولاية العهد في زمن المأمون.

وذكر العلامة الأميني في الغدير ٢: ٣٤٩ أن عدد أبياتها هو مائة واحد وعشرون بيتاً، والموجود في ديوانه المطبوع: ١٢٤ - ١٢٥ مائة وخمسة عشر بيتاً.

علماً بأن كثيراً من المصادر لم تذكر القصيدة كاملة، بل من البيت الثلاثين منها: (مدارس آيات...) لأن دعبل أنشدها الإمام الرضا عليه السلام من هذا البيت، ولم ينشدها من أولها الذي هو في التشبيب والغزل، الذي يقول فيها:

تَجَاوَبْنَ بِالْإِرْنَانِ وَالزَّفَرَاتِ	نَوَائِحُ عُجْمُ اللَّفْظِ وَالنَّطِقَاتِ
يُخَبِّرْنَ بِالْأَنْفَاسِ عَنْ سِرِّ أَنْفُسٍ	أَسَارِي هَوًى مَاضٍ وَآخِرِ آتٍ
فَأَسْعِدْنَ أَوْ أَسْعِفْنَ حَتَّى تَقْوُضَتْ	صُفُوفُ الدُّجَى بِالْفَجْرِ مُنْهَزِمَاتٍ

قال الأصفهاني في الأغاني ٢٠: ١٦٢: قال دعبل: دخلت على علي بن موسى الرضا عليه السلام بخراسان فقال لي: «أنشدني شيئاً مما أحدثت» فأنشدته: (مدارس آيات...) حتى انتهيت إلى قولي:

إِذَا وَتَرُوا مَدَّوْا إِلَى وَاتِرِيهِمْ أَكْفَأَ عَنِ الْأَوْتَارِ مُنْقَبِضَاتٍ

فبكى الإمام حتى أغمى عليه، وأوماً إليّ خادم كان على رأسه: أن اسكت. فسكت ساعة. ثم قال لي: «أعد». فأعدت حتى انتهيت إلى هذا البيت أيضاً، فأصابه مثل الذي أصابه في المرة الأولى - وأوماً الخادم إليّ: أن اسكت. فسكت، ومكنت ساعة أخرى، ثم قال لي: «أعد»، فأعدت حتى انتهيت إلى آخرها، فقال لي: «أحسن» ثلاث مرات.

كلمة حول التذكار الحسيني ٢٧٥

وما رواه الماوردي الشافعي - المتوفى سنة ٤٥٠ هـ - في كتابه أعلام النبوة -
عن عائشة، قالت : دخل الحسين بن علي على رسول الله ﷺ وهو يوحى إليه،
فبرك على ظهره وهو منكب ولعب عليه، فقال جبرئيل : يا محمد إن أمتك ستفتن
بعدك ويقتل ابنك هذا من بعدك، ومدّ يده فأتاه بتربة بيضاء، وقال : في هذه الأرض
يُقتل ابنك، اسمها الطفّ.

فلما ذهب جبرئيل، خرج رسول الله ﷺ إلى أصحابه والتربة بيده - وفيهم
أبو بكر وعمر وعلي وحذيفة وعمّار وأبو ذر - وهو يبكي، فقالوا : ما يبكيك
يا رسول الله ؟ فقال : « أخبرني جبرئيل أن ابني الحسين يُقتل بعدي بأرض الطفّ،
وجائني بهذه التربة فأخبرني أن فيها مضجعه »^(١).

هل ترى أن علياً عليه السلام لم يشارك النبي ﷺ بالبكاء، وكلّ منهما ثكلى؟!

أم أن باقي الصحابة يحجمون عنه مع فعل النبي وعلي له؟!

بل من الضروري المحقّق أن الكلّ اشتركوا في البكاء.

وهل هذا إلا عين إقامة العزاء، عزاء وأيّ عزاء؟! المقيم له النبي المختار،

ثم أمر لي بعشرة آلاف درهم ممّا ضرب باسمه، ولم تكن دُفعت إلى أحد بعد، وأمر لي
من في منزله بطي كثير أخرجه إليّ الخادم، فقدمت العراق فبعثت كلّ درهم منها
بعشرة دراهم اشتراها منّي الشيعة، فحصل لي مائة ألف درهم.

قال ابن مهيويه : وحَدَّثني حذيفة بن محمد : أن دعبلاً قال له : إنّه استوهب من الرضا عليه السلام
ثوباً لبسه ؛ ليجعله في أكفانه، فخلع جبّة كانت عليه فأعطاه إياها.

انظر: تأريخ بغداد ٨ : ٣٨٢، تنقيح المقال ١ : ٤١٧، شذرات الذهب ٢ : ١١، الغدير ٢ : ٣٦٣

و ٣٨٥، لسان الميزان ٢ : ٤٣٠، معجم الأدباء ١١ : ٩٩، ميزان الاعتدال ٢ : ٢٧، ٢٦٧٣.

وفيات الأعيان ٢ : ٢٦٦.

(١) أعلام النبوة : ١٠٨.

والباكي فيه كبار الصحابة الأخيار.

وإذا ثبت رجحان البكاء عليه، وإقامة العزاء له في حياته، فيثبت بالأولوية القطعية رجحانها بعد وفاته، إذا فكيف يجسر عاقل - فضلاً عن عالم فقيه - على استنكار مثل ذلك أو النهي عنه؟! أعاذنا الله من مفتريات الأنقال، ومحرمات الأقوال.

وإن قالت الجريدة: مرادي الثاني - أي المواكب المنظمة، الحاملة للأعلام والمشاعل - زد على ذلك التمثيل والتشبيه، المعبر عنه بلسان العامة بالسبايا والشبيه، فإن الجريدة وإن أغفلت ذكر تلك الزيادة أولاً، وتعرضها أخيراً عند نقلها تحريم المحرم، حيث قال: «فإنه حفظه الله لم يكتف بتقبيح إقامة السبايا في الشوارع وتنظيم المواكب، بل حرّمها تحريماً باتاً»^(١).

فهو من سوء التعبير وإدماجه، وإلا فهي الجديرة بالذكر أولاً وآخراً، ولكننا لسنا بصدد انتقادها من هذه الوجهة، أو من وجهة الخروج عن القواعد العربية، كخفضها «الجعفرين» وهم مرفوعون، وغير ذلك ممّا لا يخفى على الناقد البصير.

(١) قال في رسالة «صولة الحق على جولة الباطل» (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ١٨٠:١ «ما زلت بحمد الله سبحانه وحسن توفيقه صادقاً - منذ دخولي البصرة من شهر شعبان إلى اليوم - في الناس بالنهي لهم عمّا قد تعودوه من الإتيان بضروب المحرمات والمنكرات والسخافات والحقاقات، وجعلهم إياها من جملة الديانات الشرعية، خصوصاً مسألة التشبيهات التي يمثلونها في عاشوراء، فصرت مُنوّهاً برفضها ومصرّحاً بما فيها من التحريم، لأنّي أراها مجلبة لسخرية الملل الخارجة وداعياً من دواعي الاستهزاء.

فحرّمتها علناً منادياً بذلك بين الخلق، هادياً لهم إلى سبيل الحق والرشاد، ومقدّساً للذين القويم عمّا جعله منه جماعة الجاهلين».

كلمة حول التذكار الحسيني ٢٧٧

. فنقول: التمثيل والتشبيه - بما هو حكاية عن شيء غابر بشيء حاضر، بتمثيل حركاته وسكناته وتنقلاته وكلماته، مشاهدة بالعيان والحاسة البصريّة، بعد ما لم تكن مشاهدة إلّا بالقوّة الخياليّة - أمر عاديّ قديم، تستعمله غالب الفرق، من مسلمين وأجانب.

فهؤلاء المسلمون، من مصريّين وشاميّين، مازالوا أو لا يزالون ينفقون الأموال الطائلة الجسيمة، والحلل الفاخرة الثمينة، في سبيل تذكار هودج أو محمل عائشة أمّ المؤمنين، حتّى يُساق بكلّ حفاوة واحترام، أمام موكبهم الموقر إلى بيت الله الحرام وحرّم النبيّ عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام.

وناهيك اهتمام الأجانب في عقد المحافل والمحاشد والاجتماعات الضخمة الفخمة لرواياتهم التمثيليّة، فالتمثيل ليس بأمرٍ حادثٍ مُبتدعٍ، بل عاديّ قديم متّبع.

ونحن وإن تحاشينا عن القول بوجود آيةٍ أو روايةٍ تندب إليه، وتحضّ عليه، فلانتحاشى عن القول بجوازه وإباحته بالنظر إلى ذاته وعنوانه الأوّلي، أي بما أنّه تمثيل وتشبيه، وإلّا فقد يكتسي الحرمة والمبغوضيّة أو الرجحان والمحبوبيّة بالنظر إلى العناوين الثانوية.

فمن الأوّل ما لو اشتمل على سخرية واستهزاء بمن يجب إعظامه وإجلاله، أو على إمساس بكرامة مسلم محترم، أو إلحاق الفتنة بين المسلمين، أو نحو ذلك من العناوين المحرّمة، فإنّه لا إشكال حينئذٍ في الحرمة والمبغوضيّة.

ومن الثاني ما لو كان مشتملاً على ما يحبه المولى ويهواه، كتعظيم شعائره،

﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾^(١) والقيام بواجب المودة في القربى المسؤول عنها بقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^(٢).

وهذا التذكار الحسيني قد اشتمل على كلا العنوانين، فأَيُّ شعائر الله أعظم من التذكار للشعائر الحسينية، التي عظمها سلام الله عليه يوم الطف، إحياء لدين جدّه، بتضحية نفسه وولده ونهب ثقله وسبي عياله على يد أشر الخلق والخليقة البغيّ ابن مرجانة؟!!

أم أي مودة في القربى - وهم علي وفاطمة وأبناؤهما الطاهرون عليهم السلام، باتفاق جملة من المفسرين، كالزمخشري^(٣) وغيره - أعظم من إقامة عزائهم وتذكّارهم، والحزن لحزنهم، والفرح لفرحهم؟!!

ومن ذلك يهون الخطب، ويسهل الأمر لو قالت الجريدة: مرادي الثالث، أي تعرية الصدور، وحسر الرؤوس. فإنّ الصدور العارية، والرؤوس الحاسرة، تفجعاً وتوجعاً، وتذكّاراً لصدور مرضضة، ورؤوس مقطّعة، لمن أول مراتب القيام بواجب المودة في القربى المسؤول عنها، ومن أدنى تعظيم الشعائر السالف ذكرها. وبعدئذٍ فهل يحسن للجريدة ويجمل بها أن تنسب للعلماء الأعلام - افتراءً

(١) الحجّ (٢٢): ٣٢.

(٢) الشورى (٤٢): ٢٣.

(٣) أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) قال في تفسيره «الكشاف عن حقائق التنزيل» ٣: ٤٦٧ في تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ الشورى (٤٢): ٢٣. والقربى مصدر كالزلفى والبشرى بمعنى القرابة. والمراد: في أهل القربى، وروي أنّها لما نزلت قيل: يا رسول الله، من قرابتك هؤلاء الذين أوجبت علينا مودّتهم؟ قال: «علي وفاطمة وأبناهما».

كلمة حول التذكار الحسيني ٢٧٩

وتزويراً - استنكاراً لإتيان بتلك المشروعات الراجحة والنهي عنها، وهي بمرأى منهم ومسمع ومنتدئ ومجمع، لم يفه^(١) أحد منهم بكلمة، ولم ينبس ببنت شفة^(٢).

كيف، وهذه فتاواهم بين يديك معربةً عما قلناه، مصرحةً في ما ادّعيناه، فإليك اللهم نبراً من هذه الفرية، الذاهبة بالعار والويلات على مفتريها.

ثم إنَّ الجريدة بعد ما خلطت الحابل بالنابل^(٣)، ونقضت ما أبرمت^(٤)، وحرّمت ما حلّله الشرع ورجّحه اجتهاداً في مقابلة النصّ، دخّلت المسألة في صورة سياسية، وتحكّكت تحكّك العقرب بالأفعى^(٥) فكانت كالساعي إلى حتفه بظلفه^(٦)، فقالت - بعد أن ذكرت أنّ أمنيّتها الوحيدة هي إعلاء كلمة الإسلام، وإزالة التعصّب المذهبي -: «إنّ هذه المواقب هي عامل من عوامل التفرقة ورمز يشير إليها».

ولم تحسّ ولم تبصر - ولا عجب، فإنّ حبّ الشيء يعمي ويصمّ - أنّ الحسين بن علي عليه السلام مجمع علاقات وانتسابات لكثير من العالم البشري، فالعربي يتعلّق به وينتسب إليه بعربيّته وإن جحد رسالة جدّه ودعوته، والمسلم بسائر ملله

(١) أي لم ينطق بكلمة، والفوه: هو الفم، والجمع أفواه، وفاه بالكلام يفوه: لفظ به. الصحاح ٦: ٢٢٤٤ آ ٢٢٤٥ «فوه».

(٢) أي لم يتكلّم بكلمة واحدة. الصحاح ٣: ٩٨١ «نبس».

(٣) الحابل: الذي ينصب الجبال للصيد، وفي المثل «اختلط الحابل بالنابل»، ويقال: الحابل: السدى في هذا الموضع، والنابل: اللحمة. الصحاح ٤: ١٦٦٥٠ «حبل».

(٤) أبرمت الشيء: أي أحكمته. الصحاح ٥: ١٨٧٠ «برم».

(٥) فلان يتحكّك بي، أي يتمرّس ويتعرّض لشئ. الصحاح ٤: ١٥٨ «حكك».

(٦) ذهب دمه ظلّفاً وظلّفاً: أي هدرأ، ويقال: ذهب ظليفاً: أي مجاناً، أخذه بغير ثمن، الصحاح ٤: ١٣٩٨ «ظلف».

٢٨٠.....رسائل الشعائر الحسينية / ج ١

ونحله يتعلّق به وينتسب إليه برسالة جدّه ونبوّته عليه، ولا اختصاص للشيعة عن غيره إلّا باعتقاده إمامته، وهذا لا يقضي له بالميزة والاختصاص عمّن سواه من أولئك المنتسبين، بل الجدير بالجميع الاشتراك في إقامة تذكاره ونصب عزائه، حزناً على مصابه، وتقديراً لمساغيه المشكورة، وتخليداً لخدماته المحمودّة.

اللهمّ إلّا أن يسبق إلى القيام بواجب تلك العلاقة الحسينيّة بعض ذويها، فيفوز بفضليلة السبقة إليها، وحلاوة الشكر والثناء، من بقيّة المشاركين له بها على كفايته مؤونة القيام بواجبها، فإنّ الحسين (عليه السلام) - كما علمت - حسين الجميع: العربيّ، والسنيّ والشيعيّ. يعود فخره وشرفه إليهم على حسب تعلّقهم به وانتسابهم إليه، فهو جامعة من جوامعهم، ورابطة أكيدة من روابطهم، فكيف يكون تذكاره الشريف «عاملاً من عوامل التفرقة بينهم، ورمزاً مشيراً إليها»؟! كما زعمته الجريدة ودلّسته اختلاساً للحقّ والحقيقة، ودساً للسمّ في الدسم، وهل يكون الجامع مفرّقاً؟!

أجل إنّ هذه التمويهات والاختلاسات غير الخافية على من له أدنى تعلّق بالسياسات، هي العوامل القويّة، والرموز الجليّة، المشيرة بيدٍ وبنانٍ إلى التفرقة والنفرة، والموقدة لنار الفتنة والخلاف، الباثّة لبذور التعصّبات المذهبيّة، التي كلّ من هؤلاء يبرأ منها، ويتوحّشها بصرف طبعه ومدنيّته، لا أن يحضّ عليها، وينبّه لها بمثل هذه الدسائس والهواجس، التي ربما تخفى على بعض البسطاء من الناس، فتتهوي بهم إلى هوّة الشقاق والخلاف.

والآ فالناقد البصير أجل من أن يخدع بمثل هذه الأساطير، أو يطرب على

مثل هذه التصدية^(١) والمُكاء^(٢)، ولا يمتعض^(٣) أو يتمعر^(٤) من تقدير نابغة من نوابغ قومه على فضيلة جديرة بالتقدير وإن خالفه بالنحلة والمذهب.

فهذا السموأل^(٥) حيث وافقنا بالقومية العربية وإن خالفنا بالنحلة الدينية، نقدّر وفائه المشهور، حتّى أقيمت له رواية تمثيلية في بعض مدارسنا النجفية.

ثم إنَّ الجريدة لم تقنع بذلك حتّى زادت في الطين بلةً، وفي الطنبور^(٦) نغمة، فقالت: «إنني استفظع هذه المواكب، كما استفظع أعمال الوهابيين في الحجاز».

فليتها ضربت صفحاً، وطويت كشْحاً^(٧)، عن ذلك التشبيه الهائل، الآخذ بضيق التطرّف والتزلف والتمايل عن قيل الحقّ إلى الباطل، فاكتفت بما زخرفته من قوارع كلامها التي أسكتت لهول دويّها الأسماع، فأين الإصلاح والإصلاح للذنان سعت الجريدة بتمام سعيها إليهما، وأوقفت حياتها عليهما؟ فعلينا وعلى صلاحها وعلى إصلاحها السلام.

(١) الصّدّي: الذي يُجيبك بمثل صوتك في الجبال وغيرها. الصحاح ٦: ٢٣٩٩ «صدى».

(٢) المُكاء: الصّفير، وقد مَكَا يَمْكُو مَكْواً وَمُكْاءً: صَفَرَ. الصحاح ٦: ٢٤٩٥ «مكا».

(٣) لا يمتعض: أي لا يغضب ولا يشقّ عليه. الصحاح ٣: ١١٠٧ «معض».

(٤) تَمَعَّرَ لَوْنُهُ عند الغضب: تَغَيَّرَ. الصحاح ٢: ٨١٨ «معر».

(٥) قال السيوطي في شرح شواهد المغني ٢: ٥٣٥: السَمَوَال، بفتح المهملة والميم وسكون الواو وبعدها همزة مفتوحة ولام: اسم عبراني، وقيل: عربي مرتجل، وهو منقول من اسم طائر، واسمه فعوعل بن عريض بن عاديّا - بالمد والقصر - ابن قبا.

والسموأل بن غريض بن عاديّا اليهودي، صاحب الحصن المعروف بالأبلق بتيماء، وبه يضرب المثل بالوفاء؛ لأنّه أسلم ابنه ولم يخن أمانته في دروع أودعها عنده امرؤ القيس لما صار إلى القسطنطينية يطلب منه معونة القيصر، وقد توفّي نحو سنة ٥٦٠.

انظر: الأغاني ٢٢: ١٢٢، العقد الفريد ١: ٩٣، الجامع في تاريخ الأدب العربي ٢٨٢.

(٦) الطنبور: من آلات العزف، فارسي معرّب. الصحاح ٢: ٧٢٦ «طنبر».

(٧) طويْتُ كَشْحِي على الأمر: إِذَا أَضْمَرْتَهُ. الصحاح ١: ٣٩٩ «كشح».

كلمة لحضرة السيّد العلامة جعفر الفضل من آل بحر العلوم^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

لا يخفى على إخواننا المؤمنين - وفقهم الله وإيانا لتعظيم شعائر الدين - أنّ مسألة الشبيه والمواكب، وسائر ما تستعمله الشيعة وغيرهم في عزاء سيّد الشهداء، الحسين بن علي عليه السلام، من دقّ الطبول، وطَقُّقَة^(٢) الطوس، وضرب البوق، وغير ذلك من مظاهر الحزن والبكاء، ممّا وقع السؤال عنها سابقاً ولاحقاً من العلماء الأعلام، سيّد الله أركانهم، منهم شيخنا المحقّق الثالث أبو القاسم القمّي صاحب

(١) السيّد جعفر ابن السيّد محمّد باقر، أحد أحفاد السيّد محمّد مهدي الطباطبائي المعروف ببحر العلوم، عالم فاضل أديب، راوية لسير العلماء، حضر على علماء عصره، وكتب ما أملت عليه أساتذته. ألّف عدّة كتب منها : أسرار العارفين في شرح دعاء كميل، وتحفة الطالب في حكم اللحية والشارب، وتحفة العالم في شرح خطبة المعالم. توفي عليه سنة ١٣٧٧ هـ.

انظر معارف الرجال ١: ١٨٢.

(٢) أي صوت الطوس، والطَقُّقَة في أصل اللغة : أصوات حوافر الدواب. الصحاح ٤: ١٤١٧ «طلق».

كلمة حول التذكار الحسيني ٢٨٣

القوانين عليه السلام ^(١)، وقد أجاب في كتابه الموسوم بجامع الشتات، وهاك ترجمة الجواب:

«إني لا أرى وجهاً للمنع عن ذلك، ويدلّ عليه عمومات رجحان البكاء والإبكاء والتباكي على سيّد الشهداء عليه السلام ولا شكّ إنّهُ من الإعانة على البرّ».

ثمّ أخذ عليه السلام في المبالغة والإصرار على إثبات الجواز، حتّى جوّز ذلك وإن كان مشتملاً على تشبيه الرجال بالنساء، بدعوى أنّ المستفاد من تلك الأخبار المانعة من تشبيه أحدهما بالآخر ^(٢)، هو الخروج من زيّ أحدهما والدخول في

(١) الشيخ الميرزا أبو القاسم ابن المولى محمّد حسن الشفتي الجيلاني القميّ، اشتهر بالميرزا القميّ لتوطّنه بها. كان عليه السلام علماً من أعلام الشيعة الإمامية وفقهائها، محقّقاً متقناً منقّباً، تقيّاً ورعاً ثقة عدلاً، ويدلّ على فضله وتحقيقه كتابه «القوانين». حضر على أسانذة عصره، وتخرّج من عالي دروسه الكثير من العلماء والفضلاء. له عدّة مؤلّفات - إضافة للقوانين - منها: الغنائم، والمنهاج، ومرشد العوام، والإرث، وإرجوزة في المعاني والبيان. توفي في قم سنة ١٢٣١ هـ.

انظر معارف الرجال ١: ٤٩.

(٢) منها: ما رواه الشيخ الكليني في الكافي ٨: ٧١ حديث ٢٧ والشيخ الصدوق في علل الشرائع ٢: ٦٠ حديث ٦٣ أنّ عليّاً عليه السلام رأى رجلاً به تأنيت في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له: «أخرج من مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، فإنّي سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال».

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله يجزر الرجل أن يتشبه بالنساء، وينهى المرأة أن تتشبه بالرجال في لباسها».

وروي سماعه عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال عن الرجل يجرّ ثوبه: «إني لأكره أن يتشبه بالنساء».

انظر وسائل الشيعة ٥: ٢٥ باب ١٣ من أبواب أحكام الملابس.

٢٨٤.....رسائل الشعائر الحسينية / ج ١

زَيِّ الآخر، بحيث يُعدّ الرجل نفسه من صنف النساء، وبالعكس، وأمّا التشبيه
بامرأة خاصّة في زمان قليل لغرض خاصّ، فهو خارج عن منصرف الأخبار».

الى أن قال رحمه الله تعالى: «إنّ تشبيه الرجل نفسه بالشمر الرجز قاتل
الحسين عليه السلام من أعظم المجاهدات، وفيه تحقير النفس وتذليل لها، وفعل ذلك
لجلب مرضي الله تعالى من أعظم جلب الفيوضات الإلهية»^(١).

هذا خلاصة ترجمة كلامه وحاصل مرامه.

ومنهم العلامة الأنصاري الشيخ مرتضى طاب ثراه^(٢) في رسالته العملية
المسمّاة بسرور العباد قال ما ترجمته:

«إذا جرح شخص نفسه في تعازي الحسين عليه السلام بسيف ونحوه، بحيث
يوجب الضرر ببدنه، فهو حرام. أمّا إذا كان بدرجة يرتفع ضرره وألمه، كالضرب
على الصدر، على النحو المتعارف بين الناس، ولو أوجب الحمرة أو سواد البشرة،
فلا ضرر في ذلك»^(٣).

(١) جامع الشتات ٢: ٧٨٨.

(٢) الشيخ مرتضى ابن الشيخ محمّد أمين الأنصاري التستري النجفي، كان رحمته الله فقيهاً
أصولياً متبحراً في الأصول، لم يسمح الدهر بمثله، كان أهل زمانه يضربون به المثل
في زهده وتقواه وعبادته وقداسته. حضر على أعلام عصره كالسيد محمّد المجاهد
وشريف العلماء والشيخ مولى ابن الشيخ جعفر كاشف الغطاء، ثمّ اشتغل بالتدريس،
وأطبقت الشيعة الامامية على تقليده في شرق الأرض وغربها. ألّف عدّة كتب منها:
المكاسب، كتاب الطهارة، الصلاة، الصوم، الزكاة، الخمس، الفرائد في علم الأصول،
أصول الفقه. مات رحمته الله في النجف سنة ١٢٨١ هـ.

انظر معارف الرجال ٢: ٣٩٩.

(٣) سرور العباد: ٣٤.

كلمة حول التذكار الحسيني ٢٨٥

أقول: ومقتضى هذا الكلام جواز إدماء الشخص عضواً من أعضائه بمقدار يأمن من الضرر، كما يفعله أهل القامات.

ثم قال عليه السلام: «إخراج الشبيه غير محرّم، إذا لم يرتكب فيه محرّم آخر، كالغناء وضرب الدفّ والمزمار»^(١).

وقد أقرّه على هذه الفتوى جملة المحشّين: منهم حجة الإسلام الميرزا الشيرازي^(٢)، والآخوند ملاّ محمد كاظم الخراساني^(٣).

هذا، وقد يُستدلّ لجواز التشبيه والتمثيل بما روي عن الصادق عليه السلام أنّه قال:

(١) سرور العباد: ٣٤.

(٢) السيّد ميرزا محمّد حسن ابن السيّد ميرزا محمود الشيرازي، كان عليه السلام فقيهاً أصولياً، ورعاً زاهداً، حضر درس الشيخ مرتضى الأنصاري، ثمّ استقلّ بالتدريس وتخرّج من عالي دروسه عدد كبير من العلماء والمجتهدين، هاجر الى سامراء واستقرّ بها مع جمع غفير من تلامذته، وهو صاحب الفتوى المعروفة بتحريم التنباك. توفي في سامراء سنة ١٣١٢ هـ، ودفن في مقبرته الخاصّة في صحن أمير المؤمنين عليه السلام في النجف الأشرف.

انظر معارف الرجال ٢: ٢٣٣.

(٣) الشيخ ملاّ محمّد كاظم ابن ملاّ حسين الهروي الخراساني النجفي، كان عليه السلام عالماً فاضلاً، أصولياً، له نظريات جديدة في علم الأصول، وكتابه «الكفاية»، خير شاهد على تبخّره في هذا العلم. حضر على فقهاء عصره كالشيخ راضي النجفي، والشيخ مرتضى الأنصاري، والسيّد الميرزا محمّد حسن الشيرازي، وتخرّج من عالي دروسه الكثير من العلماء والمجتهدين. ألّف كتباً كثيرة - إضافة للكفاية - منها: كتاب الإجارة، حاشية على رسائل أستاذه الشيخ الأنصاري، وحاشيته على مكاسبه، وشرح التبصرة. توفي عليه السلام في النجف سنة ١٣٢٩ هـ.

انظر معارف الرجال ٢: ٣٢٣.

«ما من مؤمن إلا وله مثال في العرش، فإذا اشتغل بالركوع والسجود فعل مثاله مثل ذلك، فعند ذلك تراه الملائكة، فيصلّون عليه ويستغفرون له. وإذا اشتغل العبد بالمعصية، أرخى الله على مثاله ستراً»^(١). الحديث.

ومن المعلوم أنّ ضرب الطبل إن قلنا بحرمته، فإنّما هو إذا حصل به الطرب، كما هو مستعمل عند أهله، لا ما يوجب الحزن والجزع، بل الإنصاف أنّ الآلات الثلاث المذكورة ليست من الآلات المشتركة بين العنوانين، بل إنّما تُعدّ عرفاً من آلات الحزن لا غير، ولذا لم ترَ من العلماء من أنكر عليهم فعل ذلك خلفاً عن سلف، مع وقوع ذلك بمرأى منهم ومسمع، رزقنا الله شفاعة الحسين عليه السلام ووفقنا لتعظيم شعائره.

كلمة للشيخ العلامة العلم الهادي من آل كاشف الغطاء^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحزن والجزع، والنوح والندب، والعيول والنداء، والبكاء والتباكي والإبكاء، وإقامة مآتم العزاء على مصاب ريحانة خاتم الأنبياء، وسيّد شباب أهل الجنة، من أفضل السُّنن المشروعة والمستحبات الراجحة، ومن شعار الصلحاء وأهل الولاء والوفاء، ومن أقوى علائم المودة في القربى، ولا سيما في اليوم العاشر من المحرم، الذي تتجدّد فيه أحزان أهل البيت وأحزان شيعتهم ومواليهم. اليوم الذي هو أعظم من يوم قبض فيه رسول الله ﷺ، ومن يوم مات فيه

(١) الشيخ هادي ابن الشيخ عباس ابن الشيخ علي ابن الشيخ جعفر كاشف الغطاء، كان عالماً فاضلاً، أديباً شاعراً، درس على أفاضل عصره كالآخوند الخراساني صاحب الكفاية، والسيد اليزدي صاحب العروة، والشيخ آقا رضا الهمداني صاحب مصباح الفقيه. له مؤلفات عديدة منها : منظومات في حقّ الزهراء والحسن والحسين عليهم السلام وواقعة الطفّ، وشرح على الشرائع والتبصرة. توفيّ رحمته الله في النجف سنة ١٣٦١ هـ.

انظر ماضي النجف وحاضرها ٣ : ٢١٠.

سيدة النساء وبضعة سيّد الأنبياء، ومن يوم قُتل فيه أمير المؤمنين عليه السلام بالسيف، ومن يوم قُتل فيه الحسن الزكيّ المجتبى عليه السلام بالسمّ، كما في خبر ابن الفضيل الهاشمي، المروي في الوسائل؛ معللاً ذلك بأنّ كلّ مَنْ مضى من أصحاب الكساء الخمسة - الذين كانوا أكرم الخلق على الله تعالى - يبقى بعده منهم مَنْ فيه للناس عزاء وسلوة، إلّا الحسين، فإنّه لما قُتل لم يبق بعده منهم مَنْ فيه عزاء للناس وسلوة، «فكان ذهابه كذهاب جميعهم، كما كان بقاءه كبقاء جميعهم، فلذلك صار يومه أعظم الأيام مصيبة»^(١).

(١) أخرج قسماً منه الحرّ العاملي في وسائل الشيعة ١٤: ٥٠٣ - ٥٠٤ حديث ٦، باب ٦٦ من أبواب «المزار وما يناسبه»، نقلاً عن علل الشرائع للشيخ الصدوق: ٢٢٥ حديث ١. وأخرجه كاملاً - عن علل الشرائع أيضاً - العلامة المجلسي في بحار الأنوار ٤٤: ٢٦٩-٢٧١ حديث ١ باب ٣٢ «إنّ مصيبتَه صلوات الله عليه كانت أعظم المصائب» وتمام الحديث هو محمّد بن عليّ بن بشّار القزويني، عن المظفرّ بن أحمد، عن الأسدي، عن سهل، عن سليمان بن عبدالله، عن عبدالله بن الفضل قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: يا بن رسول الله، كيف صار يوم عاشوراء يوم مصيبة وغمّ وجزع وبكاء، دون اليوم الذي قبض فيه رسول الله صلى الله عليه وآله؟ واليوم الذي ماتت فيه فاطمة عليها السلام؟ واليوم الذي قُتل فيه أمير المؤمنين عليه السلام؟ واليوم الذي قُتل فيه الحسن عليه السلام بالسمّ؟

فقال: «إنّ يوم قتل الحسين عليه السلام أعظم مصيبة من جميع سائر الأيام، وذلك أنّ أصحاب الكساء - الذين كانوا أكرم الخلق على الله - كانوا خمسة، فلمّا مضى عنهم النبي، بقي أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فكان فيهم للناس عزاء وسلوة، فلمّا مضت فاطمة عليها السلام كان في أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام للناس عزاء وسلوة، فلمّا مضى منهم أمير المؤمنين كان للناس في الحسن والحسين عليهم السلام عزاء وسلوة، فلمّا مضى الحسن عليه السلام كان للناس في الحسين عزاء وسلوة.

فلمّا قُتل الحسين عليه السلام لم يكن بقي من أصحاب الكساء أحد للناس فيه بعده عزاء وسلوة،

❦ فكان ذهابه كذهاب جميعهم، كما كان بقاءه كبقاء جميعهم، فلذلك صار يومه أعظم الأيام مصيبة».

قال عبدالله بن الفضل الهاشمي: فقلت له: يا بن رسول الله، فلم لم يكن للناس في علي بن الحسين عليه السلام عزاء وسلوة، مثل ما كان لهم في آبائه عليهم السلام؟ فقال: «بلى إن علي بن الحسين كان سيد العابدين، وإماماً وحجة على الخلق بعد آبائه الماضين، ولكنه لم يلق رسول الله ﷺ، ولم يسمع منه، وكان علمه وراثته: عن أبيه عن جدّه عن النبي ﷺ».

وكان أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام قد شاهدتهم الناس مع رسول الله ﷺ في أحوال تتوالى، فكانوا متى نظروا إلى أحد منهم تذكروا حاله من رسول الله ﷺ وقول رسول الله ﷺ له وفيه، فلما مضوا فقد الناس مشاهدة الأكرمين على الله عز وجل، ولم يكن في أحد منهم فقد جميعهم إلا في فقد الحسين عليه السلام؛ لأنه مضى في آخرهم، فلذلك صار يومه أعظم الأيام مصيبة».

قال عبدالله بن الفضل الهاشمي: فقلت له: يا بن رسول الله، فكيف سمّت العامة يوم عاشوراء يوم بركة؟

فبكى عليه السلام ثم قال: «لما قُتل الحسين عليه السلام تقرب الناس بالشام إلى يزيد، فوضعوا له الأخبار وأخذوا عليها الجوائز من الأموال، فكان ممّا وضعوا له أمر هذا اليوم، وأنه يوم بركة، ليعدل الناس فيه من الجزع والبكاء والمصيبة والحزن، إلى الفرح والسرور والتبرك والاستعداد فيه، حكم الله بيننا وبينهم».

قال: ثم قال عليه السلام: «يا بن عمّ وإنّ ذلك لأقل ضرراً على الإسلام وأهله ممّا وضعه قوم انتحلوا مودتنا وزعموا أنّهم يدينون بمواليتنا ويقولون بإمامتنا: زعموا أنّ الحسين عليه السلام لم يُقتل، وأنه شُبّه للناس أمره كعيسى بن مريم، فلا لائمة إذاً على بني أمية ولا عتب على زعمهم، يا بن عمّ من زعم أنّ الحسين لم يُقتل فقد كذب رسول الله وعلياً وكذب من بعده من الأئمة عليهم السلام في إخبارهم بقتله، ومن كذبهم فهو كافر بالله العظيم، ودمه مباح لكل من

إلى غير ذلك من الأخبار الواردة في عظم هذا اليوم، واستحباب الحزن والجزع، وإقامة سنن المصائب فيه^(١)، مضافاً إلى التأسي بالآئمة الأطهار وصلحاء الأمة الأبرار.

وللحزن مظاهر وكيفيات وحالات وهيئات، تختلف باختلاف أطوار الأمم وعاداتها، واختلاف أزمانها وأحوالها. ولم ترد له من الشرع الشريف كيفية خاصة تعبدية، ليقصر عليها الحزين في حزنه، والنائح في نوحه.

وللبكاء والإيكاء أسباب سائغة، ووسائل مباحة، تمثل ما جرى في الطف من الفجائع، وما انتهك فيه من الفظائع، تمثيلاً قولياً أو فعلياً.

كما أن للحزن مظاهر شتى، منها خروج المواكب المحزنة المبكية، والجماعات النائحة اللاطمة على الرؤوس والصدور وغيرهما، فإن إعلان الحزن

﴿سمع ذلك منه﴾.

قال عبدالله بن الفضل: فقلت له: يا بن رسول الله فما تقول في قوم من شيعتك يقولون به؟ فقال عليه السلام: «ما هؤلاء من شيعتي، وأنا برىء منهم».

قال: فقلت: فقول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ قال: «إن أولئك مسخوا ثلاثة أيام ثم ماتوا ولم يتناسلوا، وإن القردة اليوم مثل أولئك وكذلك الخنزير وسائر المسوخ، ما وجد منها اليوم من شيء فهو مثله لا يحل أن يؤكل لحمه».

ثم قال عليه السلام: «لعن الله الغلاة والمفوضة فانهم صغروا عصيان الله، وكفروا به وأشركوا وضلوا وأضلوا فراراً من إقامة الفرائض وأداء الحقوق».

(١) وسائل الشيعة ١٤: ٥٠٠ - ٥١٠، باب ٦٦ من أبواب المزار وما يناسبه «باب استحباب البكاء لقتل الحسين عليه السلام وما أصاب أهل البيت عليه السلام، خصوصاً يوم عاشوراء واتخاذه يوم مصيبة».

كلمة حول التذكار الحسيني ٢٩١

معاً ينبغي لكلّ مؤمن موحد، ليكون من مصاديق مَنْ حزن لحزنهم عليه السلام، ففي خبر الرّيان المروي في الوسائل وغيرها: «إن سُرّك أن تكون معنا في الدرجات العلى فاحزن لحزننا وافرح لفرحنا»^(١).

فعلى أهل الولاء والوفاء الاحتفال بشهادة سيّد الشهداء، والتظاهر بمظاهر الحزن والبكاء، والأخذ بالآداب والسنن الجارية في هذا المضمار، المتكفلة ببيانها كتب الحديث والأخبار، والله الموفق للصواب، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

(١) وسائل الشيعة ١٤: ٥٠٣ حديث ٥ باب ٦٦ من أبواب المزار، نقلاً عن أمالي الشيخ الصدوق: ١١٢ حديث ٥، وعيون أخبار الإمام الرضا عليه السلام ١: ٢٩٩ حديث ٥٨.

صورة السؤال المرفوع لحجج الإسلام حول التذكار الحسيني وأجوبتهم عنه

لا ريب في أنّ مظاهر الحزن بأنحائها التي تقوم بها الشيعة في محرّم الحرام، مأخوذة عن السلف الصالح، والسيرة تقضي باستمرارها منذ القرون العديدة، وهؤلاء علماؤنا الأعلام الذين ازدانت بأنوارهم سماء هذه الأيام، نتحف القراء بكلمات بعضهم، جواباً عن سؤال رُفع لملاحظاتهم، وهذا نصّ السؤال:

ما يقول مولانا حجة الإسلام... مدّ ظلّه في المواقب المحزنة التي اعتاد الجعفریون اتّخاذها في العشر من المحرمّ، تمثيلاً لفاجعة الطفّ، وإعلاماً بما انتهك فيها من حرمة الرسول ﷺ في عترته ﷺ، وإعلانهم الحزن لذلك الفادح بكافّة أنواعه : من ندب ونداء وعويل وبكاء، وضرب الأكفّ على الصدور، وبالحدید علی الرؤوس والظهور، إلى غیر ذلك ممّا هو معلوم ومشهور، منظماً إلى بروزهم بهیئاتهم المعروفة، وحالاتهم الموصوفة، فهل هذه الأعمال مباحة في الشرع الأزهر، أم لا؟ افتونا مأجورین.

وهاك نصّ الأجوبة:

بسم الله الرحمن الرحيم

«كلّ ما يُعدّ إقامة عزاء، كالوجوه المذكورة، فهو جائز.
نعم، إذا كان عملاً محرّماً، كلبس الثوب المختصّ بالنساء في بعض
التشبيهات بالنسبة للرجال، يجتنب عنه، والله العالم».

محمد اليزدي الفيروزآبادي^(١)

(١) السيّد محمد ابن السيّد محمد باقر الحسيني اليزدي الفيروزآبادي، كان عالماً، مسلّم الفضيلة والاجتهاد، عرف بالتقوى والوثاقة ولين الجانب، صار مرجعاً للتقليد بعد وفاة السيّد اليزدي. تتلمذ على أفاضل عصره كالشيخ حسن الأردكاني والآخوند الخراساني والسيّد اليزدي. توفي في سامراء سنة ١٣٤٥ هـ ودفن في النجف الأشرف.
انظر معارف الرجال ٢: ٣٨٨.

بسم الله الرحمن الرحيم

«لا ينبغي الشبهة في جواز الأمور المذكورة في السؤال وإدعاء الرأس بالسيف، بل لو أفتى فقيه متبحر بوجوب ذلك في مثل هذه الأزمنة، التي صمّم جمعٌ على إطفاء أنوار أهل البيت عليهم السلام فيها، لم تمكن تخطئته نعم، يجتنب الرجل لباس المرأة على وجه لا يتميّز عنها، وبالعكس، ومن ضرب آلات اللهو على الكيفية التي يُضرب بها للهو والطرب، لا على الكيفية المرسومة في الغناء السائغة، والله العالم».

حرّره الفاني عبدالله المامقاني عفى الله عنه ^(١)

(١) الشيخ عبدالله ابن الشيخ حسن ابن الشيخ عبدالله المامقاني النجفي، عالم عامل، تقي ورع ثقة أمين، حضر على أفاضل عصره كالشيخ هاشم التبريزي الأرونقي، والشيخ غلام حسين الدربندي التركي والشيخ حسن ميرزا، وحضر أبحاث العلماء المعاصرين وبحث والده الشيخ حسن، ألّف عدّة كتب أشهرها تنقيح المقال، وله أيضاً: منهاج المتّقين، نهاية المقال في تكملة غاية الآمال، مرآة الكمال في الآداب والسنن، مقباس الهداية في علم الدراية. توفّي رحمه الله في النجف الأشرف سنة ١٣٥١ هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

«تمثيل فاجعة الطفّ مقدّمة للبكاء والجزع على الحسين عليه السلام وكذا إعلان الحزن بأنواعه، مباح، بل مستحبّ في مثل المراثي ومجالس الذكر ونحوهما».

المرتضى كاشف الغطاء^(١)

(١) الشيخ مرتضى ابن الشيخ عباس ابن الشيخ حسن كاشف الغطاء، عالم فاضل، فقيه أصولي، أديب شاعر. حضر على أعلام عصره كوالده الشيخ عباس والشيخ محمد حسين الكاظمي والشيخ محمد طه نجف والسيد محمد كاظم اليزدي والآخوند الخراساني. له عدّة مؤلّفات منها: فوز العباد في المبدأ والمعاد، والآيات الجليلة في تزييف شبه الوهابية، حاشية على مكاسب الشيخ الأنصاري. توفي رحمته الله سنة ١٣٤٩ هـ. انظر ماضي النجف وحاضرها ٣: ١٩٧.

بسم الله الرحمن الرحيم

«إنَّ خروج المواكب المحزنة، التي تمثِّل فاجعة الطفِّ، وإعلان الجزع والحزن لذلك الفادح الجليل، بكافَّة مظاهره وأنواعه، من السنن المشروعة والمستحبَّات الراجعة».

من الأقل الهادي آل كاشف الغطاء^(١)

(١) تقدمت ترجمته في الصفحة: ٢٨٧.

بسم الله الرحمن الرحيم

«قال سبحانه وتعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ * لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾^(١)، ولا ريب أن تلك المواكب المحزنة، وتمثيل هاتيك الفاجعة المشجية، من أعظم شعائر الفرقة الجعفرية، شيّد الله أركانها.

ونحن إذا لم نقل باستحبابها ورجحانها؛ لتوفر الأدلة من الأخبار والأحاديث المتظافرة المشعرة بمحبوبة تلك المظاهرات لأهل البيت عليه السلام فلا أقل من القول بالجواز والإباحة.

وما يتداول ويستعمل فيها من ضرب الطبول ونحوه، غير معلوم اندراجه في ما علم حرمة من آلات اللهو والطرب، نعم لو علم كونها منها فاللازم تنزيه تلك الأعمال الشريفة ممّا يشينها ويحبط أجرها وفضلها الجسيم.

وما أحسب التعرّض للسؤال عن تلك الأعمال، التي استمرت السيرة عليها منذ مئات من السنين، من مشاهدة أعظم العلماء لها، وصلاح أهل الدين، مع عدم النكير من واحد منهم، لا حديثاً ولا قديماً، مع أنّها بمرأى منهم ومسمع، ما

(١) الحجّ (٢٢): ٣٢ - ٣٣.

أحسب وضعها في مجال السؤال والتشكيك إلا دسيسة أموية، أو نزعة وهابية، يريدون أن يتوصلوا بذلك إلى إطفاء ذلك النور الذي أبى الله إلا أن يتمه ولو كره الكافرون.

كما أنني لا أرتاب في أنه لو تمت لهم هذه الحيلة، ونجحت - لا سمح الله - هذه الوسيلة، وعُطِّلت تلك المواكب والمراسم في سنتين أو ثلاث، سرى الداء، واستفحل الخطب، وتطرقوا إلى السؤال والتشكيك فيما يقام في بلاد الشيعة من المآتم، وجعلوا ذلك باباً إلى إماتة تلك المحافل والمحاشد التي بإحيائها إحياء الدين، وبإماتتها إماتة ذكر الأئمة الطاهرين سلام الله عليهم.

ومن له أقلّ إمام ووقوف على المجتمعات والجمعيات التي عُقدت في هذه الأعصار في مصر ودمشق وغيرهما، وما أصبحت تنشره من المقالات والمؤلفات في إحياء ذكر بني أمية وتنزيههم وتبرير أعمالهم، وتبرئتهم من قتل الحسن والحسين سلام الله عليهما، والتنويه بذكر يزيد، وأنه من الخلفاء الراشدين والأئمة المرضيين، عرف من أين جاءت هذه البلية، وسرى هذا السمّ الخبيث، التي تريد أن تقضي على حياة الشيعة، وتزهق روح الشريعة.

ولا يروج هذا إلا على السذج والبسطاء والمغفلين، الذين يقتلون الدين باسم الدين من حيث لا يشعرون.

فالرجاء والأمل من جميع إخواننا المؤمنين - ثبتهم الله بالقول الثابت، وأيدهم بروح منه - ترك الخوض في مثل هذه الأمور المتسالم عليها خلفاً عن سلف، والتي هي من أعظم الوسائل إلى نيل الشفاعة، والدخول في سفينة النجاة وأبواب الرحمة.

وليصرفوا أوقاتهم الثمينة في الاتفاق والتعاقد والتعاون على البرّ

كلمة حول التذكار الحسيني ٢٩٩

والتقوى، في ما يعود إلى إصلاح شؤون دينهم ودنياهم، وجمع كلمتهم على الحق والهدى إن شاء الله تعالى. ولا يؤتوا ما يوجب اختلاف الأمة وتفرقة الكلمة، والله ولي التوفيق وبه المستعان».

محمد الحسين آل كاشف الغطاء^(١)

(١) الشيخ محمد حسين ابن الشيخ علي ابن الشيخ محمد رضا كاشف الغطاء، عميد الطائفة الجعفرية وزعيمها، وعلم من أعلام الفرقة الناجية وناصرها، منبع العلوم والآداب، وكعبة الفضل التي إليها تحت الركاب، سرّ الفصاحة و بحر البلاغة. تخرّج في المبادئ على أعلام عصره من النجفيين، وفي الفقه والأصول على الزعيم الديني الكبير السيّد محمد كاظم صاحب العروة الوثقى، وله الرواية عن الحاج الميرزا حسين الخليلي. أُلّف رحمه الله عدداً كبيراً من الكتب في شتّى العلوم، توفّي في إيران سنة ١٣٧٣ هـ ونقل جثمانه إلى النجف الأشرف ودفن فيها.

انظر ماضي النجف وحاضرها ٣: ١٨٢.

صورة أخرى

ما يقول مولانا حجة الإسلام... مَدَّ اللهُ ظِلَّهُ العَالِي على رؤوس الأنام، في
المواكب المشجية التي اعتاد الجعفريون اتّخاذها في العشر من المحرّم الحرام،
تمثيلاً لفاجعة الطفّ، وإعلاماً لما انتهك فيها من حرمة الرسول ﷺ في عترته
المجاهدين، بالتمثيل للشهداء وجهادهم وما جرى عليهم، وما جرى على
الأطفال من القتل والقسوة، وبإعلانهم الحزن لذلك الفادح بأنواعه : من ندب
ونداء، وعويل وبكاء، وضرب بالأكفّ على الصدور، وبالسلاسل على الظهر،
فهل هذه الأعمال مباحة في الشرع الأزهر، أم لا؟ افتونا مأجورين.

بسم الله الرحمن الرحيم

وله الحمد وهو المستعان.

«لا ينبغي الريب في رجحان هذه المذكورات، التي هي شعار للمودة في القربى، وولاء أهل البيت الطاهرين المطهرين عليهم السلام ومواساة الإمام المجاهد الشهيد المظلوم، سيّد شباب أهل الجنة، وسبط رسول الله صلى الله عليه وآله وولده، فهنيئاً لمن أسعده التوفيق في إقامتها والإعانة عليها، مع الإخلاص لله في ذلك، وفق الله المسلمين وسدّدهم».

الأحقر محمد جواد البلاغي عفي عنه^(١)

(١) الشيخ جواد - محمد جواد - ابن الشيخ حسن ابن الشيخ طالب البلاغي، ركن الشيعة وعمادها، وعزّ الشريعة وسنادها، صاحب القلم الذي يسبح في بحر العلوم الناهل من موارد المعقول والمنقول. كم من صحيفة حبرها وألوكة حرّرها، وهو بما حَبَّر فضح الحاخام والشماس، وبما حرّر ملك رقّ الرهبان الأقساس كان مجاهداً بقلمه طيلة عمره، وقد أوقف حياته في الذبّ عن الدين ودحض شبه الماديين والطبيعيين، فهو جنة حصينة ودرع رصينة»، حضر على أعلام عصره كالشيخ محمد طه نجف، والشيخ آقا رضا الهمداني، والآخوند الخراساني والميرزا الشيخ محمد تقي الشيرازي، وتخرّج من عالي دروسه عدد كبير من العلماء. له عدّة مؤلّفات منها: الرحلة المدرسية، الهدى إلى دين المصطفى، أنوار الهداية، نصائح الهدى، أعاجيب الأكاذيب، أجوبة مسائل كثيرة، آلاء الرحمن في تفسير القرآن. مات رحمه الله في النجف سنة ١٣٥٢ هـ.

انظر ماضي النجف وحاضرها ٢: ٦١.

تشبه الرجال بالنساء المحرّم في الشريعة^(١)

وفيه: أولاً: أنّ المتبادر من تلك الأخبار ما كان التشبه بالمرأة من حيث أنّها امرأة.

وبعبارة أخرى: يكون الغرض هو التظاهر بالانوثية، لا التشبه بمرأة من حيث خصوصيتها، من تمثيل واقعة أو تصوير مصيبة ونحو ذلك، فلا يصدق عليه عنوان التشبه المحرّم.

وثانياً: ما أفاده شيخنا الأعظم آية الله النائيني دام ظلّه من قوله: «إنّ المحرّم من تشبه الرجل بالمرأة هو ما كان خروجاً عن زيّ الرجال رأساً وأخذاً بزي النساء، دون ما إذا تلبّس بملابسها مقداراً من الزمان بلا تبديل لبسه، كما هو الحال في هذه التشبيهات». انتهى^(٢).

ويدلّ على ما ذكر من الوجهين الأخبار الواردة في الباب، فمنها ما رواه الشيخ الحرّ العاملي، عن زيد بن علي، عن آبائه، عن علي بن أبي طالب أنّه رأى رجلاً به تأنيث في مسجد رسول الله ﷺ فقال له: «أخرج من مسجد رسول الله يا لعنة

(١) انظر رسالة «التنزيه لأعمال الشبيه» (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٢: ١٧٣.

(٢) نقلاً عن العروة الوثقى ٢: ٣٥١، مع تعليقة عدّة من الفقهاء، التعليقة رقم (٢) على

المسألة ٤٢ في شرائط لباس المصلّي.

كلمة حول التذكار الحسيني..... ٣٠٣

رسول الله»، ثم قال علي: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال»^(١).

وكذلك الأخبار الأخر مساقها ظاهر في حكم التأنيث، فلا تشمل من ألقى على وجهه برقعاً أو جلباباً تظاهراً بواقعة من الوقائع.

وإلى هنا قد فرغنا بحمد الله عن النظر في ما يتمسك به لإثبات المنع عن بعض مظاهر الحزن في عاشوراء، وبعد ما أثبتنا عدم تماميته في المقام، فقد بقيت العمومات والإطلاقات المسردة في النظرة الأولى على حالها، ويكون المقتضي بضميمة عدم المانع علّة تامّة للجواز أو الاستحباب.

وليكن هذا آخر كلامنا في هذه العجالة، وقد فرغ عن تسويدها مؤلفها أضعف عباد الله القوي علي نقى ابن العلامة الفقيه السيّد أبو الحسن النقوي اللكهنوي، بأرض الغري المقدّسة في الثاني من شهر رمضان سنة ١٣٤٧ هجرية، وأخرجت إلى البياض مع بعض الزيادات في المحرم سنة ١٣٤٨ هـ، والحمد لله أولاً وآخراً والصلاة على نبيّه محمّد وآله النجباء.

(١) وسائل الشيعة ١٧: ٢٨٤، حديث ٢٢٥٣٢، نقلاً عن علل الشرائع ٢: ٦٠٢، حديث ٦٣، باب

٣٨٥ (نواذر العلل).

ملحق بالكتاب

لا ينفع العوام في الاستناد عند العمل فتوى أيّ فقيه مهما بلغ في العظمة والاشتهار من الفقهاء الماضين، وإنما تنفعهم فتاوى الأحياء من المجتهدين أدام الله بقاءهم، وهي مطبقة على تجويز ما ينكر الخصوم من الشعائر الحسينية، وهاك أسماؤهم الشريفة، ولتفصيل آرائهم ونقل كلماتهم محل آخر:

حضرة آية الله الميرزا محمد حسين النائيني النجفي.

آية الله الحاج الشيخ عبد الكريم اليزدي.

آية الله السيّد ميرزا علي أقا الشيرازي.

آية الله السيّد حسن صدر الدين العاملي الكاظمي.

آية الله الشيخ ضياء الدين العراقي النجفي.

حضرة العلامة الحجّة المجاهد الشيخ محمد جواد البلاغي.

حجّة الإسلام الشيخ عبد الله المامقاني.

حجة الإسلام الشيخ محمد حسين الأصفهاني النجفي.

حجّة الإسلام الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء النجفي.

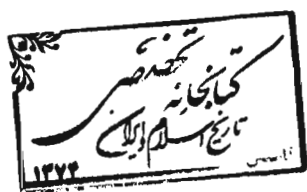
حجّة الإسلام الشيخ هادي.

. حجة الإسلام الشيخ مرتضى.

حجة الإسلام الشيخ علي المازندراني.

حجة الإسلام الشيخ محمد رضا آل ياسين الكاظمي النجفي.

وأما حضرة آية الله مولانا السيد أبو الحسن الأصفهاني دام ظلّه، فالذي نعلمه منه وجداناً سكوته في خصوص مسألة ضرب القامات، ومنشوره على إجماله صريح في الترغيب والحثّ على إظهار الحزن والجزع والهلع والتظاهر بكلّ ما ينبىء عن عظم المصيبة وجلالة شأن المصاب، بل إنّه أفضل الطاعات، فراجع إذن، فنسبة التصريح بالمنع إليه غير مطابقة للواقع، وقد نسب إليه بعض المؤلفين القول بالجواز، والله أعلم.



(٧)

نصرة المظلوم

تأليف

الشيخ حسن المظفر

(ت ١٣٨٨ هـ)



بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله، وله الحمد على جزيل نواله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله.

وبعد، فبيّنا أنا واقف موقف الاندهاش والحيرة - أسوة كثير من أهل الدين - لما وقع في الحرمين الشريفين وما والاها من المنكرات بهدم المشاهد والمزارات، وذلك في أول شهر المحرم من هذا العام^(١)، حيث يقام التذكار الحسيني المحزن، وكفى به جالباً للوجد القلبي، ومثيراً للبكاء المقرح.

إذ انتهى إليّ عدد من جريدة الأوقات العراقية^(٢) التي تصدر في البصرة، وفي مفتتحها مقالة ينقل صاحبها عن رجل من فضلاء أهل العلم - قطن البصرة منذ شهور، يدعى السيّد مهدي^(٣) - أنّه منع من تمثيل تلك الفادحة الكبرى والمصيبة العظمى، ومن خروج مواكب الرجال يضربون صدورهم بأيديهم في

(١) أي سنة ١٣٤٥هـ، وهي سنة تأليف هذه الرسالة.

(٢) هو العدد ١٦٦١، كما صرّح به الشيخ محمد جواد الحّجّامي (ت ١٣٧٦ هـ) في رسالته «كلمة حول التذكار الحسيني» (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ١: ٢٧١.

(٣) هو السيّد محمد مهدي الموسوي القزويني البصري (ت ١٣٥٨ هـ) صاحب رسالة «صولة الحق على جولة الباطل» (المطبوعة ضمن هذه المجموعة).

الأزقة والجواد العمومية^(١).

فقلت: هذه المصيبة الثالثة، وما هي بأهون من الأوليين.

ثم تواترت الكتب والرسائل من البصرة إلى مراكز العلم في النجف، وهي ما بين عاذل و عاذر^(٢)، محبذ لهذا المنع ومستاء منه، فشمت من ذلك روح الأغراض الشخصية بين فئتين، فأعرضت وقلت: فورة لامساس لها بالمذهب سوف تسكن.

ثم ما عتمت إلا وقد أرسلت بعد أيام من البصرة مقالة مطبوعة^(٣) من مزخرفات ذلك الرجل الفاضل، مزج فيها بين الحق والباطل، ونسب الفرقة الجعفرية - في إقامة التذكارات الحسينية ببعض مظاهرها - إلى الإبداع والقيام بأفعال وحشية همجية.

وفي هذا تضليل للسلف الصالح من العلماء الأعلام، والقوام على الحلال والحرام، ورفع لأعظم شعار مذهبي ما زالت تجتني الشيعة من فوائده ما يحفظ كيانه ويثبت عقائدهم.

فعلمت من أين جاءت هذه البليّة التي تقضي - إن تمت - على حياة الشيعة، وتيقّنت أن كيد المموّنين والمنافقين، وخاصة أفراد «الجمعيّة

(١) الجادة: معظم الطريق، والجمع جواد، الصحاح ٢: «جدد».

(٢) العذل: اللوم. والعذر: الحجّة التي يعتذر بها. لسان العرب ٩: ١٠٢ «عذر» و ١١١ «عذل». والمقصود هنا: أنّ أهالي البصرة الذين بعثوا بالرسائل إلى مدينة النجف الأشرف، كانوا منقسمين إلى قسمين: مؤيدين ومعارضين لأقوال السيّد محمّد مهدي الموسوي القزويني البصري.

(٣) هي رسالة «صولة الحق على جولة الباطل» للسيّد محمّد مهدي الموسوي القزويني

البصري (١٣٥٨هـ) (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ١: ١٧٧.

الأموية»^(١)، ذلك الكيد الذي لا ينطلي إلا على السدج والبسطاء، قد أوقع هذا الرجل بأشراكه^(٢) فأفتى ومنع، وقذف، وضلل، ولقق أموراً ليس لها مقيل في ظل الحقيقة، بل هي ﴿كَسْرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ﴾^(٣).

كنت أجد لي في ما كتبه، وأفتى به علماؤنا الأعلام في هذه الأيام، وطبع ملحقاً برسالة^(٤) في هذا الشأن لمعاصرنا الفاضل الشيخ محمد جواد الحجامي النجفي حفظه الله، المطبوعة في النجف، مندوحة على الخوض في هذه المسألة التي عزّ وعظم على كل عارف من الشيعة أن تقع موقع سؤال وتشكيك.

ولكنني الآن بعد انتشار تلك المقالة^(٥)، التي هي قرّة عين المناوئين، لا أجد مساعاً شرعياً للسكوت عمّا خفي على ذلك السيّد الصائل^(٦) ومن يطرب على

(١) أطلقت هذه الكلمة «الجمعية الأموية» على الذين أيدوا السيّد محمد مهدي في منعه لبعض الشعائر الحسينية، وكذلك على الذين أيدوا - فيما بعد - السيّد محسن الأمين (ت ١٣٧١ هـ) وما جاء في رسالته «التنزيه» التي دعا فيها إلى تنزيه بعض الشعائر الحسينية.

يقول الأستاذ جعفر الخليلي (ت ١٤٠٥ هـ) في كتابه «هكذا عرفتهم» ١: ٢٠٨: «وانقسم الناس إلى طائفتين - على ما اصطلاح عليه العوام - «علويين»، و«أمويين». وعنّى بالأمويين أتباع السيّد محسن الأمين، وكانوا قلة قليلة لا يعتد بها، وأكثرهم كانوا متسترين خوفاً من الأذى».

(٢) أي الفخ، في الصحاح ٤: ١٥٩٤ «شرك»: الشرك: حباله الصائد.

(٣) النور (٢٤): ٣٩.

(٤) هي رسالة «كلمة حول التذكارات الحسينية» (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ١: ٢٦٧.

(٥) أي رسالة «صولة الحق على جولة الباطل» (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ١: ١٧٧.

(٦) السيّد محمد مهدي الموسوي القزويني البصري، مؤلف رسالة «الصولة».

٣١٢.....رسائل الشعائر الحسينية / ج ١

تصديته، عسى أن ينبى إلى الحقّ ويتنبّه إلى ما أغفله به الأغيار المفكّرون، ومن الله أرجو أن تكون رسالتي هذه التي سمّيتها: «نصرة المظلوم» سبباً لهداية إخواننا المسلمين إلى اتّباع الحقّ بيقين، إنّه ولي ذلك والقادر عليه.

وها أنا بعون الله وتوفيقه ذاكر في مقدّمة هذه العجالة بحثاً فلسفياً تاريخياً، ينتهي بالتأمّل فيه إلى العلم بأنّ التذكارات الحسينية بجميع أنواعها حافظةٌ للمذهب الجعفري عن الاندراس والذثور.

وبهذا الاعتبار لا يحتاج في شرعيّة بعضها إلى ورود دليل خاصّ به، وأنّه لا يُعتنى بسخرية الساخر، فإنّه في الحقيقة ماكر لا ساخر، يريد إطفاء أنوار الأئمة الأطهار بكيد ومكره ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾^(١).

فأقول: يتردّد على السنة عموم الشيعة نحو قول: «قتل الحسين عليه السلام لإحياء دين جدّه»، ومرادهم بدين جده: الطريقة التي هم عليها من الاعتقاد - مع الشهادتين والمعاد - بإمامة علي وولده إلى المهدي عليه السلام، وأنّهم معصومون مبرّأون عن كلّ ذنب وعيب، جامعون لكلّ فضيلة في البشر.

وتفصيل إحيائه لهذه الطريقة بتسليم نفسه للقتل عالماً عامداً، تعرفه ممّا نذكره ثمة.

لا شكّ أنّه ما كان المسلمون في شطر من الصدر الأوّل ينزلون أهل البيت الطاهر بالمنزلة التي تنزلهم بها الجعفرية اليوم، من كونهم أئمة حقّ ومعصومين، فضلاً عن اعتقاد كون الإمامة والعصمة في عقب الحسين عليه السلام إلى عدّة خاصّة من أبنائه، فإنّه ممّا لم يدعن به إلّا ممتحن القلب.

(١) فاطر (٣٥): ٤٣.

نصرة المظلوم..... ٣١٣

اللهم إلا في أعوام نزرة مشوبة بفتن وحروب، كثر في خلالها عدد الشيعة وثبتت عقائدهم.

لكن لم تكن مقتضيات الأحوال يومئذٍ بالغةً إلى حدٍّ يوجب سيادة هذا الاعتقاد في العالم الإسلامي.

ثم ما برح ذلك العدد الجمّ أن عراه النقص، ولبس ثوب الإذلال، وكان ضئيلاً من قبل ذلك، وذلك لأجل الحيف^(١) الذي أظهره آل أبي سفيان في المصرين وما يتبعهما وغيرهما من مراكز الشيعة.

فقد غرسوا بغض علي عليه السلام وولده وسبهم والبراءة منهم في أعماق قلوب العامة بأساليب مختلفة، وتتبعوا شيعتهم على الظنة والتهمة، حتى كادوا أن يستأصلوا شأفتهم^(٢)، وبعثوا إلى المشرّدين منهم والمسجونين ضروب الأذى والتنكيل.

ووضعوا الأحاديث النبوية في فضل بني أمية، وأعلنت الخطباء في كلّ صقع بأسمائهم مقرونة بالتبجيل والتكريم، وكونهم خلفاء النبي ﷺ وذوي رحمه ووراث حكمه وحكمته.

وأنّ مخالفتهم ضلال، والخروج عليهم خروج عن ربقة الإسلام^(٣)، حتى أتى على ذلك نيف وثلاثون سنة، وبعض هذا في أقلّ من تلك المدة كافٍ في

(١) الحَيْفُ: الجور والظلم. الصحاح ٤: ١٣٤٧ «حيف».

(٢) الشَّافَةُ: قرحة تخرج في أسفل القدم، فتكوى فتذهب. يقال في المثل: «استأصل الله شأفتَهُ» أي أذهب الله كما أذهب تلك القرحة بالكَي. الصحاح ٤: ١٣٧٩ «شأف».

(٣) الرِّبْقُ، بالكسر: حبل فيه عدّة عُرى، تُشدّ به البُهِمُ، الواحدة من العُرى: رِبْقَةٌ. وفي الحديث: «خَلَعَ رِبْقَةَ الإسلام من عنقه». الصحاح ٤: ١٤٨٠ «ربق».

اندراس ذكر علي وولده عليه السلام واندراس طريقتهم وأحكامهم^(١).

حتى إذا ولي الأمر يزيد بن معاوية بعد أبيه، وقد توطدت له الأسباب، تسنى له أن يبيد كل هاشمي من على جديد الأرض^(٢)؛ لتهوّره، وشدة إقدامه، وتجاهره بهتك الحرمات، كما ينبيء عن ذلك - بعد يوم الطف - وقعة الحرّة^(٣) ورمي الكعبة^(٤).

فلذلك قام الحسين عليه السلام ضدّ بني أميّة قيام مستاء جدّاً من جراء قسوتهم المخالفة لدين الإسلام، ولا همّ له إلا إحياء ما أماتوه من الآثار والمآثر الإسلامية. وبقتلهم إياه - تلك القتلة الشنيعة بأيدي تلك الألوف المتجمهرة عليه، وقتل سبعة عشر رجلاً من بنيّه وبني أخيه وعمّه، حتى الشباب والأطفال الرضع منهم، وقتل أنصاره وسبي ذراريه وعياله إلى الكوفة، ومنها إلى الشام حيث مركز

(١) انظر تفصيل هذا في كتاب «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد المعتزلي ٤: ٥٦ فصل (في ما روي من سبّ معاوية وحزبه لعلي).

(٢) الجديد: وجه الأرض. الصحاح ٢: ٤٥٤ «جدد».

(٣) وقعت في أواخر شهر ذي الحجة سنة ٦٣ هجرية، بعد أن خلع أهل المدينة المنورة البيعة ليزيد بن معاوية وتابعوا ابن الزبير، فأمر يزيد مسلم بن عقبة المزّي بالسير إليهم في جيش كبير، فدخلها مسلم عنوة وأباحها ثلاثة أيام لجيشه، فنُهبت مدينة الرسول ﷺ وقتل كثير من أهلها، وانتهكت الأعراض فيها. وأخذ مسلم البيعة من أهل المدينة ليزيد بن معاوية على أنهم خَوّل له، يحكم في دمائهم وأموالهم وأهلهم ما شاء. انظر تاريخ الطبري ٥: ٤٨٢، أحداث سنة ٦٣ هجرية.

(٤) بعد أن أخذ مسلم بن عقبة المزّي من أهل المدينة المنورة البيعة ليزيد بن معاوية، سار إلى أهل مكة إلا أنه توفي في الطريق، فأصبح الحصين بن نمير الكوفي أميراً على الجيش، فقصد مكة المكرمة وحاصرها ورمى الكعبة الشريفة بالمنجنيق يوم السبت الثالث من شهر ربيع الأول سنة ٦٤ هجرية.

انظر تاريخ الطبري ٥: ٤٩٦، أحداث سنة ٦٤ هجرية.

الخلافة الأموية، وإشهار رأسه ورؤوس آلِه في البلدان - سقطت منزلة بني أمية من القلوب، وعلم الناس نواياهم السيئة، وأيقنوا أنهم ليسوا بأئمة حق؛ لأن أفعالهم تلك لا تتفق مع أي دين، ولا يرافقها من العدل شبح، بل هي خارجة عن حدود الإنسانية.

وكان في نفوس العامة في العراق نفور ما منهم من جرّاء القتل الذريع لكبرائهم؛ لتهمة التشيع وحيف^(١) العمال بهم.

وكذلك في الحجاز أيام استخلاف يزيد عليه اللعنة؛ لمعلومية فسقه وجوره. وظهر يومئذٍ للعالم الإسلامي كلّهُ أن بني أمية لم تسع في هدم دين الإسلام فقط، بل تسعى عن طريق التعصّب الجاهلي في أن لا تبقي لها شمي أثراً، وعلى الأخصّ بقايا آل محمّد ﷺ.

ومن هذا الوجه ظهر للعالم أجمع مظلومية الحسين ﷺ، وصار ذلك سبباً للالتفات إلى مظلومية أبيه يوم صفين، وأخيه عام الصلح.

لما قتل الحسين ﷺ طال لسان اللوم والإنكار على يزيد (عليه اللعنة) حتى من بني أمية أنفسهم، ومن بقايا الصحابة في الشام وفي المدينة المنورة، على حين أنّه لم يكن بالإمكان ذكر علي ﷺ والحسين ﷺ بخير في البلدان القاصية عن مركز خلافة بني أمية، فضلاً عن إطرائهم بين يدي يزيد ولدى حاشيته وفي داره، حتى روي في العقد الفريد عن المدائني: أنّه لم توجد في دار يزيد سفينية إلا وهي متلذّمة^(٢) تبكي على الحسين ﷺ^(٣).

(١) الخيف: الجور والظلم الصحاح ٤: ١٣٤٧ «حيف».

(٢) لدمت المرأة وجهها: ضربته. والتدام النساء: ضربهنّ صدورهن في النياحة الصحاح ٥: ٢٠٢٨ - ٢٠٢٩ «لدم».

(٣) في العقد الفريد ٥: ١٣٢ لابن عبد ربّه الأندلسي (ت ٣٢٨ هـ): أبو الحسن المدائني، عن إسحاق، عن إسماعيل بن سفيان، عن أبي موسى، عن الحسن البصري، قال: قتل مع

وما كان ينفع يزيد عند الناس إسناد قتله إلى ابن مرجانة بغير علم منه، وهم يرون فرحه وسروره - بإشهار رأسه ورؤوس آله، وسوق ذراريهم وعيالهم له كالسبي المجلوب^(١)، وتزيينه الشام أياماً - استبشاراً بذلك.

لعمري إن هذا الإطراء والذكر الجميل، واعتقاد مظلومية الحسين عليه السلام وآله عند العامة في الشام، أول مراتب التشيع ومعرفة آل محمد عليهم السلام، والإذعان بفضلهم الذي لا سبب له إلا قتل الحسين عليه السلام.

في عام قتل الحسين عليه السلام هاج كثير من أهل الكوفة للأخذ بثأره، وما زالوا يستعدون للثورة عدتها من جمع سلاح وتوفير عدد نحواً من ثلاث سنين.

وأهل المدينة في خلال تلك المدة ناثرون عليه مع عبد الله بن حنظلة (غسيل الملائكة)، وابن الزبير ناصب بمكة يدعو إلى نفسه ويعلن الطلب بثار الحسين عليه السلام بدء أمره، حتى هلك يزيد عليه اللعنة.

وحينئذ تجمهرت الألوف بالكوفة، لاحافز لها إلا الطلب بثأر الحسين عليه السلام، وهي تذكر أباه وأخاه وسائر آله بكل جميل، وتعلن استحقاق علي عليه السلام وولده

❦ الحسين ستة عشر من أهل بيته، واللّه ما كان على الأرض يومئذ أهل بيت يشبهون بهم.

وحمل أهل الشام بنات رسول الله صلى الله عليه وآله سبايا على أقتاب الإبل، فلما أدخلن على يزيد،

قالت فاطمة ابنة الحسين: يا يزيد، أبناات رسول الله صلى الله عليه وآله سبايا؟

قال: بل حرائر كرام، ادخلي على بنات عمك تجديهن قد فعلن ما فعلن.

قالت: فاطمة: فدخلت إليهن، فما وجدت فيهن سفيانية إلا متلذمة تبكي.

وقالت بنت عقيل بن أبي طالب ترثي الحسين ومن أصيب معه:

واندبني إن ندبت آل الرسول

عيني أبكي بعبرة وعويل

قد أصيبوا وخمسة لعقيل

سنة كلهم لصلب علي

(١) الجليب: الذي يجلب من بلد إلى غيره. الصحاح ١: ١٠ «جلب».

الإمامة والخلافة عن الرسول ﷺ.

ويومئذٍ ظهر التشيع الصلب، وامتازت شيعة علي عليه السلام من شيعة بني أمية، ونتج من ذلك التجمهر والامتيار وقعة عين الورد^(١)، التي قتل بها أكثر التوابين، ووقعة نهر الخازر^(٢)، التي هلك فيها من جند بني أمية سبعون ألفاً فيهم ابن مرجانة. وبان ثمة التشيع بأجلى مظاهره وانقادت الناس من يومئذٍ الى أهل

(١) عين الورد تسمى أيضاً «رأس عين»: مدينة مشهورة بالجزيرة العربية، كانت فيها وقعة للعرب ويوم من أيامهم، وكان أحد رؤسائهم يومئذٍ رفاعه بن شداد بن عبد الله ابن قيس.

انظر: معجم البلدان ٤: ١٨٠.

وقد جرت بالقرب من هذه المدينة معركة بين التوابين بقيادة سليمان بن صرد الخزاعي، وبين جيش الأمويين بقيادة الحصين بن نمير الذي كان معه ثلاثون ألفاً من المقاتلين، بينما كان مع سليمان ثلاثة آلاف فقط. وكانت نتيجة هذه المعركة التي وقعت في شهر جمادي الأولى سنة ٦٥ هـ. مقتل الكثير من التوابين، منهم سليمان بن صرد الخزاعي، والمسيب بن نجيبه وعبد الله بن سعد بن نفي.

انظر: أصدق الأخبار في قصة الأخذ بالثار: ٣٣ - ٥٤.

(٢) نهر الخازر: قريب من مدينة الموصل بالعراق، التقى عنده جيش التوابين الذي بعثه المختار بن أبي عبيدة الثقفي بقيادة إبراهيم بن مالك الأشتر الذي كان معه تسعة آلاف مقاتلاً، وجيش الأمويين بقيادة ابن مرجانة عبيد الله بن زياد الذي كان معه ثلاثون ألف مقاتلاً. وكانت نتيجة هذه المعركة قتل الكثير من جيش الأمويين وفي مقدمتهم قائدهم ابن مرجانة الذي قتله إبراهيم الأشتر.

يقول ابن نما: وجعلوا يعدون القتلى - من جيش الشام - بالقصب، يضعون عند كل قتيل قصبه فكانوا سبعين ألفاً.

وكانت تلك المعركة يوم العاشر من المحرم سنة ٦٧ هـ.

انظر: أصدق الأخبار في قصة الأخذ بالثار: ١٣٨ - ١٥٠.

٣١٨.....رسائل الشعائر الحسينية / ج ١

البيت عليه السلام باقتفاء آثارهم، والاقْتباس من علومهم، وأخذ مراسم الدين منهم.
وما برح الثوار يتتابعون، كزيد بن علي^(١)، وولده يحيى^(٢) بن زيد وغيرهما.
ويقوي أمر الشيعة ويشتدّ أزرهم، وتظهر كلمتهم، وتثبت عقائدهم ببركة تلك
الثورات الناجمة من قتل الحسين عليه السلام.

ولم يمض قرن واحد من لدن قتله حتّى باد بنو أميّة، وأصبحت السلطة
الإسلامية لفريق من بني هاشم وهم بنو العبّاس الذين - باسم ثارات الحسين عليه السلام
وولده وبني عمومته - لم يبقوا من الأمويين في الأرض نافخ ضَرَمَة^(٣) إلاّ من
لا يُعرف.

من هذه الرموز كلّها تعرف معنى كون الحسين عليه السلام قتل لإحياء دين جدّه،
وتدّعي أنّه لم يطلب حقّاً هو لغيره، ولم يرد أن يكون جباراً في الأرض، وإلاّ فلا
موقع لإطرائه والطلب بثأره.

ولمّا رسخت أقدام العبّاسيّين في الإمرة الإسلامية، ورأوا أنّ المغروس في
أعماق قلوب أكثر المسلمين، هو أنّ الرياسة الروحانيّة المقدّسة لعقب الحسين عليه السلام
من العلويين، خافوا على ملكهم بادرة الثوار منهم.

وأدرك أولئك أن لا قدرة لهم على الطلب بحقّهم وقد باد بنو أميّة، وتشتّت
أفكار العامّة، وأعرست الدنيا بملك بني العبّاس.

(١) الذي استشهد في الكوفة سنة ١٢٠ هـ وقيل: ١٢١ هـ.

(٢) في النسخة المطبوعة «عيسى» لكن المعروف أنّ يحيى بن زيد بن علي، هو الذي
استشهد في خراسان سنة ١٢٥.

(٣) الضَرَمَة: السَّعْفَةُ أو الشَّيْخَةُ في طرفها نار، يقال: ما بها نافخ ضَرَمَة، أي أحد. الصّفا

٥: ١٩٧٤ «ضرم».

وكان الرئيس الروحاني من أولاد الحسين عليه السلام يومئذٍ، والمشار إليه من بينهم، والمطاع في الناس، هو أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، فأثر العزلة. وكذلك أبنائه إماماً بعد إمام، وهم في خلال ذلك يلاقون ضروب الأذى والقتل والتنكيل.

ولكنهم حفظوا ما قتل عليه جدّهم، بأمرهم شيعتهم - بدل الثورة - بالتذكارات الحسينية، بذكر مصائبه، فرادى وجماعات في جميع الأحوال، ونقل ما جرى عليه وعليهم من الفجائع من لدن قتله إلى أيامهم، والبكاء والإبكاء والتباكي لما أصابهم.

وبالغوا في الإطناب بذكر ثواب ذلك إلى حدّ هو فوق التّصوّر؛ لأنّهم رأوا أنّ ذلك هو اليد القوية في إحكام الرابطة بين أفراد الشيعة، وتمييزهم عمّن سواهم من الشيع ^(١).

كما أنّ الثورات الدموية أوجبت تمييزهم عن شيعة بني أمية، وحفظت عقائدهم لذلك الوقت، وعلى ذلك من الشواهد التاريخية ما تضيق عنه الرسالة. ثمّ أنّهم عليهم السلام - بمزيد لطفهم وواسع علمهم - حفظوا تلك المجتمعات، وحافظوا على الأفراد والجماعات من الشيعة، بتشديد الأمر عليهم بالالتقاء والتستر، حتّى نفوا اسم الدين عن غير المتّقين ^(٢).

وهذه المجتمعات - المأمور بها منهم ببيانات مختلفة والمنعقدة عندهم في منازلهم - هي ما نسمّيها اليوم «المآتم» و«مجالس العزاء».

(١) أي الفرق والجماعات الأخرى. انظر الصحاح ٣: ١٢٤٠ «شيع».

(٢) روى الشيخ الكليني بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «لادين لمن لا تقية له».

انظر الكافي ٢: ٢١٧ - ٥٢١ باب التقية.

٣٢٠.....رسائل الشعائر الحسينية / ج ١

لا شك أنه لا غرض للأئمة عليهم السلام - وهم حكماء الأمة - من الأمر بذلك الاجتماع المحزن، وتذكر تلك المصيبة المقرحة في أحوال مخصوصة كثيرة، وزياراته التي لم يكفهم الترغيب إليها والمبالغة في ثوابها، حتى حذروا من تركها. وبعبارة جامعة: ليس أمرهم بتلك «الروابط الحسينية» إلا حفظ المذهب عن الاندراس، وهو الغاية التي قتل لها الحسين عليه السلام.

وهذه الحكم، مع أنها وجدانية قد ألمعوا إليها بعبارات مختلفة وضوحاً وخفاءً، وأمروا بها صريحاً في ما تضمن الحث على إحياء أمرهم، نحو قول الصادق عليه السلام للفضيل بن يسار: «تجلسون وتحدثون؟» قال: نعم جعلت فداك.

قال: «إن تلك المجالس أحبها، فأحيوا أمرنا»^(١). وقوله عليه السلام: «من جلس مجلساً يحيى فيه أمرنا، لم يمّت قلبه يوم تموت القلوب»^(٢).

وقوله عليه السلام: «رحم الله عبداً اجتمع مع آخر فتذاكر أمرنا، فإنّ ثالثهما ملك يستغفر لهما، وما اجتمع اثنان على ذكرنا إلاّ أباهى الله بهما الملائكة، فإذا اجتمعتم فاشتغلوا بالذكر، فإنّ في اجتماعكم ومذاكرتكم إحياءنا، وخير الناس بعدنا من ذاكر بأمرنا، ودعا إلى ذكرنا»^(٣)، وغير ذلك^(٤).

(١) قرب الإسناد: ١٨، تفسير القمّي ٢: ٢٩٢، ثواب الأعمال: ٢٢٣ حديث ١. وعنهما في وسائل الشيعة ١٤: ٥٠١ حديث ٢ باب ٦٦ في أبواب المزار وما يناسبه.

(٢) أمالي الصدوق: ٦٨ حديث ٤، عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٩٤ حديث ٤٨، وعنهما في وسائل الشيعة ١٤: ٥٠٢ حديث ٤ باب ٦٦ من أبواب المزار وما يناسبه.

(٣) أمالي الشيخ الطوسي ١: ٢٢٨. وعنه وسائل الشيعة ١٦: ٣٤٨ حديث ١٠ باب ٢٣ من أبواب فعل المعروف.

(٤) انظر وسائل الشيعة ١٤: ٥٠٠ - ٥١٠ باب ٦٦ من أبواب المزار وما يناسبه «باب

فكانَهم ﷺ رأوا أن تلك التذكارات الحسينية هي التي توجب بقاء الناس على مرور الأزمان على الاعتقاد بإمامتهم، ووافر فضلهم وعصمتهم، ومظلوميّتهم من الخلفاء في كلّ عصر من أعصارهم، وذلك روح الشيع.

أنا لا أشك أنّ تلك المجالس والمجتمعات نوادي غير دينيّة، ألْبستها الأئمّة الأطهار ﷺ - بواسع علمهم وبُعد نظرهم للمستقبل - لباساً مذهبيّاً؛ لأنّها السبب الوحيد لاجتماع كلمة الشيعة ورسوخ عقائدهم وبقاء ذكرهم الجميل بكلّ معانيه للأئمّة فيما بينهم.

وتلك نكتة مستورة عن جميع المسلمين، حتّى عن الشيعة أنفسهم، فإنّهم لا يتصوّرون هذه الفائدة من عملهم، بل قصدهم الثواب الأخروي فقط.

لكن بما أنّ كلّ عمل لابدّ أن يظهر له بطبيعته أثر، فهذه المجالس بما يحدث فيها من إظهار مظلوميّة آل محمّد ﷺ تُثمر تلك الثمرات للشيعة من حيث لا يشعرون.

إليك فانظر ماذا يضّر المتوكّل العبّاسي - في كونه ملكاً وخليفة من ولد العبّاس عمّ النبي ﷺ - من أنّ طائفة من المسلمين تزور قبر الحسين عليه السلام، وهو ابن عمّه، حتّى يمنع عن زيارته ويوجّه إليه الفعلة، يأمرهم بحرثه وإجراء الماء عليه^(١).

❦ استحباب البكاء لقتل الحسين عليه السلام وما أصاب أهل البيت عليهم السلام....

(١) قال الطبري في تاريخه «تاريخ الأمم والملوك» ٩: ١٨٥ في أحداث سنة ٢٣٦ هـ: «وفيها أمر المتوكّل بهدم قبر الحسين بن علي، وهدم ما حوله من المنازل والدور، وأن يحرث ويبذر ويسقى موضع قبره، وأن يمنع الناس من إتيانه. فذكر أنّ عامل صاحب الشرطة

نادى في الناحية: من وجدناه عند قبره بعد ثلاثة بعثناه إلى المطبق. فهرب الناس، وامتنعوا من المصير إليه، وحرث ذلك الموضع، وزرع ما حوله».

وقال ابن الأثير في تاريخه «الكامل في التاريخ» ٧: ٥٥-٥٦ في أحداث سنة ٢٣٦ هـ أيضاً، بعد نقله لعبارة الطبري المتقدمة:

«وكان المتوكل شديد البغض لعلّي بن أبي طالب عليه السلام، ولأهل بيته، وكان يقصد من يبلغه عنه أنه يتولّى علياً وأهله بأخذ المال والدم.

وكان من جملة ندائه عبادة المخذّث، وكان يشدّ على بطنه تحت ثيابه مخدّة، ويكشف رأسه، وهو أصلع، ويرقص بين يدي المتوكل، والمغنون يغنون: قد أقبل الأصلع البطين، خليفة المسلمين، يحكي بذلك علياً عليه السلام، والمتوكل يشرب ويضحك.

ففعل ذلك يوماً، والمنتصر حاضر، فأوماً إلى عبادة يتهدّده، فسكت خوفاً منه.

فقال المتوكل: ما حالك؟

فقام وأخبره.

فقال المنتصر: يا أمير المؤمنين إنّ الذي يحكيه هذا الكاتب، ويضحك منه الناس، هو ابن عمك، وشيخ أهل بيتك، وبه فخر، فكل أنت لحمه إذا شئت، ولا تُطعم هذا الكلب وأمثاله منه!

فقال المتوكل للمغنيين: غنّوا جميعاً:

غار الفتى لابن عمّه رأس الفتى في جِرِ أمّه

فكان هذا من الأسباب التي استحلّ بها المنتصر قتل المتوكل.

وقيل: إنّ المتوكل كان يبغض من تقدّمه من الخلفاء: المأمون، والمعتصم، والواثق في محبة علي وأهل بيته؛ وإنّما كان يُنادمه ويجالسه جماعة قد اشتهروا بالنصب والبغض لعلّي، منهم: علي بن الجهم الشاعر الشاميّ من بني شامة ابن لؤي؛ وعمر بن فرح الرخجيّ، وأبو السمط من ولد مروان بن أبي حفصة من موالي بني أميّة، وعبد الله بن محمّد بن داود الهاشمي المعروف بابن أترجة.

وما دخل ذلك في الملك والسلطان؟! لولا أنه قد أدرك أن الرابطة الحسينية المسببة عن اندفاع تلك الجماهير إلى زيارة قبره، مجتمعين عنده، ذاكرين فضله وفضل آبائه وأبنائه ومظلوميّتهم، مجاهرين بالبكاء عليه وعليهم، هي التي توجب ثبوت الاعتقاد بإمامتهم، وذلك هو روح التشيع.

انظر، لم ينكر الإمام عليه السلام وقد ارتفع البكاء في داره على الحسين عليه السلام، واجتمع الناس على الباب، أن يكون ذلك على جدّه المظلوم ويقول: «مات طفل لنا فبكت عليه النساء»^(١)، وقد صدق، فقد ماتت لهم أطفال في كربلاء.

وكانوا يخوفونه من العلويين، ويشيرون عليه بإبعادهم، والإعراض عنهم، والإساءة إليهم، ثم حسّنوا له الواقعة في أسلافهم الذين يعتقد الناس علو منزلتهم في الدين، ولم يبرحوا به حتّى ظهر منه ما كان، فغطّت هذه السيئة جميع حسناته، وكان من أحسن الناس سيرةً، ومنع الناس من القول بخلق القرآن إلى غير ذلك من المحاسن».

(١) روى الشيخ الكليني في الكافي ٨: ٢١٥ - ٢١٦ حديث ٢٦٣ بسنده عن سفيان بن مصعب العبدي أنّه قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال: «قولوا لأُم فروة تجيء فتسمع ما صنع بجدها».

قال: فجاءت فقعدت خلف الستر.

ثم قال: «أنشدنا».

قال: قلت: فرو جودي بدمعك المسكوب.

قال: فصاحت وصحن النساء.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: «الباب الباب»، فاجتمع أهل المدينة على الباب، فبعت إليهم أبو عبد الله عليه السلام: «صبيّ لنا غشي عليه فصحن النساء».

أقول: المقصود بأن فروة هنا هي إحدى بنات الإمام الصادق عليه السلام بقرينة قول الإمام عليه السلام: «تجيء فتسمع ما صنع بجدها». علماً بأنّ هذه الكنية - أم فروة - تطلق على أم الإمام

بالله عليك لم يدمج راوي انعقاد المآتم على الحسين عليه السلام يومئذٍ للبكاء عليه فيقول: «جاء قاصٌّ يقصُّ فبكيناً»، ولا يقول: نذكر مصرع الحسين عليه السلام.

وهل هم سيكون على مصيبة يقصّها القاصُّ، إلّا مصيبة الحسين عليه السلام، التي يجتمعون لأجلها؟ ولم يتخفّ بها لولا أنها مظهر روح التشيع.

وأنت إذا تيقّنت قيام تلك الفائدة الجليلة بالمآتم الحسينية، قياماً طبيعياً أرشدت إليه الأئمة الأطهار عليهم السلام بهاتيك الأخبار، لزمك الالتزام بوجوبها كفاية، ووجوب كلّ ما يفيد مفادها كذلك: من تمثيل الفاجعة لحاسة البصر، أو سير مواكب الرجال في الأزقة والشوارع مذكّرةً بها.

ولم تحتجّ بعد تلك الفائدة الملموسة باليد إلى نضد الأدلة على مشروعيتها، إذ أنّها بهذا البيان الذي يشهد به الوجدان، أجلّ من أن يرتاب مريب في رجحانها، بل وجوبها كفاية.

وأنّ أقربها علاقة وشبهاً بالمآتم (التمثيل)، فإنّ من سبر غوره^(١) وتعمّق بالغوص على سرّه، يعلم أنّ فيه من النكت ما ليس في إقامة المآتم المجردة عنه. إذا كان السرّ في إقامة المآتم والغرض منها ظاهراً إظهار مظلومية سيّد

➤ الصادق عليه السلام. وهي بنت القاسم بن محمّد بن أبي بكر، وليست هي المقصودة هنا؛ لأنّها ليست من حفيدات الإمام الحسين عليه السلام.

وسفيان بن مصعب العبدي، من شعراء القرن الثاني الهجري، من الموالين لأهل البيت عليهم السلام، وهو الذي طلب الإمام الصادق عليه السلام من أبي عمارة أن ينشده شعراً له قائلاً: «يا أبا عمارة أنشدني للعبدي شعراً في الحسين عليه السلام».

(١) سبّرتُ الجُرْحَ أسبْرُهُ: إذا نظرت ما غورُهُ. وغور كلّ شيء: قعرُهُ. الصحاح ٢: ٦٧٥.

«سبر» و: ٧٧٣ «غور».

الشهداء لدى العموم، وباطناً اتفاق كلمة الشيعة وحفظ عقائدهم عن الاندراست على مرور الأزمان.

فلا ريب أن تمثيل الواقعة لحاسة البصر بما يصدر فيها من حركة وسكون قول وفعل، أبلغ في إظهار مظلومية ذلك الشهيد، وأعظم من الأقوال المجردة على المنابر وفي المجامع، وأدخل في تثبيت العقائد وإحكام الروابط بين أفراد الجعفرية.

إذا كانت الفرقة الجعفرية تذكر في المآتم وعلى المنابر المصائب التي وردت على الحسين (عليه السلام)، ونصب أعينها الأحاديث المرغبة على البكاء عليه والحزن لأجله، فتمثيل تلك المصائب للأنظار له تأثير عظيم في القلوب، لأنه يجعل العام والخاص من الجعفرية راسخ العقيدة ثابت اليقين.

لا شك أن الجعفرية في تمثيلها للفادحة الحسينية تصيب من جهة إحياء أمر الأئمة (عليهم السلام)، وهذا هو السبب الوحيد لتسليم الحسين (عليه السلام) نفسه للقتل.

ومن جهة أخرى يحصل لهم ولغيرهم تحزين الطبائع، وإبكاء النواظر، وإثارة العواطف الرقيقة نحو المصاب بتلك الفادحة الكبرى، ورفع الستار عن فضائح الظالمين وأتباعهم.

التمثيل وإن لم يكن قديماً عند الشيعة، بل هو حادث منذ عدة قرون، ولكن ليس كل حادث في المذهب لا يكون معمولاً به.

الحادث إذا كان مفيداً فائدة القديم المشروع بوجه أتم وأبلغ، كان مشروعاً، لا سيما إذا احتمل كون تركه في الزمن الأقدم لعدم إمكان إقامته اتقاءً.

لا شك أن إظهار الحزن، ومظلومية سيد الشهداء (عليه السلام) والإبكاء عليه، وإحياء

٣٢٦.....رسائل الشعائر الحسينية / ج ١

أمره بسنخه^(١)، عبادة في المذهب لا بشخص خاص منه، ضرورة أنه لم ترد في الشريعة كيفية خاصة للحزن والإبكاء وإحياء الذكر المأمور بها، ليقتصر عليها الحزين في حزنه، والمحبي لأمرهم في إحيائه، والمبكي في إيكائه. وإذا كان سنخ الشيء عبادة ومندوباً إليه، سرت مشروعيته إلى جميع أفرادها من جهة الفردية.

ولذلك لم نر أحداً من صلحاء الشيعة وعلمائهم، ولم يؤثر ولم ينقل عن أحد منهم في الأجيال السالفة، من لا يعدّ التمثيل مثل قراءة كتاب المقتل في عباديته وفي كونه مبكياً ومحزناً، فضلاً عن إنكار مشروعيته.

إنّ الذين أدخلوا التمثيل في التذكارات الحسينية، لاشكّ أنّهم من كبار رجال أهل الدين المفكرين، وأرباب السلطة المتبعة من الشيعة.

ولذلك يظنّ البعض أنّه انتشر في بلدان الشيعة من قبل سياسة السلاطين الصفوية، الذين هم أول سلسلة استولت على السلطنة بقوة المذهب، ثمّ أيده رؤساء الشيعة الروحانيون شيئاً فشيئاً وأجازوه.

وبما أنّ حكماء الهند أقدم من الصفوية في استعماله، استنبط منه أنّ هؤلاء أخذوه من أولئك وألبسوه لباس المذهب؛ لمّا رأوا من فوائده المذهبية.

وحيث أنهيت المقصود من المقدّمة، التي هي في الحقيقة نتيجة المقصد، فإنّي شارع بعون الله تعالى في ذكر جميع التذكارات الحسينية على التفصيل، وباحث في كلّ منها عن مشروعيته وعدمها، وعن حسنه وقبحه.

وهناك يكون التعرّض لرد «الصولة»^(٢) بكمال الأدب والاحترام.

(١) السِنْخُ: الأصل. الصحاح ١: ٤٢٣ «سنخ».

(٢) رسالة «صولة الحقّ على جولة الباطل» للسيد محمّد مهدي الموسوي القزويني.

البصري (ت ١٣٥٨ هـ) (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ١: ١٧٧.

فمن التذكارات الحسينية

المآتم

وهي النوادي الخاصة المنعقدة للبكاء على ذلك القتيل، الذي بكته السماوات والأرضون ومن فيهن^(١)، وعدّ في الأخبار البكاء عليه فيها وفي غيرها صلاة لرسول الله ﷺ، وأداء لحقه ولحقوق الأئمة، وإسعاد الزهراء^(٢).

وليس التكلّم فيها موضع عنايتي، ولا بيان العناوين التي تنطبق على الباكي والمبكي والمتباكي من مقاصدي، ولا موارد ومحالّ البكاء وذكر الثواب عليه ممّا

(١) قال الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ أبا عبد الله عليه السلام لما مضى بكت عليه السماوات السبع والأرضون السبع وما فيهنّ وما بينهنّ».

انظر كامل الزيارات: ٨٠.

وفي حديث آخر يسأله الراوي: ما بكأوها؟ قال عليه السلام: «كانت تطلع حمراء وتغرب حمراء».

انظر كامل الزيارات: ٩٠.

(٢) انظر وسائل الشيعة ١٤: ٥٠١ - ٥١٠ باب ٦٦ من أبواب المزار وما يناسبه «باب استحباب البكاء لقتل الحسين وما أصاب أهل البيت عليه السلام، خصوصاً يوم عاشوراء واتّخذه يوم مصيبته».

تحيط به ذاكرتي، وإنما أذكر هذا التذكار استقصاءً للتذكارات التي هذا أهمها وأعمها.

وقد عرفت في ما تقدّم أنه لم يشرع لنيل الثواب الأخروي فقط، بل لنكات آخر غير عبادية يجمعها إحياء أمر الأئمة. فلولاها ما امتازت هذه الفرقة عن غيرها، ولا عرفت أئمتها، ولا أذعنت بالأحكام الماثورة عنهم، ولا صدقت بفضلهم وتفوقهم على البشر في كلّ مزية فاضلة ولا، ولا، ولا.

ومن التذكارات الحسينية

التمثيل

المعبّر عنه بلسان العامة السبايا والشبيه: وهو عبارة عن تجسيم الواقعة لحاسة البصر، بما صدر فيها من حركة وسكون وقول وفعل.

وهذا بما هو حكاية عن شيء غابر بشيء حاضر، غير محذور ولا محذور فيه، بل ربما يرجح على المآتم؛ لكونه أبلغ في إظهار مظلومية سيد الشهداء من الأقوال المجردة على المنابر وفي المجمع، وأشد منها تأثيراً في القلوب.

وقد أسلفنا ثمّة نبذة شافية ممّا يتعلّق به، إذا تأملها المنصف يدعن بأنّه لا يحتاج في شرعيّته إلى برهان، لقيام العلة التي أوجبت أن يسلم الحسين عليه السلام نفسه للقتل به، قيام الورد بماء الورد لا يتخلّص عنه ولا ينفك عنها إلا بقاسر^(١) شبه الإمامة للمذهب.

هذا غير ما ينطبق عليه من العناوين المرعّب فيها، من كونه إبكاءً وتحزيناً وإحياءً لأمر الحسين عليه السلام، لكن السيّد «الصائل» حرّم كلّ تمثيل ومنع منه، قال في

(١) قَسْرُهُ على الأمر قَسْرًا: أكرهه عليه وقهره. الصحاح ٢: ٧٩١ «قسر».

٣٣٠.....رسائل الشعائر الحسينية / ج ١

الصفحة (٢١٠) من مقالته: «التشبيهات التي يمثلونها يوم عاشوراء، قد صرت منوهاً برفضها ومصرّحاً بما فيها من التحريم، لأنّي أراها مجلبة لسخرية الملل الخارجة، وداعياً من دواعي الاستهزاء»^(١). انتهى.

أقول: إنّ لكلّ أمة من الأمم مراسم دينية وعوائد^(٢) قوميّة تنكرها عليهم الأمم الأخرى، حتى لو كانت طفيفة نحو الاختلاف بالأزياء، وذلك للمنافاة بين العوائد والمراسم والطبائع، الناشيء بعضها من تأثير الإقليم والبيئة التي يعيش بها الإنسان، وربما عدّ البعض مراسم البعض الآخر ضرباً من الجنون والتوحّش.

وهذا لا يقتضي رفض الرسم الديني أو المذهبي أو غيرهما بين أهله، لاسيما مثل التمثيل الذي تجتنبي الشيعة من فوائده ما لا تجتنبه في إقامة المآتم المجردة عن التمثيل والتشبيه.

ولعمري ما استهزاء الأجانب به إلّا كاستهزاء قريش وسائر مشركي العرب بصلاة رسول الله ﷺ التي لم يعرفوا أسرارها ولم يذوقوا ثمارها، أفهل كان يلزمه أن يتركها وهي من شعائر دينه؟!

إنّ قريشاً لمّا سمعوا الإعلان بالأذان يوم فتح مكة أنكروه وعدوه فعلاً همجياً وشبهوه بنهيق الحمار؛ لارتفاعه وعلوّه، وزعموا أن لو كان أخفض من ذلك لكان أقرب إلى الوقار.

إنّ الدين الصحيح يجب أن لا يكون خرافياً بأساسه أو بأغلب أحكامه، نحو أن يكون شعبذة صرفة، أو لهواً ولعباً، أو صرف رقي وتمائم، أو دقّ طبول وضرب

(١) صولة الحقّ على جولة الباطل (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ١: ١٨٠.

(٢) في الصحاح ٢: ٥١٤ «عود»: والعادة معروفة، والجمع عادٌ وعادات. تقول منه: عادته واعتاده وتعوده، أي صار عادة له.

نصرة المظلوم ٣٣١

أوتار، وغير ذلك؛ لأنّ ما يكون من الأديان كذلك تنفر عنه النفوس ولا تدعن له العقول.

أمّا إذا كان الدين - حتى بنظر الأجنبي عنه - قويم المبادئ متين الأساس، كافلاً لحفظ النظام بقوانينه الوضعية وعباداته الروحية، غير أنّ فيه شعيرة مذهبية لادينيّة يعدّها الأجنبي خرافة وفعلاً همجياً وهو لا يعلم أسرارها، فهل يجب رفضها بمجرد كونه يستهزيء بها؟!

كلّا، وإلّا لكان الحجّ أوّل مرفوض في الشريعة؛ لأنّ غير العارف بحكمه وأسراره يسخر به، بل يعدّه ضرباً من الجنون والتوحّش، فهل يصلح للعارف أن يمنع عنه؟! كلّا.

إنّه كان اللازم على صاحب المقالة أن يعرف أولاً أقسام السخرية والخرافة وأحكامها؛ ليلحق بكلّ موضوع حكمه، ولا يتورّط.

يعلم المسلمون والأجانب جميعاً أنّ جميع التذكارات الحسينيّة ليست من المجعولات بالأصالة في دين الإسلام كسائر قوانينه من صلاة وصيام وصدقة، وإلّا لاشترك فيها جميع المسلمين ولم تختصّ بالشيعة.

وإنّما^(١) هي أمور ندب إليها في الجملة بعد أكثر من نحو مائة سنة من وفاة شارع الدين الإسلامي لأغراض مذهبية تمسّ فرق المسلمين، ولا دخل لها بدين الإسلام بما هو دين جامع لجميع الفرق، بل لا دخل لها بمذهب الشيعة بذاته من حيث هو مذهبهم، أعني به - طريقة عليّ عليه السلام وولده - وإنّما هم ومن سنّها لهم مضطرون إليها وإلى ما يشبهها، ولا تسأل هنا عن «مضطرين».

(١) من هنا إلى كلمة «مضطرين» حذفت من الطبعة الثانية لهذه الرسالة.

أما عقائد الإسلام بما هي توحيد وتنزيه لمرتبة الربّ، وقوانينه الوضعية بما هي شريعة زمنية حافظة لحقوق المربوب، ليس في شيء منها ما يوجب السخرية، بل هي حافظة للنواميس الكلية التي لأجلها أرسلت الرسل وأنزلت الكتب، ومن ثمة كانت غنيّة من تبشير المبشرين بها؛ لأنّها داعية بنفسها إلى نفسها ومبشرة بذاتها إلى ذاتها.

وهذا أمر بيانه خارج عن موضوع مقالتي وإن كان مهماً جداً في نفسه.

وعلى هذا فلا علينا إذا سخر الأغيار بتمثيلنا، إنّ علينا أن نعرف الأجانب براءة دين الإسلام بذاته ممّا هو أقر منه، لا أن نتركه ونمنع عنه.

إنّ التذكارات الحسينية جميعاً لم تسن كمبشرة بالمذهب، ليحصل لنا الاستياء بالسخرية منها، بل شرّعت لحفظ عقائد الجعفرية فيما بينهم لإحياء أمر أئمّتهم، وتلك الفائدة حاصلة لهم برغم سخرية الأغيار.

إنّ الأغيار لا يسخرون بالموكب والتمثيل فقط، بل بالمآتم أيضاً والزيارات ولبس السواد.

وكيف لا يسخر العقلاء من اجتماع جماعة من الرجال من أهل الجلد والقوّة، يكون بكاءً عالياً على رجل منهم أو من غيرهم مات منذ مائة سنة مثلاً؟! أجل، إنّ بكاء الرجل وحده مستهجن، فكيف باجتماع مائة رجل مثلاً على ذلك؟!

ألسنّ - أسوة بجميع العقلاء - تسفّه أحلامهم إذا شهدت مجمّعهم، وعلمت أنّه قد أتى على فقيدهم - الذي يندبونه وينتحبون عليه - نحو سنتين وهو رمّة

بالية^(١)؟

ألستَ تريد سخرية واستهزاء إذا رأيت أولئك الرجال بعد بكائهم وقوفاً في دار أعدّوها للنياحة، وصرفوا على تنظيمها المبالغ الطائلة من المال، قد جرّدوا عنهم الثياب إلى أوساطهم وحسروا عن رؤوسهم، وهم يضربون صدورهم ضرباً تُدمى به صدور كثير منهم، حزناً على ذلك الفقيد الذي طحنته البلاء وأكله الثرى^(٢)؟

ألستَ تعدّها من الأفعال الوحشيّة الهمجيّة؟

أفهل يصلح لعارف من الشيعة أن يمنعها جميعاً لذلك؟

ثم إنّه كان بين ظهرانيّنا - قبل دخول الأمم الأوروبية - عدد جمّ من غير المسلمين في كلّ مكان - وإنّ اختلفوا قلّة وكثرة، وزاد عددهم بأفراد الأُمّة الإنكليزية الذين لا يهمهم من أمر ديانة العناصر وعوائدهم شيئاً - ولا ينكرون على مراسم عادية ولا عبادية.

ونحن للآن ما بلغنا عن أحد منهم الاستخفاف والاستهزاء، ولا شك أنّ صاحب المقالة لم يسمع ولم ير من أجنبي قط استهزاء، وإنّما ينقل له ذلك المستأثرون من أعمال الجعفريّة، وهم على الأغلب من أفراد (الجمعيّة الأمويّة)^(٣) التي تحقّقت أنّ لها فروعاً في بغداد والبصرة وغيرهما من عواصم العراق، وهم الذين يغرون أهل الدين ليقتلوه باسمه من حيث لا يشعرون.

إنّ التأثير بتمثيل المحزن طبيعي، إذ إنّه لازم لذات ذلك التمثيل وإن اختلف

(١) الرّمة بالكسر: العظام البالية، والجمع رُمَم ورِمَام. الصحاح ٥: ١٩٣٧ «رمم».

وبالي: القديم والعتيق.

(٢) الثرى: التراب النديّ. الصحاح ٦: ٢٢٩١ «ثرا».

(٣) تقدّم المراد منها في الصفحة: ٦٦.

شدة وضعفاً، فكيف - وهم متأثرون حزناً أقلّ تأثر - يسخرون ويستهزؤون؟!

اللهمّ إلا أن يكون التمثيل غير واقع طبق الأمر الممثل بكلّ قول وفعل، بحيث لا يوجب التحزين وإثارة العواطف، وإلا فتمثيل فاجعة الطّف محزنة لكلّ مدرك عاقل.

إنّ ذلك التمثيل المقرح للأكباد إذا سخر منه أغرار^(١) الأجانب، فإنّ العقلاء المفكرين ربما يدعوهم ذلك إلى الفحص عمّن تتمثل فاجعته لدى العموم وتحقيق مصائبه، وأسباب حدوثها، ومن ذا أحدثها، ومن مهّد ذلك؟

وتلك نكتة أخرى لرجحان التمثيل، قد تدعو البعض إلى الفحص عن دين الإسلام أو التمثيل بالمذهب الجعفري، ولهذه النكتة بعينها سرى أمر الشيعة إلى غير المسلمين من الفرق في الهند والصين، وكثر ببركته - في تلك الأماكن الشاسعة^(٢) عن مراكز الشيعة - مذهب التشيع والولاء لأهل البيت عليه السلام.

وقد ذكر فلاسفة التاريخ الحادث والمتعمّقين في أسرار الحوادث من الأجانب، أنّ السبب الوحيد لذلك هو جعل الجعفرية طريق إقامة العزاء مشابهاً لمراسم إقامة العزاء في الهند، وهو التمثيل والتشبيه.

ومن المضحك المبكي أنّ الأجانب يدركون ويذيعون أسرار إقامة المآتم والتشبيهات المتداولة عند الشيعة، وهي على عرفاء الشيعة حقائق مخفية!!

إنّ الأجانب في جميع أنحاء المعمورة يقيمون حفلات التذكّار سنوياً لكبار الحوادث، وينصبون التماثيل والهيكل في المحلّات العموميّة لكبراء الرجال، تخليداً لذكر الرجل، والتفاتاً للجاهل به إلى معرفته، وما أبداه من اختراع أو بسالة

(١) رجل غرّ - بالكسر - وغرير: أي غير مجرّب، والجمع أغرار. الصحاح ٢: ٧٦٨ «غرر».

(٢) الشاسع: البعيد. الصحاح ٣: ١٢٣٧ «شسع».

في حرب أو فتح، أو قلب سلطة، أو مظلومية متناهية في العظم عندهم، نحو مظلومية المسيح أو غير ذلك، فكيف يسخرون من شيء هم فاعلوه؟!

إنّ الهياكل القائمة في جميع معابدهم على مرور الأيام - نحو تجسيم صورة البتول العذراء مريم، بصور مختلفة، منها صور محزنة، وتمثيل هيكل السيّد المسيح مصلوباً على خشبة، وغير مصلوب، وطفلاً تحمله مريم، وكهلاً غير محمول - هي في الحقيقة تمثيل دائمى لاسنوي.

أليس غرضهم من ذلك تخليد ذكر المسيح وظهور مظلوميته، التي هي اليد القوية لاستحكام الروابط المسيحية، وعدم اندراسها على مرور الأزمان؟!

أليس غرضهم هذا يرمز إليه تعليق الشارة المسيحية (الصليب) وساماً لصدورهم وقلادة لأعناقهم؟ فكيف يسخرون؟

إنّ الروايات التمثيلية التي تقام في العواصم كلّ ليلة في محال عديدة، لم يؤسسها إلاّ أرباب السياسة من الأجانب، إصابة لأغراضهم، وهي ليست إلاّ تجسيم خيالي للحوادث الغابرة.

ولو أنّهم ألبسوها لباس التفرّج والانشراح لكانت موقع استهزاء وتهجين، لكنهم بتفريح الطبائع جذبوا إليها قلوب العامة.

أفهل يطلب الأجانب من الجعفرية أن تطرح ذلك الثوب على التمثيل الذي لم تقصد به إلاّ تحزين الطبائع، وإيكاء النواظر، وإثارة العواطف الرقيقة نحو المصاب بتلك الفادحة الكبرى؟!

تمثيل النساء

اندفع صاحب المقالة بكله وبجميع ماله من حماسة على تشبيه عقائل النبوة بثلة من النساء المومسات والمتبرجات، وأبرق وأرعد على فاعل ذلك في مقالته من صفحة ٤ إلى ٨^(١)، يري كل قارئ أن التشبيه الذي تفعله الجعفرية هو هذا القسم من التشبيه الشائن.

غفرانك اللهم غفرانك من هذا التهويل، ودفع الحق بالباطيل.

إن هذا التشبيه لم يقع في البصرة على طوال السنين إلا منذ أربعة أعوام^(٢)، شهدته غير واحد من الصلحاء، وأجلب^(٣) على منعه فمنعه من له قوة المنع من ساعته. وهذا الرجل يري بكلامه كل أحد أن ذلك التشبيه المستهجن هو من الرسوم العادية حتى في عامه هذا، وإلا فما هو معنى المنع عن شيء مضى وما عاد له نظير أبداً، لا في البصرة ولا في غيرها؟!

إن تشبيه النساء لا يستحسن حتى لو كانت الشبيهات من ذوات العفة والنجابة؛ لأن إشهار النساء بنفسه وسوقهن أمام ركاب القوم سبياً مجلوباً^(٤) - كما

(١) صولة الحق على جولة الباطل (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ١: ١٨٤ - ١٨٩.

(٢) أي في سنة ١٣٤١هـ؛ لأن تأليف هذه رسالة كان سنة ١٣٤٥هـ.

(٣) أي أعان على منعه. انظر الصحاح ١: ١٠٠ «جلب».

(٤) الجليب: الذي يجلب من بلد إلى غيره. الصحاح ١: ١٠٠ «جلب».

فعله آل أمية - من الأمور المستقبحة، وهذا لا يكون تمثيله على الأغلب إلا مستقبحاً.

لكن الميرزا أبو القاسم القمي والشيخ مرتضى الأنصاري قدس سرهما - وناهيك بهما علماً وورعاً - جؤزا تشبيه الرجال بالنساء، مدعين أن المحرم هو أن يتأنت الرجل ويعد نفسه امرأة. أما التشبيه من دون ذلك - كما هو واقع في بعض الأحيان لغرض مخصوص - فليس بمحرّم^(١)، وهو خارج عن منصرف الأخبار^(٢).

ولقد سألت بعض المتطرفين في ما يتعلق بالحسين (عليه السلام) من فضلاء أهل العلم عن تشبيه النساء، فقال: إنه ليس بإشهار للنساء حتى يكون قبيحاً، وظهور المرأة المستورة للرجل من دون نظر من كل منهما للآخر ليس بمحرّم، نعم هو موجب للالتفات إلى قبح ما ارتكبه بنو أمية من سبي عقائل الرسالة، ولا قبح فيه، وإن كان فهو على الأمويين لا على الممثلين، ولو أنه ممّا تأباه الغيرة والحمية لم أ منع منه. وعلى كل حال، فالتشبيه المتداول في بلدان الشيعة، هو تمثيل فاجعة الحسين (عليه السلام) بما صدر فيها من أقوال وأفعال، عدا تشبيه النساء وهتكهن، وهو محلّ العناية في الكلام، لا هذا التشبيه المستهجن.

ثم إنه في أثناء الإرعاد على تشبيه النساء، ذكر أمرين قد يشتبّه على الناظر

(١) انظر جامع الشتات للميرزا القمي ٢: ٧٨٨، وسرور العباد للشيخ الأنصاري: ٣٤، وتقدّمت عبارتهما في رسالة «كلمة حول التذكار الحسيني» للشيخ محمّد جواد الحّامي (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ١: ٢٨٣.

(٢) انظر وسائل الشيعة ٥: ٢٥ باب ١٣ من أبواب أحكام الملابس «باب عدم جواز تشبّه النساء بالرجال، والرجال بالنساء والكهول بالشباب».

في كلامه مراده؛ لإدماجه:

أحدها: في الصفحة ٦ فإنه قال مخاطباً لعامل الشبيه ما ملخصه: «لَمْ لَمْ تسأل مَنْ تركن في دينك إليه عن هذه الهيئات السخيفة الموجبة للسخرية بالشرعية؟ فليت شعري هل ورد عن الرسول ﷺ ولو خبر ضعيف في شرعيتها حتى تصول به على المتشرعين»^(١)؟

فإن كان يريد الإنكار على تشبيه النساء؛ لأنه ذكره في أثناء إنكار ذلك فهو، وإلا فإن طلب الخبر الضعيف - لولا الجهل بأصول الفن - لا وجه له؛ لأنّ التحريم هو المحتاج إلى الدليل لا الجواز.

ومع غضّ النظر عن ذلك، فإنّ في الأخبار العامة كفاية، كأخبار الإيكاء والتحزين وإحياء أمر الحسين عليه السلام، وذكر مصيبتة^(٢)، فإنّ ذكرها لا يلزم أن يكون لسانياً كما أنّ إحياء أمره كذلك.

هذه مضافاً إلى ما أسلفناه من قيام العلة التي أوجبت شرعية المآتم فيه بوجه أتمّ^(٣).

(١) صولة الحقّ على جولة الباطل (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ١: ١٨٧. ونصّ العبارة هو: «لم لم تسأل من تعتمد عليه وتركن في دينك إليه، عن هذه الهيئات السخيفة الموجبة للسخرية بالشرعية الشريفة، زاعمين بأنّها عند المسلمين من أجزاء الديانة؟ فليت شعري هل ورد عن الرسول وآله ولو خبر ضعيف في شرعيتها، حتى تصول به على المتشرعين»؟

(٢) انظر وسائل الشيعة ١٤: ٥٠٠ باب ٦٦ من أبواب المزار وما يناسبه «باب استحباب البكاء لقتل الحسين عليه السلام، وما أصاب أهل البيت عليه السلام، وخصوصاً يوم عاشوراء واتّخاذ يوم مصيبة وتحريم التبرّك به».

(٣) تقدّم في الصفحة: ٣١١.

و أما الخبر الخاص بالتمثيل، إن كان يريد به نحو أن يقول القائل: مثلوا مصيبة الحسين عليه السلام، فمن الجهل طلبه ^(١).

وإن كان يكتفي بما كان متضمناً لوقوع التمثيل فهو كثير، وقد نطق القرآن المجيد بتمثيل غير المسيح به وإلقاء شبهه عليه ^(٢)، فإن هذا ليس إراءة وتخيلاً نحو

(١) قد يستشهد البعض بجواز تمثيل واقعة الطف، بما جرى بمحضر الإمام الصادق عليه السلام، حينما دخل عليه أحد الشعراء، وألقى عليه قصيدة في رثاء جدّه الإمام الحسين عليه السلام. ففي كتاب أسرار الشهادات للدربندي (ت ١٢٨٥ هـ) ١: ١٨٢، وكذلك كتاب معالي السبطين للشيخ محمد مهدي الحائري ١: ١٥٣: «روى ثقة الإسلام الكليني في كتاب «الروضة» من «الكافي» ومضمونه ومعناه - على ما في خلدي الآن -:

أنّ الكميت الشاعر دخل على الصادق عليه السلام فقال: يا كميّ، «أنشد في جدي الحسين عليه السلام، فلما أنشد الكميّ أبياتاً في مصيبة الحسين عليه السلام، بكى الإمام بكاءً شديداً، وبكت نسوة الإمام عليه السلام وأهله وحريمه وصحن في حجراتهنّ.

فبينما الإمام في البكاء والنحيب إذ خرجت جارية من خلف الستر من الباب الذي كان في سمت حجرات الحرم، وفي يدها طفل صغير رضيع، فوضعت في حجر الإمام عليه السلام، فاشتدّ حينئذٍ في غاية الاشتداد بكاء الإمام عليه السلام ونحيبه، وعلا صوته الشريف، وأعلت النسوة الطاهرات والحرم أصواتهن بالبكاء والنحيب من خلف الأستار من الحجرات. هذا وأنت خبير بأنّ مقصود النسوة الطاهرات والحرم من إنفاذ ذلك الطفل من ذرية رسول الله ﷺ إلى حضرة الإمام عليه السلام ما كان إلّا تشبيهه بعليّ الأصغر الرضيع الشهيد - روعي له الفداء - وذلك لتشتدّ بذلك الرقة في الباكين والباقيات، ويكثر البكاء والنحيب. فتقرير الإمام كقوله وفعله في الحجية، فإذا ثبت وورد ذلك في أصل الشرع في الجملة ثبت الجواز، بل الاستحباب في كلّ ما أشرنا إليه لعدم القول بالفصل».

(٢) في سورة النساء (٤): ١٥٧ «وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا».

الإراءة الطيفية، بل هو حقيقة واقعية لابسة ثوب خيال.

وقد ورد في الأخبار تمثيل الملائكة لعلي عليه السلام شخصاً مرتباً من لدن إدراكه إلى حين وفاته، وأنه يوم ضرب بالسيف على رأسه في الدنيا وقع سيف على رأس التمثال فشجّه وسقط في محراب عبادته، فبكت عليه الملائكة ولعنّت قاتله^(١).

ولقد سُئل العلامة المؤتمن الشيخ محمد حسن صاحب كتاب (الجواهر) عن مثل ذلك، فأجاب بأخبار تمثيل النبي صلى الله عليه وآله والأئمة أشباحاً نورانية حول العرش قبل خلقهم، وأخبار تمثيل مثال لكل مؤمن في السماء بارزاً للملائكة حال إطاعته في الدنيا، مستوراً عنهم حال عصيانه^(٢)، وليس غرضي الاستدلال بهذا لشرعية التمثيل، لأنني في غنية عنه بما أسلفته وفيه كفاية للمتبحر.

(١) أخرج الكنجي الشافعي في كفاية الطالب: ١٣٢ في الباب السادس والعشرين «في شوق الملائكة والجنة إلى علي عليه السلام واستغفارهم لمحبيه» بسنده عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«مررت ليلة أسري بي إلى السماء، فإذا أنا بملك جالس على منبر من نور والملائكة تحديق به، فقلت: يا جبرئيل من هذا الملك؟

قال: أدن منه وسلم عليه، فدنوت منه وسلمت عليه، فإذا أنا بأخي وابن عمي علي بن أبي طالب، فقلت: يا جبرئيل سبقني علي إلى السماء الرابعة؟

فقال لي: يا محمد لا، ولكن الملائكة شكت حبها لعلي، فخلق الله تعالى هذا الملك من نور على صورة علي، فالملائكة تزوره في كل ليلة جمعة ويوم جمعة سبعين ألف مرة، يستبجون الله ويقصدونه ويهدون ثوابه لمحبه علي».

قلت: هذا حديث حسن عال لم نكتبه إلا من هذا الوجه، تفرد به يزيد بن هارون عن حميد الطويل عن أنس، وهو ثقة.

(٢) انظر بحار الأنوار ٥٤: ٣٥٣.

ثانيهما: إنه ذكر في الصفحة ٨ مخاطباً المستعمل الشبيه أيضاً ما ملخصه:

«حسب الدهر صدمة ما فعله يزيد بعقائل النبوة، فمالك في كل سنة على ما فعلوه تزيد؟! دعهم منفردين بالخزي الذي سوّد وجوههم في الدنيا والعقبى، فما وجه تكريرك مثل ما فعلوه وما لم يفعلوه في كل عام، حتى توجب سخرية ذوي العقول والأوغاد^(١) الطغام^(٢) بدين الإسلام»^(٣)! انتهى.

فإن أراد الإنكار على ظهور النساء مسيئة مهتوكة، فالإنكار في محلة. وإن كان مراده ما عني به غير واحد من أفراد «الجمعية الأموية»^(٤)، وضرب على وتيرته بعض الكتّاب العصريين من قوله: «إن يزيد قتل الحسين عليه السلام مرة والشيعنة تقتله في كل عام مرة» فواسوأتاه.

إن أولئك يلقون تلك الأقاويل بذراً في قلوب العامة بأطوار وأساليب مختلفة، لتثمر لهم ترك التذكارات الحسينية جميعاً، حتى ينتهي الأمر بالآخرة إلى إنكار قتل الحسين عليه السلام، فما بال المصلح من الشيعة يتبع تمويها تهم غفلة عن حقيقة الحال؟!

(١) الوغد: الرجل الدنيء الذي يخدم بطعام بطنه. الصحاح ٢: ٥٥٢ «وغد».

(٢) الطغام: أوغاد الناس، الصحاح ٥: ١٩٧٥ «طغم».

(٣) صولة الحق على جولة الباطل (المطبوعة ضمن هذه المجموعة): ٨. ونص العبارة هو: «حسب الدهر صدمة عظيمة مدهشة، وطامة مفجعة موحشة، ومصيبة هائلة تتضائل دونها المصائب وتضمحل إزائها الرزايا، ما فعله يزيد وشيعته بعقائل النبوة ومحجّبات الرسالة، فما بالك في كل سنة على ما فعلوه تزيد؟! دعهم منفردين بالخزي الذي سوّد وجوههم في الدنيا والآخرة. فما وجه تكريرك مثل ما فعلوه وما لم يفعلوه كل عام، حتى توجب سخرية ذوي العقول والأوغاد الطغام بدين الإسلام»!

(٤) تقدّم المراد منها في الصفحة: ٣١١.

إنَّ الشيعة لا تقتل الحسين عليه السلام في كلِّ عام، وإنَّما تحيي ذكره وتذكر فضله في كلِّ عام، بل في كلِّ يوم. وليس في ذلك خطٌّ من قدره كما يزعمون ويموهون؛ لأنَّ الشيعة بتلك التذكارات لا تنسب إليه سلام الله عليه أمراً قبيحاً، ليكون موجباً للخطِّ من مقداره.

وقد تضمَّن التاريخ وخلد فظائع متناهية الفظاعة قد وقعت على عظماء الرجال، ولم تعدَّ خطاً من مقامهم. فلم لذلك العضو النبوي يعدُّ من أسباب الخطِّ من شرفه إقامة تذكاراته، التي تجتني الشيعة منها من لدن قتله للآن ما يحفظ كيانه، ويربط فيما بينهم بأحكام الروابط بعد الجامعة الإسلامية؟!

ومن التذکارات الحسينية

مجامع الدم

وهي النوادي الخاصة المنعقدة لأجل اللطم على الصدور بالأيدي.

وهذه كالمآتم لا ريب في كونها مظهر الحزن والجزع، وربما يقال بكونها أبلى في إظهار الحزن من البكاء وحده، وهذه أيضاً لا كلام فيها، وفي كون اللطم بها وبغيرها صلة للرسول ﷺ وإسعاداً للزهراء البتول.

وإذا كانت زيارته سلام الله عليه برأى الرسول الله ﷺ، باعتبار كونها توقيراً واحتراماً لفلذة كبده - كما في الأخبار^(١) - فلا ريب أن ذلك النوح الدائم أولى منها.

ولا شك أن أولئك الرجال اللاطمون هم من أظهر مصاديق قول الصادق عليه السلام: «إن الموضع قلبه لنا»^(٢).

(١) انظر وسائل الشيعة ١٤ - ٤٩٥ باب ٦٤ من أبواب المزار وما يناسبه «باب استحباب زيارة الحسين عليه السلام حباً لرسول الله ﷺ».

(٢) كامل الزيارات: ١٠١، وعنه في وسائل الشيعة ١٤: ٥٠٧ حديث ١٦ باب ٦٦ من أبواب

وقوله: «الجازع لمصابنا والحزين لحزننا»^(١).

وأظهر من ينطبق عليه قول النبي ﷺ في الخبر المتضمن لإخباره ابنته فاطمة عليها السلام بقتل الحسين عليه السلام في أرض غربة إذ قالت له: «فمن يقيم عزاء ولدي الحسين ويبكي عليه قال: رجال من أمتي سيكون عليه ويجددون العزاء جيلاً بعد جيل في كل سنة»^(٢) الحديث.

فإنّ العزاء المتجدد كلّ سنة، هو ذلك اللطم والشبيه والمواكب التي تكون في عموم بلدان الشيعة سنوياً لا يومياً مثل المآتم.

إنّ لطم الخدود وشقّ الجيوب ممّا لا ريب في مرجوحيته على غير الحسين عليه السلام، وأمّا عليه السلام - ففضلاً عن جوازه - قد رغب فيه كثير من الأخبار، كالمروي في التهذيب، عن خالد بن سدير عن الصادق عليه السلام وفيه: «ولقد شققن الجيوب ولطمن الخدود الفاطميات على الحسين بن علي عليه السلام، وعلى مثله تلطم الخدود وتشقّ الجيوب»^(٣).

وإذا كان لطم الخدود مندوباً، كان لدم الصدور أولى بالرجحان، وسيأتي في بعض التذكارات الآتية عدّ لطم الصدر في بعض الأخبار من الجزع، وفيه تعرف أنّ الجزع نفسه في مصاب الحسين عليه السلام مرغّب فيه مندوب إليه.

➤ المزار وما يناسبه، وفي بحار الأنوار ٤٤: ٢٨٩ حديث ٣١ باب «ثواب البكاء على مصيبيته عليه السلام».

(١) المصدر السابق.

(٢) بحار الأنوار ٤٤: ٢٩٢ حديث ٣٧ باب «ثواب البكاء على مصيبيته عليه السلام».

(٣) التهذيب ٨: ٣٢٥ حديث ٢٣.

ومن التذكارات الحسينية

المواكب

وهي كثيرة فمنها:

موكب لدم الصدور

تنتظم من الرجال مواكب، وهم حفاة الأقدام، حسر الرؤوس، عراة الصدور والظهور، يضربون صدورهم، وربما ضربوا رؤوسهم بأيديهم، وقد يذروا على رؤوسهم التراب أو التبن، وقد يلطّخ البعض رأسه بالطين. تقدمهم وتحفّ بهم - وهم على تلك الحال المحزنة - أعلام سود قد كتب عليها بالبياض مثل: «الحسين المظلوم»، أو «العبّاس الشهيد».

ينشدون باللغة الدارجة الأناشيد المحزنة بموادّها وألحانها، يخترقون الأسواق والأزقة والجواد العموميّة، وهم على تلك الحال المشجّية، وإذا فعلوا ذلك ليلاً تصحبهم الأنوار الكهربائية أو المشاعل الموقّدة بالبترول الأسود.

إنّ هذه المواكب بتلك الهيئات وهاتيك الأحوال أبلغ بلاشبهة في إظهار مظلوميّة سيّد الشهداء، وأشدّ تأثيراً في القلوب من البكاء المجرد، وأحكم في وصل عرى الجامعة الجعفريّة وجعلها كحلقة واحدة أمام العامّ والخاصّ، وأولى

٣٤٦.....رسائل الشعائر الحسينية / ج ١

في صدق كون اللطم فيها إسعاداً للزهراء وصلة لسيّد الأنبياء^(١)، ومصادقاً لقول النبي ﷺ: «يجددون العزاء جيلاً بعد جيل في كلّ سنة»^(٢).

ولفحوى قول الصادق عليه السلام: «على مثله تلطم الخدود»^(٣).

ولقول الرضا عليه السلام للريّان بن شبيب: «إن سرك أن تكون معنا في الدرجات العلى فاحزن لحزننا وافرح لفرحنا»^(٤).

وقول علي عليه السلام في حديث الأربعمات: «إن الله تبارك وتعالى اطلع إلى الأرض فاختارنا، واختار لنا شيعة ينصروننا ويفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا ويبدلون أموالهم وأنفسهم فينا، أولئك منا وإلينا»^(٥) الحديث.

قلت: وقد يراد بالنصرة في هذا الخبر وغيره ما يشمل اللطم باليد والسلاسل ونحوه.

وإذا كان صاحب «الخصائص الحسينية» يعدّ البكاء على الحسين عليه السلام نصرةً له، مدّعياً أنّ النصرة في كلّ وقت بحسبها،^(٦) فاللطم في الشوارع أولى أن يعدّ نصرةً وبذلاً للنفس في سبيل أئمة الهدى.

ولا ينبغي الريب أنّ هذا التذكّار بحدوده المرموزة ثمة من مظاهر المودة

(١) انظر وسائل الشيعة ١٤: ٤٩٥ باب ٦٤ من أبواب المزار وما يناسبه «باب استحباب زيارة الحسين عليه السلام حباً لرسول الله ﷺ و...».

(٢) بحار الأنوار ٤٤: ٢٩٢ حديث ٣٧ باب «ثواب البكاء على مصيبيته عليه السلام».

(٣) التهذيب ٨: ٢٣٥ حديث ٢٣.

(٤) أمالي الصدوق: ١١٢ حديث ٥، عيون أخبار الإمام الرضا عليه السلام: ٢٩٩ حديث ٥٨، وعنهما في وسائل الشيعة ١٤: ٥٠٢ باب ٦٦ من أبواب المزار وما يناسبه.

(٥) أمالي الصدوق: ١٣٧.

(٦) الخصائص الحسينية: ٢٤٧.

في القربى، التي هي أجر الرسالة، قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^(١).

ولا يشك أحد من عرفاء الجعفرية أن لدم الصدور لمصاب سيّد الشهداء عليه السلام من الشعائر المذهبية، وهذا ما لا ينكره صاحب المقالة قطعاً. ولا ريب أن خروج مواكب الرجال لادمة صدورها، وهي بتلك الهيئات المحزنة أدخل في تعظيم تلك الشعائر من اللطم في المآتم والدور.

وعسى أن يكون صاحب المقالة لا ينكر هذا كله، وإنما ينكر على الجعفرية خروج المواكب لما يترتب عليه من بعض المحرمات، قال في الصفحة ٨ ما ملخصه بإصلاح منّي للتعبير:

«وأما لطم الصدور فلم أ منع منه ما يكون في المآتم، وإنما منعت علناً من خروج مواكب اللطم في الأزقة؛ لما بلغني من ترتب بعض المحرمات على ذلك، من فتنة وفساد ومضاربة ومقاتلة عندما يلتقي أهل محلّتين، بحيث يحصل من جرّاء ذلك جرح وقتل إلى غير ذلك»^(٢).

قلت: أضف إلى هذا اللازم الفاسد بزعمه أموراً: نظر النساء إلى الرجال عراة الصدور، بروز المتبرّجات والمومسات من النساء حاسرات، نظر الرجال إليهنّ وهنّ مكشّفات الوجوه، صياحهنّ عند ذلك المنظر الهائل واستماع الرجال

(١) الشورى (٤٢): ٢٣.

(٢) صولة الحقّ على جولة الباطل (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ١: ١٨٩. وتخصّ العبارة هو: «وأما مسألة لطم الصدور، فما حرّمته وما منعت، بل الذي ناديت علناً من ذلك بين الناس على المنبر وغيره، بأن يصير ذلك في المآتم، وذلك لما بلغني من ترتب بعض المحرمات على خروجهم، من فتنة وفساد ومضاربة ومقاتلة عندما يلتقي أهل محلّتين، بحيث يحصل من جرّاء ذلك جرح وقتل إلى غير ذلك».

لأصواتهنّ الرقيقة و...

ومع هذه الإضافات نقول: لا يجهل أحد من أهل العلم أنّ ترتّب بعض المحرّمات أحياناً على خروج المواكب لا يقدر برجحانه البتّة. إنّ المحرّم المقارن ما لم يكن لازماً لذات الواجب أو عنواناً ثانوياً يتعنون به ذلك الراجع، لا يوجب حرّمته ولا مرجوحيتّه.

ولو كانت الأعراض المفارقة للاتفاقية في مورد اقترانها بالراجع توجب مرجوحيتّه، لحرمت الصلاة في بعض الصور، ومنع الحجّ، ولكان المنع من زيارة ذلك الشهيد الأعظم الكريم على الله تعالى أولى بالمنع، لما فيها من مزاحمة النساء للرجال، وبروزهن في وسط تلك المشاهد الشريفة المقدّسة مكشّفات الوجوه، بل كثيراً ما يحدث فيها تخاصم فتيتين متعاديتين جمعتهما البلدة للزيارة، بحيث يحدث من خصامهم الضرب المؤلم والجروح الدامية، بل إزهاق النفوس البريئة، ولا شك أنّ ما يحدث من مضاربة ومقاتلة في الزيارات أكثر ممّا يحدث في المواكب التي تكون مرّة واحدة في السنة.

عجباً! كيف يعدّ هذا الرجل الشخوص من البلدان النائية للزيارة، وبذل الأموال الطائلة في سبيلها، من الشعائر المذهبية التي يجب تعظيمها، ويجعلها من مظاهر المودة في القربى التي ندب إليها الكتاب والسنة، ورفع شأنها إذ جعلها جزاء للنبي الأعظم على تبليغه عن الله جلّ شأنه، ولا يعدّ من ذلك هذه المواكب السائرة، مع اشتراك الجميع في المسنونة بالذات وفي ترتّب المحرّمات من غير فرق بينهما أصلاً؟! .

لعمري إنّ اختراق تلك المواكب المشجية للشوارع، واجتماع الجماهير من النساء والرجال - مسلمين وغيرهم - للنظر إليها، هو أبلغ في إظهار مظلوميّة سيّد الشهداء التي سنّ البكاء عليه لأجلها؛ لأنّ به تتأثر قلوب جميع الفرق بنفس الأثر

الذي تتأثر به قلوب الجعفرية فقط من اللدم واللطم في نادٍ خاص بهم.

ويعلم كل أحد أن المآتم المنعقدة لذكر رزية الحسين عليه السلام والبكاء لها، يقع في كل منها لا محالة في كل يوم غيبة أو نائمة أو موآمرة على باطل، أو تساب بين اثنين أو جماعة، أو إيذاء مؤمن، أو هتك حرمة، ونحو ذلك.

فكان يلزم صاحب المقالة - قياماً بوظيفته الروحية - أن يمنعها ويسد أبوابها ويكسر منابرها، لترتب هذه المفاصد والمحرمات عليها، وما هي بأهون عند الله تعالى مما يحدث في المواكب السائرة من فتنه وفساد ومضاربة ومقاتلة، كما يقول.

إن قال: إن تلك المفاصد ليست بلازمة لذات المآتم، ولا موجبة لتعنونها بكونها اجتماعاً للغيبة والتساب مثلاً.

قلنا له بمثل ذلك في الموكب اللاطم سائراً، حرفاً بحرف.

بالله عليك، لو تخاصم رجلان في مجلس الغزاء الموقر المحفوظ من كل مفسدة، وأدى تخاصمهما إلى الضرب المؤلم، كما يتفق ذلك فيها أكثر من اتفاقه في المواكب، أو أدى إلى الجروح الدامية من باب الاتفاق، فهل يصلح لعارف من الشيعة أن يمنعها بتاً، أو يحكم بأن ذلك النادي الذي لم يتعنون بعنوان كونه «نادي المضاربة والمقاتلة» محرماً لا أجر لصاحبه ولا لأهله عليه، بل عليهم العقاب؟!

من المحتمل أن يريد صاحب المقالة المنع من فرد خارج لم يقع في الخارج أبداً، وهو الذي لا تكون له علة ولا محرّك على الخروج إلا المقاتلة، وهو ما تعنيه بأنه المعنون بالخروج للفساد، نحو خروج جماعة من محلّهم إلى الزنا واللهو أو إلى قتل النفوس.

ويدلّ على ذلك قوله في الصفحة ٩: «نحن نأسف ونحزن إلى الغاية على من

يتعب نفسه باللطم لغير الله سبحانه، فإنه لو كان لله لما حصل ما ذكر»^(١).
وأنت لا يخفى عليك أن اتفاق وقوع المحرم فيه لا يجعله لطماً لغير الله، كما
أن كونه لله لا ينافي حصول ما ذكر بضرب من الاتفاق، وإنما الضار بالإخلاص
كون المحرم أمراً غير طاعة الله جلّ شأنه.

ثم قال في الصحيفة المذكورة: «ناهيك بما يصدر من جدال وضرب وتقاتل
بين أهل اللطم وغيرهم من جهلة فرق المسلمين، فتكثر القتلى والجرحى من
الفريقين، وجميعها ناشئة من سخافة العقل وشدة الجهل، ولقد صدر الكثير من هذه
الفتن، وحتى في العام الماضي^(٢) صدر شيء منها في بغداد، فقتل من قتل وحبس
من حبس»^(٣).

أقول: انظر إلى هذا التهويل والكلام الشعري الخيالي الذي أظهر به هذا
الرجل تلك المواكب بمظهر فئات متعادية بينها ثارات أو ألف هنات قد خرجت
لأخذ النار وإبادة بعضها بعضاً، لاشك أنه عند التقائها تكون الملحمة العظمى التي
تكثر بها القتلى والجرحى من الفريقين، الذين هم في الحقيقة (ثوار)، سمو أنفسهم
بالمعزين، وقائمون بأكبر ثورة دموية يسمونها بالعزاء.

غفرانك اللهم من عاقبة هذه السفسطة، التي لا مقيّل لها في ظلّ الحقيقة أبداً.
لا أقول: إن المضاربة والمنازعة والجرح لم تحدث في موكب أصلاً، بل
ربما يتفق بالسنة أو بالأكثر حدوث ذلك مرّة واحدة في بلدة أو بلدين لا أكثر،
وذلك ممّا لا يخلّ بمسنونيّة تلك المواكب المقدّسة.

(١) صولة الحقّ على جولة الباطل (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ١: ١٩٠.

(٢) أي في سنة ١٣٤٤ هـ، لأنّ تاريخ تأليفه لهذه الرسالة وطبعها هو سنة ١٣٤٥ هـ.

(٣) صولة الحقّ على جولة الباطل (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ١: ١٩٠.

إِنَّ هَذَا إِلَّا كَمَا يَعْرِضُ لِلرَّجُلِ الْقَادِمِ عَلَى إِقَامَةِ صَلَاةٍ جَمَاعَةٍ فِي مَعْبَدٍ أَوْ زِيَارَةٍ فِي مَشْهَدٍ أَنْ يَتَخَاصَمَ مَعَ غَيْرِهِ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَالزَّائِرِينَ، جَمْعُهُ وَإِيَّاهُ الْمَكَانُ، وَرَبِمَا كَانَ تَخَاصُمُهُمَا عَلَى الْمَكَانِ نَفْسَهُ، فَيَحْدُثُ بَيْنَهُمَا - لِسَخَافَةِ الْعَقْلِ وَشِدَّةِ الْجَهْلِ - عَلَى مَا يَقُولُ مِنَ السَّبَابِ وَالْقَذْفِ وَالضَّرْبِ وَالْإِهَانَةِ مَا لَا رَيْبَ فِي حُرْمَتِهِ، وَعَدَمِ اقْتِضَائِهِ بِوَجْهِ حُرْمَةِ الصَّلَاةِ وَالزِّيَارَةِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْخُرُوجُ لَذَلِكَ، أَوْ يَكُونَ مَعْنَوَانًا بِذَلِكَ الْعِنْوَانُ.

وهذا أمر قد مرّت نظائره ثَمَّةً، لكنّي أعدته ليعرفه الجاهل ويتدبّره الصائل والجاثل.

قوله: «وحتّى في العام الماضي صدر شيء منها في بغداد».

فالحكم بين الشيعة وبينه ثقات البغداديين في النجف، فإنّهم أخبروا أنّه بعد طوال السنين لم يصدر في العام الماضي إلا ضرب رجل من غير الشيعة ضحك مستهزئاً على مجتمعهم المحزن، ولم يكن ضربه في المواقب، بل بعد انقضائه. ولم يحبس بسبب ذلك الضارب نفسه وإنّما حبس غيره لأغراض شخصيّة، وليس ثَمَّة من أمر مذهبي يكون سبباً للحبس.

والسيد الناقل في رسالته حاشاه عن الافتراء، لكنّه ممّوه عليه من قبل المستائين من أعمال الجعفرية، الذين يجدّون ليل نهار في إبطال هذه المراسم المذهبية؛ لنزعة أمويّة أو وهابيّة، فهم يديفون^(١) الصاب^(٢) بالعسل ويزيدونه غير أهل الأذواق من الجعفرية.

(١) دُفْتُ الدواء وغيره: أي بللته بماء أو بغيره، فهو مدفوفٌ ومُدوفٌ وكذلك مسك مدفوف، أي مبلول. الصحاح ٤: ١٣٦١ «دوف».

(٢) الصاب: عصارة شجرٍ مُرٍّ. الصحاح ١: ١٦٦ «صوب».

قوله: «الشرعية المقدسة والعقل السليم قاضيان بأن اللطم محلّه المآثم دون الطرق».

فهو من التلفيقات الفارغة، ونسبة ذلك إلى العقل والشرعية فريّة بلا مريّة. ها نحن لو عزلنا أنفسنا عن سلامة العقل، فليأتنا هذا الرجل بما يدلّ من الشرعية على أنّ اللطم محلّه المآثم لا الطرقات، كيف وهؤلاء حملة الشرعية المقدسة وصلحاء أهل الدين، منذ مئات من السنين يرون ويسمعون اللطم في الطرقات ولا ينكرون؟!

هب أنّ هذا الرجل تأتّى له أن يباهت الجهال بدعوى حكم الشرعية، لكن دعوى حكم العقول السليمة بذلك فريّة لا تستر، ولقد كان يكفيه أن ينكر وجود دليل على جواز اللطم في الطرقات، ولا يدّعي وجود الدليل على كونها ليس محلّاً له، فيطالب بإثباته، وأنّى له بذلك؟!

حقاً أقول: اللطم لا محلّ له أصلاً، لا الطرقات ولا المآثم، لكن رزيّة الحسين (عليه السلام) يكون كلّ محلّ محلّاً لها، لأنّها بنفسها إذا كانت غير محدودة بحدّ، فأيّ برهان يحدّ محلّها ويعيّنه؟! فما ذلك إلّا عن عدم تقديرها حقّها.

إنّ من الأدلّة الجليّة على أنّ اللطم لمصاب الحسين (عليه السلام) لا يختصّ محلّه بالمآثم، بل يقام في المجامع العموميّة، وأنّها أحسن وأوقع محاله، ما روي عن الصادق (عليه السلام) من عدّة طرق، أصحّها ما في الكافي عن يونس بن يعقوب، عنه (عليه السلام)، أنه قال: «قال لي أبي: يا جعفر أوقف لي من مالي كذا وكذا النوادب يندبني عشر سنين بمنى أيام منى»^(١).

(١) الكافي ٥: ١١٧ حديث ١، وعنه في وسائل الشيعة ١٧: ١٢٥ حديث ١ باب (جواز كسب النائحة بالحق لا الباطل).

نصرة المظلوم ٣٥٣

وفي غيره أنه أوصى بثمانمائة دينار لنوادب تندبه بمنى عشر سنين أيام منى^(١).

إن منى في تلك الأيام هي أعظم المجامع لطوائف المسلمين القاصدين إلى مكة من كل فج، فلماذا اختار ندبته فيها؟!

وهلاً أوصى أن يندب في بيته، أو في ميدان واسع في المدينة، أو في البقيع حيث محلّ قبره؟!

ألست تعتقد أنه يرمز بذلك إلى تنبيه الناس على فضائله وإظهارها، وليتذكر أولياؤه والعارفون به ما جرى عليه، ومن مجموع ذلك تثبت عقائدهم ويدوم ذكره الجميل فيما بينهم؟!

قال شيخنا الشهيد الأول محمد بن مكي في كتابه ذكرى الشيعة بعد إيراد الخبر المزبور: «والمراد بذلك تنبيه الناس على فضائله وإظهارها ليقترن بها، ويعلم الناس ما كان عليه أهل البيت فتتقوى آثارهم»^(٢). انتهى.

فانظر متأماً إلى آخر كلامه هذا الذي يريد به أن ندبته بتلك المجامع سبب لظهور التشيع في الناس؛ لارتفاع الاتقاء عليه بعد موته سلام الله عليه.

ومن هذا تعرف أن النوادي الخاصة محلّ عزاء من لا شرف له كالحسين عليه السلام وأبنائه، ولا فضل له ولا قرب كفضلهم وقربهم، ولا مظلومية له كمظلوميّتهم، أمّا هم، فإن أوقع المحالّ لندبتهم المجامع العمومية كمنى وغير منى.

وفي آخر هذا الفصل طلب الكاتب من الله أن يتفضّل على أهل المواكب

(١) الكافي ٣: ٢١٧ حديث ٤، الفقيه ١: ١١٦ حديث ٥٤٦، وعنهما وسائل الشيعة ٣: ٢٣٨

حديث، باب (استحباب وصية الميت لطعام المأتم).

(٢) ذكرى الشيعة ٢: ٥٩.

السائرة برفض ما تعودوه في اللطم من المقاتلة، والسير على الهيئات المنكرة من الوثبات^(١) والزعات^(٢) الموحشة^(٣).

فكأنه يتمنى لكل فرد من أفراد الجعفرية، حتى الشبان منهم وأهل المهن الدينية والبذيثيين، أن يكون لهم مثل ما هو حاصل لأغلب الشيوخ والصلحاء من الهدوء والسكون والمشي بخشوع ووقار.

وهذا مالا يكون، ولكن لا يلزم أن تكون المواكب على هذه الحال المتمنأة، فإن تلك الوثبات والزعات الموحشة - على ما يقول - لها من التأثير في بعض القلوب مالا يؤثره الوقار والتوئدة «وفي الحمية معنى ليس في العنب»^(٤).

(١) الوثبات، جمع وثبة: وهي الطفرة، ووثب وثنأ ووثبأ وثنبأناً طفر. الصحاح ١: ٢٣١ «وثب».

(٢) الزعق: الصباح، وقد زعقت به زعقا، الصحاح ٤: ١٤٩٠ «زعق».

(٣) صولة الحق على جولة الباطل «المطبوعة ضمن هذه المجموعة» ١: ١٩١، وفيها: «فنسأل الله سبحانه التفضل عليهم برفض ما قد تعودوه في اللطم من المحرمات، وسيرهم على الهيئات المنكرة من الوثبات والزعات الوحشية».

(٤) عجز بيت من قصيدة لأبي الطيب المتنبى (ت ٣٥٤هـ) وجهها إلى سيف الدولة الحمداني في رثاء أخت له ماتت سنة ٣٥٢هـ، وأول القصيدة:

يا أخت خير أخ يا بنت خير أبي كناية بهما عن أشرف النسب

وتمام البيت كما ورد في هذه القصيدة:

وإن تكن تغلب الغلباء عنصرها فإن في الخمر معنى ليس في العنب

واستعار الكثير من الشعراء هذا المعنى وضمّنوه قصائدهم، ففي أعيان الشيعة ٤: ١٣ قال السيد الأمين:

وللشيخ جعفر حفيد الشيخ جعفر الكبير شعر في الشيخ إبراهيم بن صادق بن إبراهيم بن

وأوهما حقيقة «مثل الفواكه كلّ فيه لذّة»^(١).

والناس ليسوا على شاكلة واحدة.

وذكر الوثبات والزعقات على لسان هذا الرجل تهويل آخر، وإعابة لحال المواكب الحسينيّة. والحقيقة لا تنزجر بالتهاويل، والأحكام لا تستند في نفي أو إثبات إليها.

وما تضرّ الوثبات من فئات لم تبين سائر أعمالهم العباديّة والعاديّة على الخشوع والاستكانة؟!

هولاء الزوّار من الأعراب يجتمعون موكباً كبيراً، يتواثبون ويزعقون وينشدون من الشعر الدارج بلغتهم المسمّى عند العامة «هوسة»، وهي بلحنها مهيجّة للشعور، متضمّنة لنحو «يحسين اشرب ماي عيوني» وشبهه، فتطير القلوب لهم فرحاً، ويلقون من كلّ أحد الترحيب بهم والارتياح إلى هيئتهم المنكرة بزعم هذا الرجل؛ لأنّها وثبات وزعقات.

بالله عليك، أي فرق بين مواكب زائري سيّد الشهداء، الذين يختلط بهم مثل

❦ يحيى:

إنّ ابن يحيى وإن فاق الورى كرمأ
لكن إذا قيس بي يوماً تلوث له
وحاز ما حاز من علم ومن أدب
وفي الحمية معنئ ليس في العنب

انظر أعيان الشيعة ٤: ١٣٠.

(١) صدر بيت قاله أبو هبة الله محمّد بن سلمان بن نوح الغريبي الكعبي الأهوازي،

القزويني، وهو والبيت الذي قبله:

لم يغن عن أحد منكم على أحد
مثل الفواكه كلّ فيه لذّة
فلكم منه كلّ الفضل مُنتشر
الماء ماءً ولما يستوي الثمر

انظر أعيان الشيعة ٩: ٣٤٩.

الوحيد البهبهاني أستاذ الكلّ في الكلّ، وهو لا يعرف ما يقولون بمادّته ولحنه.
وبين مواكب اللطم في نفس الوثبات والزعقات، التي أنكر الكاتب عليها؟!
اللهمّ إني لا أجد فرقاً بين وثبات الموكب، وبين الهرولة في السعي إن لم
تكن تلك أهون، ولا بين التلبية برفيع الصوت وبين ألحان المواكب.

ومن المواكب:

موكب السلاسل

وهو يتألف من جماعة من الرجال مكشوفي الظهر والرؤوس فقط، بأيديهم سلاسل الحديد يضربون ظهورهم بها بدل الأيدي. عليهم الثياب السود، وأمامهم وخلفهم الأعلام المسوّدة، يمشون بهدوء وسكون، لا يتواثبون ولا يزعمون، ينشدون - وهم بتلك الحال - أناشيد الحزن، ويخرجون صفوفاً متكاتفه، مخترقين الأزقة والجواد العموميّة.

وهذا لاريب في كونه أجلى من موكب لدم الصدور باليد، في كونه مظهر الحزن والجزع، وكلّما قلنا في ذلك نقوله في هذا، ويأتي في أدلّة الموكب الأخير ما يدلّ على رجحان هذا بالألويّة القطعيّة.

ومن المواكب:

موكب القامات

وهو موكب يتألف من جماعة لابسي الأكفان البيض بأيديهم السيوف والقامات، قد ضربوا المقدم من رؤوسهم بها، وتناثرت قطرات كثيرة من الدم على تلك الأكفان، وهم يسرون صفوفاً متكاتفين متلازمين كأنهم حلقات سلسلة واحدة، كلّ قد أخذ بيده الأخرى حزمة الآخر، يخترقون الشوارع على هذه الهيئة، حفاة الأقدام، حسر الرؤوس، لا يتواثبون ولا يزعقون، غير أنهم يهزّون السيوف مؤمين بها إلى رؤوسهم، ومن ذلك تحدث لهم في المشي هيئة خاصّة.

وهؤلاء من جهة يمثّلون للأبصار طائفة قد استسلمت للموت، أقدمت على الحرب في نصرة سليل خير الأنبياء ودفع الأعداء عنه، وقد سالت دماؤها الطاهرة على وجوهها، وضمت بها رؤوسها، ولطّخت بها ثيابها المتخذة أكفاناً يوم الطف. ومن جهة أخرى يظهرون بمظهر موكب قد ارتفع في مقادير الحزن عن أن يضرب صدره بيده أو بسلسلة حديدية، بل هو يريد أن يقتل نفسه جزعاً من جرّاء تلك الفادحة التي أصيب بها الإسلام في قتل سبط النبي المرسل.

فهذا الموكب عزاء من جهة، وتمثيل رزية من جهة أخرى، وكلّ ما حرّرناه

في المآتم آتٍ فيه بالأولوية، بل هو في كونه نصرة للحسين عليه السلام وبذلاً للنفس في سبيله أظهر وأجلى.

وقد مرّ عليك ما يدلّ على ذلك من قوله عليه السلام: «ينصروننا ويفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا ويبدلون أموالهم وأنفسهم فينا»^(١).

لكن صاحب المقالة لا يدعن بذلك إذ قال:

«أمّا الضرب بالسيوف والقامات على الرؤوس فمحزّم؛ لما شاهدنا وشاهده غيرنا من موت جماعة منهم في كلّ سنة لكثرة نزف الدم. ولو قطعنا النظر عن هذه الجهة، فهو فعل همجيّ وحشيّ مثل الضرب بسلسلة من حديد، ولم يرد دليل شرعيّ بتجوزها، وما من سيرة يستند إليها فيها، بل هي بنظر أرباب العقول والمعرفة أفعال وحشيّة ما فيها من ثمرة في التعزية»^(٢). انتهى.

قلت: لا ريب في أنّ دعوى موت جماعة في كلّ سنة لكثرة نزف الدم فريّة بلا مريّة، فإنّي منذ أدركت لليوم ما رأيته ولا سمعت أنّ واحداً مات بذلك في أيّ سنة، وأيّ بلدة، فضلاً عن جماعة في كلّ سنة، ولقد سألت كثيراً ممّن جاوز السبعين والثمانين من سني عمره من ثقات أهل النجف وكربلاء والكاظميّة وغيرهم من علماء البلدان وصلاحائهم، وكلّ أنكر أن يكون رأى أو سمع أنّ واحداً من أولئك تألم ألماً يوجب مراجعة الجراح أو المضمّد، فضلاً عن موته.

فعسى أن يكون ذلك طيفاً سوّلت له الأحلام، أو خيالاً جسّمت له الأوهام، أو حقيقة واقعة في الجيل الواحد مرّة واحدة اتفاقاً، كيف لا وأغلب أفراد موكب السيوف يجرحهم كباروهم بسكين دقيقة جروحاً خفيفة يظهر منها الدم بواسطة

(١) أمالي الصدوق: ١٣٧.

(٢) صولة الحقّ على جولة الباطل (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ١: ١٩١.

٣٦٠.....رسائل الشعائر الحسينية / ج ١

الضرب على الرأس لا بالجرح بمجرّده من دون أن يحصل لهم إيّلام مزعج، لأنّ غرضهم صوري وهو البروز بصورة القتل والجريح، وليس من أغراضهم الإيّلام الحقيقي لأنفسهم.

ومع الغضّ عن هذه الحقيقة الواقعيّة لو تنزّلنا وقلّنا: إنّ الجرح يكون بالسيف للإيّلام لا غيره، فلا شكّ أنّ ذلك إنّما يوجب التحريم إذا كان مقدّمة لإيجاد الموت، نحو أن يضرب رأسه ليقتل نفسه، وأمّا الضرب لا لذلك، بل لأمرٍ آخر، قد يترتّب عليه في بعض الأحيان لبعض الأفراد الموت من دون أن يكون مقصوداً بالأصالة أو بالتبع ولا لازماً عادياً للضرب نفسه، فإنّ قواعد الفنّ لا تقتضي تحريمه البتّة، ومجرّد الإيّلام وإخراج مقدار من الدم - لا يضرب بالصحّة - لا دليل على حرّمته.

قوله: «ولو قطعنا النظر عن هذه الجهة - وهي نزف الدم - فهو فعل همجيّ وحشيّ مثل الضرب بسلاسل من الحديد».

أقول: إذا قطع النظر عن تلك الجهة التي هي علّة التحريم، فكونه فعلاً همجياً، لا يفي بالحكم المقصود - لو يعلم - إلّا أن يدلّ البرهان على أنّ كلّ عبث وفعل لا تركبه العقلاء لهمجيّته هو محرّم، وأنّي لأحد بإثباته.

على أنّ عدّه فعلاً همجياً وحشياً إنّما هو بنظر من لم يعرف حكمته ولم يطلع على المقصود منه، وآلّا فضرب الصدور بالأيدي في الدور والبيوت يعدّه غير العارف برموزه وأساراه ضرباً من التوحّش والهمجيّة، مع أنّه عند الجميع من الأمور المستحسنة المرضية.

أقول: وأنا استسلف العذر عن حزاة القدح اللساني الظاهري فقط بأعظم شعائر الله وحرّماته - الحجّ - ليس الحجّ إلّا طواف حول بيته، وسعي وهرولة بين

راپيتين، ووقوف على جبل، وهبوط في وداي، ورمي أحجار على أحجار، في هيئة مقرحة من كشف الرؤوس لحرّ الشمس، وحلق الشعر، وعري البدن إلا عن نحو إزار ورداء.

لا شك أنّ غير العارف برموزها وحكمها وأسرارها يستهزئ بها ويعدها ضرباً من الجنون والتوحّش وفعلاً من أظهر أفعال الهمجية، أفهل يصلح للعارف برموزه حكمه أن يمنع منه لمجرّد عدّه عند الجاهل همجياً؟!

ولقد وقع الاستهزاء جهاراً بتلك المناسك العالية الأسرار، الدقيقة الحكم، والسخرية بها من قبل المادّيين الأقدمين كعبد الكريم بن أبي العوجاء^(١) وعبد الله

(١) في الاحتجاج «للطبرسي» ٢: ٢٠٦: عن عيسى بن يونس، قال كان ابن أبي العوجاء من تلامذة الحسن البصري، فأنحرف عن التوحيد، ف قيل له: تركت مذهب صاحبك ودخلت في ما لا أصل له ولا حقيقة؟!

قال: إنّ صاحبي كان مخلطاً، يقول طوراً بالقدر وطوراً بالجبر، فما أعلمه اعتقد مذهباً دام عليه.

فقدم مكّة متمزداً، وإنكاراً على من يحجّه، وكان تكره العلماء مجالسته لخبث لسانه، وفساد

ضميره، فأتى أبا عبد الله عليه السلام فجلس إليه في جماعة من نظرائه، فقال:

يا أبا عبد الله! إنّ المجالس بالأمانات، ولا بدّ لكلّ من به سعال أن يسعل، أفأتأذن لي في الكلام؟

فقال: «تكلم».

فقال: إلى كم تدوسون هذا البيدر، وتلوذون بهذا الحجر، وتعبدون هذا البيت المرفوع

بالطوب والمدر، وتهزلون حوله كهرولة البعير إذا نفر، إنّ من فكر في هذا وقدر، علم

أنّ هذا فعل أسسه غير حكيم ولا ذي نظر، فقل فإنك رأس هذا الأمر وسنامه، وأبوك

أسسه ونظامه!

الديصاني وأضرابهما، وخلدت كتب الحديث إنكارهما على مولانا الصادق عليه السلام، وإنكار المتأخرين أظهر من ذلك، وناهيك الكتب المؤلفة منهم للاستهزاء بالحج بخصوصه.

وأما ثمرتها في التعزية فإنما ينكرها من يجهل السرّ في إقامة المآتم العزائية، وقد أسلفنا في صدر الرسالة نبذة تتضمن الأسرار المشار إليها، ومن تأملها يجدها حاصلة في الشبيه وضرب القامات بوجه أتم وأنفع.

إن أدنى فوائد التذكارات الحسينية التي تعملها الجعفرية اليوم، أن تجعل كلّ فرد منهم راسخ الاعتقاد بمذهبه، شديد اليقين به، وذلك ما رمزنا إليه وصرّحنا به

❦ فقال أبو عبد الله عليه السلام: «إن من أضلّه الله وأعمى قلبه، استوخم الحقّ ولم يستعذبه وصار الشيطان وليّه، ويورده مناهل الهلكة ثم لا يصدره، وهذا بيت استعبد الله به عباده ليختبر طاعتهم في إتيانه، فحثّهم على تعظيمه وزيارته وجعله محلّ أنبيائه وقبلة للمصلين له، فهو شعبة من رضوانه، وطريق يؤدّي إلى غفرانه، منصوب على استواء الكمال، ومجتمع العظمة والجلال، خلقه الله قبل دحو الأرض بألفي عام، فأحقّ من أطيع في ما أمر وانتهى عمّا نهى عنه وزجر، الله المنشئ للأرواح والصور».

فقال ابن أبي العوجاء: ذكرت الله فأحلت على غائب.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: «ويلك!! كيف يكون غائباً من هو مع خلقه شاهد وإليهم أقرب من حبل الوريد، يسمع كلامهم ويرى أشخاصهم ويعلم أسرارهم»؟!

فقال ابن أبي العوجاء: فهو في كلّ مكان، أليس إذا كان في السّماء كيف يكون في الأرض، وإذا كان في الأرض كيف يكون في السّماء؟

فقال أبو عبد الله عليه السلام: «إنما وصفت المخلوق الذي إذا انتقل من مكان اشتغل به مكان، وخلا منه مكان، فلا يدري في المكان الذي صار إليه ما حدث في المكان الذي كان فيه. فأما الله العظيم الشأن، الملك الديان، فلا يخلو منه مكان ولا يشغل به مكان، ولا يكون إلى مكان أقرب منه إلى مكان».

في غير موضع من الرسالة، ولا يلزم أن تكون فائدتها أمراً فوق ذلك.

ومن ثمة لو كانت قرية مثلاً ليس فيها من غير الجعفرية أحد أبداً، لكان يلزم عليهم إقامة التذكارات بجميع مظاهرها لذلك خشية أن يضعف اعتقادهم ويزول بمرور الأيام.

كذا لو كانت القرية وما فيها من الجعفرية إلا أفراداً معدودة، بل هذه أولى بإقامتها من هذه الجهة، وأخرى أن تلك الأعمال ربما تكون داعية للأغيار إلى الفحص عن أسباب تلك التذكارات واستحسانها، حتى تكون بنفسها مبشراً من المبشرين بها.

قال بعض مورّخي الأجانب في مقام استشهاده على نحو هذا: رأيت في بندر مارسل^(١) في الفندق شخصاً واحداً عربياً شيعياً من أهل البحرين يقيم المآتم منفرداً، جالساً على الكرسي بيده الكتاب يقرأ ويبكي، وكان قد أعدّ مائدة من الطعام فقرّحها على الفقراء.

فبالله عليك ماذا الذي صيّر هذا الرجل الغريب في البلدة التي لا مماثل له فيها في العنصر والمذهب أن يكون شديد الاعتقاد بمذهبه إلى تلك الدرجة؟! لولا ما تعود في بلده منذ نعومة أظفاره من إقامة المآتم والتذكارات.

أمّا صاحب المقالة فإنه يطلب للتذكارات فائدة خاصّة، نحو أن تكون الشيعة إذا أقامتها ترتقي في نظر غير الجعفرية كلّ مرتقى عالٍ في الدنيا والعقبى!! قوله: «لم يرد دليل شرعي على تجويزها، وما من سيرة يستند إليها».

أقول: هذا ناشئ عن القصور في الفقه والأصول؛ لأنّ التحريم هو المحتاج

(١) أي ميناء مارسل الواقع في فرنسا.

٣٦٤.....رسائل الشعائر الحسينية / ج ١

إلى الدليل، والأصل الإباحة، بما استفاض وتواتر معنى من الأخبار والآثار من أن «كل شيء مطلق حتى يرد فيه نهى»^(١).

ومع الغض عن هذا، فإن إباحة الشيء أو استحبابه لا يتوقف على دليل يخصّ موردّه، بل تكفي فيه الأدلة العامة.

وبما أن هذا الموكب من جهة يمثل موقف الحسين عليه السلام وأنصاره بالطف، يكون إحياء لأمرهم.

ومن جهة يظهر بمظهر مرتفع في مقدار الحزن عن أن يضرب صدره بيده، بل يهجم بقتل نفسه، يكون حزناً لأجلهم.

وباعتبار الجهتين يكون كل فرد من أفراد الموكب متصفاً بكونه موجع القلب لهم، وبإذلاً نفسه فيهم، ومؤدياً حقهم، ومعظماً شعائرهم، وناصرأ لهم بعد وفاتهم، وغير ذلك من العناوين العامة التي تكررت فيها الأخبار الخاصة عن أئمة الهدى سلام الله عليهم^(٢).

إن أشدّ الأخبار العامة مساساً بهذا الموكب وأتمّ اعتلاقاً به، الأخبار الكثيرة المستفيضة الدالة على أن الجزع مكروه ومحذور، ما عدا الجزع على الحسين عليه السلام فإنه مندوب إليه ومرغب فيه^(٣).

ففي رواية معاوية بن وهب - التي رواها المفيد والشيخ وابن قولويه - عن

(١) من لا يحضره الفقيه ١: ٣١٧ باب «استحباب البكاء من خشية الله تعالى»، وسائل الشيعة ٦: ٢٨٩ باب «جواز القنوت».

(٢) انظر وسائل الشيعة ١٤: ٥٠٠ باب ٦٦ من أبواب المزار وما يناسبه «باب استحباب البكاء لقتل الحسين وما أصاب أهل البيت عليه السلام».

(٣) أمالي الصدوق: ١١١ حديث ٢.

الصادق عليه السلام: «كُلَّ الجزع والبكاء مكروه سوى الجزع والبكاء على الحسين»^(١).

بل في خبر مسمع بن عبد الملك البصري عن الصادق عليه السلام أنه قال له - يعني الصادق - «أما تذكر ما صنع به؟» يعني بالحسين عليه السلام.
قلت: بلى.

قال: «فتجزع؟»

قلت: أي والله، واستعبر لذلك حتى يرى أهلي أثر ذلك علي، فامتنع من الطعام والشراب حتى يستبين ذلك في وجهي.

قال: «رحم الله دمعتك، أما إنك من الذين يعدّون من أهل الجزع لنا، والذين يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا ويخافون لخوفنا ويأمنون إذا أمنا» الحديث^(٢).

وهذه وما بعدها بنظري عمدة الأدلة على جواز إدماء الرؤوس بالسيوف، بل واستحبابه، وذلك أن كل ما يفعله الشيعة من الضرب بسلاسل الحديد وبالقامات وغيرها هو دون الجزع المرغّب فيه.

إنّ الضرب بالسيوف والقامات على الرؤوس هو مظهر من مظاهر الجزع، وليس بجزع حقيقة، فإنّ الجزع أمرٌ معروف في اللغة والعرف، وهو ضدّ الصبر^(٣)، نحو أن ينتحر الرجل العاقل أو يلقي نفسه من شاطئ لحادثة تحدث تغلب صبره وتورده الهلاك.

(١) أمالي الشيخ الطوسي ١: ١٦٢، كامل الزيارات: ٢٠٢ حديث ٥، وانظر وسائل الشيعة

١٤: ٥٠٥ حديث ١٠ باب ٦٦ من أبواب المزار وما يناسبه «باب استحباب البكاء لقتل

الحسين وما أصاب أهل البيت عليه السلام...».

(٢) كامل الزيارات: ٢٠٣ حديث ٧.

(٣) الجَزَعُ، بالتحريك: نقيض الصبر، الصحاح ٣: ١١٩٦

٣٦٦.....رسائل الشعائر الحسينية / ج ١

وأين هذا من جرح الرأس بسكين أو سيف جرحاً خفيفاً يوجب خروج الدم، ولا يؤلم إلا بمقدار ما تؤلم الحجامة وغيرها ممّا يرتكب لأغراض عقلانية سياسية أو طبية؟!

ولا يراد من الجزع في الخبر السابق البكاء، لعطفه عليه وفي ما لا أحصيه عدداً من الأخبار^(١)، وذلك آية المغايرة بينهما، ولا ما ذكرناه من بلوغ الحزن إلى حيث يورد الهلاك، وإن كان هذا لو صدر من أحد في مصاب فكثيراً ما يحدث بغير اختيار، وكلّ ما هو دون هذه المرتبة ممّا يتحمّل عادةً ولا يجزّ إلى الضرر بالنفس، فهو من الجزع المرغّب فيه، وله مراتب:

منها: الامتناع من الطعام والشراب مع الحاجة إليهما، كما صدر عن مسمع^(٢)؛ وذلك للتأثر القلبي الموجب لعدم قبول النفس لهما مع شدة الجوع والعطش.

وما ورد في بعض أخبارنا من تحديد أشدّ الجزع بالصراخ والويل والعيول، ولطم الوجه والصدر، وجزّ الشعر من النواصي، وإقامة النواحة^(٣)، فهو في غير

(١) منها ما رواه ابن قولويه في كامل الزيارات: ٢٠١ حديث ٢ بسنده عن أبي عبد الله الجاموراني، عن الحسن بن علي ابن أبي حمزة، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سمعته يقول: «إنّ البكاء والجزع مكروه للعبد في كلّ ما جزع، ما خلا البكاء والجزع على الحسين بن علي عليهما السلام، فإنّه فيه مأجور».

(٢) كامل الزيارات: ٢٠٣ حديث ٧.

(٣) روى الشيخ الكليني في الكافي ٣: ٢٢٢ حديث ١، بسنده عن أبي جميلة، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قلت له: ما الجزع؟ قال: «أشدّ الجزع الصراخ بالويل والعيول، ولطم الوجه والصدر، وجزّ الشعر من النواصي، ومن أقام النواحة فقد ترك الصبر وأخذ في غير طريقه».

نصرة المظلوم..... ٣٦٧

شأن الحسين عليه السلام؛ لأن أعظم هذه المعدودات: النواحة وهي عليه راحة بل واجبة قطعاً، ولطم الخد وقد دلّ على جوازه وجواز شقّ الجيب الخبر الصحيح المروي في التهذيب عن خالد بن سدير عن الصادق عليه السلام فيه: «على مثله - يعني الحسين - تلطم الخدود و تشقّ الجيوب»^(١).

ولقد كان شيخنا العلامة شيخ الشريعة قدّس سرّه بهذا الاعتبار وبذلك الأخبار يصحّح الخبر المرسل الذي استبعده بعض العظماء، من أنّ عقيلة عليّ الكبرى لمّا لاح لها رأس الحسين عليه السلام وهو على رمح والريح تلعب بكريمته، نطحت جبينها بمقدّم المحمل حتى سال الدم من تحت قناعها^(٢).

(١) التهذيب ٨: ٣٢٥ حديث ١٩٩.

(٢) قال العلامة المجلسي في بحار الأنوار ٤٥: ١١٤:

رأيت في بعض الكتب المعتبرة: رُوي مرسلًا عن مسلم الجصاص، قال: دعاني ابن زياد لإصلاح دار الإمارة بالكوفة، فبينما أنا أجصص الأبواب وإذا أنا بالزعقات قد ارتفعت من جنبات الكوفة، فأقبلت على خادم كان معنا فقلت: مالي أرى الكوفة تضجّ؟ قال: الساعة أتوا برأس خارجي خرج على يزيد.

فقلت: من هذا الخارجي؟

فقال: الحسين بن علي عليه السلام.

قال: فتركت الخادم حتّى خرج ولطمت وجهي حتّى خشيت على عيني أن تذهب، وغسلت يدي من الجصّ وخرجت من ظهر القصر وأتيت إلى الكناس.

فبينما أنا واقف والناس يتوقعون وصول السبايا والرؤوس، إذ قد أقبلت نحو أربعين شقة تحمل على أربعين جملاً فيها الحرم والنساء وأولاد فاطمة عليها السلام وإذا بعليّ بن الحسين عليه السلام على بعير بغير وطاء، وأوداجه تشخب دماً، وهو مع ذلك يبكي ويقول:

يا أمة السوء لا سقياً لربعكم يا أمة لم ترعاً جدنا فينا

لو أننا ورسول الله يجمعنا
تسيرونا على الأقتاب عارية
بني أمية ما هذا الوقوف على
تصفقون علينا كفكم فرحاً
أليس جدّي رسول الله ويلكم
يا وقعة الطف قد أورثتني حزناً
يوم القيامة ما كنتم تقولونا
كأننا لم نشيّد فيكم ديناً
تلك المصائب لا تلبون داعينا
وأنتم في فجاج الأرض تسبّوننا
أهدى البرية من سبل المضلّينا
والله يهتك أستار المسيئينا

قال: وصار أهل الكوفة يناولون الأطفال الذين على المحامل بعض التمر والخبز والجوز، فصاحت بهم أمّ كلثوم وقالت: يا أهل الكوفة إنّ الصدقة علينا حرام، وصارت تأخذ ذلك من أيدي الأطفال وأفواههم وترمي به إلى الأرض، قال كلّ ذلك والناس ييكون على ما أصابهم.

ثمّ إنّ أمّ كلثوم أطلعت رأسها من المحمل، وقالت لهم: صه يا أهل الكوفة تقتلنا رجالكم، وتبكيّنا نساؤكم؟ فالحاكم بيننا وبينكم الله يوم فصل القضاء.

فبينما هي تخاطبهنّ إذا بضجّة قد ارتفعت، فإذا هم أتوا بالرؤوس يقدمهم رأس الحسين عليه السلام، وهو رأس زهريّ قمريّ أشبه الخلق برسول الله صلى الله عليه وآله ولحيته كسواد السّبع قد انتصل منها الخضاب، ووجهه دارة قمر طالع والرمح تلعب بها يميناً وشمالاً، فالتفتت زينب فرأت رأس أخيها فنطحت جبينها بمقدّم المحمل، حتّى رأينا الدّم يخرج من تحت قناعها، وأومات إليه بحرقة وجعلت تقول:

يا هلالاً لما استتمّ كمالاً
ما توهمت يا شقيق فؤادي
يا أخي فاطم الصغيرة كلّها
يا أخي قلبك الشقيق علينا
يا أخي لو ترى عليّ لدى الأسر
كلّما أوجعوه بالضرب نادا
غاله خسف فابدا غروباً
كان هذا مقدراً مكتوباً
فقد كاد قلبها أن يذوباً
ماله قد قسى وصار صليباً
مع اليتم لا يطيق وجوباً
ك بذلّ يغيض دمعاً سكوباً

ويقول العلامة شيخ الشريعة قدّس سرّه: «إنّه لا استبعاد فيه إلّا من جهة ظهور الجزع منها وإيلاام نفسها، والإيلاام غير المؤدّي إلى الهلاك لا دليل على عدم جوازه، والجزع مندوب إليه ومرغب فيه في كثير من الأخبار»^(١).

قلت: الظاهر من الأخبار جواز الهلع أيضاً، وهو - على ما ذكروا - أفحش الجزع^(٢)، ويظهر من الخبر الصحيح الذي تدلّ مضامينه على صحّته المروي في الكامل عن قدّامة بن زائدة عن السجادة عليه السلام، أنّه قد صدر منه الهلع لو استطاعه^(٣).

❦ يا أخي ضُمَّه إليك وقربه
وسكّن فؤاده المرعوباً
ما أذلّ اليتيم حين ينادي
بأبيه ولا يراه مجيباً

(١) انظر وسائل الشيعة ١٤: ٥٠٠ باب ٦٦ من أبواب المزار وما يناسبه «باب استحباب البكاء لقتل الحسين وما أصاب أهل البيت عليهم السلام».

(٢) قاله الجوهرى في الصحاح ٣: ١٣٠٨ «هلع».

(٣) لم أعر على هذا الحديث في متن «كامل الزيارات» من الطبعة المتوقّرة لدينا، والظاهر أنّ النسخ الخطيّة مختلفة في وجوده في المتن، لذلك أوردته محقّق النسخة المتوقّرة لدينا في الهامش ص ٤٤٤ - ٤٤٥ قائلاً: زيادة في النسخ نقلناها كما وجدناها:

للحسين بن أحمد بن المغيرة فيه حديث رواه شيخه أبو القاسم رحمه الله مصنّف هذا الكتاب، ونقل عنه، وهو عن زائدة، عن مولانا علي بن الحسين عليه السلام، ذهب على شيخنا رحمه الله أن يضمّنه كتابه هذا، وهو ممّا يليق بهذا الباب، ويشتمل أيضاً على معان شتى حسن تامّ الألفاظ، أحببت إدخاله، وجعلته أوّل الباب.

وجميع أحاديث هذا الباب وغيرها ممّا يجري مجراها يستدلّ بها على صحّة قبر مولانا الحسين عليه السلام بكرلاء؛ لأنّ كثيراً من المخالفين ينكرون أنّ قبره بكرلاء، كما ينكرون أنّ قبر مولانا أمير المؤمنين عليه السلام بالغري بظهر الكوفة.

وقد كنت استفتدُ هذا الحديث بمصر عن شيخى أبي القاسم علي بن محمّد بن عبدوس الكوفي رحمه الله، ممّا نقله عن مزاحم بن عبد الوارث البصري، بإسناده عن قدّامة بن

عن زائدة، عن أبيه زائدة، عن علي بن الحسين عليه السلام، وقد ذكرنا شيخنا ابن قولويه بهذا الحديث بعد فراغه من تصنيف هذا الكتاب ليدخله فيه، فما قضى ذلك، وعاجلته منيته رضي الله عنه وألحقه بمواليه عليهم السلام.

وهذا الحديث داخل في ما أجاز لي شيخي رحمه الله، وقد جمعت بين الروایتين بالألفاظ الزائدة والنقصان والتأخير فيهما، حتى صَحَّ بجميعه عمن حدَّثني به أولاً ثم الآن، وذلك أنني ما قرأته على شيخي رحمه الله ولا قرأه عليّ، غير أنني أرويه عمن حدَّثني به عنه وهو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن عياش، قال: حدَّثني أبو القاسم جعفر بن محمد بن قولويه، قال: حدَّثني أبو عيسى عبيد الله بن الفضل بن محمد بن هلال الطائي البصري رحمه الله، قال: حدَّثني أبو عثمان سعيد بن محمد، قال: حدَّثنا محمد بن سلام ابن يسار (سيار خ ل) الكوفي، قال: حدَّثني أحمد بن محمد الواسطي، قال حدَّثني عيسى ابن أبي شيبه القاضي، قال حدَّثني نوح بن دراج، قال: حدَّثني قدامة بن زائدة، عن أبيه، قال: قال علي بن الحسين عليه السلام: «بلغني يا زائدة أنك تزور قبر أبي عبد الله الحسين عليه السلام أحياناً؟!»

فقلت: إنَّ ذلك لكما بلغك.

فقال لي: «فلماذا تفعل ذلك ولك مكان عند سلطانك الذي لا يحتمل أحداً على محبتنا وتفضيلنا وذكر فضائلنا والواجب على هذه الأمة من حقنا؟»

فقلت: والله ما أريد بذلك إلا الله ورسوله، ولا أحفل بسخط من سخط، ولا يكبر في صدري مكروه ينالني بسببه.

فقال: «والله إنَّ ذلك لكذلك».

فقلت: والله إنَّ ذلك لكذلك - يقولها ثلاثاً وأقولها ثلاثاً -.

فقال: «أبشر ثم أبشر ثم أبشر، فلاخبرتك بخبر كان عندي في النخب المخزون.

فإنَّه لما أصابنا بالطف ما أصابنا وقتل أبي عليه السلام وقتل من كان معه من ولده وإخوته وسائر أهله، وحملت حرمه ونساؤه على الأقتاب يراد بنا الكوفة، فجعلت أنظر إليهم صرعى

وروى المجلسي أعلى الله مقامه^(١) والسيد عبد الله شبر رفع الله درجته في كتاب جلاء العيون، أن زين العابدين عليه السلام كان إذا أخذ إناء يشرب يبكي حتى يملأه دماً^(٢).

❦ ولم يواروا، فعظم ذلك في صدري واشتد لما أرى منهم قلقي، فكادت نفسي تخرج، وتبينت ذلك مني عمّي زينب الكبرى بنت علي عليه السلام، فقالت: ما لي أراك تجود بنفسك يا بقة جدي وأبي وإخوتي؟

فقلت: وكيف لا أجزع وأهلع وقد أرى سيدي وإخوتي وعمومتي وولد عمّي وأهلي مضرّجين بدمائهم، مرملين بالعرى، مسلمّين، لا يكفنون ولا يوارون، ولا يعرج عليهم أحد، ولا يقربهم بشر، كأنهم أهل بيت من الديلم والخزر؟

فقالت: لا يجزعنك ما ترى، فوالله إن ذلك لعهد من رسول الله صلى الله عليه وآله إلى جدك وأبيك وعمك، ولقد أخذ الله ميثاق أناس من هذه الأمة لا تعرفهم فراعنة هذه الأمة، وهم معروفون في أهل السماوات، إنهم يجمعون هذه الأعضاء المتفرقة فيوارونها، وهذه الجسوم المضرجة، وينصبون لهذا الطفّ علماً لقبر أبيك سيد الشهداء، لا يدرس أثره ولا يعفو رسمه على مرور الليالي والأيام، وليجتهدن أئمة الكفر وأشياع الضلالة في محوه وتطميسه، فلا يزداد أثره إلا ظهوراً، وأمره إلا علوّاً.

(١) في بحار الأنوار ٤٦: ١٠٨ - ١٠٩: «وقيل: إنّه - أي الإمام زين العابدين عليه السلام - إنّه بكى حتّى خيف على عينيه، وكان إذا أخذ إناء يشرب ماء بكى حتّى يملأها دمعاً، فقليل له في ذلك فقال: «وكيف لا أبكي؟» وقد منع أبي من الماء الذي كان مطلقاً للسباع والوحوش». وقيل له: إنك لتبكي دهرك فلو قتلت نفسك، لما زدت على هذا؟ فقال: «نفسي قتلتها وعليها أبكي».

(٢) في جلاء العيون ٣: ١٥ عن الإمام الصادق عليه السلام إنّه قال: «إن علي بن الحسين عليه السلام بكى على أبيه عشرين سنة - وفي رواية أربعين سنة - وما وضع بين يديه طعاماً إلا بكى، وما أوتي بشراب إلا بكى حتّى يتضاعف ذلك الماء، حتّى قال له مولى له: جعلت فداك يابن رسول الله إنّي أخاف أن تكون من الهالكين...».

٣٧٢.....رسائل الشعائر الحسينية / ج ١

وهذا بظاهره من غرائب الأخبار، فإنّ العيون لاتسيل دموعها دماً، ولذلك كنت أحتمل وقوع التحريف فيه، وأنّ الصحيح (دمعاً) بدل (دماً)، لكنّي وجدت المخطوط والمطبوع من الجلاء وغيره كما هو مروى فيه.

وعليه فأقرب توجيهاً أن يقال: إنّ العيون وإن لم تبك دماً، لكنها لكثرة البكاء والاحتراق تنقرح أجفانها، فإذا اشتدّ البكاء تنفجر القروح دماً يمتزج بالدموع، فهو إذاً سال في الإناء يسيل كأنه دم، ويصدق حينئذ أن يقال: يملأ الإناء دماً.

وإذا ساغ للسجاد عليه السلام أن يسيل الدم باختياره من عضو من أعضائه ببكاء الدم أو بتقريح الجفن جزعاً وهلعاً على رزية الحسين عليه السلام، فما هو إذاً شأن ما يصدر من الشيعة من ضرب السلاسل والقامات؟!

وهل سيلان دم السجاد في الإناء أهون من انتشار قطرات من دم رأس الجريح على ثيابه حزناً على تلك الفادحة العظيمة؟!

ثم أقول: بهذا الاعتبار أيضاً - مضافاً إلى ما سلف من قوله عليه السلام: «على مثله تلطم الخدود وتشقّ الجيوب»^(١) - يرفع الاستبعاد عمّا روي في الكتب من أنّ عقيلة آل محمد ﷺ في موارد عديدة لطمت وجهها وشقّت جيبيها وصاحت ودعت بالويل والثبور^(٢).

(١) التهذيب ٨: ٣٢٥ حديث ١٩٩.

(٢) في وقعة الطف لأبي مخنف الغامدي الأسدي: ٢٢٩ - ٢٣٠ - وعنه في تاريخ الطبري ٥: ٤٢٠.

عن علي بن الحسين بن علي عليه السلام قال: «إنّي جالس في تلك العشية التي قُتل أبي صبيحتي،

وعمتي زينب عندي تمرّضني، إذ اعتزل أبي بأصحابه في خباء له، وعنده حوَيّ مولى أبي ذر الغفاري، وهو يعالج سيفه ويصلحه، وأبي يقول:

يا دهر أفت لك من خليل كم لك بالإشراق والأصيل
من صاحب أو طالب قتيل والدّهر لا يقنع بالبديل
وإنّما الأمر إلى الجليل وكلّ حيّ سالك سبيلي

فأعادها مرّتين أو ثلاثاً حتّى فهمتها فعرفت ما أراد، فخنقنتني عبرتي، فرددت دمعي ولزمت السكون، وعلمت أنّ البلاء قد نزل.

فأمّا عمّتي فإنّها سمعت ما سمعت، وهي امرأة، وفي النساء الرقة والجزع، فلم تملك نفسها أن وثبت تجرّ ثوبها - وأنّها لحاسرة - حتّى انتهت إليه، فقالت: واثكلاه! ليت الموت أعدمني الحياة! اليوم ماتت فاطمة أمّي، وعلي أبي، وحسن أخي، يا خليفة الماضي وثمان الباقي!

فنظر إليها الحسين عليه السلام فقال: أختة! لا يذهبن بحلمك الشيطان!

قالت: بأبي أنت وأمّي يا أبا عبد الله! استقتلت؟ نفسي فداك.

فردّ غصّته وترقرقت عيناه وقال: لو ترك القطا ليلاً لنام!

قالت: يا ويلتي! أتغصب نفسك اغتصاباً؟! فذلك أقرح لقلبي وأشدّ على نفسي! ولطمت وجهها، وأهوت إلى جيبها وشقّته وخرّت مغشياً عليها!

فقام إليها الحسين عليه السلام فصبّ على وجهها الماء وقال لها:

يا أختة! اتقي الله وتعزّي بعزاء الله، واعلمي أن أهل الأرض يموتون، وأنّ أهل السماء لا يبقون، وأنّ كلّ شيء هالك إلّا وجه الله الذي خلق الأرض بقدرته، ويبعث الخلق فيعودون، وهو فرد وحده، أبي خير منّي، وأمّي خير منّي، وأخي خير منّي ولي ولهم ولكلّ مسلم برسول الله أسوة».

وانظر أيضاً الملهوف على قتلى الطفوف للسيد ابن طاووس: ١٤٠ - ١٤٢.

وفي وقعة الطف لأبي مخنف الغامدي الأسدي: ٢٩٥ - وعنه في تاريخ الطبري ٤٥٥ - ٤٥٦

فإنه لا حامل لها على شق الجيب إلا الجزع في مصابٍ حق أن تشق له القلوب لا الجيوب، كما صرح بذلك سيّدنا العلامة السيّد إسماعيل الصدر قدّس سرّه في بعض حواشيه.

وكيف لا تفعل ذلك في مصاب جزع له وبكي إبراهيم خليل الرحمن وموسى كليمه، كما في الخبر^(١)!

❦ - «قال قرّة بن قيس التميمي: لا أنسى زينب ابنة فاطمة حين مرّت بأخيها الحسين عليه السلام صريعاً وهي تقول: يا محمّداه! يا محمّداه! صلّى عليك ملائكة السماء، هذا حسين بالعراء، مرّمل بالدماء، مقطّع الأعضاء، يا محمّداه! وبناتك سبايا، وذريتك مقتلة تسفي عليها الصبا!

(١) روى الشيخ الصدوق في عيون أخبار الإمام الرضا عليه السلام ٢: ١٨٧ حديث ١ والخصال: ٥٨ حديث ٧٩ بسنده عن الفضيل، قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: «لَمَّا أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام أَنْ يَذْبَحَ مَكَانَ ابْنِهِ إِسْمَاعِيلَ الْكَبْشَ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَيْهِ، تَمَنَّى إِبْرَاهِيمَ عليه السلام أَنْ يَكُونَ قَدْ ذَبَحَ ابْنَهُ إِسْمَاعِيلَ بِيَدِهِ، وَأَنَّهُ لَمْ يُؤْمَرْ بِذَبْحِ الْكَبْشِ مَكَانَهُ لِيَرْجِعَ إِلَى قَلْبِهِ مَا يَرْجِعُ إِلَى قَلْبِ الْوَالِدِ الَّذِي يَذْبَحُ أَعَزَّ وَلَدَهُ عَلَيْهِ بِيَدِهِ، فَيَسْتَحَقُّ بِذَلِكَ أَرْفَعَ دَرَجَاتِ أَهْلِ الثَّوَابِ عَلَى الْمَصَائِبِ.

فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: يا إبراهيم، من أحبّ خلقي إليك؟ فقال: يا ربّ، ما خلقت خلقاً هو أحبّ إليّ من حبيبك محمّد عليه السلام.

فأوحى الله إليه: أفهو أحبّ إليك أم نفسك؟

قال: بل هو أحبّ إليّ من نفسي.

قال: فولده أحبّ إليك أم ولدك؟

قال: بل ولده.

قال: فذبح ولده ظلماً على يدي أعدائه أوجع لقلبك أو ذبح ولدك بيدك في طاعتي؟

قال: يا ربّ، بل ذبحه على أيدي أعدائه أوجع لقلبي.

. وفي آخر: إن فاطمة عليها السلام لما أخبرها النبي ﷺ بقتل الحسين جزعت وشقّ عليها^(١).

وفي خبر آخر: إنها تنظر كل يوم إلى مصرع الحسين عليه السلام فتشهق شهقة تضرب لها الموجودات^(٢).

❦ قال: يا إبراهيم، فإن طائفة تزعم أنها من أمة محمد ﷺ ستقتل الحسين ابنه من بعده ظلماً وعدواناً كما يذبح الكباش، ويستوجبون بذلك سخطي، فجزع إبراهيم عليه السلام لذلك وتوجّع قلبه، وأقبل يبكي، فأوحى الله عزّ وجلّ: يا إبراهيم، قد فديت جزعك على ابنك إسماعيل لو ذبحته بيدك بجزعك على الحسين وقتله، وأوجبت لك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب؛ وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾.

(١) قال العلامة المجلسي في بحار الأنوار ٤٤: ٢٩٢ - ٢٩٣، حديث ٣٧، رأيت في بعض تأليفات بعض الثقات من المعاصرين: روي أنه لما أخبر النبي ﷺ ابنته فاطمة بقتل ولدها الحسين وما يجري عليه من المحن بكت فاطمة بكاء شديداً، وقالت: يا أبت متى يكون ذلك؟

قال: في زمان خال مني ومنك ومن علي، فاشتدّ بكاؤها وقالت: يا أبت فمن يبكي عليه؟ ومن يلتزم باقامة العزاء له؟

فقال النبي: يا فاطمة إن نساء أمتي يبكون على نساء أهل بيتي، رجالهم يبكون على رجال أهل بيتي، ويجددون العزاء جيلاً بعد جيل، في كل سنة، فإذا كان القيامة تشفعين أنت للنساء وأنا أشفع للرجال، وكل من بكى منهم على مصاب الحسين أخذنا بيده وأدخلناه الجنة.

يا فاطمة! كل عين باكية يوم القيامة، إلا عين بكت على مصاب الحسين فإنها ضاحكة مستبشرة بنعيم الجنة.

(٢) روى الشيخ ابن قولويه القمي في كامل الزيارات: ١٦٩ - ١٧١ حديث ٢٢٠ بسنده عن أبي بصير قال: كنت عند أبي عبد الله أحدثه، فدخل عليه ابنه فقال له: مرحباً، وضّمه

وفي غيره قال: سمعت أبا ذر وهو يومئذٍ قد أخرجه عثمان إلى الربرة فقال
الناس: يا أبا ذر أبشر فهذا قليل في الله.

فقال: ما أيسر هذا، ولكن كيف أنتم إذا قتل الحسين بن علي قتلاً؟! أو قال:

❦ وقبّله وقال: حَقَّ الله من حَقِّركم، وانتقم مَنَ وتركم، وخذل الله من خذلكم، ولعن الله من
قتلكم، وكان الله لكم ولياً وحافظاً وناصرأ، فقد طال بكاء النساء وبكاء الأنبياء
والصديقين والشهداء وملائكة السماء.

ثم بكى وقال: يا أبا بصير، إذا نظرت إلى ولد الحسين عليه السلام أتاني ما لا أملكه بما أتى أبيهم
والإيهم.

يا أبا بصير، إنَّ فاطمة عليها السلام لتبكيه وتشق، فتزفر جهنم زفرة لولا أنَّ الخزنة يسمعون
بكاءها وقد استعدوا لذلك مخافة أن يخرج منها عنق أو يشرد دخانها فيحرق أهل
الأرض فيكبحونها ما دامت باكية ويزجرونها ويوثقون من أبوابها مخافة على أهل
الأرض، فلا تسكن حتَّى يسكن صوت فاطمة الزهراء، وأنَّ البحار تكاد أن تنفثق فيدخل
بعضها على بعض، وما منها قطرة إلَّا بها ملك موكل، فإذا سمع الملك صوتها أطفأ
ثورانها بأجنحته، وحبس بعضها على بعض مخافة على الدنيا وما فيها ومن على
الأرض، فلا تزال الملائكة مشفقين يبكون لبكائها، ويدعون الله ويتضرعون إليه،
ويتضرع أهل العرش ومن حوله، وترتفع أصوات الملائكة بالتقديس لله مخافة على أهل
الأرض، ولو أنَّ صوتاً من أصواتهم يصل إلى الأرض لصعق أهل الأرض وتقطعت
الجبال، وزلزلت الأرض بأهلها.

قلت: جعلت فداك، إنَّ هذا الأمر عظيم، قال: غيره أعظم منه ما لم تسمعه.

ثم قال: يا أبا بصير، أمَّا تحبُّ أن تكون فيمن يُسعد فاطمة عليها السلام؟

فبكت حين قالها، فما قدرت على النطق وما قدر على كلامي من البكاء.

ثم قام إلى المصلّى يدعو، فخرجت من عنده على تلك الحال، فما انتفعت بطعام، وما جاءني
النوم، وأصبحت صائماً وجلأً حتَّى أتيته، فلما رأيته قد سكن سكنت وحمدت الله حيث
لم تنزل بي عقوبة.

ذبح ذبحاً، وإنَّ الله سيسل سيفه على هذه الأمة لا يغمده أبداً، ويبعث ناقماً من ذريته فينتقم من الناس، وإنَّكم لو تعلمون ما يدخل على أهل البحار وسكان الجبال في الفيافي والآكام وأهل السماء من قتله لبكيتم واللّه حتّى تزهق أنفسكم^(١).

ومن الأدلّة على ذلك - مضافاً إلى ما سلف وإن كان فيه غنى وكفاية - ما دلّ على إدماء الله كثيراً من أنبيائه لأجل أن يحصل لهم الفوز بدرجة المواساة للحسين عليه السلام.

فمن ذلك المروي في البحار والأنوار أن آدم عليه السلام لما انتهى في طوافه في الأرض إلى كربلاء، عثر في الموضع الذي قتل فيه الحسين عليه السلام حتّى سال الدم من رجله^(٢).

(١) روى ابن قولويه في كامل الزيارات: ١٥٣ - ١٥٤ حديث ١٩٠ بسنده عن عروة بن الزبير قال: سمعت أبا ذر وهو يومئذ قد أخرجه عثمان إلى الرّيدة فقال له الناس: يا أبا ذر أبشر فهذا قليل في الله.

فقال: ما أيسر هذا، ولكن كيف أنتم إذا قتل الحسين بن علي قتلاً، أو قال ذبح ذبحاً، والله لا يكون في الإسلام بعد قتل الخليفة أعظم قتيلاً منه، وإنَّ الله سيسل سيفه على هذه الأمة لا يغمده أبداً، ويبعث ناقماً [قائماً] من ذريته فينتقم من الناس، وإنَّكم لو تعلمون ما يدخل على أهل البحار، وسكان الجبال في الغياض والآكام، وأهل السماء من قتله، لبكيتم والله حتّى تزهق أنفسكم، وما من سماء يمرّ به روح الحسين عليه السلام إلّا فزع له سبعون ألف ملك، يقومون قياماً ترعد مفاصلهم إلى يوم القيامة، وما من سحابة تمرّ وترعد وتبرق إلّا لعنت قاتله، وما من يوم إلّا وتعرض روحه على رسول الله فيلتيقان.

(٢) بحار الأنوار ٤٤: ٢٤٢ حديث ٣٧، الأنوار النعمانية ١: ٢٢٩. وروى مرسلًا: أن آدم لما

وكذلك إبراهيم عليه السلام لما مرّ بها عثر فرسه فسقط وشجّ رأسه وسال دمه^(١).

هبط إلى الأرض لم ير حواء، فصار يطوف الأرض في طلبها، فمرّ بكر بلّاء فاغتم وضاق صدره من غير سبب، وعثر في الموضع الذي قتل فيه الحسين عليه السلام، حتّى سال الدّم من رجله، فرفع رأسه إلى السماء وقال: إلهي هل حدث منّي ذنب آخر فعاقبتني به؟ فأبني طفت جميع الأرض، وما أصابني سوء مثل ما أصابني في هذه الأرض. فأوحى الله إليه: يا آدم ما حدث منك ذنب، ولكن يُقتل في هذه الأرض ولدك الحسين ظلماً، فسال دمك موافقة لدمه.

فقال آدم: يا ربّ أكون الحسين نبياً؟

قال: لا، ولكنّه سبط النبيّ محمّد.

فقال: ومن القاتل له؟

قال: قاتله يزيد لعين أهل السماوات والأرض.

فقال آدم: فأبني شيء أصنع يا جبرئيل؟

فقال: لعنه يا آدم، فلعله أربع مرّات ومشى خطوات إلى جبل عرفات فوجد حواء هناك.

(١) في بحار الأنوار ٤٤: ٢٤٣ حديث ٣٩: وروي أنّ إبراهيم عليه السلام مرّ في أرض كربلا وهو

راكب فرساً فعثرت به وسقط إبراهيم وشجّ رأسه وسال دمه، فأخذ في الاستغفار

وقال: إلهي أيّ شيء حدث منّي؟

فنزل إليه جبرئيل وقال: يا إبراهيم ما حدث منك ذنب، ولكن هنا يقتل سبط خاتم الأنبياء،

وابن خاتم الأوصياء، فسال دمك موافقة لدمه. قال: يا جبرئيل ومن يكون قاتله؟

قال: لعين أهل السماوات والأرضين، والقلم جرى على اللوح بلعنه بغير إذن ربّه، فأوحى الله

تعالى إلى القلم إنك استحققت الثناء بهذا اللعن.

فرفع إبراهيم عليه السلام يديه ولعن يزيد لعناً كثيراً، وأمّن فرسه بلسان فصيح، فقال إبراهيم

لفرسه: أيّ شيء عرفت حتّى تؤمّن على دعائي؟

فقال: يا إبراهيم أنا أفخر بركوبك علي، فلمّا عثرت وسقطت عن ظهري عظمت خجلتي

وكان سبب ذلك من يزيد لعنه الله تعالى.

وكذلك موسى عليه السلام حين جاء كربلاء انخرق نعله وانقطع شراكه ودخل الحسك في رجليه وسال دمه ^(١).

وكلّ هؤلاء لما ذعروا من ذلك وخشوا أن يكون ذلك لذنّب حدث منهم، أوحى الله إلى كلّ واحد منهم أن لا ذنّب لك، ولكنّ يقتل في هذه الأرض الحسين ابن علي عليه السلام، وقد سال دمك موافقة لدمه.

فإنّ في هذا الإعتار والإدعاء من الله لا عن ذنّب، والتعليل بكونه موافقة لدم الحسين عليه السلام، دلالة جليّة على جواز إدماء الإنسان نفسه مواساة له، لأنّ سيلان دمائهم مع كونه غير مقصود لهم إذا كان محبوباً لمجرّد الموافقة في السيلان، فالمقصود إسالته مواساة لهم أولى بالمحبويّة.

إنّ التأسّي بالحسين عليه السلام مندوب إليه، وقد رغب فيه الغلام الزكي يحيى بن زكريا والصادق الوعد إسماعيل، كما في الخبر عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: إنّ إسماعيل الذي قال الله عزّ وجلّ في كتابه: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ...﴾ ^(٢) لم

(١) في بحار الأنوار ٤٤: ٢٤٤ حديث ٤١: وروي أنّ موسى كان ذات يوم سائراً ومعه

يوشع بن نون، فلما جاء إلى أرض كربلاء انخرق نعله، وانقطع شراكه، ودخل الحسك

في رجليه، وسال دمه، فقال: إلهي أيّ شيء حدث منّي؟

فأوحى إليه: أنّ هنا يقتل الحسين عليه السلام وهنا يسفك دمه، فسال دمك موافقة لدمه.

فقال: ربّ ومن الحسين؟

فقيل له: هو سبط محمّد المصطفى، وابن علي المرتضى.

فقال: ومن يكون قاتله؟

فقيل: هو لعين السمك في البحار، والوحوش في القفار، والطير في الهواء.

فرفع موسى يديه ولعن يزيد ودعا عليه، وأمن يوشع بن نون على دعائه ومضى لشأنه.

(٢) مريم (١٩): ٥٤.

يكن إسماعيل بن إبراهيم، بل كان نبياً من الأنبياء بعثه الله عزّ وجلّ إلى قومه فأخذوا فروة رأسه ووجهه، فأتاه ملك فقال: إنّ الله جلّ جلاله بعثني إليك فمرني بما شئت.

فقال: لي بما يصنع بالحسين عليه السلام أسوة^(١).

بل روي أنّ غنمه التي كانت ترعى في شاطي الفرات، لمّا امتنعت من ورود الماء وسألها عن سبب الامتناع، قالت: هذه المشرعة يقتل عليها الحسين عليه السلام، فنحن لانشرب منها مواساة له^(٢).

(١) روى ابن قولويه القمي في كامل الزيارات: ١٣٧ حديث ١٦١ بسنده عن محمد بن سنان، عمّن ذكره عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: إنّ إسماعيل الذي قال الله تعالى في كتابه: ﴿واذكر في الكتاب إسماعيل أنّه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً﴾ لم يكن إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام، بل كان نبياً من الأنبياء، بعثه الله إلى قومه فأخذوه فسلخوا فروة رأسه ووجهه، فأتاه ملك عن الله تبارك وتعالى فقال: إنّ الله بعثني إليك فمرني بما شئت.

فقال: لي أسوة بما يصنع بالحسين عليه السلام.

(٢) في بحار الأنوار ٤٤: ٢٤٣ - ٢٤٤ حديث ٤٠:

وروي أنّ إسماعيل كانت أغنامه ترعى بشطّ الفرات، فأخبره الراعي أنّها لاتشرب الماء من هذه المشرعة منذ كذا يوماً، فسأل ربّه عن سبب ذلك، فنزل جبرئيل وقال: يا إسماعيل سل غنمك فإنّها تجيبك عن سبب ذلك.

فقال لها: لم. لاتشربين من هذا الماء؟

ف قالت بلسان فصيح: قد بلغنا أنّ ولدك الحسين عليه السلام سبط محمد يقتل هنا عطشاناً، فنحن لانشرب من هذه المشرعة حزناً عليه.

فسألها عن قاتله فقالت: يقتله لعين أهل السماوات والأرضين والخلائق أجمعين.

فقال إسماعيل: اللهمّ العن قاتل الحسين عليه السلام.

نصرة المظلوم ٣٨١

وقد روي امتناع بعض الأئمة من شرب الماء يوم عاشوراء مواساة للحسين عليه السلام^(١).

وورد في صومه: «لا تجعله صوم يوم كامل، ولكن أفطر بعد الزوال بساعة على شربة ماء، فعندها تجلّت الهيّجاء عن آل الرسول»^(٢).

وكان موسى بن جعفر عليه السلام: «إذا دخل شهر المحرم لا يرى ضاحكاً، وكانت الكآبة تغلب عليه حتى تمضي عشرة أيام، فإذا كان يوم العاشر كان يوم مصيبتيه وحزنه وبكائه»^(٣).

فهذه الرموز تشير إلى استحباب مواساة الحسين بتحمّل العطش، وبإدماء الرأس، وبكلّ ما يكون مصداقاً لها سوى القتل.

(١) قال ابن كثير في البداية والنهاية ٨: ١٤١: وكثير منهم لا يشرب الماء ليلتذّ موافقه للحسين لأنّه قتل عطشاناً.

(٢) وهي رواية عبدالله بن سنان، أخرجه الشيخ الطوسي في مصباح المتهجّد: ٧٢٤، وعنه في وسائل الشيعة ١٠: ٤٥٨ - ٤٥٩ حديث ٧، باب ٢١ من أبواب الصوم المندوب «عدم جواز صوم التاسع والعاشر من المحرم على وجه التبرك»، وفيها: «دخلت عليّ أبي عبدالله عليه السلام يوم عاشوراء ودموعه تنحدر على عينيه كاللؤلؤ المتساقط، فقلت: ممّ بكائك؟

فقال: أفي غفلة أنت؟! أما علمت أنّ الحسين عليه السلام أصيب في مثل هذا اليوم؟!

فقلت: ما قولك في صومه؟

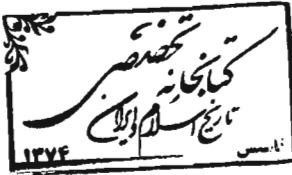
فقال لي: صمه من غير تبييت وإفطره من غير تشميت، ولا تجعله صوم يوم كاملاً، وليكن إفطارك بعد صلاة العصر بساعة على شربة من ماء، فإنّه في مثل ذلك الوقت تجلّت الهيّجاء عن آل رسول الله ﷺ.

(٣) أمالي الشيخ الصدوق: ١١١ حديث ٢، وعنه في وسائل الشيعة ١٤: ٥٠٤ - ٥٠٥ حديث ٨ باب ٦٦ من أبواب المزار وما يناسبه «استحباب البكاء لقتل الحسين...».

وإنما خصَّ الرأس بالإدماء؛ لأنَّ المواساة لاتصدق الآن عرفاً بإدماء غيره.
وربما يستأنس لهذا بما ورد من التوبيخ على ترك زيارته عند الخوف، بناءً
على ما يذهب إليه صاحب الخصائص الحسينية من شمول الخوف فيه لما عدا
تلف النفس من الجروح والأضرار البدنية حتى مع عدم ظن سلامة النفس، مدّعياً
أن ذلك من خصائصه كالجهاد معه يوم عاشوراء^(١).

وبناءً على التعدي عن موردها إلى غيره ممَّا يتعلق بالحسين عليه السلام؛ لاتّحاد
الطريق في الجميع، أو لإفهام التعميم من نحو قوله عليه السلام في بعض تلك الأخبار: «ما
كان من هذا أشدَّ فالثواب فيه على قدر الخوف»^(٢).

وقوله: «أما تحبُّ أن يراك الله فينا خائفاً»^(٣)؟



(١) الخصائص الحسينية: ٢٧٥.

(٢) روى الشيخ ابن قولويه القمي في كامل الزيارات: ٢٤٤ - ٢٤٥ بسنده عن محمد بن
مسلم أنه قال:

قال لي أبو جعفر محمد بن علي عليه السلام: «هل تأتي قبر الحسين عليه السلام؟»

قلت: نعم على خوف ووجل.

فقال: ما كان من هذا أشدَّ فالثواب فيه على قدر الخوف، ومن خاف في إتيانه آمن الله روعته
يوم القيامة، يوم يقوم الناس لرب العالمين، وانصرف بالمغفرة، وسلّمت عليه الملائكة
وزاره النبي صلى الله عليه وآله وسلم ودعا له، وانقلب بنعمة من الله وفضل لم يمسسه سوء واتبع
رضوان الله.

(٣) روى الشيخ ابن قولويه القمي في كامل الزيارات: ٢٤٣ حديث ٣٦٠ بسنده عن ابن بكير
عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: قلت له: إني أنزل الأرجان وقلبي ينازعني إلى قبر أبيك، فإذا
خرجت فقلبي وجل مشفق حتّى أرجع خوفاً من السلطان والسعاة وأصحاب المسالحي.
فقال: «يا ابن بكير أما تحبُّ أن يراك الله فينا خائفاً؟ أما تعلم أنه من خاف لخوفنا أظله الله في

قوله: «وما من سيرة يستند إليها فيها» إلى آخر كلامه.

أقول: إن مرجع الضمائر من قوله: «تجوزها» و«فيه» إلى لفظ «جهتها»، مجهول ليس لدي فقط، بل لدى كل عارف بالتعبير العربي، وهذه المجهولية هي السبب للتردد في السيرة التي ينكرها، أهى السيرة على ضرب السيوف والقامات، أو على جميع ما أنكر مشروعيته حتى خروج المواكب والشبيه الذي نسب الفرقة في علمه - صدر رسالته - إلى الإبداع في المذهب؟

والظاهر إنه يريد هذا بقرينة قوله: «أفعال وحشيّة»، وقوله: «ولو صرف المال» إلى آخر الكلام؛ لأنّ ضرب السيوف لا يكلف من المصرف مقدار نصف العشر من مصرف مأتى واحد، فكيف بزيادة مأتين، ولكنه لما كان يعلم وجود السيرة في الجملة، ويعرف أنّ في ارتكاب خلافها تضليل السلف وادّعاء عدم نفوذ الكلمة منهم، أدمج مراده بلا إفصاح.

والذي أراه وأعتقد أنه السيّد المذكور ينكر قدم السيرة بحيث تتصل بزمان المعصومين، لا أنه ينكر وجودها وقدمها في الجملة، ولكنه لا يعلم أنّ ذلك التقدّم ممّا لا حاجة إليه، لما أسلفناه من أنّ ما ليس بقديم بشخصه إذا كان مندرجاً تحت عنوان كلّ راجح كفى في رجحانه انطباق ذلك العنوان عليه وإن كانت مصداقيته له حادثه.

وهذا ما عبّرنا عنه سابقاً بكونه مأوراً به بسنخه^(١)، فإنّ المراد منه ما كان مشروعاً بعنوانه العام في قبال ما كان مشروعاً بخصوصه، وأدنى ما ينطبق على

❦ ظلّ عرشه، وكان محدّثه الحسين عليه السلام تحت العرش، وآمنه الله من أفزاع يوم القيامة، يفزع الناس ولا يفزع، فإن فزع وقرّته الملائكة وسكّنت قلبه بالبشارة.

(١) تقدّم في الصفحة: ٣٢٦.

الشبيه والمواكب بأنواعها: ذكر مصاب الحسين عليه السلام، الإبكاء عليه، إحياء أمره، الحزن لأجله، وغير ذلك من العناوين العامة التي ثبت رجحانها بالأدلة الخاصة. إن الحزن أمر قلبي نفسي، وله مظاهر هي المندوب إليها حقيقةً، ولا ريب في أنه لم ترد له من الشرع كيفة خاصة بحيث يقتصر عليها في مقام إظهار الحزن، كما أنه لا ريب أيضاً في أن مظاهره تختلف باختلاف أطوار الأمم وعاداتها وباختلاف الأحوال والأزمان.

وكذلك البكاء والإبكاء المندوب إليهما لهما أسباب ووسائل كثيرة لاتقع تحت الحصر، وليس في شيء من أخبارنا شيء يشير إلى قصرها على وسائل خاصة بحيث لا يتعدى عنها في مقام إرادة البكاء والإبكاء.

وإذا كانت المواكب بجميع أنواعها في زماننا من مظاهر الحزن، والتشبيهات بجميع أفرادها من وسائل الإبكاء، والجميع ذكرى لمصائبهم، وإحياء لأمرهم، وصلة وإسعاد ألهم، وأداء لحقهم، فبأي صفة علمية يتجرأ أحد من الجعفرية أن يقول: إنها لا دليل شرعي على تجويزها، وما من سيرة يستند إليها فيها، بل هي بنظر أرباب العقول والمعرفة أفعال وحشية^(١)؟!

إن كان صاحب الرسالة يطلب اتصال السيرة بالصدر الأول، لزمه أن يبطل لطم الصدور في الدور؛ لأنه حادث، وكذا لبس الثياب السود وإلباس الجدران بالسواد، ويبطل النار والرايات والأعلام، وكشف الرؤوس وصرف الأموال ووو؛ لأنها أمور لم تكن في زمن الأئمة، ولا حاجة له على هذا في تحريم خروج مواكب اللطم إلى وقوع الفتن فيها، بل يكفي في ذلك حدوثها.

(١) صولة الحق على جولة الباطل (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ١: ١٩١.

نظرة في التاريخ

أنا الآن أذكر لك نبذة تاريخية تعرف منها الزمن الذي ظهرت فيه المآتم بلا اتقاء وحدثت فيه المواكب والتمثيل بنفوذ ملوك الجعفرية وعلمائهم. فبالرغم من حث الأئمة عليهم السلام على التذكارات الحسينية، ما كان ينعقد فيها من المآتم إلا نحو ما كانوا يعقدونه في دورهم، يحضره - لضرب من الاتفاق - مثل أبي هارون المكفوف^(١).

(١) روى ابن قولويه القمي في كامل الزيارات: ٢٠٨ حديث ٢٩٧ بسنده عن أبي هارون المكفوف، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «يا أبا هارون أنشدني في الحسين عليه السلام». قال: فأنشدته، فبكى.

فقال: «أنشدني كما تنشدون» يعني بالرقعة. قال: فأنشدته:

أمر على جدث الحسين فقل لأعظمه الزكية
قال: فبكى، ثم قال: «زدني». قال: فأنشدته القصيدة الأخرى.

قال: فبكى، وسمعت البكاء من خلف الستر، قال: فلما فرغت قال لي: «يا أبا هارون من أنشد في الحسين عليه السلام شعراً فبكى وأبكى عشراً كتبت له الجنة، ومن

وأبي عمارة المنشد^(١) وجعفر ابن عفان^(٢) وأضرابهم؛ لأن بني أمية تمنع

➤ أنشد في الحسين شعراً فبكى وأبكى خمسة كتبت له الجنة، ومن أنشد في الحسين شعراً فبكى وأبكى واحداً كتبت لهما الجنة، ومن ذكر الحسين عليه السلام عنده فخرج من عينه من الدموع مقدار جناح ذباب كان ثوابه على الله ولم يرض له بدون الجنة». وروى أيضاً بسند آخر في كامل الزيارات: ٢١٠ حديث ٣٠١ عن أبي هارون المكفوف، قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال لي: «أنشدني» فأنشدته. فقال: «لا كما تنشدون وكما تراثيه عند قبره». قال: فأنشدته:

أمر على جدث الحسين فقل لأعظمه الزكية
قال: فلما بكى أمسكت أنا، فقال: «مر»، فمررت، قال: ثم قال: «زدني، زدني»، قال: فأنشدته:
يا مريم قومي فاندبي مولاك و على الحسين فأسعدي ببكاك
قال: فبكى وتهايج النساء، قال: فلما أن سكتن قال لي: «يا أبا هارون من أنشد في الحسين عليه السلام فأبكى عشرة فله الجنة».

(١) روى ابن قولويه القمي في كامل الزيارات: ٢٠٨ - ٢٠٩ حديث ٢٩٨ بسنده عن أبي عمارة المنشد، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال لي: «يا أبا عمارة أنشدني في الحسين عليه السلام». قال: فأنشدته فبكى، ثم أنشدته فبكى، ثم أنشدته فبكى، قال: فوالله ما زلت أنشده ويبكي حتى سمعت البكاء من الدار فقال لي:

«يا أبا عمارة من أنشد في الحسين عليه السلام شعراً فأبكى خمسين فله الجنة، ومن أنشد في الحسين شعراً فأبكى أربعين فله الجنة، ومن أنشد في الحسين شعراً فأبكى ثلاثين فله الجنة، ومن أنشد في الحسين شعراً فأبكى عشرين فله الجنة، ومن أنشد في الحسين شعراً فأبكى واحداً فله الجنة، ومن أنشد في الحسين عليه السلام شعراً فأبكى عشرة فله الجنة، ومن أنشد في الحسين عليه السلام شعراً فبكى فله الجنة، ومن أنشد في الحسين شعراً فتباكي فله الجنة».

(٢) في رجال الكشي: ٢٨٩ رقم ٥٠٨ بسنده عن زيد الشحام، قال كنا عند أبي عبد الله عليه السلام

الشعراء أن ترثي الحسين عليه السلام، بل تمنع أن يُرثى من قتل في سبيل الأخذ بثأره كالتوابين.

و أما آل العباس فلم يكونوا أقلّ تشدداً من بني أمية في الضغط على العلويين وإيذاء من ينسب إليهم، مدة خلافتهم، عدا أيام نزره في الفترة بين الدولتين وفي أيام المأمون العباسي حين يجاهر الصولي^(١) بقصيدته المستورة

❦ ونحن جماعة من الكوفيّين، فدخل جعفر بن عفان على أبي عبد الله عليه السلام فقربه وأدناه، ثم قال: «يا جعفر».

قال: لبيك جعلني الله فداك.

قال: «بلغني أنك تقول الشعر في الحسين عليه السلام وتجيد».

فقال له: نعم جعلني الله فداك.

فقال: «قل».

فأنشده عليه السلام ومن حوله حتى صارت له الدموع على وجهه ولحيته، ثم قال: «يا جعفر والله لقد شهدك ملائكة الله المقربون ها هنا يسمعون قولك في الحسين عليه السلام ولقد بكوا كما بكينا أو أكثر، ولقد أوجب الله تعالى لك يا جعفر في ساعته الجنة بأسرها وغفر الله لك»، فقال: «يا جعفر، ألا أزيدك!»

قال: نعم يا سيدي.

قال: «ما من أحد قال في الحسين شعراً فبكى وأبكى به إلا أوجب الله له الجنة وغفر له».

(١) ذكره أبو الفرج الأصفهاني في كتابه الأغاني ١٠: ٢٧١ - ٢٩١ وترجم له ترجمة مفصلة، وذكر أشعاره، قال: «إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول، وكان صول، رجلاً من الأتراك، ففتح المهلب بلده وأسلم على يديه، فهم موالى يزيد».

ثم قال: «و أما إبراهيم بن العباس وأخوه عبد الله فإنهما كانا من وجوه الكتاب، وكان عبد الله أسنهما وأشدّهما تقدماً، وكان إبراهيم أدبهما وأحسنهما شعراً».

وذكره الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٦: ١١٥ قائلاً: «أصله من خراسان، وكان كاتباً من

التي أولها:

أزالت عزاء القلب بعد التجلّد مصارع أبناء النبي محمّد^(١)

❶ أشعر الكتاب، وأرقهم لساناً، وأيدهم قولاً، وله ديوان شعر مشهور». ثم قال: وقد روى له إبراهيم بن العباس عن علي بن موسى الرضا، وتوفّي في سنة ثلاث وأربعين ومائتين».

وذكره أيضاً ابن خلكان في وفيات الأعيان ١: ٦٩ قائلاً: «الشاعر المشهور، كان أحد الشعراء المجيدين، وله ديوان شعر كلّهُ نُحِبُّ وهو صغير». ثم قال: «وهم ابن أخت العباس بن الأحنف الحنفي الشاعر المشهور» ثم قال: «قال دعبل بن علي الخزاعي: لو تكسّب إبراهيم بن العباس بالشعر لَتَرَكْنَا في غير شيء». وترجم له ياقوت الحموي ترجمة مفصلة في مجمع الأدباء ١: ١٦٤ - ١٩٨ وذكر الكثير من شعره.

(١) في الأغاني ١٠: ٢٧٧: «إن إبراهيم بن العباس الصولي دخل على الرضا لمّا عقد له المأمون ولّاه العهد، فأنشده قوله:

أزالت عزاء القلب بعد التجلّد مصارع أولاد النبي محمّد

فوهب له عشرة آلاف درهم من الدراهم التي ضربت باسمه، فلم تزل عند إبراهيم، وجعل منها مهور نسائه، وخلف بعضهما لكفنه وجهازه إلى قبره.

وفي عيون أخبار الإمام الرضا عليه السلام ٢: ١٥٣ - ١٥٤ روى الشيخ الصدوق بسنده عن هارون ابن عبد الله المهلبّي قال: لمّا وصل إبراهيم بن العباس ودعبل بن علي الخزاعي إلى الرضا عليه السلام وقد بويع له بالعهد - أنشد دعبل:

مدارس آيات خلت من تلاوة و منزل وحي مقفر العرصات

و أنشده إبراهيم بن العباس:

أزالت عناء القلب بعد التجلّد مصارع أولاد النبي محمّد

فوهب لهما عشرين ألف درهم من الدراهم التي عليها اسمه كان المأمون أمر بضربها في

ويقوم الخزاعي^(١) منشداً بحضرة المأمون قصيدته المشهورة التي منها:

❦ ذلك الوقت. قال: فأما دعبل فصار بالعشرة آلاف التي حصّته إلى قوم، فباع كلّ درهم بعشرة دراهم، فتخلّصت له مائة ألف درهم، وأما إبراهيم فلم تزل عنده بعد أن أهدى بعضهما وفرّق بعضها على أهله إلى أن توفي رحمه الله وكان كفنه وجهازه منها».

(١) هو أبو علي، وقيل: أبو جعفر، دعبل بن علي بن رزين الخزاعي، وقيل: إنّ دعبلاً لقبه واسمه الحسن، وقيل: عبد الرحمن، وقيل: محمد.

شاعر مطبوع مفلّق، من أهل الكوفة، ولد فيها سنة ١٤٨ هـ، وكان أكثر مقامه ببغداد، وسافر إلى غيرها من البلدان كدمشق ومصر وخراسان.

كان متفانياً في حبّ أهل البيت عليهم السلام، وهو الذي يقول - كما في الأغاني ٢٠: ١٣٣ - حملت خشبتي على كتفي منذ خمسين سنة لست أجد أحداً يصلبني عليها.

أخذ الشعر عن أستاذه صريع الغواني مسلم بن الوليد واستقى من بحره، وله عدّة مؤلّفات، منها: كتاب الواحدة (في مناقب العرب ومثالبها)، وكتاب طبقات الشعراء، وله ديوان شعر مجموع.

انظر: شذرات الذهب ٢: ١١ تاريخ بغداد ٨: ٢٨٢، وفيات الأعيان ٢: ٢٦٦ لسان الميزان ٢: ٤٣٠، معجم الأدباء ١١: ٩٩، الغدير ٢: ٣٦٣.

وذكر النجاشي في رجاله ١: ٣٧١ عن ابن أخيه أنّه رأى الإمام الكاظم عليه السلام، ولقي الإمام الرضا عليه السلام.

وعده ابن شهر آشوب في المعالم: ١٣٩: من أصحاب الإمامين الكاظم والرضا عليهم السلام.

وذكره العلامة الحلي وابن داود في القسم الأوّل من رجاليهما.

الخلاصة: ٧٠، رجال ابن داود: ١٤٧.

أمّا وفاته فقد ورد في المصادر أنّه قتل وهو شيخ كبير في سنة ٢٤٦ هـ بعد أن عاش سبعاً وتسعين سنة وعدّة شهور من السنة الثامنة، وسبب قتله أنّ مالك بن طوق بعث رجلاً ليقتله وأعطاه عشرة آلاف درهم، فلحقه إلى الأهواز وقتله هناك.

انظر ميزان الاعتدال ٢: ٢٧ رقم ٦٧٣: تنقيح المقال ١: ٤١٧، الغدير ٢: ٣٨٥.

مدارس آياتٍ خلَّت من تلاوةٍ و منزل وحي مقفر العرصات^(١)

(١) جزء من قصيدة شعرية تائية رائعة، قالها دعبل الخزاعي في أهل البيت عليه السلام، وأنشدها أول مرة بحضور الإمام الرضا عليه السلام في خراسان، بعد أن بويع بولاية العهد في زمن المأمون.

وتعتبر هذه القصيدة من أحسن الشعر وأسنَى المدائح المقلوبة في أهل البيت عليه السلام. وقد ذكر العلامة الأميني في الغدير ٢: ٢٤٩ أنَّ عدد أبياتها هو مائة وواحد وعشرون بيتاً، والموجود في ديوانه المطبوع: ١٢٤ - ١٢٥ مائة وخمسة عشر بيتاً فقط. علماً بأنَّ كثيراً من المصادر لم تذكر القصيدة كاملة، بل من البيت الثلاثين منها: (مدارس آيات...)؛ لأنَّ دعبل أنشدها الإمام الرضا عليه السلام من هذا البيت، ولم ينشدها من أولها، والذي هو في التشبيب والغزل.

قال ابن شهر آشوب في المناقب ٢: ٢٩٤: قيل لدعبل: لم بدأت بـ(مدارس آيات...)؟ قال: استحييت من الإمام أن أنشده التشبيب فأنشدته المناقب. وقد وصف الكثير من الموسوعات التاريخية والأدبية كيفية إنشادها، وما حصل للإمام عليه السلام حين سماعها، وما جرى لدعبل بعد ذلك من أحداث.. قال الأصفهاني في الأغاني ٢٠: ١٦٢ - ١٦٣: قال دعبل: دخلت على علي بن موسى الرضا عليه السلام بخراسان، فقال لي: «أنشدني شيئاً ممّا أحدثت»، فأنشدته: (مدارس آيات...) حتّى انتهيت إلى قولي:

إذا وتروا مدّوا إلى واتريهم - أكفأ عن الأوتار منقبضات

فبكى الإمام حتّى أغمى عليه، وأومأ إليّ خادم كان على رأسه: أن اسكت. فسكت ساعة... ثم قال لي: «أعد». فأعدت حتّى انتهيت إلى هذا البيت أيضاً، فأصابه مثل الذي أصابه في المرّة الأولى، وأومأ الخادم إليّ: أن اسكت. فسكت، ومكثت ساعة أخرى...

ثم قال لي: «أعد». فأعدت حتّى انتهيت إلى آخرها.

فقال لي: «أحسنّت» ثلاث مرّات.

ثم أمر لي بعشرة آلاف درهم ممّا ضرب باسمه، ولم تكن دفعت إلى أحد بعد، وأمر لي من

❦ في منزله بحلي كثير أخرجه إليّ الخادم، فقدمت العراق فبعت كلّ درهم منها بعشرة دراهم اشتراها منّي الشيعة، فحصل لي مائة ألف درهم.

قال ابن مهرويه: وحدثني حذيفة بن محمد: أنّ دعبلأ قال له: إنّه استوهب من الرضا عليه السلام ثوباً قد لبسه؛ ليجعله في أكفانه، فخلع جبّة كانت عليه فأعطاه إيّاها.

فبلغ أهل قم خبرها، فسألوه أن يبيعهم إيّاها بثلاثين ألف درهم، فلم يفعل، فخرجوا عليه في الطريق فأخذوها منه غصباً، وقالوا له: إن شئت أن تأخذ المال فافعل، وإلا فأنت أعلم.

فقال لهم: إني والله لا أعطيك إيّاها طوعاً، ولا تنفعكم غصباً، وأشكوكم إلى الرضا عليه السلام. فصالحوه على أن أعطوه الثلاثين ألف درهم وفرد كمّ من بطانتها، فرضي بذلك، فأعطوه فرد كمّ، فكان في أكفانه.

وكتب قصيدة: (مدارس آيات...) في ما يقال على ثوب وأحرم فيه، وأمر بأن يكون في أكفانه.

وفي مكان آخر من الأغاني ٢٠: ١٥٥ قال: قال دعبل: لمّا هربث من الخليفة، بث ليلة بنيسابور وحدي، وعزمت على أن أعمل قصيدة في عبد الله بن طاهر في تلك الليلة، فأنيّ لفي ذلك سمعتُ - والباب مردود عليّ - السلام عليكم ورحمة الله، أنج يرحمك الله. فاقشعرّ بدني من ذلك ونالني أمر عظيم.

فقال لي: لا تجزع عافاك الله، فأنيّ رجل من إخوانك من الجنّ، من ساكني اليمن، طرأ إلينا طارئ من أهل العراق فأنشدنا قصيدتك: (مدارس آيات...) فأحببتُ أن أسمعها منك.

قال: فأنشدته إيّاها، فبكى حتّى خرّ.

ثمّ قال: رحمك الله، ألا أحدثك حديثاً يزيد في نيّتك ويعينك على التمسك بمذهبك؟ قلت: بلى.

قال: مكثتُ حيناً أسمع بذكر جعفر بن محمد عليه السلام، فصرتُ إلى المدينة فسمعتّه يقول: «حدثني أبي، عن أبيه، عن جدّه، أنّ رسول الله قال: علي وشيعته هم الفائزون».

ثمّ ودّعني لينصرف، فقلت له: يرحمك الله إن رأيت أن تخبرني باسمك فافعل.

❦ قال: أنا ظبيان بن عامر.

وقال ياقوت الحموي في معجم الأدباء ١١: ١٠٣ - بعد أن ذكر قريباً ممّا في الأغاني :- كتب دعبل القصيدة في ثوب وأحرم فيه، وأوصى بأن يكون في أكفانه.

وحكى العلامة الأميني في الغدير ٢: ٣٥٢ عن الحافظ ابن عساكر في تاريخه قوله: إنّ المأمون لما ثبتت قدمه في الخلافة وضرب الدنانير باسمه، أقبل يجمع الآثار في فضائل آل الرسول، فتناهى إليه - في ما تناهى - من فضائلهم قول دعبل: (مدارِسُ آياتٍ...) فما زالت تردّد في صدر المأمون حتّى قدم عليه دعبل، فقال له: أنشدني قصيدتك التائية ولا بأس عليك، ولك الأمان من كلّ شيء فيها، فأني أعرفها وقد رويتها، إلّا أنّي أحبّ أن أسمعها من فيك.

قال: فأنشدته حتّى صرْتُ إلى هذا الموضع:

ألم تر أنّي مذ ثلاثين حجة	أروح وأغدو دائم الحسرات
أرى فيئتهم في غيرهم	
مستقسماً	وأيديهم من فيئتهم صفرات
فأل رسول الله نحف	
جسومهم	وآل زياد غلظ القصرات
بنات زياد في القصور	
مضونة	وبنت رسول الله في الفلوات
إذا وتروا مدوا إلى واتريهم	أكفأ عن الأوتار منقبضات
فلولا الذي أرجوه في يوم أو	
غدي	تقطع نفسي إثرهم حسرات

فبكى المأمون حتّى اخضلت لحيته وجرت دموعه على نحره.

وفي عيون أخبار الإمام الرضا عليه السلام ٢: ٢٦٣ عن شيخ الإسلام أبي إسحاق الحموي، عن أحمد ابن زياد، عن دعبل، قال: أنشدت قصيدة لمولاي علي الرضا عليه السلام (مدارِسُ آياتٍ...) .

➡ فلما وصلت إلى:

وَقَبْرُ بِبَغْدَادَ لِنَفْسِ زَكِيَّةَ

قال لي الرضاء **عليه السلام**: «أفلا أُلحق بيتين بقصيدتك؟!»

قلت: بلى يا بن رسول الله.

فَقَالَ:

وقبر بطووس يا لها من

مُصِيبَةٌ أَلَحَّتْ بِهَا الْأَحْشَاءُ بِالزَّفَرَاتِ

إِلَى الْحِشْرِ حَتَّى يَبْعَثُ اللَّهُ

قَائِماً يُفَرِّجُ عَنَّا الهمَّ والكُرْبَاتِ

قال دعبل: ثم قرأت باقى القصيدة، فلما انتهيت إلى قولى:

خُرُوجُ إِمَامٍ لَا مُحَالَةَ وَاقِعٌ يَقُومُ عَلَى اسْمِ اللَّهِ بِالْبَرَكَاتِ

بكى الرضا بكاءً شديداً، ثم قال: «يا دعبل! نطق روح القدس بلسانك، أتعرف من هذا

الإمام؟!!

قلت: لا، إلا أني سمعتُ بخروج إمام منكم يملأ الأرض قسطاً وعدلاً.

فقال: «إِنَّ الإمام بعدي مُحَمَّدٌ، وبعد مُحَمَّد ابنه علي، وبعد علي ابنه الحسن، وبعد الحسن

ابنه الحجّة القائم، وهو المنتظر في غيبته المطاع في ظهوره، فيملاً الأرض قسطاً وعدلاً

كما ملئت جوراً وظلماً. أمّا متى يقوم فإخبارٌ عن الوقت، لقد حدّثني أبي عن آبائه عن

رسول الله ﷺ، قال: مثله كمثل الساعة لا تأتيكم إلا بغتة».

ونذكر هنا عدّة أبيات من هذه القصيدة الرائعة، مع ترقيم كلّ بيت حسب التسلسل الوارد

فی دیوانه:

(١) تجاوبن بالإرنان والزفّرات نوائح عجم اللفظ والنطقَات

(۲) یخبرن بالأنفاس عن سرّ أنفس أساری هوّی ماضٍ وآخر آتٍ

(٣) فَأَسْعِدْنِ أَوْ أَسْعِفْنِ حَتَّى تَقْوُضَ صَفُوفُ الدَّجَى بِالْفَجْرِ مِنْهَازَاتٍ

ثم اشتد الأمر بعده وبلغ غايته في أيام المتوكل ومن بعده، إلى أن تضاعل ملكهم وضعفت قواهم، وذلك من بعد الغيبة الصغرى بزمان غير قصير، حتى تولى عزل الخلفاء ونصبهم أمراء الجند، وهم - على الأغلب - غلمانهم، وابتدأ من ذلك الوقت حكم ملوك الطوائف ومنهم البويهيون.

لما قامت الدولة البويهية في جبال الديلم وثبتت دعائمها، أسس معز الدولة أحمد بن بويه إقامة العزاء علناً يوم عاشوراء في زمن المستكفي بالله سنة ٣٥٢ هـ وبنى الدور الخاصة بإقامة المآتم (الحسينيات)، وبقي ذلك متداولاً في أيامه، وعضده بعده عضد الدولة الحسن بن بويه، وهو الذي بنى القبة المرتضوية بعد البناء الهاروني والقبة الحسينية لأول مرة، ودفن في النجف.

❦ (٤) على العرصات الخاليات من

المها

سلام شبح صب على العرصات

وردت أجاجاً طعم كل فرات

على الناس إلا بيعة الفلتات

بدعوى ثراث بل بأمر ترات

لزمت بمأمون من العثرات

ومنزّل وحي مقفر العرصات

وبالزكن والتعريف والجمرات

وحمزة والسجاد ذي الثففات

وقد مات عطشاناً بشط فرات

وأجريت دمع العين في الوجنات

نجوم سماوات بأرض فلاة

وأخرى بفتح نالها صلواتي

وقبر بباخرا لدى الغبرات

تضمنها الرحمن في الغرفات

(١٨) رزايأ أرتنا خُصرة الأفق حمرة

(١٩) وما سهلت تلك المذاهب فيهم

(٢٠) وما نال أصحاب السقيفة إمرة

(٢١) ولو قلّدوا الموصى إليه زمامها

(٣٠) مدارس آيات خلت من تلاوة

(٣١) لآل رسول الله بالخيف من منى

(٣٢) ديار علي والحسين وجعفر

(٥٣) أفاطم لو خلت الحسين مجدلاً

(٥٤) إذن للطمع الخد فاطم عنده

(٥٥) أفاطم قومي يا بنت الخير وأندبي

(٥٦) قُبور بكوفان وأخرى بطيبة

(٥٧) وقبر بأرض الجوزجان محله

(٥٨) وقبر ببغداد لنفس زكية

وما زال الأمر على ذلك في العراق وفي جبال الديلم مدة تلك الدولة بفضل اعتقاد ملوكها وتدير من وزرائها مثل صاحب بن عباد، وأعان على ذلك شدة وطأة الملوك العلوية الإسماعيلية بالمغرب ومصر، الذين جعلوا يوم عاشوراء - في كل مكان لهم سلطان عليه - يوم حزن تتعطل فيه الأسواق وتترك فيه الزينة وتقام فيه مآتم العزاء لسيد الشهداء، في مدة تزيد على مائتي عام.

وكان البذر الذي ألقته الأئمة عليهم السلام في قلوب الشيعة ما اخضر نباته إلا يومئذٍ، وما زال ينمو غراسه ويتأصل في القلوب شيئاً فشيئاً، حتى في زمن ملوك المغول المتوحشين، الذين أكثروا من القتل في الأرض نحو هولاكو خان، والسلطان محمد خدا بنده الذي تمت مآتم على يده لعلماء الشيعة الذين كانت الحلة السيفية مغرسهم، وذلك في حدود سنة ٧٠٠ هـ.

والخلافة العباسية منقرضة يومئذٍ، وكانت من قبل ذلك في مدة أربعمئة عام تقريباً اسمية فقط، وما كانت التذكارات الحسينية حينئذٍ إلا مآتم يقرأ فيها نحو كتاب المقتل، تأليف أبي مخنف، وهو من أكابر المحدثين الذين تلقى منه ابن جرير الطبري وغيره مقتل الحسين، أو كتاب الإرشاد للشيخ المفيد، أو كتاب اللهوف لابن طاووس، ويضع قصائد انفرد الشعراء من أهل الحلة خاصة بإنشائها ولم تعرف لغيرهم يومئذٍ قصيدة قط.

حتى إذا تسنم عرش الملك (ملوك الصفوية)، وهم علويون موسويون، تفننوا بإظهار ضروب الحزن على جدّهم الأعلى الحسين بن علي عليهما السلام فأحدثوا تمثيل فاجعته لعيون الملأ في يوم عاشوراء بأمر وإشارة وبتقرير وإمضاء من العلامة الفاضل المجلسي صاحب كتاب بحار الأنوار أعلى الله درجته، وذلك بعد الألف من الهجرة في أواسط المائة الحادية عشر زمن السلطان الحسين بن سليمان الصفوي.

والتمثيل يومئذٍ في دورنشاته حتى بلغ إلى ما هو عليه الآن، وقد أتى عليه

إلى هذه الأيام نحو ثلاث مائة سنة، وهو يقام في بلدان الشيعة بمرأى علمائهم ومسمع من دون إنكار منهم، فكأنهم لعدم نفوذهم - ولا أقول لجهلهم - تركوا الإنكار إلى الزمن الذي ينفرده به حضرة السيّد^(١) في البصرة والكويت!! فينكر ما جرت عليه سيرة الشيعة وأيدته علماؤها وانطبقت عليه من العناوين الراجحة التي تضمّنتها أخبار الأئمة الأطهار ما لا يحصى كثرة.

أنا لا أبخس هذا الرجل حقّه من الفضل في بعض النقليات، لكنّه لم يخلق للإفتاء، ولا للخوض في الفنون الدقيقة والأسرار الغامضة، والمرء ميسّر لما خلق له^(٢)، وهذا عذره عندي في ما ارتبك فيه، وهو عذري عنده فيما ارتكبه في هذه الرسالة.

لقد مرّ زمن - وهو أوائل المائة الثانية عشر - والمبرّز بالعلم والفضل والورع في إيران وخاصة بالري وقم الميرزا أبو القاسم القمي^(٣).

(١) السيّد محمّد مهدي الموسوي القزويني البصري (ت ١٣٥٨ هـ) صاحب رسالة «صولة الحقّ على جولة الباطل» (المطبوعة ضمن هذه المجموعة).

(٢) قال النبي ﷺ: «كلّ ميسّر لما خلق». صحيح البخاري ٨: ٢١٥ كتاب التوحيد، صحيح مسلم ٨: ٤٨ باب كيفية خلق آدمي، سنن أبي داود ٢: ٤١٥ باب القدر، سنن الترمذي ٤: ٣٥٢ باب من سورة هود، مسند أحمد بن حنبل ١: ٦.

(٣) الشيخ الميرزا أبو القاسم ابن المولى محمّد حسن الشّفتي الجيلاني القمي، اشتهر بالميرزا القمي لتوطنه بها. كان رحمه الله علماً من أعلام الشيعة الإمامية وفقهائها، محققاً متقناً متقيّاً ورعاً ثقة عدلاً، ويدلّ على فضله وتحقيقه كتابه «القوانين». حضر على أساتذة عصره، وتخرج من عالي دروسه الكثير من العلماء والفضلاء. له عدّة مؤلّفات - إضافة للقوانين - منها: الغنائم، والمنهاج، ومرشد العوام، والإرث، وأرجوزة في المعاني والبيان. توفي في قم سنة ١٣٣١ هـ.

انظر: معارف الرجال ١: ٤٩.

وفي أصفهان وفارس وبلاد الجبل الإمام الشفطي السيّد محمّد باقر الرشتي^(١) صاحب كتاب مطالع الأنوار.

وفي العراق بل وإيران وأكثر البلدان الشيخ جعفر النجفي كاشف الغطاء^(٢).

(١) السيّد محمّد باقر ابن السيّد محمّد تقي، المشهور بحجّة الاسلام الرشتي الأصفهاني، يرجع نسبه إلى الإمام الكاظم عليه السلام، كان رحمه الله عالماً محققاً، وعلماً من أعلام الشيعة، وحصناً من حصون الشريعة، عاملاً بعلمه زعيماً دينياً ثقة ورعاً أميناً، اتفق له من بسط اليد والنفوذ ما لا يتفق لأحد من العلماء والزعماء من أساتذته العظام، فكان يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر ويقيم الحدود الشرعية بما أمر الله تعالى شأنه به، وكان لا تأخذه في الله لومة لائم ولا عاذل، وقد يقيم الحدّ بنفسه من تعزيز وشبهه. حضر على فضلاء عصره كالسيّد محمّد باقر البهبهاني، والسيّد علي صاحب الرياض، والسيّد محمّد مهدي بحر العلوم، والشيخ جعفر كاشف الغطاء، والسيّد محسن الأعرجي، والميرزا أبي القاسم القمي. وتخرّج من عالي دروسه جمّ غفير من الفضلاء وخلف مجموعة من المؤلفات - إضافة لمطالع الأنوار - منها: كتاب القضاء والشهادات، الزهرة الباهرة في الأصول، وجوابات المسائل، وله رسائل عديدة، توفي رحمه الله في أصفهان سنة ١٣٦٠هـ.

انظر: معارف الرجال ٢: ١٩٥.

(٢) الشيخ الأكبر الشيخ جعفر ابن الشيخ خضر ابن الشيخ يحيى الجناحي النجفي، شيخ الطائفة في عصره عند الإمامية في الأقطار الإسلامية عامّة والعراق وإيران خاصّة، العلم الذي استظلّ به المسلمون في أمر الدين والدنيا والفتاوى. كان من العلم والتقوى والصلاح والزهد والعبادة والورع بمكان عظيم وله مع ملوك عصره من المسلمين في العراق وإيران مواقف مشهودة. كان شديد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وله مواقف مشهورة في إنكار المنكرات ومنع بيع الخمر وعمله. حضر على أساتذة عصره كالشيخ محمّد مهدي الفتّوني العاملي، الشيخ محمّد تقي الدورقي، والسيّد

وهؤلاء في الاشتهار ونفوذ الكلمة بمنزلة لا توصف، ومع اجتماعهم في الزمن وشدة النفوذ منهم كان التمثيل يقع بمرئى منهم ومسمع ولا منكر منهم. نعم صرح كاشف الغطاء بأن الأولى ترك تشبيه الرؤوس وتشبيه النساء في محافل الرجال فحسب^(١).

أترى كاشف الغطاء والسيد الرشتي المذكور يمضيان ذلك ويمنعه أستاذهما بحر العلوم الطباطبائي أو أستاذه الوحيد البهبهاني أستاذ الكل، أو العلامة المجلسي؟!

كلّا ثمّ كلّا.

إنّ السيد محمّد باقر المذكور كان - لنفوذ كلمته - يقتل القاتل، ويقطع يد السارق، ويرجم الزاني ويقيم سائر الحدود. وهو أوّل من أحرز لقب حجة الاسلام في الشيعة، ومع ذلك لم ينكر ما يصنع في إيران من الأعمال الحسينية، وهي في جميع ذلك القطر الواسع تقع بنحو لا يكون ما يقع في العراق كلّه إلّا جزء من مائة جزء منه أو أقل.

صادق الفخام والوحيد البهبهاني، وتخرّج من عالي دروسه جماعة كبيرة من العلماء، وخلف عدّة مؤلفات منها: كشف الغطاء، وكتاب الطهارة، وبغية الطالب، والقواعد الجعفرية، والحقّ المبين، وغاية المأمول في علم الأصول: توفي رحمه الله سنة ١٢٢٧ هـ في مدينة النجف الأشرف ودفن بها.

انظر معارف الرجال ١: ١٥٠.

(١) انظر كشف الغطاء ١: ٥٤.

النجف وعمل الشبيه

تمتاز النجف - وهي مغرس علماء الشيعة - بعمل الشبيه عن جميع البلدان العراقية، وذلك أنه كان في النجف ميدان واسع طولاً وعرضاً، لو اجتمع فيه أهل البلدة جميعاً يومئذٍ لوسعهم، قد أكلته العمارة اليوم ولم يبق منه إلا خطّ طولي وهو شارع محدود.

كان هذا الميدان - من أزمنة قديمة - محلاً لإقامة الشبيه في عشرة أيام من شهر المحرم، ويقوم بتمثيل واقعة الطف جماعة كثيرة من أهل المعرفة، فيمثلون كل يوم نبذة ممتعة من تلك الواقعة، إلى اليوم العاشر.

ودام هذا إلى أيام المحقق الشيخ مرتضى الأنصاري^(١)، والسيد علي آل

(١) الشيخ مرتضى ابن الشيخ محمد أمين الأنصاري التستري النجفي، كان رحمه الله فقيهاً أصولياً متبحراً في الأصول، لم يسمح الدهر بمثله، كان أهل زمانه يضربون به المثل في زهده وتقواه وعبادته وقداسته. حضر على أعلام عصره كالسيد محمد المجاهد وشریف العلماء والشيخ موسى ابن الشيخ جعفر كاشف الغطاء، ثم استقل بالتدريس، وأطبقت الشيعة الإمامية على تقليده في شرق الأرض وغربها، ألف عدة كتب منها: المكاسب، كتاب الطهارة، الصلاة، الصوم، الزكاة، الخمس، الفرائد في علم

٤٠٠.....رسائل الشعائر الحسينية / ج ١

بحر العلوم^(١)، وسائر السلف الصالح من آل كاشف الغطاء وصاحب الجواهر، حتّى أوائل أيام الرئاسة الكبرى للسيد الميرزا محمد حسن الشيرازي^(٢) نزيل سامراء. ثمّ ترك هذا التمثيل لتعمير الحكومة قسماً كبيراً من ذلك الميدان، ولغير ذلك، وصار التمثيل ما هو الجاري الآن في أيّامنا هذه.

أمّا مواكب السيوف ولطم الصدور في الطرقات فحدّث عنها ولا حرج، كثرة واستدامة، مع أنّ النجف من بين سائر البلدان ما زالت منقسمة بين فئتين

➤ الأصول، أصول الفقه. مات رحمه الله في النجف الأشرف سنة ١٢٨١ هـ.

انظر: معارف الرجال ٢: ٣٩٩.

(١) السيد علي ابن السيد رضا ابن السيد محمد مهدي آل بحر العلوم الطباطبائي النجفي، عالم محقّق وفقهه، برع في فقاھته مع غور واسع في علم الأصول، وكان رحمه الله كثير الجدّ والاشتغال في المسائل الفقهية، تلمّذ على فضلاء عصره كالشيخ علي نجل الشيخ الأكبر كاشف الغطاء، والشيخ محمد حسن النجفي صاحب الجواهر، والشيخ ملا مقصود علي، وتخرج من عالي دروسه عدد كبير من الفضلاء، وألف عدّة كتب منها: البرهان القاطع، كتاب الصوم، المكاسب، توفّي في النجف الأشرف سنة ١٢٩٨ ودفن فيها.

انظر معارف الرجال ٢: ١٠٧.

(٢) السيد الميرزا محمد حسن ابن السيد ميرزا محمود الشيرازي، كان رحمه الله فقيهاً أصولياً، ورعاً زاهداً، حضر درس الشيخ مرتضى الأنصاري، ثمّ استقلّ بالتدريس، وتخرّج من عالي دروسه عدد كبير من العلماء والمجتهدين، هاجر إلى سامراء واستقرّ بها مع جمع غفير من تلامذته، وهو صاحب الفتوى المعروفة بتحريم التنباك، توفّي في سامراء سنة ١٣١٢ هـ ودفن في مقبرته الخاصة في صحن أمير المؤمنين عليه السلام في النجف الأشرف.

انظر معارف الرجال ٢: ٢٣٣.

متقابلتين بل فئات كثيرة، وكثيراً ما يحدث العراك فيما بينهم، ولكنه لم يوجب منع العلماء إياهم من إقامة الشعارات، نعم ربما منعهم الحكومة محافظة على الأمن العام حتى تتكفل الرؤساء بعدم حدوث شيء من ذلك.

السيد الميرزا محمد حسن الشيرازي نزيل سامراء، وهو الذي انتهت إليه رئاسة الإمامية في عصره في جميع العالم، وعدّ مجدداً للمذهب الجعفري على رأس القرن الثالث عشر - كما أنّ الوحيد البهبهاني محمد باقر بن محمد أكمل مجدده في القرن الثاني عشر - قد كان أنفذ كلمة على عموم الشيعة، ملوكها وسوقتها من كلّ سابق ولاحق، وقد يوجد اليوم في كلّ بلدة كثير ممن يعرف اشتهاؤه ونفوذه، وكان مع علمه بوقوع الشبيه وخروج المواكب وما يحدث فيها من حوادث، وبضرب القامات والسيوف في بلدان الشيعة في العراق وإيران، وعدم وقوع الإنكار منه أصلاً، تقام جميع الأعمال المشار إليها في سامراء محل إقامة نصب عينيه بلا إنكار.

قد يظنّ الظانّ لأوّل وهلة أنه قدس الله سرّه لا يرى رجحان ذلك بالنظر إلى حال محيطه؛ لأنّ جميع من في البلدة - عدا النزلاء - من غير الفرقة الجعفرية وفيها أخلاط من غير المسلمين، وفي ذلك مجال الاستهزاء والسخرية.

وقد سألت كثيراً ممن كان يقطن سامراء في أيامه، فكان أقلهم مبالغة في تعظيمه لشأن المواكب والشبيه، شيخنا المتقن المتقن الشيخ محمد جواد البلاغي النجفي^(١) وعنه أنقل ما يلي:

(١) «الشيخ جواد - محمد جواد - ابن الشيخ حسن ابن الشيخ طالب البلاغي، ركن الشيعة وعمادها، وعزّ الشريعة وسنادها، صاحب القلم الذي سبّح في بحر العلوم، الناهل من

«كان الشبيه يترتب يوم العاشر في دار الميرزا قدس سره ثم يخرج للملا مرتباً، وكذلك موكب السيوف، كان أهله يضربون رؤوسهم في داره ثم يخرجون، وكانت أثمان أكفانهم تؤخذ منه، وما كان أفراد الشبيه سوى الفضلاء من أهل العلم؛ لعدم معرفة غيرهم بنظمه في قول وفعل.

وأما المواكب اللاطمة في الطرقات فكانت تتألف من أهل العلم وغيرهم، وكان السيد مهدي صاحب الصولة يومئذ أحد الطلبة اللاطمين جزء المواكب، متجرداً من ثيابه إلى وسطه، وهو من دون اللادمين مؤتزر فوق ثيابه بإزار أحمر. ودام هذا كله بجميع ما فيه إلى آخر أيام خلفه الصالح الورع الميرزا محمد تقي الشيرازي^(١) قدس سره، وكان الشبيه يترتب أيضاً في داره، ومنه تخرج

موارد المعقول والمنقول، كم صحيفة حبرها وألوكة حررها، وهو بما حبر فضح الحاخام والشماس، وبما حرر ملك رقّ الرهبان والأقساس، كان مجاهداً بقلمه طيلة عمره، وقد أوقف حياته في الذب عن الدين ودحض شبه الماديين والطبيعيين، فهو جنّة حصينة ودرع رصينة».

حضر على أعلام عصره كالشيخ محمد طه نجف، والشيخ آقا رضا الهمداني، والآخوند الخراساني، والميرزا الشيخ محمد تقي الشيرازي. وتخرج من عالي دروسه عدد كبير من العلماء. له عدة مؤلفات منها: الرحلة المدرسية، الهدى إلى دين المصطفى، أنوار الهداية، نصائح الهدى، أعاجيب الأكاذيب، أجوبة مسائل كثيرة، آلاء الرحمن في تفسير القرآن. مات رحمه الله في النجف الأشرف سنة ١٣٥٢هـ.

انظر ماضي النجف وحاضرها ٢: ٦١.

(١) الشيخ الميرزا محمد تقي ابن الميرزا محب علي الشيرازي الحائري، زعيم الثورة العراقية الكبرى، كان رحمه الله عالماً فقيهاً أصولياً، ورعاً زاهداً، حضر على أستاذه السيد الميرزا محمد حسن الشيرازي وغرف من منهل علمه الجمّ وبحر جوده الفياض،

نصرة المظلوم..... ٤٠٣

العواكب وإليه تعود، بيد أن موكب السيوف لم يتألف غير مرة؛ لأنّ القائمين به - وهم الأتراك لا غيرهم - كانوا يومئذٍ قليلين ولقّلتهم استحقروا موكبهم فتركوه من تلقاء أنفسهم». انتهى كلامه.

وإن بعد عليك عهد الشيخ الأنصاري والسيد الشيرازي، فهذا بالأمس الأفقه الأورع الشيخ محمد طه نجف^(١) قدّس سرّه، يرى في النجف بل العراق جميع الأعمال المشار إليها وهو أقدر على المنع فلا يمنع.

❦ كما تتلمذ على الشيخ محمد حسين الأردكاني والسيد علي نقي الطباطبائي الحائري. وتخرّج من عالي دروسه عدد من الفضلاء، وله عدّة مؤلّفات منها: حاشية على المكاسب، ورسالة في أحكام الخل، وأخرى في صلاة الجمعة، وشرح منظومة السيد صدر الدين العاملي في الرضاع، وله شعر عربي وفارسي. توفّي رحمه الله في كربلاء المقدّسة سنة ١٣٣٨ ودفن فيها.

انظر معارف الرجال ٢: ٢١٥.

(١) الشيخ محمد طه ابن الشيخ مهدي نجف التبريزي الحكم آبادي، هو قطب دائرة الشريعة الذي زهرت في أفق الدهر أيامه، ومنار علم الإمامية الذي خفقت في الآفاق أعلامه، من انتهت إليه الزعامة، وأقرّ له المجتهدون أهل التحقيق بالإمامة، درّة إكليل الفضل والشرف، الفقيه الأصولي الرجالي، التقى الورع الزاهد العابد، المرجع الأعلى، من رجع إليه المسلمون في العراق وإيران والسواحل والبنادر وجملت من الأقطار العربية، وتتلمذ على أفاضل عصره كالشيخ محسن خنفر، والسيد حسين الكوهكمري، وحضر قليلاً على الشيخ مرتضى الأنصاري. وتخرّج من عالي دروسه عدّة من الأفاضل. خلّف مجموعة من المؤلّفات منها: الاتصاف في مسائل الخلاف، كتاب الزكاة، كتاب النكاح، الدعائم في الأصول، إتقان المقال في أحوال الرجال، إحياء الموات في أحوال الرواة، ورسائل كثيرة متنوعة. توفّي رحمه الله في النجف الأشرف سنة ١٣٢٣ هـ ودفن فيها.

معارف الرجال ٢: ٣٠٠.

إنّ المواكب جميعاً حتّى موكب القامات تدخل إلى داره - وهي بتلك الهيئات المنكرة على ما يقول -^(١) وهو لا يحرك شفته بحرف من المنع، بيد أنّه يلطم معهم ويبيكي وهو واقف مكانه.

وكان الشيخ المذكور يقيم ما تمّ الحسين عليه السلام في داره عصرأفتغصّ بالعلماء والصلحاء وأهل الدين، وفي يوم معيّن من كلّ سنة يقع في المأتم نفسه تمثيل بعض وقائع الطفّ، ولا منكر منه ولا منهم، وهب أنّه لا يستطيع تعميم المنع، لكنّه يستطيع منع أن يصنع ذلك في داره، أو أن تدخل المواكب داره وهو يعلم أنّه قد يتقاتل ويتضارب أهل المواكب في الطرقات.

وكذا العلامة المتقن المتبحّر السيّد محمّد آل بحر العلوم الطباطبائي^(٢)، تقام في داره أعظم وأفخم مأتم النجف، ويحضره جميع أهل العلم، ويقع فيه التمثيل الذي يقع في دار الشيخ وزيادة.

(١) إشارة لقول السيّد محمّد مهدي الموسوي القزويني في رسالته «صولة الحقّ على جولة الباطل» (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ١: ١٩١؛ إذ قال فيها: «فنسأل الله سبحانه التفضّل عليهم برفض ما قد تعودوه في اللطم من المحرّمات، وسيرهم على الهيئات المنكرة من الوثبات والزعقات الوحشية».

(٢) السيّد محمّد ابن السيّد محمّد تقي ابن السيّد رضا ابن السيّد محمّد مهدي بحر العلوم الطباطبائي النجفي، كان عالماً محققاً، باعه في الفقه طويل، ونظره في أصول الفقه صائب جليل، وتحقيقاته في علم المعقول والكلام مشهورة، نال في أواسط أيامه حفاوة وسعادة وكرامة، وكان شهماً جواداً غيوراً. حضر على أساتذة عصره كالشيخ ملا باقر الشكي، والسيّد الكوهكمري، والسيّد علي صاحب البرهان القاطع. له عدّة مؤلّفات منها: بلغة الفقيه، وتعليقة على كتاب الشرائع. توفّي رحمه الله في النجف الأشرف سنة ١٣٢٦ هـ ودفن فيها.

هذا غير كون الدار المذكورة موثلاً لجميع المواكب، وبها تضرب أرباب السيوف رؤوسها من لدن أيام السيّد علي بحر العلوم^(١) أو قبله حتّى اليوم، ومنها تخرج إلى الشوارع والبيوت والجواد^(٢) العموميّة وإليها تعود بلا إنكار ولا استيحاش.

وإن بعد عليك هذا العهد القريب أيضاً، فهذا المرحوم خاتمة الفقهاء السيّد محمّد كاظم اليزدي^(٣)، الذي كانت له السلطنة الروحانيّة الفدّة في عموم الشيعة،

(١) السيّد علي ابن السيّد رضا ابن السيّد محمّد مهدي بحر العلوم الطباطبائي النجفي، عالم محقق وفقهه، برع في فقاوته مع غور واسع في علم الأصول، وكان كثير الجدّ والاشتغال في المسائل الفقهيّة، وله اليد الطولى في الأدب والشعر. تتلمذ على فقهاء عصره كالشيخ علي ابن الشيخ جعفر كاشف الغطاء، والشيخ محمّد حسن النجفي صاحب الجواهر، والشيخ علي ملاً مقصود، وتخرّج من عالي دروسه عدد من الأفاضل. وله عدّة مؤلّفات منها: البرهان القاطع، وكتاب الصوم. توفي رحمه في مدينة النجف الأشرف سنة ١٢٨١ هـ ودفن فيها.

معارف الرجال ٢: ٣٨١.

(٢) الجواد، جمع الجادّة، وهي معظم الطريق. الصحاح ٢: ٤٥٢ «جدد».

(٣) السيّد محمّد كاظم ابن السيّد عبد العظيم الطباطبائي اليزدي النجفي، نال رحمه الله رئاسة واسعة النطاق خصوصاً في أيامه الأخيرة، بل أصبح الفقيه الأعظم والزعيم المطلق الذي لا يدانيه أحد، وكان بحراً متلطّماً علماً وتحقيقاً ومتانة. مستحضرًا للفروع الفقهيّة ومتون الأخبار. وكان رحمه الله مرجعاً عاماً تأتي إليه الاستفتاءات من جميع الأقطار الإسلاميّة، وكان ملحوظاً عند السلطة الحاكمة آنذاك، لما له في نفوس المسلمين من الإطاعة والنفوذ. حضر على أساتذة عصره كالشيخ مهدي ابن الشيخ علي نجل كاشف الغطاء والشيخ راضي النجفي والمجدد السيّد الميرزا محمّد حسن الشيرازي، وتخرّج من عالي دروسه عدد كبير من الفضلاء. وله عدّة مؤلّفات منها:

٤٠٦.....رسائل الشعائر الحسينية / ج ١

كانت التمثيلات تقام نصب عينيه والمواكب تخترق الشوارع بين يديه، ولم يؤثر عنه منع شيء من ذلك وهو بمكان من ثبات الرأي ونفوذ الكلمة.

وإن رمت عهداً أقرب من هذا فليس هو إلّا يومك الذي أنت فيه، انظر إلى علماء الجعفرية في كلّ مكان تجدهم وهاتيك الأعمال الحسينية كلاً أو بعضاً بمنظر منهم ومشهد، لا ينبسون ببنت شفة من الإنكار مع إمكانه.

وبما أنّ العراقيين منهم ابتلوا بالسؤال عن تلك الأعمال في هذه الأيام، ظهرت فتاواه مطبوعة وغير مطبوعة وهي مفصلة، ولم يكن من قبلها للإفتاء عين ولا أثر؛ لعدم الحاجة إليه في موضوع ما كان يدور في الخلدان أن يقع موقع سؤال وتشكيك.

ولا شك أن الصحف السائرة والمنشورات الدائرة أقرأتك فتوى سيّدنا وملاذنا حجة الإسلام ومرجع الخاصّ والعام، العالم العامل الرباني السيّد أبو الحسن الأصفهاني^(١) دام علاه، المتضمنة لإمضاء جميع التذكارات الحسينية

حاشيته على مكاسب الشيخ الأنصاري، وكتاب في اجتماع الأمر والنهي، ورسالة عملية كثيرة الفروع أسماها العروة الوثقى، وحاشية على تبصرة العلامة -توفّي رحمه الله في النجف الأشرف سنة ١٣٣٧ ودفن فيها.

معارف الرجال ٢: ٣٢٦.

(١) السيّد أبو الحسن ابن السيّد محمّد ابن السيّد عبد الحميد الموسوي الأصفهاني، عميد الشيعة في وقته، وحامل لواء الشريعة، الرئيس المطاع، والذي أصبح معاصروه من العلماء والفقهاء العظام لا يذكرون في أيامه بالنظر الأولي عند عموم الناس، وكانت تجبى إليه الأموال من الحقوق الشرعية من جميع الأقطار الشيعية الإمامية بل من كلّ صقع كالسيل المنحدر من أعلى الجبل. حضر على أساتذة عصره كالمرزا حبيب الله

على الإجمال.

واليوم قد تمثلت أمام عينيك رسالتي هذه، تطالع فيها الفتوى المفصلة التي جاد وأجاد بها بقيّة السلف من العلماء الأعلام، شيخنا العلام آية الله في الأنام الميرزا محمد حسين الغروي النائيني^(١) أدام الله فضله، وبما أنّ افتاءه سلّمه الله موجّه إلى المؤمنين عامة وأهل البصرة خاصة؛ لأنّهم المستفتون، فأنا أنشره بنصّه فيما يلي.

قال دام ظلّه:

➤ الرشتي، والشيخ الملا محمد كاظم الآخوند الخراساني، وله عدّة مؤلّفات منها: رسالة عملية لمقلّديه اسمها «وسيلة النجاة»، وحاشية على العروة الوثقى، وشرح على كفاية الأصول، وعدّة رسائل، توفّي رحمه الله في الكاظمية المقدّسة سنة ١٣٦٥ هـ ودفن في النجف الأشرف.

معارف الرجال ١: ٤٦.

(١) الشيخ الميرزا حسين - محمد حسين - الأصفهاني النجفي المعروف بالنائيني، عالم جليل مدقّق، صاحب التنقيب والتحقيق، أصولي فقيه، له الأراء السديدة في علمي الأصول والفقه، متين في الحكمة والفلسفة، وله الأدب الواسع في اللغتين العربية والفارسية، وكان مرجعاً للتقليد يرجع إليه الكثير من الوجوه والتجار والأعيان. حضر على فضلاء عصره كالميرزا السيّد محمد حسن الشيرازي، والسيّد محمد الأصفهاني، والسيّد إسماعيل الصدر، والشيخ الملا محمد كاظم الخراساني. وقد تخرّج من عالي دروسه عدد كبير من العلماء إذ ربّى جمهرة من العلماء والأفاضل وغدّاهم بعلمه الغزير، وله مؤلّفات عديدة منها: تعليقة على العروة الوثقى، تقاريرات في الأصول ورسالة في السياسة. توفّي رحمه الله في النجف الأشرف سنة ١٣٥٥ هـ ودفن فيها.

معارف الرجال ١: ٢٨٤.

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى البصرة وما والاها

بعد السلام على إخواننا الأماجد العظام أهالي القطر البصري ورحمة الله وبركاته.

قد تواردت علينا في الكرامة الشرقية ببغداد برقياتكم وكتبكم المتضمنة للسؤال عن حكم المواكب العزائية وما يتعلق بها، وإذ رجعنا بحمد الله سبحانه إلى النجف الأشرف سالمين، فها نحن نحزّر الجواب عن تلك السؤالات ببيان مسائل: الأولى: خروج المواكب في عشرة عاشوراء ونحوها إلى الطرق والشوارع ممّا لا شبهة في جوازه ورجحانه، وكونه من أظهر مصاديق ما يقام به عزاء المظلوم، وأيسر الوسائل لتبليغ الدعوة الحسينية إلى كلّ قريب وبعيد، لكن اللازم تنزيه هذا الشعار العظيم عمّا لا يليق بعبادة مثله من غناء أو استعمال آلات اللهو أو التدافع في التقدّم أو التأخّر بين أهل محلّتين ونحو ذلك، ولو اتّفق شيء من ذلك فذلك الحرام الواقع في البين هو الحرام، ولا تسري حرمة إلى الموكب العزائي ويكون كالنظر إلى الأجنبية حال الصلاة في عدم بطلانها به.

الثانية: لا إشكال في جواز اللطم بالأيدي على الخدود والصدور حدّ

الإحمرار والأسوداد، بل يقوى جواز الضرب بالسلاسل أيضاً على الأكتاف والظهور إلى الحدّ المذكور، بل وإن أدّى كلّ من اللطم والضرب إلى خروج دم يسير على الأقوى.

وأما إخراج الدم من الناصية بالسيوف والقامات فالأقوى جواز ما كان ضرره مأموناً، وكان من مجرّد إخراج الدم من الناصية بلا صدمة على عظمها، ولا يتعقّب عادة بخروج ما يضرّ خروجه من الدم ونحو ذلك، كما يعرفه المتدربون العارفون بكيفية الضرب.

ولو كان عند الضرب مأموناً ضرره بحسب العادة، ولكن اتّفق خروج الدم قدر ما يضرّ خروجه، لم يكن ذلك موجباً لحرمة، ويكون كمن توضّأ أو اغتسل أو صام آمناً من ضرره ثمّ تبين تضرّره منه.

لكن الأولى بل الأحوط أن لا يقتحمه غير العارفين المتدربين، ولا سيما الشبان الذين لا يبالون بما يوردونه على أنفسهم لعظم المصيبة وامتلاء قلوبهم من المحبة الحسينيّة، ثبتهم الله بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

الثالثة: الظاهر عدم الإشكال في جواز التشبيهات والتمثيلات التي جرت عادة الشيعة الإماميّة باتّخاذها لإقامة العزاء والبكاء والإبكاء منذ قرون وإن تضمّنت لبس الرجال ملابس النساء على الأقوى، فإنّا وإن كنّا مستشكرين سابقاً في جوازه وقيدنا جواز التشبيه في الفتوى الصادرة عنّا قبل أربع سنوات بخلوّه عن ذلك، لكنّنا راجعنا المسألة ثانياً، واتّضح عندنا أنّ المحرّم من تشبيه الرجل بالمرأة هو ما كان خروجاً عن زيّ الرجل رأساً وأخذاً بزيّ النساء، دون ما إذا تلبّس بملابسها مقداراً من الزمان بلا تبديل لزيّه، كما هو الحال في هذه التشبيهات، وقد استدركنا ذلك أخيراً في حواشينا على العروة الوثقى، نعم يلزم تنزيهها عن المحرّمات الشرعيّة وإن كانت على فرض وقوعها لا تسري حرمتها

إلى التشبيه كما تقدّم.

الرابعة: الدّمّ المستعمل في هذه المواكب ممّا لم يتحقّق لنا إلى الآن حقيقة، فإن كان مورداً استعماله هو إقامة العزاء، وعند طلب الاجتماع، وتنبيه الركب على الركوب، وفي الهوسات العريّة، ولا يستعمل في ما يطلب فيه اللهو والسرور - كما هو المعروف عندنا في النجف الأشرف - فالظاهر جوازه والله العالم. انتهى بنصّه حرفياً.

أمّا ما يقع في كربلاء أيام شريف العلماء^(١) أستاذ العلامة الأنصاري، ثمّ في أيام الفاضل الأردكاني^(٢).

(١) الشيخ ملا محمد شريف بن حسن علي المازندراني، المعروف بشريف العلماء الحائري، ولد في الحائر الحسيني ونشأ به، العالم المحقّق والأصولي القدير المدقّق، المدرّس الأوّل في كربلاء، وكان متكّماً فيلسوفاً بارعاً بأصول المتأخّرين، كان يحضر مجلس درسه ألف رجل أو يزيد بين عالم وفاضل، وكلّهم من أهل التحقيق، وجلّهم صاروا مراجع تقليد. تتلمذ على أفاضل عصره كالسيد علي الطباطبائي صاحب الرياض، وعلى ولده السيد محمد المجاهد صاحب المفاتيح، وعلى الشيخ علي كاشف الغطاء صاحب الخيارات، وتخرّج من عالي دروسه عددٌ كبير من العلماء والفضلاء، توفّي رحمه الله في كربلاء المقدّسة سنة ١٢٤٥هـ ودفن فيها.

معارف الرجال ٢: ٢٩٨.

(٢) الشيخ حسن الأردكاني عالم متقن معروف بالفقاهة، وكان كاتباً أديباً، توطّن كربلاء في منتصف القرن الثالث عشر الهجري وكان مدرّساً وحيداً في كربلاء، تجتمع عليه حلقة واسعة من أهل الفضل والتحقيق والكمال، تخرّج عليه علماء أفاضل، منهم: العالم الفاضل الشيخ عبدالله المازندراني والشيخ علي ابن الشيخ حسين ابن الشيخ عباس الخاقاني النجفي. وألّف حاشية على نجات العباد لصاحب الجواهر توفّي رحمه الله سنة ١٣٣٢هـ.

معارف الرجال ١: ٢٤٦.

والشيخ زين العابدين المازندراني^(١). وفي الكاظمية أيام العلامة الأورع أبي ذر زمانه الشيخ محمد حسن آل يس^(٢) بل حتى أيام السيد محسن الأعرجي الكاظمي^(٣). وفي الحلة منذ عهد العلامة - الذي قل أن يأتي له الدهر بنظير - السيد

(١) الشيخ زين العابدين ابن الملا مسلم المازندراني النجفي الحائري، هاجر إلى العراق، وأقام في مدينة النجف الأشرف أولاً وصار عالماً مجتهداً له الباع الواسع في علمي الأصول والكلام، ثم انتقل إلى كربلاء المقدسة وعقد مجلساً للتدريس فصار يحضر درسه وجوه أهل الفضل والتحقيق وصار مرجعاً للتقليد في كربلاء، رجع إليه في التقليد الكثير من أهلها، تتلمذ على الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر، والسيد إبراهيم القزويني، وألف في الأصول كتاباً مبسوطاً، وفي الفقه كتاب زينة الصاد، وهو شرح لكتاب شرائع الإسلام. توفي رحمه الله سنة ١٣٠٩ هـ في كربلاء المقدسة ودفن فيها.

معارف الرجال ١: ٢٣١.

(٢) الشيخ محمد حسن بن ياسين بن محمد علي الكاظمي، العالم العامل، الفقيه المقدس، العابد الثقة الأمين، والعدل المؤتمن، كان محققاً في علم الأصول والحديث والرجال، صار مرجعاً للتقليد في بغداد وضواحيها، ورجع إليه أيضاً البعض من مدن العراق. حضر على أساتذة عصره كالشيخ محمد حسين صاحب الفصول، وشريف العلماء المازندراني، والشيخ علي صاحب الخيارات، والشيخ حسن صاحب أنوار الفقه، والشيخ محمد حسن النجفي صاحب الجواهر. وتلمذ عليه عدد من الفضلاء. ألف كتاب الأسرار النجفية في الفقه، ورسالة في حقوق الوالدين، وأخرى في البداء، وثالثة في اختلاف الأفق. توفي رحمه الله في الكاظمية المقدسة سنة ١٣٠٨ هـ ودفن في مدينة النجف الأشرف.

معارف الرجال ٢: ٢٣١.

(٣) السيد محسن ابن السيد حسن ابن السيد مرتضى الحسيني الأعرجي الكاظمي، كان من العلماء المحققين والفقهاء المقدسين الزاهدين العابدين، وكان أديباً شاعراً له نظم

مهدي القزويني^(١) إلى الآن، فإنّي لا أطيل بذكره؛ لأنّه يوجب الخروج عن وضع الرسالة.

والتمثيل وإن لم يقع في الحلة حتى الآن على ما أظنّ، لكن المواكب اللاطمة في الطرقات ليلاً ونهاراً، مع دوام المقاتلة والمضاربة بين أهل المحلّات المتنافرة فيها ممّا ليس لأحد إنكارها، ولم يكن السيّد مهدي المذكور ولا أحد من أبنائه المحترمين منكراً لعمل ومحزماً خروج موكب حتى اليوم، على أنّ أهل البلدة ومن حولها أطوع لهم من الظلّ لذي الظلّ.

أترى السيّد مهدي القزويني المذكور أوكل الإنكار إلى سميّه البصري فقام

⊕ كثير. تتلمذ على الآقا محمّد باقر البهبهاني والسيّد محمّد مهدي بحر العلوم الطباطبائي، والشيخ جعفر كاشف الغطاء النجفي، وتتلمذ عليه عدد من الفضلاء، وألّف كتاب الرسائل في الفقه في عدّة مجلّدات، وكتاب المحصول، والوافي، وشرح مقدّمات الحدائق، والعدّة في الرجال. توفّي في الكاظمية المقدّسة سنة ١٢٢٧ هـ ودفن فيها. معارف الرجال: ٢: ١٧١.

(١) السيّد مهدي ابن السيّد حسن ابن السيّد أحمد الحسيني، الشهير بالقزويني النجفي الحلّي، كان عالماً جامعاً ضابطاً، من عيون الفقهاء الأصوليين، شيخ الأدباء والمتكلمين، ووجهاً من وجوه الكتاب والمؤلفين، الثقة العدل الأمين الورع. تتلمذ على الشيخ موسى والشيخ علي والشيخ حسن أنجال الشيخ جعفر كاشف الغطاء النجفي وعلي عمّه السيّد باقر القزويني، وتتلمذ عليه عدد من الفضلاء. وله مؤلّفات كثيرة منها: القواعد الكلّية الفقهية، ومواهب الأفهام في شرح شرائع الاسلام، وكتاب الطهارة، ونفائس الأحكام وشرح اللمعة الدمشقية، والمهذب في الأصول. توفّي رحمه الله سنة ١٣٠٠ هـ؛ بالقرب من مدينة السماوة العراقية بعد عودته من حجّ بيت الله الحرام، ودفن في مدينة النجف الأشرف.

معارف الرجال ٣: ١١٠.

نصرة المظلوم..... ٤١٣

يفتي ويحكم، وهو وكلّ أحد يعلم أنّ تعرّض غير أهل الفتوى للإفتاء فسق ومعصية موبقة.

إنّ دام هذا ولم تحدث له غيرٌ لم يبك ميّتٌ ولم يفرح بمولود^(١)

(١) بيت شعر مشهور، يستشهد به الكثير من الأدباء، والشعراء، ورد بصيغ متعدّدة، ذكره السيوطي في «الازدهار في ما عقده الشعراء من الأحاديث والآثار» قائلاً: «قال القالي في أماليه: أنشدني ابن دريد قال: أنشدني الحسن بن خضر قال: أنشدني رجل من أهل البصرة قال: أنشدني أبو هلال:

هذا الزمان الذي كنّا نُحاذره في ما يحدث كعب وابن مسعود
وإن دام ذا العيش لم يُحزن على أحدٍ ممّن يموت ولم يُفرح بمولود
وورد بصيغ أخرى منها:

هذا الزمان الذي كنّا نُحاذره وفي ما يحدث كعب وابن مسعود
دهر به الحقّ مردود بطالعه والطالعُ الكُفر فيه غيرُ مردود

...

فإن يمضي هذا الزمان ولم يحدث له غيرٌ لم يُبك ميّتٌ ولم يُفرح بمولود
وورد اسم «عمر» بدل «كعب» في بعض الأبيات.

خاتمة مسكية

الأئمة سلام الله عليهم نورهم واحد وطينتهم واحدة وإن تفاوتوا في الفضل
﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾^(١).

ولكن للشيعة علاقة خاصة بالحسين عليه السلام لا تشبه علاقتهم بمن هو أفضل
منه، وتلك من خصوصيات الحسين عليه السلام التي لا تنافي أفضلية غيره منه، فإن
للتفاوت في الفضيلة مقام وللخصوصية مقام آخر، وقد عوّضه الله جلّ شأنه عن
شهادته بخصال: منها المحبة في القلوب، ومنها كونه وسيلة النجاة.

إنّ محبة الحسين عليه السلام والرقّة عليه فطرية، حتى من غير الجعفرية، ولكن
لهؤلاء - حتى أبسط البسطاء منهم - علاقة خاصة به لم تأت لهم من قبل سماع
واطلاع، بل غريزة وارتكاز، فلذلك تجدهم يتفننون في التعلّق به بإيجاد أسباب
لم تعرف من قبلهم ولم يدركها أحد سواهم، توصلاً إلى إحياء ذكره، وتعلّقاً بسبب
منه يوجب البركة عليهم في الدنيا والعقبى، وتراهم من صميم قلوبهم يعلّقون آمال
نجاتهم من وزر الخطايا به أكثر ممّن هو أشرف منه وأفضل.

(١) التوبة (٩): ٣٦.

وكما أنَّ هذا فطري فيهم، فكذلك هم مفطورون على أنَّه بمقدار حزنهم على الحسين وسائر الأئمة عليهم السلام وإظهار مظلوميَّتهم، يكون تكفير سيئاتهم وارتفاع درجاتهم، والمتعمِّق في الأسرار المتتبع للأخبار يحصل له - بتتبعه وتعمِّقه - الجزم بأنَّ ما تفعله الشيعة من ضروب مظاهر الحزن هو دون الحقِّ الثابت في مصاب الحسين عليه السلام، وأنَّه لو كان فوقه شيء لكان راجحاً في سبيل ذلك المصاب الهائل وإن استهزأ به وسخر الجاهلون.

فلندع الشيعة وما يفعلون في شأن أئمَّتهم في حزنهم وفرحهم ما لم يفعلوا في ذلك الشأن العظيم محرِّماً، فإنَّه علينا حينئذٍ المنع عن ذلك المحرِّم فحسب ونردعهم عنه، ولا نتعرَّض لجلِّ ما يقومون به من مظاهر الحزن والفرح بشيء، فقد قال الصادق عليه السلام في حقِّهم:

«شيعتنا منّا، خلَّقوا من فاضل طينتنا، وعجنوا بنور ولايتنا، رضوا بنا أئمة ورضينا بهم شيعة، يصيبهم ما أصابنا وتبكيهم أوصابنا، يحزنهم حزننا، ويسرَّهم سرورنا. ونحن أيضاً نتألَّم لتألَّمهم، ونطلَّع على أحوالهم، فهم معنا لا يفارقونا، ونحن معهم لانفارقهم».

ثمَّ قال: «اللهمَّ إنَّ شيعتنا منّا، فمن ذكر مصابنا، وبكي لأجلنا استحي الله أن يعذبه بالنار»^(١).

وعلى هذا الخبر الشريف العالي المضامين أختتم رسالتي هذه، وبالاختتام تمييزاً للمقال أذكر أموراً مهمَّة:

(١) منتخب الطريحي: ٦٨، وعنه في الخصائص الحسينية للتستري: ١١٦.

الأمر الأول

بكلّ صراحة أقول: إنّ علّة تحريم الشبيه وخروج المواكب اللاطمة والضرب بالقامات عند صاحب المقالة ليس هو ما ذكره من السفساف، كيف والمقاتلة التي هي علّة تحريم اللطم في الطرقات اتفاقية نادرة، وليست بلازمة ولا مقصودة لأهل الموكب غالباً.

وموت الجماعات في كلّ سنة - الذي هو علّة تحريم موكب السيوف - قد عرفت أنّه فريّة صريحة.

والسخرية - التي هي علّة تحريم الشبيه - كذلك، وعلى فرض تحقّقها فهي لا توجب الاستهزاء بدين الإسلام المنزّه عن كلّ عائية.

والأمور التي سطرّها - من إنكار الوثبات والزعقات، ومن كون اللطم محلّه المآتم لا الطرقات بحكم العقل والشرع - هي من التلفيقات الفارغة، ونسبة ذلك إلى العقل والشرعية فريّة أخرى، وهي عليه غير خفيّة.

ومن أكبر الشواهد على أنّ تحريمه لا لذلك - مضافاً إلى هذا - قوله في الصفحة ١٠ ما ملخصه:

«بأنّه منذ خمس عشرة سنة كان أهل الكويت يخرجون الشبيه على التفصيل الذي سبق، فمنعتهم وصاروا من يومئذٍ يلطمون في المآتم ولا يخرجون،

وبذلك قطع دابر ما ربما ينجم من المحرمات والفتن»^(١). انتهى.

فإنه ليس في الكويت من يومئذ للآن^(٢) فئات متقابلة، ولا لهم محلات كثيرة متعادية تقع بين أهلها المنافرة والمنافسة حتى يحدث من خروجهم القتال فيما بينهم، إن هم إلا فئة من الأعاجم يشوبهم أخلاط من البحارنة وغيرهم ممن ليس له قوة المخاصمة والمنازعة لو كان له منافر ومنافس، كيف والسلطات القاهرة وسلطته الروحية هناك تحول بينهم وبين أن تحدث بينهم المقاتلة في مثل ذلك المحل الذي هو بالقرى أشبه منه بالبلدان الواسعة.

أما سخرية الأجانب فهي هناك معدومة، لقلة الأجانب يومئذ وعدم سخريتهم؛ لأنهم من الذين لا يهتمهم من أمر الديانات شيء.

الذي أظنه - وظنّ الألمعي يقين^(٣) - أن هذا الرجل يذعن بمسؤولية جميع ما سلف كما يومي إلى ذلك ما ذكرته ثمة، وإنما يمنع من ظهور الشبيه والمواكب للملا تأليفاً بين الفرق، وأن لا يظهر بعضهم بمظهر المخالف للبعض الآخر.

وقد فاتته أن يلتفت إلى أن مورد المخالفة ليس جوهرياً، بعد وحدة الدين

(١) صولة الحق على جولة الباطل (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ١: ١٩١، ونصّ العبارة هو: «وقبل مضى إلى الكويت كان أهلها يخرجون الشبيه على التفصيل الذي سبق، فلما علمت بذلك منعهم منه، فأطاعوني وذلك في سنة الثلاثين، فصاروا يلطمون في المآتم ولا يخرجون، وبذلك قطع دابر ما ربما ينجم من المحرمات والفتن».

(٢) أي سنة ١٣٤٥ هـ، وهو تاريخ تأليف هذه الرسالة.

(٣) في الصحاح ٣: ١٢٨١ «لمع»: الألمعي: الذكي المتوقد، قال أوس بن حجر:

الألمعي الذي يظنّ لك الظنّ كأن قد رأى وقد سمعا

وفي لسان العرب ١٢: ٣٣٠ «لمع»: الألمعي: الذي إذا لمع له أول الأمر عرف آخره، يكفي بظنه دون يقينه، وهو مأخوذ من اللمع: وهو الإشارة الخفية والنظر الخفي.

والاشتراك بالضروريات من أحكامه وغيرها ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(١).

إنّ التأليف الذي يقصده - بترك التظاهر بتلك المراسم - أمر مغروس في ذهنه منذ كان في الكويت، وهو اليوم يعالجه ولا يكاد يحيره، ولأجله يتشبه بالتهاويل ويدعن لتلك التمويهات والمفتريات.

وكأنّ هذا المنع عنده من باب الأمر بترك الراجح لما هو أرجح منه، لا من باب النهي عن المنكر وإن صدر مقالته بذلك، ولعلّه إلى هذا يرمز صاحب جريدة الأوقات العراقية^(٢)، إذ يقول نقلاً عن السيّد المذكور: إنّ تلك المواكب عامل من عوامل التفرقة ورمز يشير إليها.

وهذا إن كان من الناقل فهو اختلاس للحقّ، وإن كان من القائل فهو اشتباه؛ وذلك أنّ تلك المواكب وهاتيك الأعمال ليست مفرقة بين المسلمين، نعم هي مظهر للفرق بين فرقهم، والفارق جليّ بين المفرّق بينهم وبين وجود الفارق. أجلّ التمثيل فارق، المواكب فارق، المآتم فارق، لبس السواد فارق. فوارق وأيّ فوارق، شابت عليها اللّمم^(٣) والمفارق^(٤)، واعترف بفوائدها المصاحب والمفارق، فإن تكن هذه رموزاً فهي رموز لا امتياز الشيعة عمّن سواهم، فلتكن تصريحات بدل كونها رموزاً، فإنّ الرمز بهذا المعنى سواء أكان هو أحد الأمور المذكورة أم

(١) آل عمران (٢٣): ١٩.

(٢) في عددها ١٦٦١، كما صرح بذلك الشيخ محمّد جواد الحّجّامي في رسالته «كلمة حول التذكّار الحسيني» (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ١٢: ٢٧١.

(٣) اللّمم، جمع اللّمة؛ وهي الشعر الذي يجاوز شحمة الأذن. الصحاح ٥: ٢٠٣٢ «لمم».

(٤) المفارق، جمع المفرّق، وهو وسط الرأس، الذي يُفرّق فيه الشعر. الصحاح ٤: ١٥٤١

«فرق».

غيرها ممّا لا بدّ منه.

إنّ المطلوب من المسلمين إزالة التعصّب المذهبي فيما بينهم، لا ترك الرسوم المذهبيّة عندهم، وشتان بين الأمرين، ومن اختلاطهما وقع الاشتباه، التعصّب المذهبي مظهر وقوع الشقاق بين المسلمين شقاقاً مذهبياً، ويقابله التساهل المذهبي المقتضي لإطلاق الحرية لكلّ ذي مذهب من المسلمين أن يأتي بمراسم مذهبه بلا استياء ولا منازعة من أرباب المذهب الآخر، لا ترك الرسوم المذهبيّة. وثمرة هذا التساهل علوّ الإسلام باتّجاه كلمة المسلمين. وأين هذا من كون الفوارق المذهبيّة مفرّقة؟!

نعم، لو كانت تلك الفوارق توجب إخلال الجعفريّة بالواجب عليهم من رفع منار الإسلام، أو أنّها توجب تهجين المراسم المذهبيّة للفرق الأخرى، لكان حقّاً لها أن تتعصّب وتعتصب أمامها، ولكنّها - مع كونها همجيّة كما يقولون^(١) - لا تمسّ كرامة المذاهب بشيء ولا توجب الإخلال بأيّ واجب.

لقد مرّت أزمنة عديدة والجعفريّة فيها يدعون في مآتمهم ومواكبهم إلى توحيد كلمة المسلمين، فما وجه دعواهم هذه ياترى في تلك الحال إذا كانت المواكب هي المفرّقة فيما بينهم؟!

(١) هذا ردّ على كلام السيّد محمّد مهدي الموسوي القزويني في رسالته «صولة الحقّ على جولة الباطل». (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ١: ١٩١ ونصّ عبارته هو: «وأما الضرب بالسيوف والقامات على الرؤوس فمحرمّ؛ لما شاهدناه وشاهده غيرنا من موت جماعة منهم في كلّ سنة؛ لكثرة نزع الدم. ولو قطعنا النظر عن هذه الجهة، فهو فعل همجي وحشي مثل الضرب بسلسلة من الحديد، ولم يرد دليل شرعي على تجويزها، وما من سيرة يستند إليها فيها، بل هي بنظر أرباب العقول والمعرفة أفعال ما فيها من ثمرة في التعزية».

أجل، إنها فوارق مذهبية لا مفرقة لجماعتهم الملتزمة، فهذه الكلمة^(١) إنما بذر للفرقة، أو وهم واشتباه.

وإذا شئت أن أريك التعصّب المذهبي ملموساً باليد، فتأمل في ما أنقله لك عن المقرّيزي في خطّطه في الصفحة ٣٨٥ من الجزء الثاني منه، فإنّه بعد أن ذكر أنّ الملوك العلويين بمصر كانوا يتّخذون يوم عاشوراء يوم حزن تتعطل فيه الأسواق، قال: «فلما زالت الدولة اتّخذ الملوك من بني أيّوب يوم عاشوراء يوم سرور، يوسعون فيه على عيالهم، ويتبسّطون في المطاعم ويصنعون الحلّوات، ويتّخذون الأواني الجديدة، ويكتحلون، ويدخلون الحمام، جرياً على عادة أهل الشام التي سنّها لهم الحجاج في أيام عبد الملك بن مروان، ليرغموا بذلك آناف شيعة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، الذين يتّخذون يوم عاشوراء يوم عزاء وحزن على الحسين بن علي عليه السلام، لأنّه قتل فيه». انتهى.

فيا أيّها الرامز إلى التفرقة في كلامه، والمريد للتأليف حسب الظنّ بمرامه، إن كنت تجد أعمال الجعفرية مهجّنة للرسوم المذهبية لغيرهم من فرق المسلمين فلك الحقّ في الاستياء منها، وإن لم تكن كذلك - كما هو الواقع - فماذا يضرك منها، وما هو سبب الاستياء من إقامتها؟!

لو أنّ في طوائف المسلمين من لا يوالي الحسين عليه السلام ولا يقدر شرفه ولا مظلوميّته ولا قربه من الرسول ﷺ، لكان حقّه أن يستاء من إقامة تذكاراته، لكنّه سلام الله عليه ممّن يشترك في ولائه جميع المسلمين، وعلى جميعهم الحقّ في إظهار مظلوميّته والنوح عليه تقرّباً إلى جدّه صاحب الشفاعة الكبرى ﷺ، فكيف

(١) أي كلمة جريدة الأوقات العراقية في عددها ١٦٦١ التي نقلت كلام السيّد محمّد مهدي الموسوي القزويني.

تكون تذكاراته - وهو بتلك المنزلة عند جميعهم - رمزاً إلى التفرقة بين جماعتهم وعاملاً من عواملها؟!

وقد كثر تحامل الصحف على الجعفرية في أعمالهم الحسينية، وعسى أن يكون أصحابها هم المعنيون في كلام صاحب المقالة، بأنهم يسخرون ويستهنئون، بيد إنه يسميهم الأجانب، وهم في الحقيقة أقارب لأجانب، قد وشجت بينهم وبين الجعفرية من عروق الدين الإسلامي نوابضه ورواهشه^(١) وشواكل قلبه، واشتبكت أواصر القرابة بينهم في الأعضاء الرئيسية من جسم دينهم الأقدس.

وهؤلاء في الحقيقة لا يسخرون بل يستأوون وتتأثر قلوبهم، ولو لم يكونوا قد أدركوا النكات الدقيقة العائدة بالنفع المذهبي على الجعفرية من جميع هذه الأعمال - التي تعملها الشيعة في شهر المحرم في مآتم وموكب وتمثيل - لما استأووا، ولما جدوا ليل نهار في رفعها ودرس أثرها.

الأمر الثاني

إنَّ بعض أهل التقشف يمنع من ضرب الطبول، ونفخ الأبواق، ودقِّ الصنوج في المواكب وغيرها على الكيفية المرسومة في العزاء في النجف اليوم، وذلك - أي المنع - من الزَّلَّات الناشئة عن خفاء هذه الموضوعات لديهم، ولا غرو فهذه موضوعات لا يعرفها النَّسَّاك.

الآلات الثلاث تارة يكون استعمالها على الكيفية التي يضرب بها اللهو والطرب، كما يستعمله أهله، وهذا لا ريب في حرمة.

وتارة لا يكون على تلك الكيفية، كالذي يكون في الحرب، وفي العزاء المرسوم، وهذا لو كان محرَّماً لكان الضرب العبثي غير المنتظم محرَّماً، وذلك ممَّا لا ينبغي لأحدٍ أن يحتمله ولم يذهب ذاهب ممَّن يعتدُّ به من فقهاءنا إلى حرمة جميع أنحاء استعمال آلات اللهو، فضلاً عن المشتركة بينه وبين غيره، على أيَّ كيفة كان الاستعمال وفي أيِّ حال وقع.

وما ورد في أخبارنا - كالمروي عن النوفلي، عن السكوني، عن الصادق عليه السلام: من نهى النبي ﷺ عن الزفن ^(١)، والمزمار، وعن الكوبات ^(٢)،

(١) الزفن: الرقص. الصحاح ٥: ٢١٣١ «زفن».

(٢) الكوبة: الطبل المخصر، معزب. المصباح المنير: ٥٤٣ «كوب».

نصرة المظلوم..... ٤٢٣

والكبريات^(١)، - لم يحرز له إطلاق يشمل غير مورد الاستعمال اللهوي، بل الخبر الآتي^(٢) وغيره قرينة على أن المراد استعمال الآلات المذكورة لأجل اللهو والطرب على الكيفية التي يستعملها أهل الملاهي.

وليس المراد باللهو مطلق اللعب - كما لعلّه يتوهمه من لا خبرة له - بل ما كان على سبيل البطر وشدة الفرح، فإنّ اللعب والعبث - ولو لغرض عقلائي - ممّا لم يقل بحرمة أحد، إلا أن يكون شاذّاً، وهو مع شذوذه محجوب بالأخبار الكثيرة.. قال شيخنا الإمام المرتضى الأنصاري قدّس سرّه: «الظاهر أن حرمة اللعب بآلات اللهو ليس من حيث خصوص الآلة، بل من حيث إنّه لهو».

والمراد باللهو هو ما ذكرناه كما صرّح به قبل ذلك وبعده.

ثمّ استشهد على ذلك بشواهد منها: رواية سماعة عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «لَمَّا مَاتَ آدَمُ شَمَتَ إِبْلِيسَ وَقَابِيلَ بِهِ، فَاجْتَمَعَا فِي الْأَرْضِ، فَجَعَلَ إِبْلِيسَ وَقَابِيلَ الْمَعَازِفَ وَالْمَلَاهِي شِمَاتَةً بِآدَمَ، فَكُلَّ مَا كَانَ فِي الْأَرْضِ مِنْ هَذَا الضَّرْبِ الَّذِي يَتَلَذَّذُ بِهِ النَّاسُ - مِنَ الزَّفَنِ وَالْمِزْمَارِ وَالْكُوبَاتِ وَالْكِبَرَاتِ - فَإِنَّمَا هُوَ مِنْ ذَلِكَ»^(٤).

ثمّ قال: «فإنّ هذا يشير إلى أن المناط هو التلهّي والتلذّذ»^(٥).

(١) الكبر: الطبل له وجه واحد. المصباح المنير: ٥٢٤ «كبر».

(٢) الكافي ٦: ٤٣٢ حديث ٧، وسائل الشيعة ١٧: ٣١٣ - ٣١٤ حديث ٦ باب ١٠٠ من أبواب ما يكتسب به.

(٣) وهو رواية سماعة الآتية.

(٤) الكافي ٦: ٤٣١ حديث ٣، وسائل الشيعة ١٧: ٣١٣ حديث ٥ باب ١٠٠ من أبواب ما يكتسب به.

(٥) المكاسب ٢: ٤٦.

أقول: وأنت إذا تأملت وجدت دقّ الصنج مثل التصفيق، بل هو تصفيق بآلة لا باليد، ورأيت ضرب الطبل المتعارف في العزاء كضرب الطشت، ولا ريب في أنّ التصفيق والضرب بالطشت بدل الدّف إذا استعملا للهو والطرب كان استعمالها محرّماً كما صرّح به الإمام الشيخ المرتضى أيضاً، مع أنّ الطشت ليس من آلات اللهو فضلاً عن التصفيق، ولا بمنصوص عليه في الأدلّة، وما ذلك إلّا لكونه مفيداً فائدة آلات اللهو.

وكذا الحال في الصنج والطبل إذا استعملوا على تلك الكيفيّة كان استعمالهما حراماً، وإلّا فلا وجه لحرمة البتّة، ومن هذا القسم ما يستعمل في العزاء والمواكب والشبيه اليوم في النجف، ودعوى أنّ هذا من الملهي المطرب سخيفة جدّاً.

اللهو والطرب أمران يعرفهما الفسّاق لا النّسّاك، ولا يقلّد فيهما المجتهد إذا كان المقلّد عالماً بهما والمجتهد محتاطاً؛ لعدم استفراغ وسعه في البحث عن الموضوع.

وهكذا الأمر في معنى الغناء، فإنّي لا أستبعد أنّ أولئك إذا سمعوا صوتاً رخيماً وإن كان غير متقاطع ولا متناسق النغم حسبوه غناءً، وهذا خطأ، وأولى لهم أن يسألوا أهل الفسوق عن ألعانهم فإنّها الغناء لا غيرها.

إنّ من البديهي الوجداني أنّ ضرب الطبل ودقّ الصنج ونفخ البوق على الكيفيّة المرسومة في العزاء اليوم في النجف، مع إنّها لم يقصد بها اللهو والطرب، هي بنفسها لا لهو بها ولا طرب، وإنّما يقصد بها انتظام الموكب والإعلان بمسيره ووقوفه ومشايعة صوته لندبة أهل الموكب، فإنّ انتظامه يختلّ بخفاء أصوات النّاديين، ولذلك تجدهم إذا اجتمعوا للطم في دار أو مأتم لا يضربون ولا يدقّون بشيء؛ لاستغنائهم حينئذٍ عن كلّ شيء.

وقد سمعتُ من غير واحد أن الصَّنَج المتعارف الآن قد أحدثه في العزاء العلامة المجلسي أعلى الله مقامه في قرى إيران؛ ليسمع أهل القرى القريبة منهم ويعلموا بإقامتهم العزاء، وكذا في البلدان الكبار لأجل تنبيه أهل المحلات جميعاً؛ لأن الطبل الحربي الذي هو المتعارف في العزاء لا شيوخ له في البلدان الإيرانية. وهذا القدر وإن كان كافياً في إثبات الجواز، لكن نظراً إلى أهمية تحقيق الحال في استعمال الآلات الثلاث المذكورة، فإني أرجع إلى البحث عنها بطور آخر:

الطَبْلُ

المعبر عنه بلسان العامة (الدِّمَام)، وهو موضوع العناية من الكلام، أمّا غيره ممّا قد يستعمل في بعض البلدان كالمسمّى عندهم (نقّارة) فلا ريب في حرمة. ذكر العلامة في التذكرة^(١) والمحقّق الثاني في جامع المقاصد^(٢) أقسام الطبول وعدّها منها: «طبل الحرب الذي يُضرب به للتهويل، وطبل القافلة الذي يضرب به للإعلام بالنزول والارتحال، وطبل العطارين: وهو سفظ لهم، وطبل اللهو وفتر بالكوبة».

ولكن نظراً إلى اشتراك الكوبة بين معانٍ، بعضها ليس من أقسام الطبول، وبعضها الآخر طبل لهو كما ستعرفه، مثّل له العلامة بما «يضرب به المخنثون من طبل وسطه ضيق وطرفاه واسعان» وقد صرّحوا بجواز استعمال ما عدا الأخير منها وبيعها وشرائها والوصيّة بها، وادّعى في التذكرة الإجماع على ذلك. ولا ريب أنّ هذه الطبول جميعاً يمكن أن يضرب بها ضرباً لهوياً كما يستعمله أهل الطرب، فلم جوّزوا استعمالها؟

(١) تذكرة الفقهاء «الطبعة الحجرية» ٢: ٤٨٣ كتاب الوصايا.

(٢) جامع المقاصد ١٠: ١٠٧.

أليس لأنّها ما أعدّت ولا هيّئت لذلك ؟

أليس لكون الضرب العادي بها ليس ملهياً ولا مطرباً؟ بل هو ضرب إعلام وتنبيه، كما هو الشأن في الطبل المستعمل في العزاء.

الطبل العزائي لو كان من الآلات المشتركة بين اللهو وغيره، فلا ريب أنّ استعماله ليس لأجل الطرب ولا على الكيفيّة المطربة، ولهذا عدّ كاشف الغطاء في عداد ما كان راجحاً لعنوان راجح ينطبق عليه أكثر ما يقام في العزاء من «دقّ طبول وضرب نحاس وتشابيه صور».

قد رأينا طبل الحرب أيام الحرب العامّة عند أعراب نجد في النجف، وطبل القافلة عندهم منذ كان الحاج العراقي يسير برّاً على طريق جبليّ طي، وهما عين الدّمّام المتعارف استعماله اليوم في المواكب العزائية في النجف.

إنّ طبل الحرب والقافلة وطبل العزاء في الشكل والحجم سواء، وفي كون الضرب عليها بآلة لا باليد سواء، وفي كون الضرب منتظماً انتظاماً خاصاً سواء، وفي كون الغرض من ضربها التنبيه والإعلام سواء، فما هو الفارق بينهما إذا؟!

إنّ طبل اللهو يفارق هذه الطبول في جميع هذه الخواص عدا الانتظام، بيد أنّه في طبل اللهو على كيفيّة خاصة يعرفها أهل الملاهي ولا يجهلها كلّ أحد، وتلك الكيفيّة غير حاصلة في ضرب الدّمّام.

ومع قطع النظر عن جميع ما أسلفته، أوفقك على أمر يكفيك في الحكم بجواز الدّمّام، وهو أنّه لم يقع لفظ الطبل في شيء من الأدلّة موضعاً للحكم ليؤخذ باطلاقه، وليدفع الاطلاق بكون المراد طبل اللهو، أو يراد بضربه الضرب الملهي وإنّما الموجود في الأدلّة الكبريات والكوبات.

والكَبْرُ -بفتحيتين- الطبل ذو الوجه الواحد، وهذا ليس إلّا طبل اللهو، فإنّ ما

عداه بوجهين.

والكُوبَةُ - بالضمّ البربط: وهو العود أو النرد أو الشطرنج أو طبل صغير.

وفي الصحاح: طبل صغير مختصر^(١).

وهذا أيضاً ليس سوى طبل اللهو؛ لأنّه الصغير، ولو كان غيره كوبة - أي طبلًا صغيراً - لم يبق للطبل الصغير مصداق أبداً.

وإذا كان لفظ الطبل لم يقع موضوعاً للحكم، فلا مساغ للمنع عنه إلا بدعوى أن كلّ طبل آلة لهو، وأنّ كلّ آلة لهو يحرم جميع أنحاء الاستعمال بها على جميع الكيفيات، وهذا ما لا أظنّ بأحد أن يقول به.

ومع هذا كلّّه فالاحتياط بترك الطبل كلّّه؛ لأنّ تذكارات سيّد الشهداء من أهم الأعمال التي يعتبر فيها الإخلاص لله في إقامتها، وتعريضها عن كلّ ما يحتمل تحريمه فضلاً عن معلوم الحرمة.

(١) الصحاح ١: ٢١٥ «كوب»

البوق

المعبر عنه في لسان العامة (البوري)، لم يعهد استعماله قديماً وحديثاً لأهل الطرب والملاهي كالعود والأوتار والمزامير، وإنما يستعمل في الحرب للتنبيه ولحشر الجنود وتسيير المواكب لحرب أو لغيرها، فهو في الحقيقة آلة تنبيه وإعلام، لا آلة طرب نحو الآلة الصغيرة الصافرة التي يستعملها الشرط والحرس اليوم للتنبيه ليلاً نهاراً.

ومن عرف الخاصية الطبيعية لهيئته الوضعية يعرف بأنه يستحيل أن يخرج بالنفخ فيه صوت مطرب، ولذلك يحصل الجزم لكل عارف به أنه ليس من المزامير المعدودة من آلات اللهو.

ابتدع الشكل الطبيعي للبوق لأجل خروج صوت عال مرتفع مستهجن، يبلغ بارتفاعه وهجنته ما لا يبلغه أرفع صوت مجرد، وهو كلما دق موضع النفخ منه واتسعت فوهته العليا زاد صوته ارتفاعاً وهجنة.

فلارتفاعه استعمال لتنبيه الجند، ولهجنته جعل جزء من «الجوق الموسيقي» للتأليف بين نحو عشرين صوتاً من الأصوات المختلفة في نفخة واحدة؛ لحصول الطرب بالمجموع، ولكنه لو أنفرد لا يكون ولا يصلح لذلك، ولذلك لا ينبغي عدّه من الآلات المشتركة بين اللهو وغيره.

٤٣٠.....رسائل الشعائر الحسينية / ج ١

وإذا لم يكن من المزامير ولا من آلات اللهو، فما هو البرهان على
تحريمه؟! لم يوجد في الأدلة ما يتضمّن النهي عن استعماله بخصوصه في ما
حضرني من كتب الاستدلال من غير فحص كامل.

الصَّنَج

وهو مفرد صنوج، المعبر عنها بلسان العامة اليوم (طوس)، المنهي عنه في المروي في المجمع^(١) فهو بظاهر الأمر مردّد بين معان ثلاثة، لا يعلم أيها المقصود بالنهاي، ولا أنّ النهي نهى تنزيه أو تحريم، فقد ذكروا أنّه آله بأوتار، ونحاس صغار مدوّر يجعل في إطار الدف، وآله تتخذ من صفر يضرب إحداها بالأخرى^(٢).

وهذا المعنى الأخير ينطبق على ما هو المستعمل اليوم في العزاء الحسيني، لكن من المعلوم أنّ استعمال هذا بالنحو المتعارف الآن في النجف لا يمكن قصد التلهي به والطرب؛ لأنّه بذاته لا لهو فيه ولا طرب، فكيف يعدّ من آلات اللهو أو المشتركة بينه وبين غيره؟

(١) في مجمع البحرين ٢: ٣١٣ «صنج»: «إياك والضرب بالصوانيج، فإنّ الشيطان يركض، معك والملائكة تنفر عنك».

(٢) في الصحاح ١: ٣٢٥ «صنج»: الصنج الذي تعرفه العرب: وهو الذي يتخذ من صفر، يضرب أحدهما بالآخر. وأما الصنج ذوالأوتار فيختصّ به العجم، وهما معربان. وفي القاموس المحيط ١: ٢٠٤ «صنج»، الصنج: شيء يتخذ من صفر يضرب أحدهما على الآخر، وآله بأوتار يضرب بها، معرب.

وقريب منهما ورد في مجمع البحرين ٢: ٣١٣، «صنج».

إنّ دقّ الصّنج المتعارف في المواكب يوجب الضجر لا الطرب، وما هو إلّا كدقّ الصّفارين بمطارقهم الحديدية على قطعات الصفر دقاً منتظماً، ولا يبعد أن يكون هذا كان مستعملاً في الحرب مع الطبل - إن كان قديماً - وإنّ الصّنج المعدود من آلات الملاهي ليس هو هذا الصّنج، ولا صنج الموسيقى، بل ما يتّخذ من صفر قطعاً، نحو ما يجعل في إطار الدف، يضع الزافن - الراقص - كلّ اثنتين منها في إصبعين من أصابع يديه، إحداهما في الإبهام والأخرى في السبابة أو الوسطى، يضرب بأحدهما الأخرى فترنّ رنيناً خفيفاً هو أرقّ من التصفيق صدى وأقرب منه إلى الإطراب، وهذا هو ما يسمّيه الفرس بلغتهم. «زنك».

وقد اتّفق اللغويون على أنّ لفظ «صنج» فارسي معرّب، وإذا كان فارسيّاً هو تلك الآلة كان النهي مختصّاً باستعمالها لا محالة، وعسى أن تكون تسمية غيره باسمه للمشابهة.

ثمّ إذا كان الصّنج لغةً مردّداً بين المعاني الثلاثة، وكانت الآلة ذات الأوتار وما يجعل في إطار الدفّ قدراً متيقّناً ممّا جعل موضوع الحكم، وما عدا ذلك مشكوك الفردية له، كان مقتضى أصول الفنّ - لمن لا يوجب الاحتياط في الشبهة المفهومية - أن يقول بجوازه لاحرمته.

وكم من فرق بين هذا وبين كاشف الغطاء - واللغة بمرئى منه - يعدّ من الأمور الراجحة «دقّ طبل إعلام وضرب نحاس» وظنّي أنّه حمل الصّنج المنهي عنه على خصوص المطرب منه، ملاحظة للمناسبة بين الحكم وموضوعه.

على أنّ حمل ذلك النهي على التحريم لا قرينة عليه، ولا إجماع بالفرض، لا سيما والنهي الوارد بلفظ التحذير لا بهيئة النهي ولا بمادّته.

الأمر الثالث

رأيت كلاماً لصاحب الرسالة^(١) يلوح به إلى المنع عن التذكارات التي تقع فيها المحرّمات بحجّة أنّه «لا يطاع الله من حيث يعصى»^(٢) فدعاني ذلك إلى شرح هذه الكلمة مهذباً:

لا يراد بهذه الكلمة أنّ الطاعة إذا وقع في أثنائها فعل محرّم مباين لها - وجوداً منفكاً عنها خارجاً - تكون محرّمة، كما هو الحال في التذكارات المقترنة بالمحرّمات، لأنّ هذا ممّا قام البرهان على فساد، وإلّا لبطلت أكثر العبادات، ومع ذلك فالأدلة النقلية - مضافاً إلى حكم العقل به - كثيرة، ويكفي منها الخبر المتضمّن لخروج الصادق عليه السلام في تشييع جنازة رجع بعض المشيعين عنه لمكان

(١) أي السيّد محمد مهدي الموسوي القزويني، إذ قال في رسالته «صولة الحقّ على جولة الباطل» (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ١: ١٨٩ «وأما مسألة لطم الصدور، فما حرّمته وما منعه، بل الذي ناديت علناً في ذلك بين الناس على المنبر وغيره، بأن يصير ذلك في المآتم؛ وذلك لما بلغني من ترتّب بعض المحرّمات على خروجهم، من فتنة وفساد ومضاربة ومقاتلة عندما يلتقي أهل محلّتين، - بحيث يحصل من جرّاء ذلك جرح وقتل».

(٢) في وقاية الأذهان: ٣٩٤ قال: مروي عنهم عليهم السلام، وفي الجواهر ٢٢: ٤٦ والقواعد الفقهية ١: ٢٦ إنّّه قول وليس حديثاً.

٤٣٤.....رسائل الشعائر الحسينية / ج ١

صراخ صارخة، ولم يرجع هو عليه السلام، بل قال لزرارة: «امض بنا، فلو أننا إذا رأينا شيئاً من الباطل مع الحق تركناه له الحق لم نقض حق مسلم»^(١).

بل يراد بهذه الكلمة الإعلام بأن المعصية الحقيقية لا تكون طاعة، كصدقة الزانية من كسب فجورها وإدخالها بذلك السرور على مسلم.

وبهذه الكلمة على مثل هذا المعنى استشهد السجّاد أو الصادق عليهما السلام في الخبر المروي عنه المتضمّن لبطلان عمل الناسك السارق للرمّان المتصدّق بواحدة منه؛ محتجاً بقوله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾^(٢).

ويمكن أن يراد بها مع ذلك أن ما هو طاعة حقيقية يلزم أن لا يكون متّحداً مع المعصية خارجاً بفعل يكون مجمع العنوانين، كالصلاة في الأرض المغصوبة، وهذا المعنى وسابقه أجنبي عن التذكارات التي تقع فيها المحرّمات بزعمه. تمّت في شهر ربيع الأول سنة ١٣٤٥ هـ، في المطبعة العلوية في النجف الأشرف.

(١) الكافي ٣: ١٧١ - ١٧٢ حديث ٣ باب «من يتبع جنازة ثم يرجع».

(٢) الأنعام (٦): ١٦٠.

والرواية في الاحتجاج: ٢٠٠، وعنه في بحار الأنوار ٤٧: ٢٣٨ - ٢٣٩ حديث ٣٣.

(٨)

الآيات البيّنات
- في قمع البدع والضلالات -
« المواقب الحسينيّة »

تأليف
الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء
(١٢٩٤ هـ - ١٣٧٣ هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد حمد الله، والصلاة على أنبيائه وأوليائه، يقول ناشر هذه الطُرف، وحاشر هذه التُّحف، العبد الفقير إلى ربّه محمّد ابن المرحوم الشيخ عبد الحسين آل كاشف الغطاء:

إنّ أستاذنا الأعظم، حامل أمانة الشرع الشريف، وكافل سدانة الدين الحنيف، آية الله والحبّة وصراطه والمحبّة، الشيخ شيخ محمّد حسين آل كاشف الغطاء أدام الله بركات إفاضاته وأيام إفاداته، مازال منذ ثلاثين عاماً يناضل عن دين الإسلام ويحامي ويذب عنه، قد أوقف نفسه سحابة عمره في سدّ ثغوره، وتشبيد سوره، وإعلاء نوره، ودفع كلّ واردة سوء ترد عليه، وقطع كلّ يد تمدّ بالعدوان إليه.

وقد اشتهر وانتشر من مؤلفاته في تلك المقاصد والمناحي ما لم تكتحل عين الدهر بمثلها، نحو كتاب «الدين والإسلام»، و«المراجعات الريحانية» ممّا بلغت تخوم الأرض وجازت أقاصي المعمور.

ولكن في هذه البرهة الأخيرة، حيث نهض بأعباء الزعامة الدينيّة، واستوى على منصّة الفتوى والمرجعيّة، واستغرقت أوقاته الثمينة العناية بمصالح العامّة وقضاء حوائج الناس، والبحث والتدريس، وتوسيع نطاق التأليف في علم الفقه،

والتوسع في أدلته.

كل ذلك ممّا عاقه عمّا كان عليه من الدفاع الديني، والجهد الإسلامي، وبثّ الدعوة والإرشاد لعامة الخلق إلى دين الحقّ.

ولكنّا كنّا ولا نزال، حرصاً على استثارة كنوز معارفه، والاستنارة بأنوار علومه، وثقة منّا بأنّه في صناعة النقد والردّ وتحقيق الحقّ وتمزيق الأباطيل لا يبارى ولا يجارى، وله المزبر^(١) الذي لا يشقّ غباره، ولا يدرك في السباق شأوه^(٢)، الآخذ بأعنة البراعة في الإنشاء لفظاً ومعنى وعلماً وعملاً، مع الإحاطة بأسرار العلوم وغوامض الفنون، وخفايا المعارف وكنوز الشريعة وبواطن الدين وظواهره.

لذلك كنّا نترصد أيّ فادحة ترد على الدين وتريد أن تصدّع بيضة الإسلام وتقضي على أمّهات عقائد المسلمين، حتّى إذا عثرنا بها انتهزنا فرصة من أوقاته، وفراغاً من ساعاته، فعرضناها عليه، أو قدّمناها إليه، متعرّضين بذلك في قمعها ودفعها لنفحات كلمه، أو رشحات قلمه، ثمّ نعود إليه ثانياً وثالثاً حتّى نجتمع من إفاضاته ومحاضراته في ذلك الموضوع جملة كافية في إزاحة العلة ودفع تلك المضلة.

من ذلك عندما نشرت الصحف فتوى علماء المدينة لقاضي الوهايبّة «ابن بليهد» التي تذرّع بها إلى هدم قبور أئمة البقيع سلام الله عليهم^(٣) وحينما تلوناها

(١) المزبّر: القلم. الصحاح ٢: ٦٦٧ «زبر».

(٢) الشأؤ: الغاية والأمد. الصحاح ٦: ٢٣٨٨ «شأ».

(٣) في سنة ١٣٤٤هـ استفتى قاضي القضاة في الحجاز الشيخ عبد الله بن بليهد علماء

❶ المدينة المنورة في جواز البناء على القبور، وتقبيّل الأضرحة، والذبح عند المقامات حيث يتناول الزائرون لها تلك اللحوم. فأجاب العلماء - وكان عددهم خمسة عشر شخصاً - بعدم جواز ذلك، ووجوب منعه ومعاقبة من يفعله.

وقد نُشرت هذه الفتوى في أكثر الصحف الصادرة آنذاك، كجريدة أمّ القرى الصادرة في مكّة المكرمة، وجريدة العراق الصادرة فيه.

وكان الهدف الرئيسي من هذه الفتوى هو تهيئة الرأي العامّ لهدم المراقد في الحرمين الشريفين، وفعلاً فقد تمّ في الثامن من شوال من تلك السنة هدم قبور الأئمة من أهل البيت (عليه السلام) في بقيع الغرقد في المدينة المنورة، وفي مقبرة المعلّى في الحجون في مكّة المكرمة، والمراقد الموجودة في الطائف.

وقد ضمّ بقيع الغرقد في المدينة المنورة عشرة آلاف مرقد من مراقد الصحابة والشهداء والأئمة من أهل البيت (عليه السلام)، منها: مرقد الإمام الحسن المجتبيّ (عليه السلام) سبط رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ومرقد الإمام السجّاد زين العابدين علي بن الحسين (عليه السلام)، وابنه الإمام محمّد الباقر (عليه السلام)، ثمّ ابنه الإمام جعفر الصادق (عليه السلام). وهم عند عمّهم العباس بن عبد المطلب تحت قبّته التي كانت مشادة.

وعلى رواية أنّ هناك مرقد الصديقة الزهراء (عليها السلام)، وكذلك مراقد عمّات الرسول (صلى الله عليه وآله) وزوجاته - عدا السيّدة خديجة الكبرى والسيّدة ميمونة بنت الحارث - وعقيل بن أبي طالب، وإبراهيم بن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، والإمام مالك بن أنس، ونافع شيخ القراء، وحليمة السعدية.

كما طال الهدم مرقد عمّ الرسول (صلى الله عليه وآله) حمزة بن عبد المطلب، وغيره من شهداء أحد مثل مصعب بن عمير، وجعفر بن شماس، وعبد الله بن جحش.

وقد امتدّ التدمير إلى مرقد حبر الأمة عبد الله بن عباس في الطائف، وقد كانت عليه قبّة مشادة لا تزال صورتها موجودة على صفحات التاريخ.

وعندما امتدّ الزحف العسكري إلى مكّة المشرفة عمدوا إلى آثارها فدمروها، وهدموا

٤٤٠.....رسائل الشعائر الحسينية / ج ١

عليه صار يلقي علينا محاضرة في ردّها وتفنيدها في كلّ اسبوع مرّة أو مرّتين، وكانت تنشر في جريدة النجف شذوراً ومنتفاً.

ولمّا شاعت الشبهة في مواكب عزاء الحسين عليه السلام، وقامت لها عواصم بلاد الشيعة وقعدت، وبالأخصّ بلاد البصرة، تواردت عليه البرقيات مستفتين عن جواز تلك المواكب وعدم جوازها، فكتب فيها بقلمه الشريف جملة جوابات قالعة لجرائم ^(١) الشبهة، وجادعة ^(٢) لخراطيم الضلالة.

وكنا ذات يوم سألناه أن يلقي علينا شيئاً من شأن مذهب «البهائية» المعروفين بالبايئة، فألقى علينا نبذة وافية في شرح حالهم ومقدار جهلهم وضلالهم.

ثمّ أحببنا أن نضمّ تلك الشذور النفيسة والأعلاق الثمينة، التي عقلت أمهات الكتب والمؤلّفات الغابرة والحاضرة عن الإتيان بواحدة من مثلها، أحببنا أن نضمّها في مجموع يؤلّف شتاتها، ويجمع متفرّقاتها.

☞ المراقد الشريفة في مقبرة المعلى في الحجون، فهذّموا قبّة عبد المطلب جدّ النبي صلى الله عليه وآله، ومرقد عمّه أبي طالب.

كما دخلوا إلى مدينة جدّة فهذّموا قبّة حوّاء أمّ البشرية الأولى وخربوا قبرها، كما طال الهدم بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، ومنزل فاطمة الزهراء عليها السلام، ومنزل حمزة بن عبد المطلب، ودار الأرقم ابن أبي الأرقم، ومكان العريش التاريخي الذي أشرف منه رسول الله صلى الله عليه وآله على معركة أحد.

انظر مقدّمة كتاب «دعوة الهدى إلى الورع في الأفعال والفتوى»، المطبوعة سنة ١٤٢٠هـ في دار المحبّة البيضاء في بيروت.

(١) الجرثومة: الأصل. الصحاح ٥: ١٨٨٦ «جرثم».

(٢) أي قاطعة: انظر الصحاح ٣: ١١٩٣ «جدع».

الآيات البيّنات - في قمع البدع والضلالات - «المواكب الحسينيّة»..... ٤٤١
وبعد أن وفق الله لجمعه، رغبتنا في نشره وطبعه نصرة للحقيقة، وخدمة للحقّ
والفضيلة، وإخماداً للنائرة، وقطعاً لدابر الفساد والفتنة إن شاء الله.
وقد أعاننا على نشره بعض أعظم العلماء في عواصم بلاد الشيعة، شكر الله
مساعيه وغرّ أياديّه^(١).

ثمّ استجزنا شيخنا الأعظم أدام الله أيامه في ذلك، فتكرّم بالإجازة وإن كان
جملة منها قد طُبِع منفرداً، وقد جمعناها هنا مع ما أضافه إليها ثانياً، ويليق أن
يوسم هذا المجموع الزاهر بـ «الآيات البيّنات في قمع البدع والضلالات» فاعتنمه
علقاً^(٢) ثميناً، وفرقناً مبيناً، فرقاناً بين الحقّ والباطل، وتبياناً للهدى من الضلالة،
ولله الحمد والمثّة على ذلك.

كتب مدّ الله ظلّه في أجوبة الأسئلة الواردة إليه عن فتواه في المواكب
الحسينيّة - زادها الله عزّاً وكرامة - عدّة مقالات، وكتب مطوّلة ومختصرة
ومتوسطة، ونحن ننتخب منها ثلاثاً على ذلك النسق.

وكان أوّل استفتاء ورد إليه في النجف من جماعة من ذوي الفضل وهذا
صورته:

«ما يقول مولانا حجة الإسلام شيخنا الشيخ محمّد حسين - مدّ الله ظلّه
العالي على رؤوس الأنام - في المواكب المشجّية التي اعتاد الجعفرّيون اتّخاذها
في العشر من المحرّم الحرام تمثيلاً لفاجعة الطفّ، وإعلاماً لمتّ انتهب فيها من حرمة
الرسول ﷺ في عترته المجاهدين بالتمثيل للشهداء وجهادهم، وما جرى عليهم
وما جرى على الأطفال من القتل والقسوة، وبإعلانهم الحزن لذلك الفادح بأنواعه:

(١) أي بيضاء أياديّه، وهو كناية عن الكرم وحسن الفعل. انظر الصحاح ٢: ٧٦٧ «غرر».

(٢) العلق، بالكسر: النفيس من كلّ شيء. الصحاح ٤: ١٥٣٠ «علق».

من ندب ونداء، وعويل وبكاء، وضرب بالأكفّ على الصدور وبالسلاسل على الظهور. فهل هذه الأعمال مباحة في الشرع الأزهر أم لا؟ افتونا مأجورين».

فكتب دامت بركاته ما نصّه:

بسم الله الرحمن الرحيم

قال سبحانه وتعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ
* لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾^(١).

ولا ريب أنّ تلك المواكب المحزنة وتمثيل هاتيك الفاجعة المشجية، من أعظم شعائر الفرقة الجعفرية شيّد الله أركانها.

ونحن إذا لم نقل باستحبابها ورجحانها؛ لتوفّر الأدلّة من الأخبار والأحاديث المتظافرة المشعرة بمحبوبة تلك المظاهرات لأهل البيت عليه السلام، فلا أقل من القول بالجواز والإباحة.

وما يتداول ويستعمل فيها من ضرب الطبول ونحوه، غير معلوم اندراجّه في ما علم حرّمته من آلات اللّهُو والطرب، نعم لو علّم كونها منها فاللّازم تنزيه تلك الأعمال الشريفة ممّا يشينها ويحبط أجرها وفضلها الجسيم.

وما أحسب التعرّض للسؤال عن تلك الأعمال التي استمرت السيرة عليها منذ مئات من السنين، وذلك بمشاهدة أعظم العلماء لها وصلاح أهل الدين، مع عدم النكير من واحد منهم، لا حديثاً ولا قديماً، مع أنّها بمرأى منهم ومسمع.

ما أحسب وضعها في مجال السؤال والتشكيك إلاّ دسيسة أموية أو نزعة

الآيات البينات - في قمع البدع والضلالات - «المواكب الحسينية»..... ٤٤٣
وهآية، يريدون أن يتوصلوا بذلك إلى إطفاء ذلك النور، الذي أبى الله إلا أن يتمه
ولو كره الكافرون.

كما أنني لا أرتاب في أنه لو تمت لهم هذه الحيلة ونجحت - لا سمح الله -
هذه الوسيلة وعطّلت تلك المواكب والمراسم في سنتين أو ثلاث، سرى الداء
واستفحل الخطب وتطرّقا إلى السؤال والتشكيك في ما يقام في بلاد الشيعة من
المآتم، وجعلوا ذلك باباً إلى إماتة تلك المحافل والمحاشد التي بإحيائها إحياء
الدين، وبإماتتها إماتة ذكر الأئمة الطاهرين عليهم السلام.

ومن له أقلّ إلمام ووقوف على المجتمعات والجمعيات التي عقدت في هذه
الأعصار في مصر ودمشق وغيرهما، وما أصبحت تنشره من المقالات والمؤلفات
في إحياء ذكر بني أمية، وتنزيههم، وتبرير أعمالهم، وتبرئهم من قتل الحسن
والحسين عليهما السلام، والتنويه بذكر يزيد، وأنه من الخلفاء الراشدين والأئمة المرضيين،
عرف من أين سرى هذا السمّ الخبيث، وجاءتها تلك البلية، التي تريد أن تقضي
على حياة الشيعة وتزهق روح الشريعة، ولا يروج هذا إلا على السذج والبسطاء
والمغفلين الذين يقتلون الدين باسم الدين من حيث لا يشعرون.

فالرجاء والأمل من جميع إخواننا المؤمنين - ثبتهم الله بالقول الثابت
وأيدهم بروح منه - ترك الخوض في مثل هذه الأمور المتسالم عليها خلفاً عن
سلف، والتي هي من أعظم الوسائل إلى نيل الشفاعة، والدخول في سفينة النجاة
وأبواب الرحمة.

وليصرفوا أوقاتهم الثمينة في الاتفاق والتعاقد والتعاون على البر والتقوى
في ما يعود إلى إصلاح شؤون دينهم ودنياهم، وجمع كلمتهم على الحق والهدى إن
شاء الله تعالى ولا يخوضوا في ما يوجب اختلاف الأمة وتفرقة الكلمة، والله ولي

التوفيق وبه المستعان.

ثمّ تتابعت البرقيات من البصرة وغيرها سائلين منه دام علاه، طالبين فتواه في تلك الأعمال، فكتب إليهم كتاباً أبسط من الجواب المتقدم، وقد طبع في مطبعة الكاظمية بالبصرة، وانتشر بصورة منشور منفرد في عامّة الأطراف، ونحن نذكر ذلك المنشور بحروفه المطبوعة حفظاً له:

بسم الله الرحمن الرحيم

وله الحمد والمجد، والصلاة على أمناء وحيه وأمرأه وأمره ونهيه.

صورة ماورد من النجف الأشرف من الفتوى لجناب المصلح الكبير والداعية الشهير، صاحب كتاب «الدين والإسلام» العالم الربّاني والزعيم الروحاني، كبير مشاهير العصر، وعظيم فقهاء مصر، حجة الإسلام والمسلمين، وعميد الإيمان والمؤمنين، زعيم زعماء الحقيقة، ورئيس رؤساء المذهب والطريقة، وحيد...^(١) وكبير نواب الدست الإمامي من العرب، ورجل رجال الدعوة في القرن الرابع عشر، الآية الكبرى في العالم الإسلامي، الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء دام مجده، حين سُئل عن عنوان المواكب التي تندب الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام في الشوارع والطرق ومما شتمت عليه:

إلى إخواننا المؤمنين وعباد الله الصالحين من السادة الأشراف والأماجد الكرام السيّد هاشم البعّاج، والسيّد عبد الباقي البعّاج، والحاج داود العطية، وعبد الواحد العطية، والملاّ جعفر أدام الله حراستهم وتوفيقهم.

(١) وردت هنا كلمة غير مقروءة.

الآيات البيّنات - في قمع البدع والضلالات - «المواكب الحسينيّة» ٤٤٥
سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وتحياته.

وردتنا برقيّتكم، فأزعجتنا غاية الإزعاج، وما كنّا نظنّ أنّ الأمر يبلغ إلى
هذه المنزلة.

ثمّ وردنا بعد ذلك كتاب من السيّد الأمجد السيّد هاشم أدام الله عزّه، في
طيّة الرسالة ذات الاسم الخشن الهائل، وكنا كتبنا في جواب السيّد الأعزّ السيّد
فاخر البعّاج حفظه الله، ما كنّا نأمل أن يعود حاسماً لتلك المشاجرة التي هي من
أضرّ الحوادث في الحال الحاضر علينا معشر المؤمنين.

ويكفيّنا عن وقوع الخلاف بيننا تهاجم الأعداء علينا من كلّ ناحية ومكان،
ويلزم علينا اليوم أن تكون حادثة المدينة وهدم قبور أئمّة البقيع سلام الله عليهم،
هي الشغل الشاغل لنا عن كلّ خلاف، الداعية لكلّ تعاضد بيننا واتتلاف.

أمّا الحكم الشرعي في تلك المظاهرات والمواكب، فلا إشكال في أنّ اللطم
على الصدور، وضرب السلاسل على الظهور، وخروج الجماعات في الشوارع
والطرق بالمشاعل والأعلام مباحة مشروعة، بل راجحة مستحبّة، وهي وسيلة
من الوسائل الحسينيّة، وياب من أبواب سفينة النجاة.

وأما الضرب بالطبول والأبواق وأمثالها ممّا لا يُعدّ من آلات اللهو والطرب،
فلا ريب أيضاً في إباحتها ومشروعيتها للإعلام والإشعار وتعظيم الشعار.

وأما الضرب بالسيف أو الخناجر والإدماة، فهو كسوابقه مباح بمقتضى
أصل الإباحة، بل راجح بقصد إعلان الشعار للأحزان الحسينيّة. نعم، إلّا أن يعلم
بعروض عنوان ثانوي يقتضي حرمة شيء من تلك الأعمال الجليلة، مثل كونه
موجباً للضرر بتلف النفس، أو الوقوع في مرض مزمن.

أمّا الألم الذي يزول بسرعة، فلا يوجب الحرمة.

وكذلك الخروج في الشوارع، إذا أوجب الفساد بالمقابلة أو المقاتلة فهو حرام أيضاً.

وهذه عوارض وقتية وموارد شخصية، لا يمكن ضبطها، وليس على الفقيه إلا بيان الأحكام الكلية، أما الجزئيات فليست من شأن الفقيه ولا من وظيفته، على أن استلزامها للفساد أحياناً لا يوجب تحريمها أبداً.

أما الشبيه، فلا ريب أن أصل تشبّه شخص بآخر مباح جائز، كيف وقد ألقى الله سبحانه شبه نبيه عيسى عليه السلام على أبغض خلقه وهو يهوذا الإسخريوطي، الذي نمّ على عيسى عليه السلام عند اليهود وحرّضهم على قتله^(١)، كما أشار إليه سبحانه وتعالى بقوله ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبّهَ لَهُمْ﴾^(٢).

وكان أمين الوحي جبرائيل عليه السلام يتشبه بدحية الكلبي إذا حضر في السدة النبوية^(٣).

والملائكة تشبّهت يوم بدر بأمر المؤمنين صلوات الله عليه^(٤).

(١) ففي حديث طويل عن أبي جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: «... إن اليهود جاءت في طلب عيسى عليه السلام من ليلتهم، فأخذوا الرجل الذي قال له عيسى عليه السلام: «إن منكم لمن يكفر بي من قبل أن يصبح اثنتي عشرة كفرة»، وأخذوا الشاب الذي ألقى عليه شبع عيسى فقتل وصلب...»، تفسير القمي ١: ١٠٣، رفع عيسى.

(٢) النساء (٤): ١٥٧.

(٣) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن أبا ذر أتى رسول الله ﷺ ومعه جبرئيل في صورة دحية الكلبي وقد استخلاه رسول الله ﷺ...».

الكافي ٢: ٥٨٧، حديث ٢٥، باب (دعوات موجزات لجميع الحوائج).

(٤) عن زيد بن وهب قال: سمعت علياً عليه السلام يقول وقد ذكر حديث بدر ومجيء عمّه إلى

الآيات البيّنات - في قمع البدع والضلالات - «المواكب الحسينيّة» ٤٤٧.....
 نعم، خروج النساء سوا فر محرّم، سواء كان في الشبيه أو غيره، وهذا لا يقتضي حرمة الشبيه، بل ينبغي ويلزم التجنّب عنه بنفسه. ولو أنّ كلّ راجح يستلزم محرّماً أو يقع فيه محرّم تركناه، لبطلت سنن الشريعة وقوّضت دعائم الدين.
 ولكن يلزم على أمناء العلم وحملة الشريعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالموعظة الحسنة والقول اللين، فإنّها أنجع^(١) وأنفع في تهذيب الأخلاق وإصلاح النفوس.

ووصيّتي ونصيحتي ورغبتني وطلبتني من كافّة إخواننا المؤمنين البصريّين خصوصاً، ومن في سائر الأقطار عموماً أمران مهمّان:

الأوّل: تنزيه المواكب الحسينيّة الشريفة من كلّ ما يشينها ويدنّسها ويخرج بها عن عنوان مظاهر الحزن والفجيعة، إذ ليس الغرض من تكرار فاجعة الطفّ كلّ سنة بل كلّ يوم، اللهو واللعب بقصّة من الأقاصيص وعجيبية من الأعاجيب، بل في ذلك من الحكم السامية والأسرار المقدّسة ما يقصر عنه اللسان ويضيق به البيان.
 فاللزام تطهير تلك المواكب الشريفة عن كلّ ما يمسّ شرفها وكرامتها، حتّى يترتّب عليها آثارها المشروعة وغاياتها الشريفة، التي من أجلها وفي سبيلها بذل الحسين - أرواحنا فداء - نفسه وأفلاذ قلبه وأعزّ أهل بيته وأصحابه، حتّى جرى

❦ النبي ﷺ فقال: «والله يا رسول الله ما أسرني إلا ابن أخي علي بن أبي طالب...».

فقال النبي ﷺ: «صدق عمّي ذاك ملك كريم».

فقال العباس: لقد عرفته بجلحته وحسن وجهه.

فقال له: «إنّ الملائكة الذين أيّدني الله بهم على صورة علي ابن أبي طالب؛ ليكون ذلك أهيب لهم في صدور الأعداء...». الفصول المختارة: ٢٤٩، كلام في شجاعة أمير المؤمنين عليه السلام.

(١) وقد نجح فيه الخطاب والوعظ والدواء: أي دخل وأثر. الصحاح ٣: ١٢٨٨، «نجع».

عليه من زوابع^(١) الفجائع مالم يجري على بشر، ولا نحسبه يجري على أحد من بعده.

الأمر الثاني: ولعلّه أهم من الأول، ألا وهو رفض هذه الخلافات والمشاجرات التي لا تعود إلا بالضرر المبيد والضعف المهلك علينا معشر المؤمنين، إنّما اللازم المحتمّ علينا - سيّما في مثل هذه الأعصار - أن نكون يداً واحدة أمام العدو الذي لا يزال يجدّ ويدأب في هدم بيوت ﴿أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾^(٢).

ولعمر الله والحقّ لئن استمر هذا الحال من تخاذلنا، وتضارب بعضنا ببعض، وتكالب الأعداء علينا من كلّ حدب وصوب، لنذهبنّ ذهاب أمس الدابر^(٣)، ولا يبقى لهذه الطائفة أثر ولا عين.

فالله الله يا عباد الله الصالحين في جمع الكلمة، ولمّ الشعث، وتدارك الخطر قبل فواته، ورتق^(٤) الفتق قبل اتساعه، ونبذ تلك المشاجرات المفارقة والمؤجّجة لنيران العداوة، المحرقة على غير طائل.

(١) جمع زوبعة، قال الجوهري: ومنه سميّ الإعصار زوبعة. الصحاح ٣: ١٢٢٤، «زبع».

والمراد: أنّه جرت عليه أعاصير الفجائع.

(٢) النور (٢٤): ٣٦.

(٣) دبر النهار وأدبر: ذهب. وأمّس الدابر: الذاهب، وقالوا: مضى أمّس الدابر وأمّس المدبر، وهذا من التطوّع المشام للتأكيد؛ لأنّ اليوم إذا قيل فيه: أمّس، فمعلوم أنّه دبر، لكنّه أكّده بقوله: الدابر. ويقال: هيهات، ذهب فلان كما ذهب أمّس الدابر، وهو الماضي لا يرجع أبداً. لسان العرب ٤: ٢٧٠ «دبر».

(٤) رتقت الفتق أرّقه فارتنق أي: التأم. الصحاح ٤: ١٤٨٠، «رتق».

الآيات البيّنات - في قمع البدع والضلالات - «المواكب الحسينيّة» ٤٤٩
كونوا يا عباد الله إخواناً في دين الله رحماء بينكم أشدّاء على أعدائكم^(١)
ولا تعكسوا الآية فإنّ ذلك أربح وأنجح وأفضل وأجمل في الدنيا والآخرة، والله
سبحانه وليّ التوفيق لنا ولكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
وأرجو أن يكون هذا القدر على اختصاره يغني عن تأليف الرسالة، وعسى
مع سنوح الفرصة أن يوفّق الله سبحانه لذلك إن شاء الله.

١٧ صفر سنة ١٣٤٥هـ

طبعت بالمطبعة الكاظميّة في البصرة

وحيث لم تنحسم الشبهة، ولم تبرأ العلة، ولم تُمسك السنة المعارضين بتلك
البيّنات الشافية، لذلك تظاهرت وتظافرت عليه البرقيّات من عدّة جهات يرغبون
إليه في أن يكتب ما هو أبسط من ذلك، فعزّزهما بثالث، لم يبق للشبهة مجالاً ولا
للسكّ موضعاً، وكتب بقلمه دامت بركاته ما نصّه:

(١) حيث قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾،
الفتح (٤٨): ٢٩.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وله المجد والكبرياء

إلى عموم إخواننا المؤمنين من أهالي البصرة ونواحيها - وفقهم الله جميعاً
للعمل الصالح، والمتجر الرابع، والسعي الناجح إلى سعادة الدارين، وفوز
النشأتين إن شاء الله - بتوسط الأُمّدين السيّد هاشم البعّاج والحاج داود العطية
أدام الله لهم السلامة والكرامة.

سألتم أعزّكم الله - في عدّة برقيات وردت إلينا منكم ومراسلات تتابعت
لدينا عنكم - عن المواكب الحسينية زاد الله شرفها، وعمّا يجري فيها من ضرب
الرؤوس والصدور بالسلاسل والسيوف والإدماة، وقرع الطوس والطبول،
والشبيه، أو الخروج في الشوارع والأزقة بالهيئات المتعارفة والكيفيات المتداولة
في أكثر بلاد الشيعة - نصرها الله - سيّما في العتبات المقدّسة دام شرفها.

ولعمري، ما كنتُ أحسب أنّ هذا الموضوع يُعرض على مطرقة النقد
والتشكيك، أو يُطرح في منطقة السؤال والترديد. كيف، وقد مرّت عليه الدهور
والأحقاب، وخضعت له أساطين الملّة وأعلام الشريعة في جميع الأعصار
والأدوار، ما أنكره منكر، ولا اعترضه معترض، وهو بمرأى منهم ومسمع، ومنتدى
ومجمع.

وقد كان يجري في القرن الماضي أزمنة السيّد بحر العلوم وكاشف الغطاء -

الآيات البيّنات - في قمع البدع والضلالات - «المواكب الحسينيّة» ٤٥١
قدّس الله أسرارهما - من التشبيهات التي كانت تسمّى «الدائرة» ما هو أوسع
وأشيع وأكثر وأوفر ممّا يجري في هذه العصور، وفضلاً عن سكوت أولئك
الأساطين كانوا يمدّونهم بالمساعدة، ويعضدونهم بالحضور والمشاهدة، وفي
كشف الغطاء^(١) وجامع الشتات^(٢) للمحقّق القمي وغيرهما من أقرانها ما يشهد
بذلك أكبر شهادة.

دع عنك هذه الشواهد والمشاهد، وأنظر إلى المسألة من وجهها العلمي،
ومن حيث القواعد والأدلة:

أمّا أولاً: فالأصول الأولى تقضي بإباحة جميع تلك الأعمال، وعلى مدّعي
الحرمة إقامة الدليل عليها، والأصل مع المنكر ومطالبته بالدليل تضليل.
وأمّا ثانياً: فكلّ واحد من تلك الأعمال على الإجمال ممّا يتخرّج
لمشروعيته وجه وجيه عند المتضلع الفقيه، من عمومات الأدلة ومحكمات
القواعد المعقولة والمنقولة.

(١) كشف الغطاء ١: ٥٣ - ٥٤، المقام الثاني: في ما يتعلّق بجملة العبادات بالمعنى الأخص.

(٢) جامع الشتات ٢: ٧٨٧.

الظم والدم

مَن ذا يشكّ ويرتاب في رجحان مواساة أهل بيت الرحمة وسفن النجاة،
والتأسي بهم في الأفراح والأتراح والضراء والسراء؟!
أو من ذا يشكّ أنّ أهل البيت - سلام الله عليهم - قد لطموا في فاجعة الطفّ
وجوههم، ولدّموا صدورهم، وقرح البكاء خدودهم وعيونهم؟! وفي زيارة
الناحية المقدّسة «فبرزنَ من الخدور ناشرات الشعور لاطمات الخدود سافرات
الوجوه»^(١).

ولا تقل: إنّ هذا مخصوص بيوم الطفّ وما قاربه، فقد روى الصدوق
رضوان الله عليه أنّ دعبل لما أنشد الرضا عليه السلام تائيته المشهورة التي فيها:
«إذا لطمتم الخدّ فاطم عنده» لطمت النساء وعلا الصراخ من وراء الستر وبكى
الرضا عليه السلام في إنشاد القصيدة حتّى أغمي عليه مرّتين^(٢).
فإذا جاز للرضا عليه السلام أن يتعرّض لسبب الإغماء الذي هو أخ
الموت، فلماذا لا يجوز لشيّعه ضرب الرؤوس والظهور ولدم الصدور وأمثالها ممّا
هو دون الإغماء بكثير؟!

(١) المزار: ٥٠٤، زيارة أخرى في يوم عاشوراء خرجت عن الناحية، باختلاف يسير.
(٢) لم نعثر على نصّ للشيخ الصدوق بهذا العنوان، ولكن نقل أبو الفرج الأصفهاني هذه
الواقعة بهذه الكيفيّة في الأغاني ٢٠: ١٦٢، دعبل وعلي ابن موسى الرضا عليه السلام، ونقلها
عنه بهذا النصّ المرحوم الأميني في الغدير ٢: ٣٥٠ والسيد محسن الأمين في أعيان
الشيعة ٦: ٤١٥.

خروج المواكب في الطرقات

بزغت شمس هذه الحقيقة المكنونة من عهد يناهز الألف سنة، أعني من زمن معزّ الدولة وركن الدولة، حيث أمرا بخروج مواكب العزاء يندبون سيّد الشهداء سلام الله عليه، وبأيديهم المشاعل ليلاً، حتّى تعود بغداد وطرقاتها ضجّة واحدة، وذلك في أخريات القرن الرابع، على ما ذكره ابن الأثير في كامله في مواضع^(١).

وكان ذلك العصر الزاهي حافلاً بأكابر علماء مذهب الإماميّة: كالشيخ المفيد، وابن قولويه، والسّيدين الإمامين المرتضى والرضي نور الله مراقدهم،

(١) قال ابن الأثير: «في هذه السنة [٣٥٢هـ] عاشر المحرم، أمر معزّ الدولة الناس أن يغلقوا دكاكينهم ويبتلوا الأسواق والبيع والشراء، وأن يظهروا النياحة، ويلبسوا قباً عملوها بالمسوح، وأن يخرج النساء منشرات الشعور، مسودات الوجوه، قد شققن ثيابهنّ، يدرن في البلد بالنوائح، ويلطمن وجوههنّ على الحسين بن علي رضي الله عنهما، ففعل الناس ذلك ولم يكن للسنية قدرة على المنع منه لكثرة الشيعة ولأنّ السلطان معهم»، الكامل في التاريخ ٨: ٥٤٩، ذكر عدّة حوادث سنة ٣٥٢هـ.

ويقول في ذكر أحداث سنة ٣٥٨هـ: «عمل أهل بغداد ما قد صار لهم عادة من إغلاق الأسواق وتعطيل المعاش وإظهار النوح والمآتم بسبب الحسين بن علي رضوان الله عليهما»، نفس المصدر صفحة: ٦٠٠.

وكان ملوك آل بويه قيد إشارة أولئك الأساطين ورهن أوامرهم ونواهيهم.

وحسبك ما شاع وأخذ بمجامع الأسماع من أن السيّد الرضي ورد لزيارة جدّه الحسين عليه السلام يوم عاشوراء في بعض السنين، فرأى جماعة من الأعراب يعدون^(١)، وهم ينوحون ويلطمون متهافتين للهجوم على الحائر الحسيني، فدخل في زمرتهم، وأنشأ في ذلك الحال على البديهة قصيدته الغراء المشهورة التي يقول في براعتها:

كربلا لازلت كرباً وبلا مألقي عندك آل المصطفى^(٢)

(١) أتاه غثوا: وهو مقارب الهرولة ودون الجري. تاج العروس ١٩: ٦٥٨ «عدو».

(٢) هذا البيت مطلع «المقصورة الحسينية» المعروفة، وهي أشهر ما نظمه الشريف الرضي رحمه الله، فإن كان شعره على كثرتة، وسعة أغراضه، وسموّ معانيه، ورفعة منزلته الأدبية، معروفاً عند الأدباء، فإنّ مقصورته هذه تداولتها الأجيال الواسعة قراءة وسماعاً منذ عصره إلى عصرنا الحاضر، بل وإنّ الكثير منهم قرأها أو سمعوها وإن لم يعرفوا القائل.

وقد ناقش البعض في نسبتها إلى الشريف الرضي، بل قام بحذفها من ديوانه!!! محتجاً ببعض المعاذير الواهية، كما فعل الدكتور عبد الفتاح محمّد الحلو في تصديره لديوان الشريف، الذي نشرته له وزارة الإعلام أيام حكومة صدام حسين. ومن هذا يتّضح أنّ الأحقاد الأموية لا زالت باقية ليومنا هذا، يتوارثها الأبناء عن الآباء، وأنّ كربلاء لازالت لهذا اليوم كرباً وبلا.

ونورد هنا القصيدة كاملة تعميماً للفائدة:

كربلا، لا زلت كرباً وبلا	ما لقي عندك آل المصطفى
كم على تربك لمّا صرعوا	من دم سال ومن دمع جرى
كم حصان الذيل يروي دمعها	خدّها عند قتيل بالظّما

تمسح الترب على إعجالها
وضيوف لقلّة قفرة
لم يذوقوا الماء حتّى اجتمعوا
تكسف الشمس شمساً منهم
وتنوّش الوحش من أجسادهم
وجوهاً كالمصاييح، فمن
غيرتهن اللّياالي، وغدا
يا رسول الله لو عاينتهم
من رميض يُمنع الظلّ، ومن
ومسوق عاثر يُسعى به
متعب يشكو أذى السير على
لرأت عيناك منهم منظرأ
ليس هذا لرسول الله، يا
غارس لم يأل في الغرس لهم
جزّوا جزر الأضاحي نسله
معجلات لا يوارين ضحي
هاتفات برسول الله في
يوم لا كسر حجاب مانع
أدرك الكفر بهم ثاراته
يا قتيلاً قوّض الدهر به
قتلوه بعد علم منهم
وصريعاً عالج الموت بلا
غسلوه بدم الطعن، وما

عن طلى نحر رميل بالذّمّا
نزلوا فيها على غير قرى
بحدى السيف على ورد الردى
لا تدانيها ضياء وعلى
أرجل السبق وأيمان الندى
قمر غاب، ونجم قد هوى
جاير الحكم عليهنّ البلى
وهم ما بين قتلى وسبا
عاطش يُسقى أنا بيب القنا
خلف محمول على غير وطا
نقب المنسيم، مجزول المطا
للحشى شجواً، وللعين قذى
أمة الطغيان والبغي، جزا
فأذاقوا أهله مر الجنى
ثم ساقوا أهله سوق الإما
سُنن الأوجه أو بيض الطلى
بهر السعي، وعثرات الخطى
بذلة العين ولا ظل خبا
وأزيل الغيّ منهم فاشتقى
عمد الدين وأعلام الهدى
أنّه خامس أصحاب الكسا
شدّ لحيين ولا مدّ ردا
كفّنوه غير بوغاء الثرى

☞ مرهقاً يدعو، ولا غوث له
وبأَمَّ رفَّع الله لها
أيَّ جدَّ وأب يدعوها
يا رسول الله يا فاطمة
كيف لم يستعجل الله لهم
لو بسبطي قيصر، أو هرقل
كم رقاب من بني فاطمة
واختلاها السيفُ حتَّى خلتها
حملوا رأساً يُصلُّون على
يتهادى بينهم لم ينقضوا
ميتت تبكي له فاطمة
لو رسول الله يحيا بعده
معشر منهم رسول الله والـ
صهره البازل عنه نفسه
أولُ الناس إلى الداعي الذي
ثم سبطاه الشهيدان، فذا
وعلي، وابنه الباقر، والـ
وعلي، وأبوهُ وابنه
يا جبال المجد عزاً وعُلى
جعل الله الذي نابكم
لا أرى حزنكم يُنسى، ولا
قد مضى الدهر، وعفى بعدكم
أنتم الشافون من داء العمى

بأب برَّ وجدَّ مصطفى
علماً ما بين نسوان الورى
جدَّ، يا جدَّ، أغثني يا أبا
يا أمير المؤمنين المرتضى
بانقلاب الأرض أو رجم السما
فعلوا فعل يزيد، ما عدا
عزقت ما بينهم، عرق المدى
سلم الأبرق، أو طلع العرى
جدَّه الأكرم طوعاً وإبا
عمم الهام، ولا حلوا الحبي
وأبوها، وعليّ ذو العُلى
قعد اليوم عليه للعزا
كاشفُ الكرب، إذا الكربُ عرا
وحسام الله في يوم الوغى
لم يقدّم غيره لمّا دعا
بحسا السّم، وهذا بالظبي
صادقُ القول، وموسى والرضا
والذي ينتظر القوم غدا
وبدور الأرض نوراً وسنا
سبب الوجد طويلاً والبُكا
رُزءكم يُسلى، وإن طال المدى
لا الجوى باخ، ولا الدّمع رقا
وغداً ساقون من حوض الروا

الآيات البَيِّنَات - في قمع البدع والضلالات - «المواكب الحسينية» ٤٥٧.....
ولولا خروج المواكب في الطرقات لبطلت الغاية، وفسدت الثمرة، وانتفى
الغرض المهم من التذكّار الحسيني، بل ومن الشهادة الحسينية، كما يعرفه كلّ
متعقّق في الأسرار.

وأما ترتّب بعض المحرّمات عليه من فتنة وفساد ومضاربه ومقاتلة، فذلك
لا يستوجب حرمة الخروج الراجح، فإنّ حرمة الشيء لا توجب حرمة ما يقع فيه،
ومن تغنّى في القرآن لا يقال له: إنّ قراءة القرآن حرام، بل التغنّي بالقرآن حرام.
فليس الخروج حراماً، بل المضاربة والمقاتلة محرّمة أينما كانت.

وتخطىّ الناس طُراً، وطوى
ظل عدن دونها حرّ لظى
وضح السبل وأقمار الدجى
مع رسول الله فوزاً ونجا
معرضاً ممتنعاً عند اللقا
يفلّح الجيل الذي منه شكا
نصروا أهلي، ولا أغنوا غنا
بالعظيمات، ولم يرعوا ألى
قائم الشرك لأبقى ورعى
وعرى الدّين، فما أبقوا عُرى
بنتي الأدنون ذبّح للعدى
خلفوه بجميل إذ مضى
جثث مظلوماً وذا يوم القضا

نزل الدين عليكم بيتكم
أين عنكم للذي يبغى بكم
أين عنكم لمضلي طالب
أين عنكم للذي يرجو بكم
يوم يغدو وجهه عن معشر
شاكياً منهم إلى الله، وهل
ربّ! ما حاموا، ولا آووا، ولا
بدّلوا ديني، ونالوا أسرتي
لوولي ما قد ولوا من عترتي
نقضوا عهدي، وقد أبرمته
حُرّمي مستردفات، وبنو
أثرى لست لديهم كامرء
ربّ! إنني اليوم خصم لهم

ضرب الرؤوس والظهور بالسيوف والسلاسل

لاريب أن جرح الإنسان نفسه وإخراج دمه بيده في حدّ ذاته من المباحات الأصلية، ولكنّه قد يجب تارةً، وقد يحرم أخرى، وليس وجوبه أو حرمة إلاّ بالعناوين الثانوية الطارئة عليه وبالجهات والاعتبارات.

فيجب كما لو توقّفت الصّحة على إخراجِه، كما في الفصد والحجامة.

وقد يحرم، كما لو كان موجبا للضرر والخطر من مرض أو موت.

وقد تعرض له جهة تُحسّنه ولا توجبه، وناهيك بقصد مواساة سيّد أهل الإبا وخامس أصحاب العبا، وسبعين باسل من صحبه وذويه، حسبك بقصد مواساتهم وإظهار التفجّع والتلهّف عليهم وتمثيل شبح حالتهم مجسّمة أمام عيون محبّتهم، ناهيك بهذه الغايات والمقاصد جهات محسّنة وغايات شريفة ترتقي بتلك الأعمال من أخسّ مراتب الحطّة إلى أعلى مراتب الكمال.

وإنّ الأولى بالطفّ من آل هاشم تأسّوا فستّوا للكرام التأسّيا^(١)

(١) تاريخ الطبري ٥: ٦، أحداث سنة إحدى وسبعين، والبيت لمصعب الزبيدي حينما خذله قومه، فوقف وقال هذا البيت.

الآيات البيّنات - في قمع البدع والضلالات - «المواكب الحسينيّة» ٤٥٩
أما ترتّب الضرر أحياناً بنزف الدم المؤدّي إلى الموت، أو إلى المرض
المقتضي لتحريمه، فذاك كلام لا ينبغي أن يصدر من ذي لبّ، فضلاً عن فقيه أو
متفكّح:

أما أولاً: فلقد بلغنا من العمر ما يناهز السّتين، وفي كلّ سنة تقام نصب أعيننا
تلك المحاشد الدمويّة، وما رأينا شخصاً مات بها أو تضرّر، ولا سمعنا به في
الغابرين.

وأما ثانياً: فتلك الأمور على فرض حصولها إنّما هي عوارض وقتيّة،
ونوادير شخصيّة، لا يمكن ضبطها ولا جعلها مناطاً لحكم أو ملاكاً لقاعدة، وليس
على الفقيه إلّا بيان الأحكام الكلّيّة، أمّا الجزئيات فليست من شأن الفقيه ولا من
وظيفته، والذي علينا أن نقول: إنّ كلّ من يخاف الضرر على نفسه من عمل من
الأعمال يحرم عليه ارتكاب ذلك العمل.

ولا أحسب أنّ أحد الضاربين رؤوسهم بالسيوف يخاف من ذلك الضرب
على نفسه ويقدم على فعله، ولئن حرم ذلك العمل عليه فهو لا يستلزم حرمة على
غيره.

وأما ما ورد في الأخبار^(١)، وذكره الفقهاء في كتاب الحدود والديّات^(٢)،
من أقسام الشجاج كـ«الحارصة»: وهي التي تقشر الجلد^(٣)، وفيها بعير،

(١) الكافي ٧: ٣٢٦، باب (دية الجراحات والشجاج).

(٢) راجع على سبيل المثال جواهر الكلام ٤٣: ٣١٧، (المقصد الثالث - في الشجاج
والجراح)، وقد ذكر أحكام كلّ منها على وجه التفصيل.

(٣) قال الجوهري: الحارصة: الشجة التي تشقّ الجلد قليلاً، الصحاح ٤: ١٠٣٢ «حرص».

٤٦٠.....رسائل الشعائر الحسينية / ج ١

و«الدامية»: وهي التي تأخذ من اللحم يسيراً^(١) وفيها بغيران، وهلم جرا إلى «الهاشمة»^(٢) وفيها عشرة، فمعلوم أنّ المراد مالو جناه إنسان على آخر عدواناً لا ما إذا فعله الإنسان بنفسه، ضرورة أنّ الإنسان لا يملك على نفسه شيئاً، وهذا ممّا لا أظنه يخفى على جاهل فضلاً عن فاضل.

هذا، وأنّ بالأصل الذي شيدناه من أنّ المباح قد تعرض له جهات محسنة، يتّضح لك الوجه في جميع تلك الأعمال العزائية في المواكب الحسينية.

(١) قال الجوهرى: الدامية: الشجة التي تدمي ولا يسيل، الصحاح ٦: ٢٣٤١ «دما».

(٢) الهاشمة: شجة تهشم العظم، أو التي هشمت العظم، تاج العروس ١٧: ٧٥٥ «هشم».

ضرب الطبول ونفخ الأبواق وقرع الطوس

كلّها أمور مباحة، فإنّك أيّها السامع تحسّ - وكلّ ذي وجدان - أنّها لا تحدث لك بسماعها طرباً ولا خفة ولا نشاطاً، بل وبالعكس توجب هولاً وفزعاً وكمداً وحزناً، فإذا قصد منها الضارب الإعلام والتهويل ونظم المواكب وتعديل الصفوف والمناكب، حسنت بهذا العنوان، ورجحت بذلك الميزان.

الشبيه ومواكب التمثيل

مباح في حدّ ذاته وإن كان بتشبيه الأدنى بالأعلى، والسافل بالسامي، والشريف بالعامي، وذو الميّزة بالعادي.

كيف لا، وقد ألقى الله تعالى شبه نبيّه وروحه عيسى عليه السلام على أبغض خلقه إليه «يهوذا الإسخريوطي» الذي نمّ على عيسى وحثّ اليهود على صلبه. وكان أمين الوحي جبرئيل عليه السلام يتشبهه بدحية الكلبي إذا حضر عند السدة النبويّة.

وتشبهت الملائكة بأمر المؤمنين عليه السلام يوم بدر.

وروى السيّد ابن طاوس رضوان الله عليه في كتاب «الإقبال» في فضل زيارة النبي ﷺ يوم المولود مانصّه: وفي حديث عن الصادق عليه السلام - وذكر زيارة النبي ﷺ فقال - «إنّه يسمعك من قريب ويبلغه عنك من بعيد، فإذا أردت ذلك فمثل بين يديك شبه القبر واكتب عليه اسمه، وتكون على غسل، ثم قم قائماً وقل وأنت متخيّل بقلبك مواجهته»^(١) انتهى.

إلى كثير من أمثال ذلك ممّا يضيق المقام عن تعداده، كما يضيق المقام عن تعداد الحكم والمصالح والفوائد المترتبة على تلك المواقب التمثيلية، ولعلّها أحد أسرار الشهادة ومفادات الإمام سلام الله عليه بنفسه وبأعزّ الأنفس على وجه الأرض.

إنّ تلك الأسرة السامية قد مثلت للناس مقام استهانة النفس، واحتقار هذه الحياة الفانية في جنب تلك الحياة السرمديّة والسعادة الأبديّة، وبذل كلّ عزيز إزاء العزّة والإباء.

علّمت الناس البسالة والإقدام والتفاني في الحفيظة ومجانبة الخضوع والذلّة، وما للنواميس الإلهية وللدين من القداسة والتعظيم الذي تهون عندها تلك الأرواح المقدّسة والأعراض المصونة.

علّمت الناس قوّة العزائم التي تهون عندها العظائم، وتسهل دونها المصاعب.

ولعمر الله والحقّ، إنّ تعطيل تلك المظاهرات والمواقب لا يلبث رويداً حتّى يعود ذريعة إلى سدّ أبواب المآتم الحسينيّة، وعندها - لا سمح الله - لا يبقى

(١) إقبال الأعمال ٣: ١٢٣، الفصل ١٢، في ما نذكره من زيارة رسول الله ﷺ.

الآيات البيّنات - في قمع البدع والضلالات - «المواكب الحسينيّة» ٤٦٣.....
للشيعة أثر ولا عين، ولتذهبن الشيعة ذهاب أمس الدابر، فإنّ الجامعة الوحيدة
والرابطة الوثيقة لها هي المنابر الحسينيّة والمآثر العلويّة.

وما تلك الهناث^(١) والوساوس إلّا من جرّاء هاتيك الدسائس، نزعة أمويّة
ونزعة وهّابيّة، يريدون إحياء ذكر بني أميّة وإزهاق الحقيقة المحمديّة ﴿وَيَأْبَى
اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُسَمَّيَ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾^(٢).

ويحسن هنا أن نورد لك ما ذكره جدّنا الشيخ الأكبر في كتاب «كشف
الغطاء» فإنّه قد أحرز جوامع التحقيق، وتكفّل بإيصالك إلى الحقيقة من أقرب
طريق قال قدّس سرّه ما نصه:

«وأما بعض الأعمال الراجعة إلى الشرع، ولا دليل عليها بالخصوص، فلا
تخلو من أن تدخل في عموم الدليل، ويقصد بالإتيان بها الموافقة من جهته، لا من
جهة الخصوصية، كقول: أشهد أنّ عليّاً وليّ الله، لا بقصد الخصوصية ولا بقصد
النصوصيّة؛ لأنّهما معاً تشريع، بل بقصد الرجحان الذاتي أو الرجحان الفرضي؛ لما
ورد من استحباب ذكر اسم علي متى ذكر اسم النبي^(٣).

(١) الهناث: الأمور والأخبار المختلطة، يقال: وقع بين الناس هناث، وهي أمور وهنّات،
لسان العرب ٢: ١٩٨ «هنّث».

(٢) التوبة (٩): ٣٢.

(٣) منها ما عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «إنّ الله عزّ وجلّ لمّا خلق العرش كتب عليه: لا
إله إلّا الله، محمّد رسول الله، علي أمير المؤمنين. ولمّا خلق الله عزّ وجلّ الماء كتب في
مجراه: لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله، علي أمير المؤمنين، ولمّا خلق الله عزّ وجلّ
الكرسي كتب على قوائمه: لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله، علي أمير المؤمنين. ولمّا خلق
الله عزّ وجلّ اللوح كتب فيه: لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله، علي أمير المؤمنين. ولمّا خلق

❧ الله إسرافيل كتب على جبهته: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي أمير المؤمنين. ولما خلق الله جبرائيل كتب على جناحيه: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي أمير المؤمنين. ولما خلق الله عز وجل السماوات كتب في أكنافها: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي أمير المؤمنين. ولما خلق الله عز وجل الجبال كتب في رؤوسها: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي أمير المؤمنين. ولما خلق الله عز وجل الشمس كتب عليها: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي أمير المؤمنين. ولما خلق الله عز وجل القمر كتب عليه: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي أمير المؤمنين. وهو السواد الذي ترونه في القمر فإذا قال أحدكم: لا إله إلا الله محمد رسول الله فليقل: علي أمير المؤمنين عليه السلام. الاحتجاج ١: ٢٣١، أفضل منقبة لعلي عليه السلام.

ومنها ما عن أنس قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لما عرج بي رأيت على ساق العرش مكتوباً: لا إله إلا الله، محمد رسول الله أيدته بعلي نصرته بعلي»، أخرجه الحاكم في شواهد التنزيل ١: ٢٩٤، حديث ٣٠٠، وقريب منه ما في كنز العمال ١١: ٦٢٤، حديث ٣٣٠٤٠، والمعجم الكبير للطبراني ٢٢: ٢٠٠، من إسناد هبار بن الأسود، وفي نظم درر السمطين: ١٢٠، مناقب الإمام أمير المؤمنين، وأمالى الصدوق: ٢٤٨، حديث ٣١٢.

ومنها ما عن فاطمة الزهراء عليها السلام قالت: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لما عرج بي إلى السماء صرت إلى سدرة المنتهى ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾، النجم (٥٣): ٩، فأبصرته بقلبي ولم أره بعيني، فسمعت أذاناً مثنى مثنى وإقامة وتراً وتراً، فسمعت منادياً ينادي: يا ملائكتي وسكان سماواتي وأرضي وحملة عرشيء اشهدوا أنني لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي، قالوا: شهدنا وأقرنا.

قال: اشهدوا يا ملائكتي وسكان سماواتي وأرضي وحملة عرشي بأن محمداً عبدي ورسولي، قالوا: شهدنا وأقرنا.

قال: اشهدوا يا ملائكتي وسكان سماواتي وأرضي وحملة عرشي بأن علياً وليي وولي رسولي وولي المؤمنين بعد رسولِي، قالوا: شهدنا وأقرنا». تفسير فرات الكوفي: ٣٤٣،

الآيات البيّنات - في قمع البدع والضلالات - «المواكب الحسينية» ٤٦٥
إلى أن قال: «وكما يصنع في مقام تعزية الحسين عليه السلام من دقّ طبل إعلام، أو
ضرب نحاس، وتشابيه صور، ولطم على الخدود والصدور؛ ليكثر البكاء
والعويل». ثمّ ختم الفصل بقوله: «وجميع ما ذكر وما يشابهه إنّ قصد به الخصوصية
كان تشريعاً، وإنّ لوحظ فيه الرجحانية من جهة العموم فلا بأس فيه»^(١) انتهى.
ولكنّك عرفت ممّا قدّمناه أنّ بعض تلك الأمور قد وردت فيها نصوص
بالخصوص، مثل اللطم واللدّم، فضلاً عن البكاء والعويل.

حديث ٤٦٨.

ومنها ما رواه الكليني عن ابن طريف عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّا أوّل أهل بيت نوّه الله
بأسمائنا، إنّه لما خلق السماوات والأرض أمر منادياً فنادى أشهد أن لا إله إلا الله - ثلاثاً
- أشهد أن محمداً رسول الله - ثلاثاً - أشهد أن علياً أمير المؤمنين حقّاً - ثلاثاً -»،
الكافي ١: ٤٤١، حديث ٧، باب مولد النبي صلّى الله عليه وآله ووفاته.

(١) كشف الغطاء ١: ٥٣ - ٥٤، المقام الثاني: فيما يتعلّق بجملة العبادات بالمعنى الأخص.

فذلكة المقام و خلاصة الفتوى

إنّ واقعة الطفّ وما جرى فيها من زوابع الفجائع، واقعة خرقت النواميس الطبيعية والغرائز البشرية، فضلاً عن الشرائع الإلهية.

وما رأت عين الدهر ولا سمعت واعية الأزمان بواقعة مثلها، ولا تسمع بمثلها أبداً، وكما أنّها أخذت بمجامع الغرابة والتفرد في بابها، فكذلك أحكامها غريبة الشكل، عديمة النظير، بديعة الأسلوب، متفردة في بابها.

الجزع والبكاء في المصائب - مهما عظمت - قبيح مكروه، ولكن صادق أهل البيت سلام الله عليه وعليهم يقول في حديث معتبر: «البكاء والجزع كلّ مكروه إلا على الحسين صلوات الله عليه»^(١).

شقّ الجيوب على الفقيد وخمش الوجوه محرّم في الأشهر، ولكن صادق أهل البيت سلام الله عليه يقول في حديث وثيق: «على مثل الحسين فلتشقّ الجيوب ولتخمش الوجوه ولتלטطم الخدود»^(٢).

(١) ونصّ الحديث قال عليه السلام: «إنّ البكاء والجزع مكروه للعبد في كلّ ما جزع ما خلا البكاء

والجزع على الحسين بن علي عليه السلام فإنه فيه مأجور»، كامل الزيارات: ٢٠١، حديث ٢٨٦.

(٢) قال عليه السلام: «وقد شققن الجيوب، ولطمن الخدود الفاطميات على الحسين بن علي عليه السلام،

وعلى مثله تلطم الخدود وتشقّ الجيوب»، تهذيب الأحكام ٨: ٣٢٥، حديث ١٢٠٧.

الآيات البيّنات - في قمع البدع والضلالات - «المواكب الحسينيّة» ٤٦٧
 إيذاء النفس وإدماء الجسد مرغوب عنه مذموم، سيّما من الأعظم وأرباب
 العزائم، والحجّة عجل الله فرجه يقول في زيارة الناحية: «فلأندبّك صباحاً
 ومساءً، ولا بكيّن عليك بدل الدموع دماً»^(١).

وقد سبقه إلى ذلك جدّه زين العابدين عليه السلام، ففي بعض روايات المجلسي
 على ما يعلق ببالي من زمن متقدم أنّ زين العابدين كان أحياناً إذا قدّم إليه قدح
 فيه ماء بكى حتّى يملأوه دماً^(٢).

وعلى هذه الوتيرة فاسحب وجر سائر الأعمال التي يؤتى بها بقصد الحزن
 والتوجّع لفاجعة الطفّ، وأنها لعمر الله باب الرحمة الواسعة، وسفينة النجاة من كلّ
 هلكة. ومن ذا يقدر على سدّ باب رحمة الله، أو يقطع أعظم الذرائع والوسائل إلى
 الله؟!

ولكن رغبتني إلى إخواني المؤمنين ووصيتني إليهم ومسألتي منهم أمران:
 الأوّل: تنزيه تلك المواكب المقدّسة من كلّ ما يشينها ويدنّسها، ممّا يوجب
 إلحاق الفتنة والفساد من المقابلة والتفاخر وحبّ الغلبة وتفوّق قبيل على قبيل،
 وأمثال ذلك من الأخلاق الذميمة.

فإنّ تلك الأعمال أعمال إلهيّة، ولها غايات روحية، فلا تدعو للشيطان
 سبيلاً إلى إحباط أجرها ومحو أثرها وغاياتها.

الثاني: وهو أهم وأعظم، ألا وهو المحافظة على اتّفاق الكلمة، ونبذ الخلاف
 والتفرّق، ولتكونوا يداً في حفظ هذه الجامعة المقدّسة التي أوشكت أن تنحل

(١) المزار: ٥٠١، زيارة أخرى في يوم عاشوراء صدرت على الناحية.

(٢) بحار الأنوار ٤٦: ١٠٦، حديث ٨، الباب السادس (حزنه وبكائه على أبيه)، نقلاً عن

مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ٣: ٣٠٣، باب إمامة علي بن الحسين عليه السلام. وفي كلا
 المصدرين يملأها «دمعاً» لا «دماً».

عراها وتضمحلّ قواها.

ومن تدبّر في حالة الشيعة الحاضرة يجدها وخيمة العاقبة ذميمة المغبة، تكاد تقضي على حياتها وتؤدي إلى هلاكها، يعرف ذلك أهله من ذوي التدبّر والمعرفة.

وهذه حادثة المدينة وفاجعة أئمة البقيع، كفى بها ذلّاً وهواناً لنا معشر الإمامية، وكان يجب أن تكون هي الشغل الشاغل لنا عن كلّ خلاف ونزاع، وتنابد وافتراق.

فالله الله يا عباد الله المؤمنين في جمع الكلمة، ولم الشعث^(١)، ورتق الفتق، ووحدّة العدّة والقوّة، فإنّها أربح وأنجح وأفضل وأجمل في الدنيا والآخرة، وما أريد إلاّ الإصلاح ما استطعت، وما توفّيقني إلاّ بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

(١) الشعث بالتحريك: انتشار الأمر، يقال: لمّ الله شعثك، أي جمع أمرك المنتشر. الصحاح.

محاضرة زاهرة وكلمات باهرة

ألقي علينا عمّنَا الحجّة والآية، وعلم الهداية، الشيخ السابق الذكر أدام الله ظلّه العالي، ذات يوم محاضرة نفيسة، وجدناها تتعلّق أشدّ العلاقة بالفتوى المتقدّمة، فأحببنا إلحاقها بها ونشرها هنا، وأنّ نضمّ ما صدر من فمه إلى جنب ما صدر من قلمه، تعميماً للفائدة وخدمة للحقيقة ونشرًا للمعارف الدينية، قال دامت بركاته:

إنّ مَنْ أمعن النظر وسبر^(١) غور^(٢) الوقائع التاريخية في بدء الدعوة المقدّسة الإسلاميّة، وفلسفة نشوئها وارتقائها وبدء انتشارها واعتلائها، وجد أقوى الأسباب العاديّة بعد العناية الربانيّة، هو سيف أمير المؤمنين صلوات الله عليه ومواقفه المشهورة ومساعيه المشكورة، بحيث لولا كفاحه وصفاحه لمّا اخضرّ للإسلام عود، ولمّا قام له عمود.

وكذلك من أعطى التدبّر حقّه وأمعن النظر في أسباب انتشار مذهب التشيع

(١) سبرت الجرح أسبره: إذا نظرت ما غوره. الصحاح ٢: ٦٧٥ «سبر».

(٢) غور كلّ شيء قعره. الصحاح ٢: ٧٧٣ «قعر»، والمعنى أن الناظر إلى أعماق الوقائع التاريخية.

٤٧٠.....رسائل الشعائر الحسينية / ج ١

والتساع نطاقه، وارتفاع رواقه، لم يجد له سبباً حقيقياً، وسراً جوهرياً، سوى شهادة أبي عبد الله الحسين - صلوات الله عليه - بذلك الشكل الغريب، والوقع الهائل.

ولولا شهادته سلام الله عليه لكانت الشريعة أموية، ولعادت الملة الحنيفة يزيدية، فحقاً أقول: إن الإسلام علوي، والتشيع حسيني.

أقول وحقاً ما أقول: إن من ليس له حبل ولاء خاص إلى علي صلوات الله عليه، فليس من الإسلام على شيء، ومن ليس له حبل ولاء خاص بالحسين سلام الله عليه فليس من التشيع على شيء.

ولعل من هنا تجد أن لكل شيعي علاقة خاصة مع الحسين عليه السلام ليست له مع غيره من سائر الأئمة سلام الله عليهم، مع أنه يعتقد بإمامتهم وفرض طاعتهم.

نعم، وقد كان لنفس النبي صلى الله عليه وآله ولذات الأئمة عليهم السلام علاقة خاصة بالحسين بخصوصه ليست لبعضهم مع بعض، فلقد كانت لهم لهجة خاصة بذكره، يعرفها من أنس بأخبارهم، ووقف على بعض أسرارهم.

وهذه ميزة قد امتاز سلام الله عليه بها، ومزية قد تفرّد هو فيها. وكانوا جميعاً يشيرون إلى أن الحسين عليه السلام هو مستودع ذلك السر الإلهي الذي يستبين به الدين، ويميز الله به الخبيث من الطيب، والحق من الباطل.

وما تبين الرشد من الغي والهدى من الضلال إلا بالحسين سلام الله عليه، وإلا فقد ارتبك الأمر بعد النبي صلى الله عليه وآله على عامة المسلمين واختلط الحابل بالنابل^(١) والحق بالباطل، سيما بعد صلح أخيه الحسن سلام الله عليه، الذي كان

(١) هذا من أمثال العرب، قال اليوسي: الاختلاط معروف، والحابل الذي يصيد بالحبل، والنابل الذي يصيد بالنبل، فيضرب ذلك في اختلاط الرأي. زهر الأكم في الأمثال والحكم ١: ٢٢١.

الآيات البيّنات - في قمع البدع والضلالات - «المواكب الحسينيّة» ٤٧١
 أيضاً بأمر من الله سبحانه، ولكن نهض الحسين سلام الله عليه تلك النهضة الباهرة،
 فقشع سحب الأوهام، وانتزع النور من الظلام، وأصحر بالهدى لطالبه، وبالحق
 الضائع لناشده.

وهذه إحدى المزايا التي امتاز بها وتفرد، وكان من قبله من الأئمة ومن
 بعده يشيرون إليها، ويدّلون الناس عليها، وكانت نسبته إليهم في ذلك على حدّ قول
 القائل:

ولست ترى في محكم الذكر سورةً تقوم مقام الحمد والكلّ قرآن^(١)

(١) أحد أبيات قصيدة ابن قلاقس المصري، وهو نصر بن عبد الله بن عبد القوي اللخمي
 الإسكندري الأزهري، المعروف بابن قلاقس، ولد في الإسكندرية عام ٥٣٢هـ، ثم انتقل
 إلى القاهرة، توفّي في عيذاب - وهي قرية متوسطة بين مصر والحجاز واليمن - عام
 ٥٦٧هـ، ونذكر تمام القصيدة تعميماً للفائدة:

لأية حال فيض دمعك هتانُ	وما هذه نعم ولا تلك نعمانُ
أكلُ مكانٍ للبخيلة منزلُ	وكلُ حمولٍ للبخيلة إظغانُ
وإلا فهل أسررت رأي متّم	فبان على آثارهم عندما بانوا
سقى الله نعمان الأراك مدامعي	وقلت ولو أنّ المدامع طوفانُ
ديارُ بها للسمر غابٍ وللظبا	جداولُ أنهارٍ وللجرد غزلانُ
إذا رتعت آرامها قلت وجرةُ	وإن ربضت آسأها قلت خفانُ
نعمت بها والعيش أخضر يانغ	وغصن الصبا لدنّ المعاطف ريانُ
فما نهدت عن شرعة الحبّ ناهدُ	ولا أوهنّ الشمل المجمع وهنانُ
أمّا وبدورٍ في غصون تمايلت	وما هي أقمارُ ولا تلك أغصانُ
لقد جبت عرض البید وهي فسيحةُ	ودست عرين الليث والليث غضبانُ
ولا صاحبُ إلا تنسم نفحةُ	هزرت لها عطفي كأني نشوانُ

٥ يميل إليها أخذع الصب ككب
 فعجت مع الشوق المبرح طوعه
 فلما رأيت الدار حيت ربها
 وقلت لها قلبي كأهلك قد نأى
 فأين أفنان القدود وقد هفت
 ليالي تزرى بالكواكب أكؤس
 تصرم ذاك العيش إذا تذكر
 فإن كنت من ماء الجزيرة راوياً
 وقد أقطع البیداء والبدر فارس
 بمنجرد في الوعر وعلي وفي النقا
 سرى وكأن الريح ملء حزامه
 وأخضر مرهوب الغرار إذا بكى
 وأرقط إما نسبة حين ينتمي
 وروض به للنهر تجري مجرة
 وقد أتلعت أجيادها قلل الربي
 يعبر عن نشر الأثير كأنما
 أغر له حالا نوال وفتكة
 من القوم ما غير الظبي لبيوتهم
 إذا جردوا بيض السيوف فما لها
 ظماء حروب من قلوب عداتهم
 رعوا من يواليهم وراعوا عداتهم
 تكفلهم للمجد أفضل كافل
 صفا منهم جود عميم ومنظر

ويلوي لها عطف المتيم ثهلاً
 ولي كلما لام العواذل عصيان
 وللطرف إنكار وللقلب عرفان
 فها أنت إطلال وها أنا جثمان
 فأشجت لطير الحلي فيهن ألحان
 تداور بالشمس المنيرة ندمان
 شبيب له بين الأضالع نيران
 فإني إلى عذب العذيب لظمان
 له الليل طرف والكواكب خرصان
 عقاب وفي سهل البسيطة سرحان
 بها وكأني في مطاء سليمان
 فحامل طلق الأسرة جذلان
 فصقر وإما نصبة فهو بستان
 وللزهر غذته المواطر شهبان
 فقلدها للنور ذر وعقيان
 تجر على تلك الربي منه أردان
 ففي السلم مطعم وفي الحرب مطعان
 أساس ولا غير الذوابل أركان
 سوى رأس الصيد البهليل أجفان
 لهم قلب والسمهرية أشطان
 فأقوامهم عزوا وأضدادهم هانوا
 وغذتهم من صفوة الفضل ألبان
 وسيم وعرض لا يشاب وأذهان

ويتفرّع من هذه المزيّة مزايا تفوت حدّ المدّ، ويحصر عنها لسان الحصر.

❦ إذا صمتموا خفوا وإن نطقوا هُدوا
أجاروا وما جاروا وأولوا وما ألوا
وكم سقت الأعداء كأساً مريّة
سوام رعو نبت الرماح فهووا
تميمٌ تمامٌ فضلهم غير أنّه
ولست ترى في محكم الذكر سورة
لهم شرفٌ يزدادُ فخراً بذكره
له قلمٌ كالصلّ لكن لعابه
إذا جال يوماً فالأنامل سابغٌ
فله منه واحدٌ بين قومه
يجودٌ ويخفى جوده فيذيعه
أحبّ المعالي فاغتدت وهي طوعه
وأسعد بالنذب السعيد فاللعلّ
فاللجلّ شمسٌ وبدرٌ تألقا
ومن عجب أن قسم الفضل فيهما
علاه سماءٌ والأمير محمّدٌ
طلاقت دلت على طيب أصله
ليهنكم العيدُ السعيدُ وإن غدا
إذا كنتم عيداً لنا كلّ مدّة
أقامت على جودي جودك فاكتفت
لساني غواصٌ وفكري بحرّه
إذا اختال فيه لا بسوّه فحلّة
تقصر عن نعماك أولادٌ جفنة

وإن نزلوا زانوا وإن ركبوا صانوا
ومنّوا وما منّوا وماثوا وما مانوا
صوارم تثنيهم صريماً ومرانٌ
عجافاً وما كلُّ المسارح سعدانٌ
أعزّ وما ذلوا وأوفى وما خانوا
تقوم مقام الحمد والكلّ قرآنٌ
فهم المعالي ناظر وهو إنسانٌ
لباغي الندى شهد وللقرن ذيفانٌ
ومنخرقُ الطُرس المنمّق ميدانٌ
وهم بين أحياء القبائل وحدانٌ
ثناءً وما بالمسك يعبقُ كتمانٌ
ومن شيم المحبوب مطلٌ وليّانٌ
تجمّع شملٌ لا دنا منه فرقانٌ
وللمُجتدي سيحانٌ فاض وجيحانٌ
ولا واحدٌ في قسمة منه نقصانٌ
بها قمرٌ طلق الأسرة ضحيانٌ
وفي الفجر وضاحاً على الصبح عنوانٌ
بفضلكم يزهو جلالاً ويزدانٌ
فقد بات شوالٌ سواءً وشعبانٌ
سفينة آمالي وللبلخ طوفانٌ
وشعري درٌ يُستفادٌ ومرجانٌ
تزيّن ومن بعض الملابس أكفانٌ
ويقصر عن إدراك شأوي حسانٌ

كان من مزاياه التي انفرد بها وامتاز عن غيره فيها، أنه ربّما رآه وكلّمه أعدى عدوّ له، فانقلب أكبر محبّ له.

وحسبك بحديث زهير بن القين، وكان عثمانياً، أبغض شيء إليه أن ينازل الحسين عليه السلام في منزل، فما اجتمع به وكلّمه بضع كلمات حتّى طلق الدنيا وزوجته، وفداه بنفسه^(١)، ولا تحسب أنّ هذه من منفردات الشيعة ورواياتهم، فإنّ في كتب علماء السنّة قد يوجد ما هو أعجب من ذلك.

(١) ففي اللهوف قال السيّد بن طاووس: «ثمّ سار عليه السلام فحدّث جماعة من بني فزارة وبجيلة قالوا: كما [كنّا] مع زهير بن القين لما أقبلنا من مكّة فكنا نساير الحسين عليه السلام حتّى لحقناه، فكان إذا أراد النزول اعتزلناه فنزلنا ناحية، فلمّا كان في بعض الأيام نزل في مكان لن نجد بداً من أن ننازله فيه.

فبينما نحن نتغذى من طعام لنا إذ أقبل رسول الحسين عليه السلام حتّى سلّم، ثمّ قال: يا زهير بن القين، إنّ أبا عبد الله الحسين عليه السلام بعثني إليك لتأتيه، فطرح كلّ إنسان منّا ما في يده حتّى كأنّما على رؤوسنا الطير.

فقال له زوجته - وهي ديلم بنت عمرو -: سبحان الله! أبيعك إليك ابن رسول الله عليه السلام ثمّ لا تأتيه؟ فلو أتيتّه فسمعت من كلامه.

فمضى إليه زهير بن القين، فما لبث أن جاء مستبشراً قد أشرق وجهه، فأمر بفسطاطه وثقله ومتاعه فحوّل إلى الحسين عليه السلام وقال لامرأته: أنت طالق فإنّي لا أحبّ أن يصيبك بسببي إلّا خيراً، وقد عزمت على صحبة الحسين عليه السلام لأفديه بنفسي، وأقيه بروحي، ثمّ أعطاهما مالها وسلّمها إلى بعض بني عمّها ليوصلها إلى أهلها.

فقامت إليه وبكت وودعته وقالت: كان الله عوناً ومعيناً، خار الله لك، أسألك أن تذكرني في القيامة عند جدّ الحسين عليه السلام.

فقال لأصحابه: من أحبّ أن يصحبني، ولا فهو آخر العهد منّي به». اللهوف في قتلى الطفوف: ٤٤، خروج الحسين عليه السلام من مكّة إلى العراق.

هذا مجد الملك بن شمس الخلافة، أحد وزراء العلماء في مصر، المتوفى في حدود الستمائة، على ما ذكره ابن خلكان في ترجمته، ذكر في كتاب له ألفه في محاسن المحاضرة وآداب المسامرة فقال:

«إن عصام بن المصطلق وكان شامياً أمويّاً قال: دخلت المدينة فرأيت الحسين بن علي سلام الله عليهما ومعه غلمانة وحاشيته، فأعجبني سمته ورواؤه وحسنه وبهاؤه، وأثار الحسد ما كان يخفيه صدري لأبيه من البغض، فجئت إليه وقلت له: أنت ابن أبي تراب؟

فقال: «نعم».

فبالغت في شتمه وشتّم أبيه، فنظر إليّ نظر عاطف رؤوف برّقة ورحمة، ثم قال: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَأِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ * وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوْنَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾^(١).

ثم قال لي: «خفّض عليك، أستغفر الله لي ولك، إنك لو استعنتنا لأعناك، ولو استرفدتنا لرفدناك، ولو استرشدتنا لأرشدناك».

قال عصام: فندمت على ما قلت، وتوسّمت منّي الندم على ما فرط مني فقال: ﴿لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾^(٢).

ثم قال ﷺ: «أمن أهل الشام أنت؟»

قلت: نعم.

(١) الأعراف (٧): ٢٠٠ - ٢٠٣.

(٢) يوسف (١٢): ٩٢.

فقال: «شنشنة أعرفها من أخزم^(١)، حيّانا الله وإياك، انبسط إلينا في حوائجك وما يعرض لك تجدنا عند أفضل ظنّك إن شاء الله».

قال عصام: فضاقت علي الأرض بما رحبت ووددت لو أنّها ساخت بي، ثمّ انسللت من بين يديه لواداً، وما على وجه الأرض أحبّ إليّ منه ومن أبيه^(٢) انتهى ما علق بخاطري من ذلك الكتاب.

وكم لهذه الواقعة من نظائر لا يسعها المقام، ولكن من عرف للحسين عليه السلام بعض هاتيك المزايا والخصوصيات لاشكّ أنّه يستقلّ في عزائه الكثير، ويستحقر الأمر الخطير، ويرى دون ما يستحقّه كلّ تلك الشعائر والمظاهرات، والمواكب والنزعات.

نعم، وإذا كان الشامي الأموي بنظرة واحدة وكلمات معدودة يعود وما على وجه الأرض أحبّ إليه من الحسين وأبيه، فما عذر الشيعي في إبداء الوهم والتشكيك في المواكب الحسينية والشؤون العزائية؟!

وأما والله لو لا استمرار تلك الشعائر؛ وقيام أعواد هذه المنابر، واستدامة التوجّع والتفجّع، لانطمست أعلام التشيع، ولكّني أختتم كلمتي هذه بالآية الشريفة

(١) الشنشنة بالكسر: الطبيعة والخلق، وأخزم بالزاي رجل من طي مات أخزم هذا وترك بنين، فوثبوا يوماً على جدّهم فأدموه فقال:

إِنَّ بَنِي زَمَلُونِي بِالدَّمِ مِنْ يَلْقَى أَسَادَ الرِّجَالِ يُكَلِّمُ
وَمَنْ يَكُنْ ذَا أَوْدٍ يُقَوِّمُ شَنْشَنَةُ أَعْرَفَهَا مِنْ أَخْزَمِ

لأنّه كان عاقاً كذلك. زهر الأكم والأمثال والحكم ١: ٣٥٥.

(٢) لم نعثر على هذا الكتاب لكن القصّة مشهورة، فقد ذكرها ابن عساكر في تاريخه،

تاريخ مدينة دمشق ٤٣: ٢٢٤، في ترجمة علي بن محمّد أبو الحسن الحوطي رقم ٥٠٧٨،

وذكرها القرطبي في تفسيره ٧: ٣٥٠، ذيل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ...﴾.

الآيات البيّنات - في قمع البدع والضلالات - «المواكب الحسينيّة» ٤٧٧

التي استشهد بها سلام الله عليه حيث قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ * وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾^(١).

نسأله تعالى أن يمنّ علينا بنفوذ البصيرة، ونزع بذور الأغراض من لوح السريرة، لنرى الحقائق كما هي إن شاء الله، والسلام.

انتهى ما ألقاه علينا من المحاضرة والخطبة شيخنا الحجة نفعنا الله بإفاداته، ومتّعنا بطول بقائه إن شاء الله، والسلام عليكم أيّها المؤمنون جميعاً ورحمة الله وبركاته^(٢).

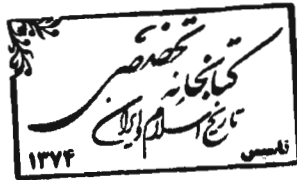
(١) الأعراف (٧): ٢٠١ - ٢٠٢.

(٢) في آخر الطبعة المستقلّة لهذه الرسالة «المواكب الحسينيّة»، كتبت عبارة: «الناشر

محمد ابن الشيخ عبد الحسين آل كاشف الغطاء - النجف الأشرف - المطبعة العلوية».

(٩)

قطعة من كتاب
الفردوس الأعلى



تأليف
الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء
(١٣٧٣هـ - ١٢٩٤هـ)

السؤال الثاني

إلى سماحة الإمام حجة الإسلام أدام الله ظلّكم العالي:

هل يوجد دليل على استحباب أو جواز لطم الصدور في عزاء أبي عبد الله الحسين أرواحنا فداءه، أو لا؟ فإنّ بعض من ليسوا من أهل نحلتنا ينكرون الجواز، وبعض آخر يقولون: إنّنا نستكشف الجواز من لطم الفاطميات، فتفضّلوا ببيان الجواب ولو على نحو الإجمال.

الجواب:

مسألة لطم الصدور ونحو ذلك من الكيفيات المتداولة في هذه الأزمنة، كالضرب بالسلاسل والسيوف وأمثال ذلك، إن أردنا أن نتكلّم فيها على حسب ما تقتضيه القواعد الفقهيّة والصناعة المقرّرة لاستنباط الأحكام الشرعية، فلا تساعدنا إلّا على الحرمة، ولا يمكننا إلّا الفتوى بالمنع والتحريم؛ فإنّه لا مخصّص للعمومات الأولى والقواعد الكلّية من حرمة الإضرار وإيذاء النفس وإلقائها في التهلكة، ولا دليل لنا يخرجها عنها في المقام.

ولكن الذي ينبغي أن يُقال بالقول الصريح: إنّ من قطعيات المذهب الإمامي، ومن مسلّمات هذه الفرقة الحقّة الاثنا عشرية، أنّ فاجعة الطفّ والواقعة

الحسينية الكبرى واقعة عظيمة، ونهضة دينية عجيبة، والحسين عليه السلام رحمة الله الواسعة، وباب نجاة الأمة، ووسيلة الوسائل، والشفيع الذي لا يردّ، وباب الرحمة الذي لا يسدّ^(١).

وإنّي أقول: إنّ حقّ الأمر وحقيقة هذه المسألة إنّما هو عند الله جلّ وعلا، ولكن هذه الأعمال والأفعال إنّ صدرت من المكلف بطريق العشق الحسيني والمحبة والوله لأبي عبدالله عليه السلام نحو الحقيقة والطريقة المستقيمة، وانبعثت من

(١) وقد خدم عليه السلام الدين بنهضته المقدسة، وأحيى التوحيد في العالم بتلك التضحية العظيمة، ولولا شهادته لم تقم للإسلام قائمة؛ فإنّ الأحقاد القديمة من بني أمية وتلك الضغائن الخبيثة من تلك الشجرة الملعونة، نهضت على محو الدين الإسلامي الذي ظهر من أسرة عريقة بالمجد والشرف، أعني البيت الهاشمي البازغ منهم شمس الرسالة والنبوة.

فلو أرخينا عنان القلم نحو الوجهة التاريخية وما كان للأمويين من النيات الممقوتة في هدم الإسلام، لخرجنا عن الغرض المقصود في هذه الرسالة، وهي ترجمة الكلمات المترشحة من قلم سماحة الإمام دام ظلّه.

ولكن أستطيع أن أقول أيها القارئ العزيز على الإجمال: إنّ بني أمية سلكوا في سياستهم الغاشمة في هدم الإسلام ونسفه المسلك والشرعة التي علّمها لهم رئيسهم ورئيس المنافقين والزنادقة أبو سفيان، في تلقينه لهم تعاليمه الجاهلية ونزعاته الأموية، حين دخل على عثمان بعد أن ولي الخلافة وخاطبهم بكلامه المعلن بكفره ونفاقه وقال: «يا بني أمية، تلقّفوها تلقّف الكرة، والذي يحلف به أبو سفيان ما زلت أرجوها لكم، ولتصيرنّ إلى صبيانكم وراثه»..

وقال لعثمان: «أدرها كالكرة، واجعل أوتادها بني أمية، فإنّما هو الملك، ولا أدري ما جنة ولا نار».

وأتى قبر حمزة سيّد الشهداء عليه السلام فركله برجله، ثم قال: «يا حمزة، إنّ الأمر الذي كنت تقاتلنا عليه بالأمس قد ملكناه اليوم، وكنا أحق به من تيم وعدي».

احترق الفؤاد واشتعال نيران، الأحزان في الأكباد بمصاب هذا المظلوم ريخانة الرسول ﷺ، المصاب بتلك الرزية، بحيث تكون خالية ومبرأة من جميع الشوائب والتظاهرات والأغراض النفسانية، فلا يبعد أن يكون جائزاً، بل يكون حينئذٍ من القربات وأجلّ العبادات.

وعلى هذا يُحمل ما صدر من الأعمال ونظائر هذه الأفعال من أهل بيت العصمة والطهارة ﷺ، مثل ما نقل عن العقيلة الكبرى والصديقة الصغرى زينب سلام الله عليها من «أنها نطحت جبينها بمقدّم المحمل حتّى سال الدم من تحت قناعها»^(١).

(١) البحار، للعلامة المجلسي: ج ١٠ / ٢٢٠، طبع أمين الضرب باختلاف يسير في العبارة [بحار الأنوار ٤٥ : ١١٥ الباب التاسع والثلاثون] ويكفي في الاعتماد بهذا الخبر نقل المجلسي له عن بعض الكتب المعتبرة، ولهذا اعتمد سماحة شيخنا الإمام - دام ظلّه - عليه أيضاً في المقام، فدع عنك ما يظهر من كلمات بعض من يدّعي التتبّع من المناقشة في هذا الخبر، فإنّها مناقشة واهية لا وجه لها سوى الاستبعاد المحض الذي لا يعنأ به بعد ما عرفت من كلام سماحة الإمام - دام ظلّه - الوجه في فعل الصديقة الصغرى زينب سلام الله عليها.

وزينب الكبرى هي عقيلة بني هاشم، وهي الصديقة الصغرى، عالمة أهل البيت ﷺ، وكريمة أمير المؤمنين ﷺ، وأمّها الصديقة الكبرى سيّدة نساء العالمين، وهي شريكة الحسين ﷺ في إبادة كبرياء الظالمين وإطفاء نائرة سلطتهم الجائرة، ولولاها لانقرضت سلالة العترة الطاهرة، وهي وحيدة عصرها في الصبر والثبات وقوة الإيمان والتقوى والعفاف، وفي الفصاحة كأنّها تفرغ عن لسان أمير المؤمنين ﷺ، وأوصى أخيه إليها بجملة من وصاياه، وأنابها السجاد ﷺ نيابة خاصة في بيان الأحكام، وكان ما يخرج عن علي بن الحسين ﷺ من علم ينسب إلى زينب ﷺ تسترأ على الإمام

❖ السجاد عليه السلام.

وذكرها علماء الرجال من الفريقين في كتبهم، وأفرد بعضهم في حقها مؤلفاً خاصاً ككتاب «السيدة زينب» وكتاب «زينب الكبرى» للعلامة النقيدي رحمته الله.

وكتاب «الطراز المذهب» بالفارسية لولد صاحب ناسخ التواريخ، وقد خلط مؤلفه فيه الصحيح بالسقيم، ولا ينبغي الاعتماد عليه من غير تثبت وتحقيق.

وصنفت الدكتورة بنت الشاطيء كتاب «بطلة كربلاء زينب بنت الزهراء»، وهو عدد ١١ لسنة ١٣٧١ هـ من كتب الهلال التي هي سلسلة شهرية تصدر عن دار الهلال بالقاهرة. وكتاب «زينب عقيلة بني هاشم».

وغير ذلك من المؤلفات الخاصة في حق هذه العقيلة، التي هي في المقدمة بين الأتقياء المجاهدين والطيبات والطيبين من آل البيت النبوي الذين ضحوا في سبيل الحق والعدالة وإصلاح زيغ البشرية، واحتملوا من المآسي ما كان له أثره الخالد ووقعه العظيم في التاريخ الإسلامي.

وفي مدفنهما وتاريخ وفاتها آراء وأقوال شتى لم أهتد إلى تحقيقها والتحري الدقيق فيها كي تطمئن النفس بإحداها؛ لقلة المصادر؛ ولأسباب أخرى. قيل: إنها ولدت في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم من غير ذكر سنة الولادة كما في الإصابة وغيرها.

وقيل: ولدت في الخامس من جمادى الأولى في السنة الخامسة للهجرة، وهو الراجح في نظري.

وقيل: في السنة السادسة.

وقيل: في الرابعة.

وتوفيت نحو سنة ٦٥ هـ كما ذهب إليه الزركلي في الأعلام: ج ١ / ص ٣٥١، وعمر رضا كحالة في أعلام النساء: ج ١ / ص ٥٠٨، وفي الأخير أنها دفنت بمصر، وإليه ذهب جمع من علماء أهل السنة.

وذهب العلامة الشهرستاني في نهضة الحسين عليه السلام إلى أنها توفيت في نصف رجب

ومثل ما ورد في زيارة الناحية المقدسة في وصف مخدرات أهل البيت
سلام الله عليهم: «للسعور ناشرات وللخدود لاطمات»^(١).

ولكن المعنى الذي أشرنا إليه لا يتيسر لكل أحد، وليس شرعة لكل وارد،
ولا مطمع لكل طامع، ولا يحصل بمحض الادعاء والتخيل؛ فإنه مرتبة عالية
ومحل رفيع، ومقام شامخ منيع، وأغلب الأشخاص الذين يرتكبون هذه الأمور
والكيفيات لا يأتون بها إلا من باب التظاهر والمراءات والتحمل والمداجات.

مع أن هذا المعنى بغير القصد الصحيح والنية الصادقة لا يخلو من إشكال، بل
حرام، وحرمة تتضاعف لبعض الجهات والعوارض الحالية والطوارئ المقامية.

سنة ٦٥.

وقيل: إنها لم تمكث بعد أخيها إلا يسيراً، وتوفيت بعد ورودها المدينة بثمانين يوماً، وأن
قبرها بها، كما في تنقيح المقال: ج ٣ / فصل النساء ص ٨٠.
واستظهر صاحب كتاب أعيان الشيعة: ج ٣٣ / ص ٢٠٧ - ٢١٠ ط. بيروت أيضاً أن قبرها
بالمدينة.

وقيل: إنها توفيت في النصف من رجب سنة ٦٢ هـ بمصر، كما ذهب إليه العبيدلي في
رسالة «الزينبات» المنسوبة إليه.

وقيل: إنها توفيت في إحدى قرى الشام ودفنت بها، وهذا القول بعيد عن الصواب؛ فإن
الألسن تلج في سبب ذلك بحديث (حديث المجاعة ومجيء عبدالله بن جعفر مع
زينب عليها السلام إلى الشام) لا أثر له في صفحات التاريخ والسير، وما ذكره العبيدلي من
تاريخ وفاتها ومدفنها بمصر بعيد أيضاً للقرائن التي لا يسعنا المجال ولا المقام
لذكرها، والحق أن لهذه السيدة شباهاة تامة بأُمها الصديقة الطاهرة عليها السلام في اختفاء
قبرها ومدفنها، سلام الله عليهما.

وأحسن الأعمال وأنزهها في ذكرى الحسين السبط صلوات الله عليه هو
النياحة والندبة والبكاء لريحانة الرسول ﷺ، والمظلوم الموتر، والسلام عليه
والزيارة له، واللعن على أعدائه، والتبري من ظالميه والمشاركين في دمه وقتليه،
والراضين بقتله، صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين، وأولاده الميامين
المنتجبين.

الفهرس

٥	دليل الكتاب
٧	(١) وقفة مع رسالة التنزيه وآثارها في المجتمع
٩	تمهيد
١٧	بداية المطاف
١٧	المرحلة الأولى
١٧	صحيفة الأوقات العراقية
١٩	وقفة مع صحيفة الأوقات العراقية
٢١	صحيفة العهد الجديد البيروتية
٢٤	المرحلة الثانية
٢٧	المرحلة الثالثة
٣٠	المرحلة الرابعة
٤٢	المرحلة الخامسة
٤٢	رجال الدين
٤٧	رسائل ألّفت حول هذا الموضوع

الصحف:.....٤٩

مقالة الكاتب الهندي محمد علي سالمين في جريدة ديوانن ميسج ٥١

ردّ السيّد نور الدين شرف على مقالة محمد علي سالمين ٥٢

مقالة موقّعة باسم «حبيب بن مظاهر» ٥٤

مقالة موقّعة باسم «أبي فراس» ٥٦

الشعراء والخطباء ٥٧

عامّة الناس ٦٦

الرسائل الواردة في هذه المجموعة ٧٠

(١) وقفة مع رسالة التنزيه وآثارها في المجتمع ٧١

(٢) جريدة الأوقات العراقية ٧٣

(٣) صولة الحقّ على جولة الباطل ٧٥

(٤) المواكب الحسينية ٨٠

(٥) نظرة دامعة حول مظاهرات عاشوراء ٨٧

(٦) كلمة حول التذكّار الحسيني ٩١

(٧) نصرة المظلوم ٩٥

(٨) الآيات البيّنات في قمع البدع والضلالات «المواكب الحسينية» ٩٩

(٩) قطعة من كتاب الفردوس الأعلى ١٠٥

(١٠) سيماء الصلحاء ١٠٧

(١١) التنزيه لأعمال الشبيه ١١٢

(١٢) رنة الأسي «نظرة في رسالة التنزيه لأعمال الشبيه» ١١٧

(١٣) كلمات جامعة حول المظاهر الغزائية ١٢٢

(١٤) الشعار الحسيني ١٢٧

(١٥) النقد التنزيه لرسالة التنزيه ١٣٣

(١٦) كشف التمويه عن رسالة التنزيه ١٣٧

(١٧) إقالة العائر في إقامة الشعائر ١٤٢

(١٨) قطعة من إرشاد الأمة للتمسك بالأئمة ١٥٦

(١٩) رسالة في الشعائر الحسينية ١٦٢

(٢٠) ثورة التنزيه ١٦٧

(٢) جريدة الأوقات العراقية ١٦٩

العبارة الأولى ١٧٢

العبارة الثانية ١٧٣

العبارة الثالثة ١٧٤

العبارة الرابعة ١٧٥

(٣) صولة الحق على جولة الباطل ١٧٧

حرمة التشبيهات ١٨٠

لطم الصدور ١٨٩

حرمة التطبير ١٩٠

هدم الوهاية لقبور أهل البيت (عليه السلام) ١٩٤

(٤) المواكب الحسينية ١٩٩

جوار التطبير بل رجحانه ٢٠١

جواز التشبيهات.....	٢٠٣
البكاء على الحسين عليه السلام	٢٠٧
اعتراض ابن باشي العسكر على مواكب اللطم.....	٢١٠
استعمال آلات اللهو في المواكب.....	٢٣٠
(٥) نظرة دامعة حول مظاهرات عاشوراء.....	٢٣٥
أبيات شعر للمؤلف.....	٢٣٧
توجع المؤلف وتألمه للشك في جواز الشعائر الحسينية.....	٢٣٨
عبارة الدكتور جوزف الفرنسي.....	٢٤٥
كلام الفيلسوف الألماني المسيو ماريين.....	٢٤٨
محمل النبي صلى الله عليه وآله وهودج عائشة.....	٢٥١
مواكب اللطم.....	٢٥٦
التطبير.....	٢٥٩
كلمات الأعلام وآراؤهم.....	٢٦١
كلمة حول الرسالة للسيد حسن الصدر.....	٢٦٥
(٦) كلمة حول التذكار الحسيني.....	٢٦٧
وقوف المؤلف على جريدة الأوقات العراقية.....	٢٧١
استنكار العلماء لبعض الشعائر الحسينية.....	٢٧٢
مواكب العزاء.....	٢٧٦
قصة وفاء السموأل.....	٢٨١
كلمة لحضرة السيد جعفر بحر العلوم.....	٢٨٢
كلمة للشيخ هادي كاشف الغطاء.....	٢٨٧

الفهرس ٤٩١

رأي بعض العلماء عن الشعائر الحسينية ٢٩٢

تشبه الرجال بالنساء ٣٠٢

ملحق بالكتاب ٣٠٤

(٧) نصرة المظلوم ٣٠٧

وقوف المؤلف على جريدة الأوقات العراقية ٣٠٩

قتل الحسين لآحياء دين جدّه ٣١٢

وقعة عين الورد ووقعة نهر الخازر ٣١٧

تأكيد الإمام الصادق عليه السلام على الشعائر الحسينية ٣١٩

المآتم ٣٢٧

التمثيل ٣٢٩

تمثيل النساء ٣٣٦

مجامع الدم ٣٤٣

المواكب ٣٤٥

موكب لدم الصدور ٣٤٥

موكب السلاسل ٣٥٧

موكب القامات ٣٥٨

نظرة في التاريخ ٣٨٥

النحف وعمل الشبيه ٣٩٩

رسالة الميرزا محمد حسين الغروي إلى البصرة وما والاها ٤٠٨

خاتمة مسكية ٤١٤

الأمر الأول ٤١٦

الأمر الثاني ٤٢٢

٤٢٦.....	الطَبْلُ
٤٢٩.....	البُوق
٤٣١.....	الصَّنَج
٤٣٣.....	الأمر الثالث
٤٣٥.....	(٨) الآيات البيّنات في قمع البدع والضلالات «المواكب الحسينية»
٤٣٧.....	مقدمة جامع هذه الأسئلة وأجوبتها
٤٤١.....	جواب السؤال الأوّل
٤٤٤.....	جواب السؤال الثاني الوارد من البصرة
٤٤٧.....	وصيّة المؤلف للمؤمنين
٤٥٠.....	جواب السؤال الثالث
٤٥٢.....	اللطم واللدّم
٤٥٣.....	خروج المواكب في الطرقات
٤٥٨.....	ضرب الرؤوس والظهور بالسيوف والسلاسل
٤٦١.....	ضرب الطبول ونفخ الأبواق وقرع الطوس
٤٦١.....	الشييه ومواكب التمثيل
٤٦٦.....	فذلّة المقام وخلاصة الفتوى
٤٦٩.....	محاضرة زاهرة وكلمات باهرة
٤٧٩.....	(٩) قطعة من كتاب الفردوس الأعلى
٤٨١.....	السؤال الثاني
٤٨٧.....	الفهرس

